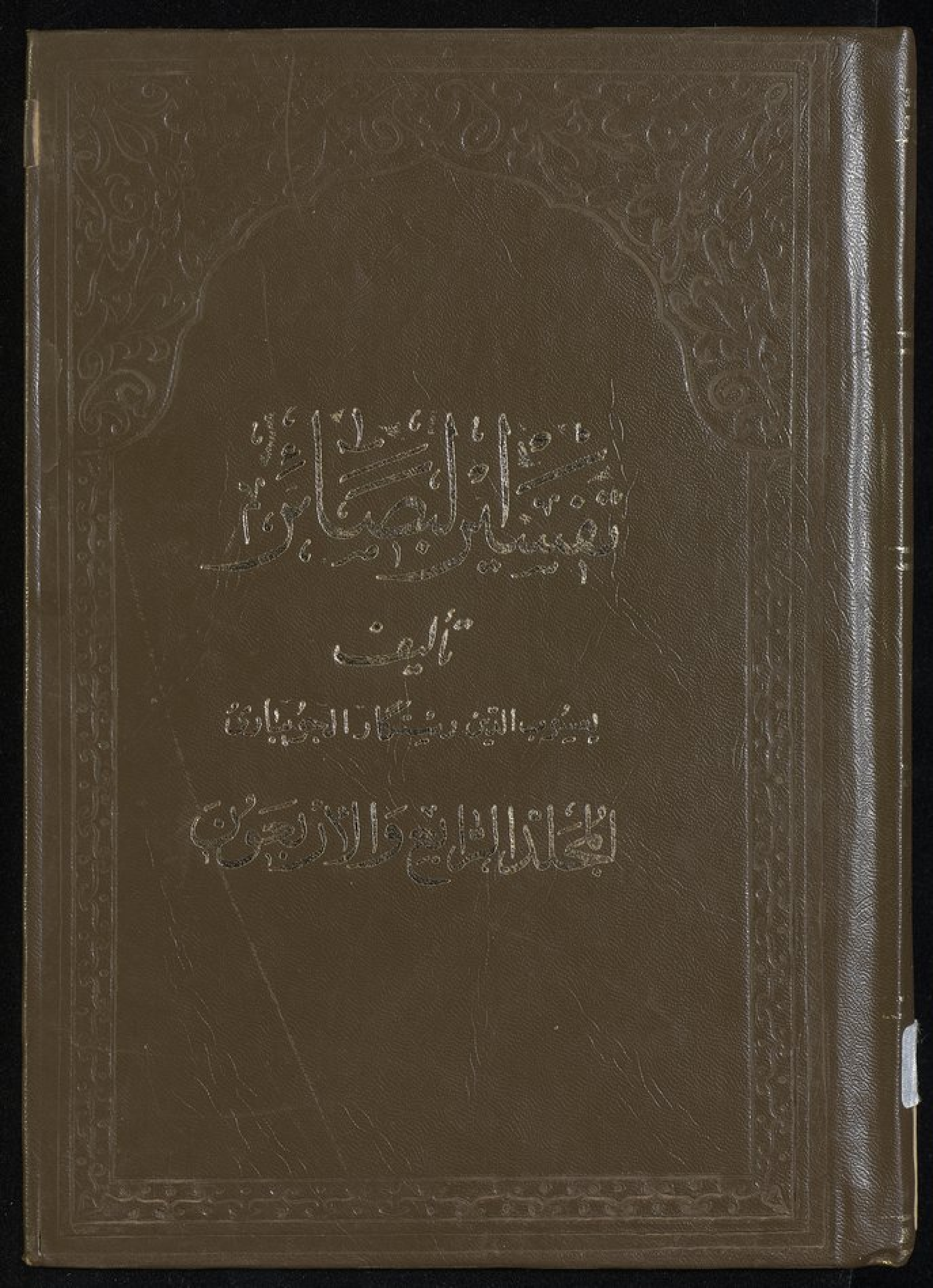


تفسير البصائر
تأليف
يعسوب الدين رستگار الجويباري
المجلد الرابع والأربعون


PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 015592130

Juybari

المجلد الرابع والاربعون

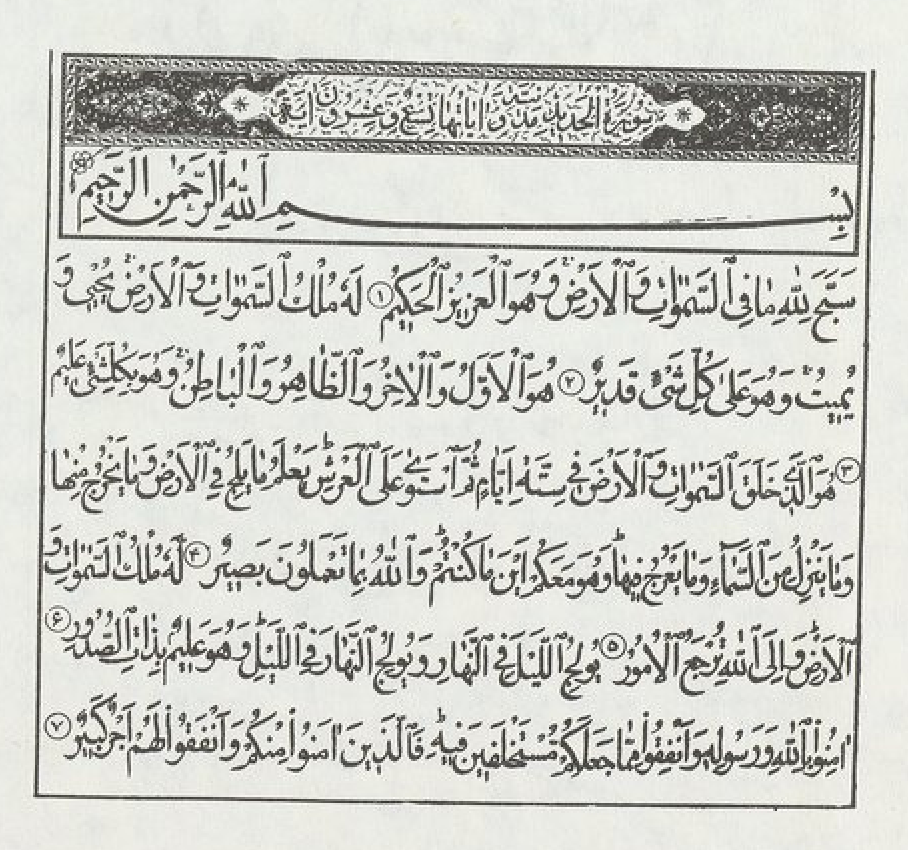
من كتاب

تفسير البصائر

تأليف

يعسوب الدين رستگار الجويباري

ايران ـ قم   مطبعة فيض



سورة الحديد مدنية وآياتها تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموت والأرض وهو العزيز الحكيم ١ له ملك السموت والأرض يحي و
يميت وهو على كل شيء قدير ٢ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم
٣ هو الذي خلق السموت والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها
وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير ٤ له ملك السموت و
الأرض وإلى الله ترجع الأمور ٥ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور ٦
آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ٧



وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم
مؤمنين ٨ هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن
الله بكم لرءوف رحيم ٩ وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض لا
يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد
وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير ١٠ من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم ١١ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم
بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها
ذلك هو الفوز العظيم ١٢ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا
نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه
فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ١٣ ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم
فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور ١٤ فاليوم
لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير ١٥ ألم يأن للذين آمنوا أن
تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد
فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ١٦ اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم
تعقلون ١٧ إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم ١٨

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ١٩ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ
وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ
مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ٢٠ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ
لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ٢١ مَا
أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ
٢٢ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ٢٣ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَ
يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ٢٤ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا
بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ٢٥ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ
فَاسِقُونَ ٢٦ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ
وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا
ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ٢٧

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ
بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢٨ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ
ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ٢٩

﴿ فضلها وخواصها ﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في أماليه باسناده عن الحسين بن أبي العلاء عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من قرأ سورة الحديد والمجادلة في صلاة فريضة أدمنها لم يعذبه الله حتى يموت أبداً، ولايرى في نفسه ولافي أهله سوءاً أبداً، ولاخصاصة في بدنه.

أقول: رواه الطبرسي في المجمع، والبحراني في البرهان والحويزي في نور الثقلين، والمجلسي في البحار، وفي فقه الرضا عليه السلام مثله.

وفي المجمع: عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: من قرأ المسبحات كلّها قبل أن ينام لم يمت حتى يدرك القائم عليه السلام، وإن مات كان في جوار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفيه: عن العرباض إبن سارية قال: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ المسبحات قبل ان يرقد ويقول: إن فيهن آية أفضل من ألف آية.

وفيه: عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله.

أقول: وذلك كله اذاقرأ القارىء السورة متدبراً فيما تحويه وآمن وعمل به.

وفي البرهان: روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: من قرأ هذه السورة كان حقاً على الله أن يؤمنه من عذابه وان ينعم عليه في جنته، ومن أدمن قرائتها وكان مقيداً مغلولا مسجوناً سهّل الله خروجه ولو كان ما كان من الجنايات.

أقول: وذلك إذا تاب وآمن وأصلح.

قال الله تعالى : « ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيّناه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبيّنوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم» البقرة : ١٥٩-١٦٠)

وفيه : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من كتبها وعلقها عليه وهو فى الحرب لم يصبه سهم ولا حديد وكان قوى القلب فـى طلب القتال ، وان قرئت على موضع فيه حديد خرج من وقته من غير ألم .

اقول : ومن غير بعيد أن يكون من خواص السورة مـا قرأت والله تعالى هو أعلم .



﴿ الغرض ﴾

غرض السورة دعوة الناس كافّة الى الايمان بالله تعالى ، وحث ذوى الثراة والاموال خاصّة الى البذل فى إعلاء كلمة الحق ، وتحطيم أركان الباطل ، وترغيب المؤمنين فى القتال بالحديد والسلاح لتقطيع أذناب أهل الكفر والنفاق ، وان المؤمنين هم فى حماية الله تعالى لو تسابقوا فى حفظ حوزة الاسلام بالقلب والجسم والمال من الايمان والجهاد وإيثار الدم وبذل الاموال ، وبذلك كله يتم الاستخلاف .

وان الايمان الجاف ليس هو حكمة إرسال الرسل عليهم السلام ، ولا يتم به الاستخلاف ، وفى افتتاحها بالتسبيح والتنزيه وذكر مايدل على كمال القدرة والاحاطة على الكون وما فيه وغاية العلم والحكمة لرفع شائبة توهم الحاجة أو النقص والعجز فى جانب الله سبحانه بما استهدفته السورة .

وفى خلالها إشارة الى مآل أمر المؤمنين ، وعاقبة أهل التقوى واليقين ، ومصائر المشركين ، وموقف أصحاب الفجور الضالين والمنافقين .

وسميت هذه السورة بالحديد ، لانه ناصر دين الله جل وعلا ، وناصر لرسوله ﷺ فى الجهاد ، فنزل الحديد منزلة الآيات يثبت بها الدين ، ويستقيم منها أمر الرسول ﷺ فالحديد سبب لاقامة العدل كالقرآن الكريم سواء بسواء مع انه جامع لمنافع الناس .

﴿ النزول ﴾

سورة الحديد مدنية ، نزلت بعد سورة الزلزال ، وقبل سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على التحقيق ، وهي السورة الخامسة والتسعون نزولا ، والسابعة والخمسون مصحفاً .

وتشتمل على تسع وعشرين آية ، سبقت عليها ٥٥٠٨ آية نزولا و ٥٠٧٥ آية مصحفاً على التحقيق .

ومشتملة على ٥٤٠ كلمة وقيل : ٥٤٤ كلمة وعلى ٢٤٧٦ حرفاً على ما في بعض التفاسير .

في الكافي : باسناده عن عاصم بن حميد قال : سئل علي بن الحسين عليهما السلام عن التوحيد فقال : إن الله عزوجل علم انه يكون في آخر الزمان أقوام متعمّقون ، فانزل الله تعالى : « قل هو الله أحد » والآيات من سورة الحديد الى قوله : « عليم بذات الصدور » فمن رام وراء ذلك فقد هلك .

وفي تفسير القمي : باسناده عن إسحق بن عمّار عن أبي إبراهيم عليه السلام قال : سئلته عن قول الله : « من ذاالذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم » قال : نزلت في صلة الامام عليه السلام .

أقول : رواه العياشي في تفسيره والكليني في الكافي .

وفي اسباب النزول للواحدي النيسابوري في قوله تعالى: « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » الآية .

قال الكلبي ومقاتل : نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك أنهم سئلوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا : حدثنا عما في التوراة فان فيها العجائب فنزلت

هذه الآية . وقال غيرهما : نزلت فى المؤمنين .

وفيه : عن سعد قال : أنزل القرآن زماناً على رسول الله ﷺ فتلاه عليهم زماناً ، فقالوا : يارسول الله لو قصصت ، فأنزل الله تعالى « نحن نقص عليك أحسن القصص » فتلاه عليهم زماناً فقالوا : يا رسول الله لوحدثتنا ، فانزل الله تعالى « الله نزل أحسن الحديث » قال : كل ذلك يؤمرون بالقرآن ، قال خلاد : وزاد فيه آخر قالوا : يا رسول الله لوذكرتنا ، فأنزل الله تعالى « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » .

وفى اسباب النزول للسيوطى عن عبد العزيز بن أبى رواد : ان اصحاب النبى ﷺ ظهر فيهم المزاح والضحك فنزلت : « ألم يأن للذين آمنوا » الآية .

وفيه : عن الاعمش قال : لما قدم أصحاب رسول الله ﷺ المدينة فأصابوا من العيش ما أصابوا بعد ماكان بهم من الجهد فكانهم فتروا عن بعض ماكانوا عليه فنزلت « ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم » .

وفى المجمع : قيل : إن قوله : « ألم يان للذين آمنوا » الاية نزلت فى المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم سئلوا سلمان الفارسى ذات يوم فقالوا : حدثنا عما فى التوراة فان فيها العجائب فنزلت : « الر تلك آيات الكتاب المبين ـ الى قوله ـ لمن الغافلين » فخبّرهم ان هذا القرآن أحسن القصص وأنفع لهم من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله ، ثم عادوا فسئلوا سلمان عن مثل ذلك فنزلت آية : « الله نزل أحسن الحديث كتاباً » فكفوا عن سؤال سلمان ماشاء الله ثم عادوا فسئلوا سلمان فنزلت هذه الآية عن الكلبى ومقاتل .

وفى الدر المنثور : عن إبن عباس قال : ان الله استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال : « ألم يأن للذين آمنوا »

وفيه : عن الاعمش قال: لما قدم أصحاب رسول الله ﷺ المدينة فاصابوا من لين العيش مااصابوا بعد ماكانوا بهم من الجهد فكانهم فتروا عن بعض ماكانوا عليه فعوتبوا فنزلت : « ألم يأن للذين آمنوا » الاية .

وفى المجمع : قال إبن مسعود : ماكان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الاية إلا اربع سنين فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضاً .

وفيه : وقيل : كانت الصحابة بمكة مجدبين ، فلما هاجروا أصابوا الريف والنعمة فتغيروا عماكانوا عليه فقست قلوبهم ، والواجب أن يزدادوا الايمان واليقين والاخلاص فى طول صحبة الكتاب . عن محمد بن كعب .

وفى البرهان : بالاسناد عن سماعة وغيره عن أبى عبدالله عليه السلام قال : نزلت هذه الاية فى القائم عليه السلام : « ولا تكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم و كثير منهم فاسقون » .

وفيه : عن رجل من أصحاب أبى عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : نزلت هذه الاية : « ولا تكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد » فتأويل هذه الاية جار فى زمان الغيبة وأيامها دون غيرهم . والامد أمد الغيبة .

وفى مناقب مرتضوى للمير محمد صالح الكشفى الترمذى : قال المحدث الحنبلى ان قوله تعالى : « والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم » نزل فى شأن على عليه السلام .

وفى شواهد التنزيل : للحسكانى الحنفى : باسناده عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الصّديقون ثلاثة : حبيب النجار مؤمن آل ياسين ، وحزبيل مؤمن آل فرعون ، وعلى بن أبى طالب الثالث ، وهو أفضلهم .

أقول : وفى رواية : « حزقيل » بدل « حزبيل » .

وفيه : باسناده عن داود بن بلال بن أحيخة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الصديقون ثلاثة : حبيب النجار مؤمن آل ياسين الذى قال : «ياقوم اتبعوا المرسلين» وحزبيل مؤمن آل فرعون ، و هو الذى قال : « أتقتلون أن يقول ربى الله و قد جائكم بالبيّنات من ربكم » وعلى بن أبى طالب الثالث و هو أفضلهم .

وفى الفضائل : لاحمد بن حنبل باسناده عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصّديقون ثلاثة : حبيب النجار وهو مؤمن آل ياسين ، وحزقيل وهو مؤمن آل فرعون وعلى بن أبى طالب وهو أفضلهم .

وفى العمدة : لابن بطريق : عن تفسير الثعلبى باسناده عن عباد بن عبد الله قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : أنا عبد الله وأخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنا الصديق الاكبر لا يقولها بعد إلا كل مفتر ، صلّيت قبل الناس سبع سنين .

أقول : رواه جماعة من أعلام العامة :

منهم : إبن المغازلى الواسطى فى (المناقب) ، والفخر فى (تفسيره) ، و ابن حجر الهيتمى فى (الصواعق المحرقة) ، والقندوزى الحنفى فى (ينابيع المودة) وغيرهم منهم .

وفى تفسير القمى فى قوله تعالى : « ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم » الاية . . .

قال الصادق عليه السلام : لما دخل رأس الحسين عليه السلام على يزيد لعنه الله تعالى وأدخل عليه على بن الحسين وبنات أميرالمؤمنين ، وكان على بن الحسين عليهما السلام مقيّداً مغلولا ، فقال يزيد : يا على بن الحسين الحمد لله الذى قتل أباك ، قال على بن الحسين لعن الله من قتل أبى إفتراءاً قال فغضب يزيد وأمر بضرب عنقه فقال على بن الحسين : فاذا قتلتنى فبنات رسول الله من يردهن إلى منازلهن وليس لهن محرم غيرى ؟ فقال : أنت تردهن إلى منازلهن ، ثم دعا بمبرد فأقبل يبرد الجامعة من عنقه بيده ثم قال له :

ياعلى بن الحسين أتدرى ما الذى اريد بذلك ؟ قال : بلى تريد أن لاتكون لأحد على منّة غيرك ؟ فقال يزيد ؟ هذا والله أردت ، ثم قال : يا على بن الحسين « ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » فقال على بن الحسين : كلا ، ما هذه فينا نزلت ، إنما نزلت فينا « ما أصاب من مصيبة فى الارض و لا فى السماء » الاية .

فنحن الذين لانأسى على ما فاتنا من الدنيا ولانفرح بما آتانا منها .

وفي اسباب النزول للسيوطي : عن إبن عباس : ان أربعين من أصحاب النجاشي قدموا على النبي ﷺ فشهدوا معه احداً ، فكانت فيهم جراحات ولم يقتل منهم أحد فلما رأو اما بالمؤمنين من الحاجة قالوا : يا رسول الله انّا أهل ميسرة فائذن لنا نجيىء بأموالنا نواسي بها المسلمين ، فأنزل الله فيهم : « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به مؤمنون » الايات .

فلما نزلت قالوا : يامعشر المسلمين أما من آمن منّا بكتابكم فله أجران ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كاجوركم ، فأنزل الله : « يا ايّها الذين آمنوا إتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته » الاية .

أقول : رواه في الدر المنثور .

وفيه : عن مقاتل قال : لما نزلت : « اولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا » الاية .

فخرُ مؤمنو أهل الكتاب على أصحاب النبي ﷺ فقالوا : لنا أجران ولكم أجر فاشتد ذلك على الصحابة فأنزل الله : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته » الاية . فجعل لهم أجرين مثل اجور مؤمني أهل الكتاب .

وفيه : عن قتادة قال : بلغنا أنه لما نزلت : « يؤتكم كفلين من رحمته » حسد أهل الكتاب المسلمين عليها فانزل الله : « لئلا يعلم أهل الكتاب » الاية .

وفيه : عن مجاهد قال : قالت اليهود : يوشك أن يخرج منّا نبي فيقطع الايدي والارجل ، فلما خرج من العرب كفروا ، فأنزل الله : « لئلا يعلم أهل الكتاب » الاية . يعني بالفضل النبوة .

وفي المجمع : عن سعيد بن جبير بعث رسول الله ﷺ جعفراً في سبعين راكباً إلى النجاشي يدعوه ، فقدم عليه ودعاه ، فاستجاب له وآمن به ، فلما كان عند إنصرافه قال ناس ممن آمن به من أهل مملكته وهم أربعون رجلا : إئذن لنا فنأتي هذا النبي فنسلم به فقدموا مع جعفر فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة

استأذنوا رسول الله ﷺ وقالوا :

يا نبي الله إن لنا أموالا ونحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة فان أذنت لنا إنصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا المسلمين بها ، فاذن لهم فانصرفوا فأتوا باموالهم فواسوا بها المسلمين فأنـزل الله فيهم : « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم بـه يؤمنون - ومما رزقناهم ينفقون » فكانت النفقة التى واسوا بها المسلمين .

فلما سمع أهـل الكتاب ممن لـم يؤمن به قوله : « اولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا » .

فخروا على المسلمين فقالوا : يامعشر المسلمين اما من آمن منا بكتابنا وكتابكم فله أجران، ومن آمن منّا بكتابنا فله أجر كاجوركم فما فضلكم علينا ؟ فنزل قوله : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله » الآية . فجعل لهم أجرين وزادهم النور والمغفرة .

ثم قال : « لئلا يعلم اهل الكتاب » .



﴿ القرائة ﴾

قرأ أبوعمرو « قد اخذ » مبنياً للمفعول و « ميثاقكم » بالرفع نيابة على الفاعل والباقون مبنياً للفاعل و « ميثاقكم » بالفتح على المفعول به .

وقرأ إبن عامر « كل » بالرفع والباقون « كلا » بالنصب .

وقرأ حمزة « انظرونا » من الانظار بقطع الهمزة وفتحها وصلا ووقفاً وكسر الظاء والباقون من النظر وضم الهمزة والظاء .

وقرأ ابوجعفر وإبن عامر : « لا تؤخذ منكم فدية » بتأنيث الفعل لتأنيث فاعله ، والباقون بالياء تذكيراً ، لان التأنيث غير حقيقى وللفصل الواقع بين الفعل وفاعله النيابى .

وقرأ نافع وحفص «وما نزل من الحق» بتخفيف الزاء من النزول وفاعله ضميرمستترفيه راجع الى الموصول والباقون بتشديدها من التنزيل وفاعله ضمير مستترفيه راجع الى الله تعالى وعائد الصلة محذوف .

وقرأ إبن كثير « المصدقين و المصدقات » بتخفيف الدال من باب افعال ، فالمعنى : إن المؤمنين والمؤمنات .

وقوله تعالى : « وأقرضوا الله قرضاً حسنا » فى معنى : ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لان الاقراض من الاعمال الصالحة أو : ان الذين صدقوا و أقرضوا .

وقرأ الباقون بتشديدها من باب التفعيل على ان قوله تعالى : « واقرضوا الله قرضاً حسنا » إعتراض بين الخبر و المخبرعنه و الاعتراض بمنزلة الصفة فهو

للصدقة أشد ملائمة منه للتصديق ، وليس التخفيف كذلك .

أقول : ان الاول أعم من الثاني ، لان الثاني مقصور في الصدقة ، والاول يعم التصديق والصدقة وهو اوقع وأذهب في باب المدح .

و أما القرائة المشهورة فبتشديد الصاد و الدال من باب التفعّل على قلب التاء صاداً .

وقرأ أبو عمرو « بما آتاكم » مقصوراً من الاتيان ، لانه معادل به « فاتكم » فكما ان الفعل للفائت في قوله تعالى : « فاتكم » فكذلك يكون الفعل للاتي في « بما آتاكم » .

وقرأ الباقون « آتاكم » ممدوداً على ان الخير الذي يأتيهم هو من عندالله تعالى وهو المعطى لذلك ففاعل « آتاكم » هو الضمير العائد الى إسم الله جل وعلا والهاء محذوفة من الصلة على تقدير : بما آتاكموه .

وقرأ نافع وأبو جعفر وإبن عامر « فان الله الغني الحميد » بغير ضمير الفصل لانهم وجدوا في مصاحفهم كذلك .

وقرأ الباقون « فان الله هو الغني الحميد » باثبات « هو » ، و هكذا في مصاحفهم وجميع مصاحف ما بأيدينا .

﴿ الوقف و الوصل ﴾

«والارض ج» لعطف الجملتين المختلفتين « والارض ج » لاحتمال ان يكون قوله : « يحيي » مستأنفاً لامحل له ، اوله محل بتقدير : هو يحيي ، و أن يكون حالا من المجرور في قوله : « له » والجار عاملا فيها .

« ويميت ج » لاحتمال العطف و الاستيناف في ما بعده « والباطن ج » كالمتقدم و « العرش ط » لتمام الكلام و « مايعرج فيها ط » كذلك ، و « كنتم ط » لتمام الكلام « والارض ط » كذلك ، و « في الليل ط » لاستيناف مابعده .

« مستخلفين فيه ط » للفصل بفاء التفريع ، و « بالله ج » و « الى النور ط » لتمام الكلام « والارض ط » كذلك « وقاتل ط » لجملة الاعتراض « وقاتلوا ط » لتمام الكلام و « الحسنى ط » كذلك و « كريم ج » لاحتمال تعلق الظرف «يوم» بقوله « وله أجر » أو بقوله « بشراكم » أي يقال لهم ذلك يومئذ ، أوهو مفعول « اذكر » محذوفاً .

« فيها ط » لتمام الكلام « العظيم ج » لان « يوم » قد يتعلق بالنور فيوقف على « نوركم » وقد يتعلق بقوله : « قيل ارجعوا » « نوراً ط » للفصل بفاء التفريع « باب ط » « العذاب ط » لتمام الكلام .

« معكم ط » لتمام السؤال و « كفروا ط » لتمام الكلام « النار ط » لتمام الجملة و « مولاكم ط » كذلك « من الحق لا » لاتصال الكلام « قلوبهم ط » لتمام الكلام .

« موتها ط » لتمام الجملة « الصديقون ق » فالوصل أولى « ربهم ط » لتمام الكلام و « نورهم ط » كذلك ومن وقف على « الصديقون » لايقف على « ربهم »

و « نورهم » .

« الاولاد ط » لتمام الكلام و« حطاماً ط » كذلك و « رضوان ط » كذلك « والارض لا » لاتصال الكلام « ورسله ط » لتمام الكلام و « من يشاء ط » كذلك و « نبرأها ط » كذلك .

« يسير ج » لاحتمال تعلق اللام بما قبله أو بمحذوف ، أى ذلك لكيلا تاسوا ـ الخ .

« آتاكم ط » لتمام الكلام « فخور لا » للصفة الآتية أو البدل بالموصول « بالبخل ط » لتمام الجملة « بالقسط ج » للعطف ظاهراً مع أن إنزال الحديد ابتداء اخبار غير مختص بالرسل .

« بالغيب ط »« مهتد ج » لان الجملتين ، وإن اتفقتا لفظاً إلا ان الاولى للبعض القليل والثانية للكثير ، فيبنى على الاستئناف .

« رحمة ط » لان ما بعدها منصوب بابتدعوا المقدر « رعايتها ج » لان الجملتين وإن اتفقتا لفظاً إلا أن قوله : « فاتينا » ليس جزاء ترك الرعاية انما هو تمام بيان التفرقة بين الفريقين ، فيرجع إلى قوله : « فمنهم مهتد » و« أجرهم ج » لما سبق .

« ويغفر لكم ط » لتمام الكلام « رحيم لا » وقد يجوز الوقف بناء على أن المراد ذلك ليعلم « من يشاء ط » لتمام الكلام .

اللغة

٧٠ ـ الولج والايلاج ـ ١٧٠٣

ولج الشىء فى غيره يلج ولوجاً ولجة كعدة ـ من باب ضرب نحو وعد ـ : دخل فى مضيق ، يقال : ولج البيت وولج فيه ، وأولج الشىء فى الشى : أدخله فيه .

قال الله تعالى : « يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل » الحديد : ٦) . أى يدخل بعض زمن من الليل فى النهار فيزيد النهار وينقص الليل ، وكذلك يولج النهار فى الليل فيضيف بعض وقت النهار إلى وقت الليل فيزيد الليل وينقص النهار ، وهذا حديث عن تعاقب الليل والنهار .

الولوج : الدخول فى مضيق ، قال الله تعالى : « حتى يلج الجمل فى سم الخياط » الاعراف : ٤٠) .

الوليجة : من تتخذه بطانة لك تصطفيه وتخصّه بسرك وودك ، وان الواحد والجمع والمذكر والمؤنث فيها سواء وهى من الولوج كأنك أدخلته على سرك وباطن أمرك .

والوليجة : ماتضمره فى النفس من حب ونحوه .

قال الله تعالى : « ولم يتخذوا من دون الله ولارسوله ولا المؤمنين وليجة » التوبة : ١٦) .

وفى الحديث : « لابد من فتنة يسقط فيها كل بطانة ووليجة » .

والوليجة : كل ما يتخذه الانسان معتمداً عليه وليس من أهله من قولهم : فلان وليجة فى القوم إذالحق بهم وليس منهم إنساناً كان أو غيره .

الولجة ـ محركة ـ : كهف تستتر فيه المارة من مطر وغيره .

وفى حديث مدح الاسلام : « واضح الولائج » وهى البواطن والاسرار ، وهى واضحة لمن تدبر فيها .

يقال : رجل ولاج وامرأة ولاجة : أى كثيرة الدخول والخروج .

وفى الحديث : « من النساء امرأة صخابة ولاجة » .

وفى حديث ام زرع : « لايولج الكف ليعلم البث » ، أى لايدخل يده فى ثوبها ليعلم منها ما يسؤها إذا اطلع عليه تصفه بالكرام وحسن الصحبة .

وقيل : إنها تذمه بانه لايتفقد أحوال البيت وأهله .

٢٤ - القرض - ١٢١٦

قرض الشيء يقرضه قرضاً ـ من باب ضرب ـ : قطعه .

أقرض فلان غيره مالا : اقتطع جزءاً من ماله وأعطاه غيره ليرده هو أو مثله إليه ، والقرض : ما يدفع إلى الانسان من المال بشرط رد بدله القرض : أن تعطى غيرك مالا على أن يكون ديناً عليه يرده هو أو مثله إليك ، وقد يراد بالقرض المال المقرض .

والقرض الحسن هو الذى يكون من مال حلال لايصحبه منّ ولا أذى ولايجرّ رباً ، وإقراض الله قرضاً حسناً هو التصدق الخالص والاحسان لوجه الله تعالى الذى يجزى عليه أحسن الجزاء .

قال الله تعالى : « وان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم » الحديد : ١٨) .

أقرضه : أعطاه قرضاً ، واستقرض : طلب منه القرض .

المقراض : ما يقطع به الشيء جمعه مقاريض ، ومن المجاز : « لسان زيد مقراض الاعراض » .

وفي الحديث : « من اقترض عرض مسلم » أى نال منه وقطعه بالغيبة .
وقرض المكان أو الشيء : تنكّبه وجاوزه وعدل عنه .
قال الله تعالى : « واذا غربت تقرضهم ذات الشمال » الكهف : ١٧) .
أى تجاوزهم عند الغروب ، وتدعهم على شمالها .

٤ - القبس - ١١٩٦

قبس النار يقبسها قبساً واقتبسها - من باب ضرب - : طلبها وأخذ شعلة منها ، والقبس : النار أو شعلة منها .

إقتبس من النور : أفاد منه ، واقتبس العلم : تعلّمه واستفاده فهو قابس .

قال الله تعالى حكاية عن المنافقين يوم القيامة : « انظرونا نقتبس من نوركم » الحديد : ١٣) أى ضيائكم .

وقال حكاية عن موسى عليه السلام : « لعلّي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى » طه : ١٠) أى يأخذ بجذوة من نار فى طرف عود أو بشعلة منها .

القبس : الشعلة من النار ، واقتباسها : الاخذ منها ، ومنه حديث الامام على عليه السلام : « حتى أورى قبساً لقابس » أى أظهر نوراً من الحق لطالبه .

ومنه حديث العرباض : « أتيناك زائرين ومقتبسين » أى طالبى العلم .

فى المفردات : القبس : المتناول من الشعلة ، قال : « أو آتيكم بشهاب قبس » والقبس والاقتباس طلب ذلك ثم يستعار لطلب العلم والهداية .

٥٨ - الامد - ٥٨

أمد يأمد أمداً - من باب سئل - : طال وانتهى .

الامد : الزمن والغاية وجمعه الآماد .

قال الله تعالى : « فطال عليهم الامد فقست قلوبهم » الحديد : ١٦) أى طال عليهم الزمن والغاية .

يقال : ما آمدك أى منتهى عمرك وبلغ غايته .

وفى الدعاء : « جعلت له أمداً محدوداً » أى منتهى ينتهى إليه .

الامد والابد متقاربان لكن الابد عبارة عن مدة الزمان التى ليس لها حد محدود ولا يتقيد فلا يقال : أبد كذا ، والامد مدة لها حد مجهول إذا اطلق .

وقد ينحصر نحو أن يقال : أمد كذا كما يقال : زمان كذا ، والفرق بين الزمان والامد : ان الامد يقال باعتبار الغاية والزمان عام فى المبدأ والغاية ، ولذلك قال بعضهم : المدى والامد يتقاربان .

وفى حديث وصفه تعالى : « لا أمد لكونه ولا غاية لبقائه » وقيل للانسان : أمدان : مولده وموته .

أمد يأمد - من باب علم - : غضب .

٤٧ ـ الغيث ـ ١١١٦

هاج النبت يهيج هيجاً وهياجاً وهيجاناً ـ من باب ضرب نحو باع ـ : جف بعد خضرته ونضارته ويبس وثار وتحرك وانبعث ، وهاج البحر : اضطرب .

أصل الهيج : أن يثور وينتقل والنبات إذا تم جفافه كأنما يحاول أن يثور من مكانه وينقلع من مقره ومنبته ، إذ لاحاجة إليه في غذائه .

قال الله تعالى : « ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً » الحديد : ٢٠) .

هيج الشيء تهييجاً : أثاره وبعثه ، وأرض هائجة : إذا يبس بقلها واصفر .

يوم هيج : يوم قتال ويوم ريح او غيم ومطر ، وفي الدعـاء : « هيْج لنا السحاب » أي سخّره واثره ، والهيجاء : الحرب .

وفي الخبر : « لايهيج على التقوى زرع قوم » أي من عمل لله لم يفسد عمله ولم يبطل كما يهيج الزرع ويهلك .

والهيج : الحركة والفتنة ، وهيجان الدم أو الجماع أو الشوق .

والهائج : الفحل الذي يشتهي الضراب .

٣٨ ـ الاسى ـ ٣٨

أسي فلان على شيء ياسي أسى ـ من باب علم نحو رضي ـ : حزن عليه ، وحقيقة الأسى : اتباع الفائت بالغم .

قال الله تعالى : « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » الحديد : ٢٣) .

أسيت له من اللحم : أبقيت له منه خاصة .

١٥ - الحديد والحد - ٣٠٣

حدّ فلان زيداً عن الشيء يحده حداً - من باب نصر نحو مد - : دفعه ومنعه عنه ، والحديد : هو المعدن المعروف قال الله تعالى : « وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » الحديد : ٢٥) .

الحد : الحاجز المانع بين الشيئين الذى يمنع إختلاط أحدهما بالاخر أو لئلا يتعدى أحدهما على الاخر ، وجمعه حدود ، ففصل ما بين كل شيئين حد بينهما .

يقال حددت كذا : جعلت له حداً يميز ، وحد الدار ماتتميز به عن غيرها ، وحد الشيء : الوصف المحيط بمغياه المميز له عن غيره ، حد الشيء من غيره : ميزه ، وحد كل شيء : منتهاه لانه يرده ويمنعه عن المعاودة .

وفى الحديث فى وصف القرآن : « لكل حرف حد ولكل مطلع » أى نهاية ، ومنتهى كل شيء حده ، ومنه أحد حدود الارضين وحدود الحرم .

وفى الحديث : « ان الله جعل لكل شيء حداً وجعل على من تعدى الحد حداً » أى عذاباً وذلك كحد القاذف والزانى والسرقة وغيرها . . .

وسمى حداً لمنعه من المعاودة ، وفى الحديث : « اقامة الحد أنفع فى الارض من المطر أربعين صباحاً » .

والحدود الشرعية عبارة عن الاحكام الشرعية مثل حد الوضوء ، وحد الصلاة وحد الحج ونحوها ، ومنه قوله عليه السلام : « للصلاة أربعة آلاف حد » وقد حصرها الشهيد الاول قدس سره فى النفلية .

والحد : تأديب المذنب كالسارق والزانى والقاتل بما يمنعه عن المعاودة ، ويمنع غيره عن اتيان الذنب .

سميت أحكام الله تعالى وشرائعه حدوداً لمنعها عن التخطى إلى ما ورائها ،

وانها تمنع عما جعلت فيها عقوبات .

قال الله تعالى : « تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون » البقرة : ٢٢٩) .

حدود الله : محارمه ومناهيه لانه ممنوع منها ، فكأن حدود الشرع فصلت بين الحلال والحرام ، فمنها ما لايقرب كالفواحش المحرمة .

وقيل : جميع حدود الله تعالى على أربعة أوجه :

وذلك لان الشيء إما لا يجوز أن يتعدى بالزيادة عليه ولا النقصان عنه كأعداد ركعات صلاة الفرض ، وإما تجوز الزيادة عليه ولا يجوز النقصان عنه ، وإما يجوز النقصان عنه ولا تجوز الزيادة عليه ، وإما يجوز النقصان عنه وتجوز الزيادة عليه .

وقيل : إن حدود الله تعالى على ضربين : حدود حدها الله تعالى للناس فى مطاعمهم ومشاربهم ومساكنهم ومناكحهم وغيرها مما أحل وحرم بالانتهاء عما نهى عن تعديها ، وسميت حدوداً لانها نهايات نهى الله عن تعديها .

وحدود وهى عقوبات جعلت لمن ركب ما نهى عنه كحد السارق ، وحد الزنا ، وحد القاذف وغيرها . . .

احدت المرأة : تركت الزينة بعد وفاة زوجها ، وتحادا : تغاضبا وتعاديا .

الحدادة - بفتح الحاء وتشديد الدال - : الزوجة وبكسرها: صناعة الحداد وبضمّها : الممنوع من الخير، والحداد : معالج الحديد وبائعه ، والحداد : البواب والسجان لانهما يمنعان من فيه أن يخرج ويمنعان الخارج أن يدخل فيه .

والحدة - بالكسر مصدر - : ما يأخذ الانسان من الغضب ، والحدة :كالنشاط والسرعة فى الامور والمضاء فيها مأخوذ من حد السيف ، وفى الحديث : « الحدة تعترى خيار امتى » والمراد بالحدة هنا المضاء فى الدين والصلابة والمقصد فى الخير.

حد الشيء يحد فهو حاد وحديد : صار قاطعاً مشحوذاً ويقال : سيف حديد وسيوف حداد أى قاطعة ماضية وبها شبهت الالسنة فقيل : ألسنة حداد .

قال الله تعالى : « فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد » الاحزاب : ١٩) أى قاطعة ماضية كالسيوف .

حاده يحاده محادة : عاداه وخالفه ونازعه - من باب المفاعلة - من الحد كأن كلا منهما فى حد وجانب يقابل حد الاخر وجانبه .

قال الله تعالى : « ألم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالداً فيها » التوبة : ٦٣) .

وفى الدعاء : « اللهم احدده » أى ادفع عنه شره ، وكفه عنه وصرفه ولا توفقه لاصابة .

حد السيف حدة كان مشحوذاً فهو حديد ، ويقال : بصر حديد أى نافذ ، وحد بصره إلى الشيء يحده : حدته ، ويلزم عادة من حد البصر نفاذ النظر .

قال الله تعالى : « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » ق : ٢٢) .

٥٤ - القفو والقفا - ١٢٤٦

قفا الرجل يقفوه قفواً وادى - من باب نصر نحو دعا - : مشى خلفه أو تبعه وقفا أثره : تبعه ، والقافية : والقفا وراء العنق ، والقفا : الوراء مطلقاً .

قفّى على أثر الشيء ، أو من بعد الشيء بآخر : أتى بالاخر بعد الاول أو جعله يتبعه .

قال الله تعالى : « ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم » الحديد : ٢٧) .

يقال : قفا الامر : تتبّعه واسترسل فيه أو فى الحديث عنه .

قال الله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم » الاسراء : ٣٦) .
أى لا تتبعه ولا تسترسل فى الحديث عنه .

القفوة - بالكسر ثم السكون - : التهمة والرمى والقذف بامر قبيح والذنب .

وفي الحديث : « نحن بنو النضر بن كنانة لا نتنفى من أبينا ولا تقفوا منّا» أى لاتتهموا ولا نقذفها .

وفيه : « من قفا مؤمنا بما ليس فيه وقفه الله في ردغة الخبال » .

١٦ ـ البدع و البديع والبدعة ـ ١٠٠

بدع الشيء يبدعه بدعاً وأبدعه وابتدعه ـ من باب منع ـ : أنشأه واخترعه وبدأه على غير مثال سابق .

البديع : الذى يحدث الاشياء على غير مثال السابق .

قال الله تعالى : « بديع السموات والارض » البقرة : ١١٧) اى موجدها .

البديع : وهو من اسماء الله الحسنى ، ومعناه المبدع لابداعه الاشياء ، وإحداثه اياها ، وهو البديع الاول في نفسه قبل كل شيء لامثيل له .

والابداع في الله تعالى هو ايجاد الشيء بغير آلة ولامادة ولا زمان ولامكان وليس ذلك الا لله جل وعلا .

بديع الحكمة : غرائبها ومنه الحديث : « روحوا أنفسكم ببديع الحكمة فانها تكل كما تكل الابدان » .

البدع : مايوجد على غير مثال سابق ، ويقال ركية بديعة : جديدة الحفر .

قال الله تعالى : « قل ما كنت بدعاً من الرسل » الاحقاف : ٩) .

أى ما كنت رسولا على غير سنن من تقدمن من الرسل او ما كنت مبتدعاً من تلقاء نفسي ما أدعو إليه ان اتبع إلا مايوحى إلى ان أنا إلا نذير .

قال الله تعالى : « ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » الحديد : ٢٧) .

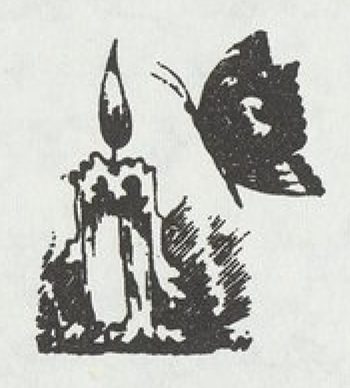
أى أحدثوها وألزموا أنفسهم بها ولم نفرضها عليهم .

تبدّع : تحوّل مبتدعاً و في الحديث : « فليس وجه الحق أن تبدع » أى تبتدع .

البدعة : ما اخترع على غير مثال سابق ثم غلبت على ماهو زيادة فى الدين أو نقصان بعد الاكمال .

والبدعة فى الدين : ايراد قول لم يستن قائلها و فاعلها فيه بصاحب الشريعة وأماثلها المتقدمة واصولها المتقنة .

فى الحديث : « كل محدثة بدعة ضلالة و كل ضلالة فى النار » و جمع ، البدعة : بدع .



﴿ النحو ﴾

١ ـ (سبح لله مافى السموات والارض وهو العزيز الحكيم)

« سبح » فعل ماض من باب التفعيل ، و « لله » متعلق بفعل التسبيح « وما » موصولة فى موضع رفع على الفاعلية ، والمراد بها ما يعم العقلاء وغيرهم « وفى السموات » متعلّق بمحذوف وهو الصلة« والارض » عطف على « السموات » و «هو» مبتداء و « العزيز » خبره و « الحكيم » نعت منه أوخبر بعد خبر .

٢ ـ (له ملك السموات والارض يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير)

« له » متعلق بمحذوف ، وهو خبر مقدم و « ملك السموات » مبتدأ مؤخر « والارض » عطف على « السموات » والجملة نعت ثان من الله تعالى و « يحيى » نعت ثالث و « يميت » عطف على « يحيى » و « هو » مبتدأ و « قـدير » خبره و « على كل شيء » متعلق بقدير . قيل : « يحيى » حال وقيل : مستأنف .

٣ ـ (هوالاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم)

« هو » مبتدأ و « الاول » خبره و « هو » مبتدأ و « عليم » خبره و « بكل شيء » متعلق بعليم ، والجملة عطف .

٤ ـ (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وماينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ماكنتم والله بما تعملون بصير)

« هو » مبتدأ و« الذى » موصول و «خلق» فعل ماض فاعله الضمير المستتر فيه وهو العائد ، والجملة صلة الموصول ، والجملة بتمامها خبر للمبتدأ ، والجملة نعت من الله تعالى و « هو » مبتدأ و « معكم » ظرف متعلق بمحذوف وهو الخبر .

٥ ـ (له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور)

« له » متعلق بمحذوف وهو خبر مقدم و « ملك السموات » مبتدأ مؤخر والجملة صفة اخرى و « الى الله » متعلق بترجع وقدم للحصر و « الامور » جمع الأمر فاعل نيابى لترجع .

٦ ـ (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور)

« يولج » فعل مضارع من باب الافعال فاعله الضمير المستتر فيه راجع إلى الله تعالى ، والجملة صفة اخرى منه جل وعلا و « الليل » مفعول به و « يولج النهار فى الليل » عطف لما قبله و « هو » مبتداء و « عليم » خبره و « بذات الصدور » متعلق بعليم والصدور جمع الصدر .

٧ ـ (آمنو باللهورسوله وأنفقوامما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير)

« آمنوا » فعل أمر من باب الافعال ، و « أنفقوا » فعل أمر من باب الافعال و « جعلكم » فاعله الضمير المستتر فيه راجع إلى الله تعالى وضمير الخطاب فى موضع نصب مفعول به الاول ، و « مستخلفين » مفعول به الثانى « فالذين » الفاء للتفريع و « آمنوا » فعل ماض لجمع غيبة المذكر ، و « أنفقوا » عطف على ما قبله و « لهم » متعلق بمحذوف خبر مقدم ، و « أجر » مبتداء مؤخر ، و « كبير » نعت من « أجر » ، والجملة خبر من « الذين »

٨ ـ (وما لكم لاتؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتومنوا بربكم وقدأخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين)

« ما » استفهاميـة مبتداء ، و « لكم » متعلق بمحذوف خبره « لاتؤمنون » جملة فعلية فى موضع نصب حال من ضمير « لكم » لما فيه من معنى الاستقرار ، فالمعنى : اى شىء حصل أو استقر لكم غير مؤمنين « و » للحال « الرسول »

مبتداء ، و « يدعو كم » خبره ، والجملة الا سمية حال من ضمير « لا تؤمنون بالله » أى وحال كون الرسول يدعو كم إلى الايمان بالله وينبهكم ، و « وقد اخذ ميثاقكم » حال من ضمير مفعول « يدعو كم » اى والحال ان الله قد أخذ ميثاقكم بالايمان من قبل .

٩ - (هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤف رحيم)

« هو » مبتداء ، و « الذى » موصولة و « ينزل » فعل مضارع من باب التفعيل صلة الموصول ، و « على عبده » متعلق بفعل التنزيل و « آيات » مفعول بها و « بينات » صفة من « آيات » .

و« ليخرجكم » منصوب بأن مقدرة لوقوعه بعد لام التأكيد و « لرؤف » واللام للتا كيد ، ومدخولها خبر لحرف التأكيد « ان » و « رحيم » خبر بعد خبر

١٠ - (وما لكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير) .

« ما » للاستفهام فى موضع رفع على الابتداء ، و « لكم » متعلق بمحذوف وهو الخبر و « تنفقوا » منصوب بأن إذ الاصل (أن لاتنفقوا) و « لا » للنفى ، والمفعول به محذوف أى أموالكم لدلالة الكلام عليه ، و « لله » متعلق بمحذوف وهو الخبر المقدم و « ميراث السموات » مبتداء مؤخر ، والجملة فى موضع النصب على الحال من فاعل « الا تنفقوا » ومفعوله ، و « كلا » مفعول به الاول لـ « وعد » و « الحسنى » مفعول به الثانى لـ « وعد » .

١١ - (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله اجر كريم)

« من » فى موضع رفع خبر ، قدم لمعنى الاستفهام فيه ، و « ذا » مبتداء مؤخر ، و « الذى » موصولة نعت من « ذا » و « يقرض » فعل مضارع من باب الافعال ، والضمير المستتر فيه هو الفاعل العائد إلى الموصول ، والجملة صلته ،

و « الله » مفعول به الاول ، و « قرضاً » مفعول به الثانى ، و « حسناً » صفة من « قرضاً » .

« فيضاعفه » الفاء للتفريع ، ومدخولها فعل مضارع من باب المفاعلة منصوب بأن مقدرة لوقوعه بعد الفاء الواقعة بعد الاستفهام ، وفاعل الفعل هو الضمير المستتر الراجع إلى الله تعالى ، وضمير البارز فى موضع نصب على المفعول به الراجع الى الموصول و « له » متعلق بفعل المضاعفة و «له» الثانى متعلق بمحذوف وهو الخبر و « اجر » مبتداء مؤخر و « كريم » صفة من « اجر » .

وقيل : « من » مبتداء و « ذا » صلته و « الذى » خبره .

وقيل : « من » مبتداء اول و « ذا » مبتدأثان ، و « الذى » خبر الثانى ، والجملة خبر الاول .

١٢ ـ (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم)

« يوم » منصوب على الظرف ، والعامل فيه « وله أجر كريم » وقيل : ظرف ليضاعف ، وقيل : التقدير : يؤجرون يوم ترى ، وقيل : العامل فيه « يسعى » .

«ترى» فعل مضارع خطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، و « المؤمنين » مفعول به ، و « يسعى نورهم » جملة فعلية فى موضع نصب على الحال لان « ترى » من رؤية البصر لا من رؤية القلب و « بين أيديهم » ظرف ليسعى ، وقيل : حال من النور ، و « بشراكم » مبتداء ، و « جنات » خبره على حذف القول والمضاف أى يقال لهم : بشراكم دخول جنات ، فحذف المضاف واقيم المضاف إليه مقامه لان البشارة إنما تكون بالاحداث لابالجثث وأن الدخول هو المبشر به و « خالدين» حال من ضمير « بشراكم » .

١٣ ـ (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا ورائكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب)

«يوم» بدل من «يوم» المتقدم وقيل : العامل فيه « ذلك هو الفوز العظيم» وقيل : على تقدير : يفوزون ، وقيل : التقدير : اذكر ، و « انظرونا » فعل امر و «نا» فى موضع نصب على المفعول به ، ولا يخفى ان النظر اذا تعدى بنفسه أفاد معنى الانتظار والامهال واذا عدى بالى نحو نظر اليه كان بمعنى إلقاء البصر نحو الشيء وإذا عدى بفى كان بمعنى التأمل و « نقتبس » فعل تكلم مع الغير من المضارع من باب الافتعال مجزوم لوقوعه بعد فعل الامر .

«وراء كم » ههنا اسم لـ « ارجعوا » وليس بظرف لـ « ارجعوا » قبله ، وفيه ضمير لقيامه مقام الفعل ، ولا يكون ظرفاً للرجوع لقلّة الفائدة فيه ، لان لفظ الرجوع يغنى عنه ويقوم مقامه .

« فالتمسوا » الفاء للتفريع والفعل أمر من باب الافتعال .

« فضرب » فعل ماض مبنى للمفعول « بسور » الباء زائدة وسور فى موضع رفع لانه مفعول مالم يسم فاعله ، و « له » متعلق بمحذوف وهو الخبر و« باب » مبتداء مؤخر ، والجملةفىموضع جرصفة لسور ، و « باطنه » مبتداء و«الرحمة» خبره ، والجملة نعت من « باب » ، وقيل : نعت من « سور » و « ظاهره من قبله العذاب » عطف على ما قبلها .

١٤ - (ينادونهم ألم نكنمعكم قالوا بلىولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الامانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور)

« ينادون » فعل مضارع من باب المفاعلة أصله يناديونهم ، فنقلت ضمة الياء إلى الدال لثقلها على الياء فحذفت لالتقاء الساكنين بين الواو والياء ، وضمير « هم » فى موضع نصب على المفعول به ، والجملة فى موضع نصب على الحال من ضمير « بينهم » ، وقيل : مستأنف .

« تربصتم » فعل ماض لخطاب الجمع المذكر من باب التفعلو « ارتبتم » فعل ماض لخطاب الجمع المذكر من باب الافتعال .

١٥ - (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هى موليكم وبئس المصير)

« مأواكم » مبتداء و « النار » خبره ، و « هى » مبتداء و « مولاكم » مصدر اضيف إلى المفعول مثل المأوى وقيل : هو مكان وقيل : أى أولى بكم ، وعلى أى تقدير خبر المبتداء و « بئس المصير » قيل : عطف على المقدر أى بئس المولى وبئس المصير يدل عليه « مولاكم ».

١٦ - (ألم يأن للذين امنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون)

« ألم يأن » الاستفهام للعتاب ، والفعل مجزوم بحذف الياء و « أن تخشع » فى موضع رفع وهو فاعل « يأن » و « لذكر الله » اللام للتبيين ، و « ما » موصولة فى موضع جر بالعطف على قوله تعالى : « لذكر الله » و « نزل » صلتها ، وقيل : مصدرية ، فالمعنى : لذكر الله وتنزيل الحق ، و « من الحق » بيان لما نزل ، و « ولا يكونوا » عطف على « تخشع » أى أن لا يكونوا .

١٧ - (اعلموا أن الله يحيى الارض بعد موتها قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون)

« اعلموا » فعل أمر لخطاب الجمع المذكر ، و « ان الله » بفتح الهمزة لوقوع حرف التأكيد بعد العلم ، و « يحيى » فعل مضارع من باب الافعال ، والجملة فى موضع رفع خبر لحرف التاكيد و « بيّنّا » فعل ماض للتكلم مع الغير من باب التفعيل وضمير الخطاب فى « لعلكم » فى موضع نصب اسم و « تعقلون » فى موضع رفع خبر لحرف الترجى .

١٨ - (ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم)

« إن » حرف تاكيد ، و « المصدقين » بتشديد الصاد والدال من باب التفعل

بادغام التاء في الصاد إسم لحرف التاكيد ، و « اقرضوا » فعل ماض لجمع غيبة المذكر من باب الافعال عطف على مدخول اللام في « المصدقين » فالتقدير : ان الذين تصدقوا واقرضوا ولايكون « المصدقات » فاصلا بين الصلة والموصول لانه بمعنى : واللائى تصدقن ، وقيل : « اقرضوا » اعتراض بين « ان » وخبرها وهو « يضاعف لهم » فجاء الاعتراض للتاكيد ، وقيل : جاء ذلك لئلا يعطف الماضي على إسم الفاعل .

و « الله » مفعول به الاول و « قرضا » مفعول به الثاني و « حسناً » صفة من « قرضاً » ، و « يضاعف » فعل مضارع مبنى للمفعول من باب المفاعلة ، و « لهم » قائم مقام الفاعل ، والجملة في موضع رفع خبر لحرف التأكيد و « لهم » متعلق بمحذوف خبر مقدم و « أجر » مبتداء مؤخر و « كريم » صفة من « أجر » .

١٩ - (والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم)

« اولئك » مبتدأ و «هم» مبتدأ ثان أوفصل و«الصديقون» مبتدأ و«الشهداء» عطف على « الصديقون » و « عندربهم » خبره و « لهم » متعلق بمحذوف وهو خبر مقدم ، و « أجرهم » مبتداء مؤخر .

٢٠ - (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولادكمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور)

« اعلموا » فعل أمر لخطاب الجمع المذكر و « انما » حرف تاكيد كفّتها حرف « ما » عن العمل و « الحياة » مبتداء و « الدنيا » نعت منها و « لعب » خبرها و « لهو » و « زينة » و « تفاخر » و « تكاثر » عطف على « لعب » و « كمثل غيث » في موضع رفع وصفاً من « الحياة الدنيا » وقيل : خبر بعد خبر ، وقيل

على تقدير : مثلها كمثل غيث ، وقيل : في موضع نصب من معنى ما تقدم ، أى ثبت لها هذه الصفات مشبهة بغيث و « أعجب » فعل ماض من باب الافعال و « الكفار » مفعول به و « نباته » فاعل الفعل من تقديم المفعول على الفاعل .

٢١ - (سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

« سابقوا » فعل امر لخطاب الجمع المذكر من باب المفاعلة و « عرضها » مبتداء « كعرض السماء » متعلق بمحذوف خبره ، والجملة في موضع جر صفة من « جنة » ، و « اعدت » فعل ماض مبني للمفعول من باب التفعيل ، وفاعله النيابي ضمير مستتر فيه راجع إلى الجنة والجملة نعت من « جنة » و « يؤتيه » فعل مضارع من باب الأفعال والضمير في موضع نصب على المفعول به الاول و « من » في موضع نصب على المفعول به الثاني .

٢٢ - (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير)

« ما » نافية و « أصاب » فعل ماض من باب الافعال ، و « من مصيبة » في موضع رفع على الفاعليّة وفي موضع « في الارض » وجوه : أحدها - الجر نعتا من « من مصيبة » على اللفظ ، فالتقدير : كائنة في الارض ، ثانيها - الرفع بناء على زيادة « من » وفي الصفة ضمير يعود على الموصوف ثالثها - النصب على أن يكون متعلقا باصاب او بمصيبة ، فلا يكون اذاً فيه ضمير ومثلها في موضع « ولا في أنفسكم » و « في كتاب » في موضع نصب على الحال فالتقدير : الا مكتوبة و « من قبل » نعت من « كتاب » وقيل : متعلق به وقيل : « في كتاب » متعلق بمحذوف وهو الخبر لمبتدأ محذوف والجملة في موضع نصب على الحالية فالتقدير : إلا وهي كائنة في كتاب ، وفي ضمير « نبرأها » وجوه : الاول - انها تعود على النفس والثاني - انها ترجع إلى الارض ، والثالث - تعود إلى المصيبة ، والرابع - انها

ترجع إلى الجميع : من الارض والانفس والمصيبة .

٢٣ ـ (لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لايحب كل مختال فخور)

« تأسوا » منصوب بنفس « كى » لا بتقدير (أن) بعدها ، لان اللام ههنا حرف جر وقد دخلت على (كى) فلا يجوز أن تكون (كى) ههنا حرف جر لعدم جواز دخول حرف الجر على حرف الجر و « ما » موصولة فى موضع جر و « فاتكم » الفعل ماض ، وفاعله الضمير المستتر فيه راجع إلى الموصول ، وهو العائد ، وضمير الخطاب فى موضع نصب على المفعول به .

« لاتفرحوا » فعل مضارع مجزوم بحرف النهى و « ما » موصولة فى موضع جر بالباء و « آتاكم » فعل ماض من باب الافعال والضمير المستتر فيه هو الفاعل العائد إلى الموصول ، وضمير الخطاب فى موضع نصب على المفعول به .

« الله » مبتدأ ، و « لا يحب » فعل مضارع من باب الافعال منفى بحرف النفى فى موضع رفع خبراً للمبتدأ ، و « كل مختال » مفعول به ، و « فخور » نعت من « مختال » من الاختيال كالمختار من الاختيار .

٢٤ ـ (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد)

فى موضع « الذين يبخلون » وجهان : النصب على البدل من « كل مختال » وقيل : على تقدير : أذم . والرفع على كون الموصول مبتدأ محذوف الخبر أى مبغوضون ، ويدل عليه قوله : « لايحب » وقيل : أى معذبون و « يأمرون الناس» عطف على « يبخلون » ، و« من » شرطية و « يتول » فعل مضارع مجزوم بالشرط من باب التفعل و « فان الله » الفاء جزائية و « هو » ضمير فصل و « الغنى » خبره و « الحميد » صفة من « الغنى » .

٢٥ - (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز)

« لقد » اللام للتأكيد ومدخولها للتحقيق ، و « أرسلنا » فعل ماض للتكلم مع الغير من باب الأفعال و « رسلنا » جمع رسول مفعول به ، و « ليقوم » منصوب بأن مقدرة ، و « فيه » متعلق بمحذوف خبر مقدم و «بأس» مبتدأ مؤخر و «شديد» صفة من « بأس » والجملة فى موضع نصب حال من « الحديد » و « منافع » جمع المنفعة غير منصرفة لكونها منتهى الجموع ، و « رسله » منصوب بينصره ، أى وينصر رسله ولا يجوز أن يكون عطفا على « ليعلم » لانه يصير فصلا بين الصلة والموصول لان قوله : « بالغيب » من صلة « ينصره » فلو جعل منصوباً بالعطف على « من » كان منصوباً بيعلم ، فيقع الفصل بقوله : « ورسله » بين « ينصر » وما تعلق به من قوله « بالغيب » وذلك لايجوز .

٣٦ - (ولقد أرسلنا نوحاً وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون)

« ولقد أرسلنا نوحاً » الخ عطف على الآية السابقة و « فمنهم » الفاء للمعاقبة ومدخولها متعلق بمحذوف ، وهو الخبر المقدم و « مهتد » مبتدأ مؤخر و « كثير منهم فاسقون » عطف على ماقبلها وقيل : فى موضع نصب على الحال من «ذريتهما» .

٢٧ - (ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فمارعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون)

« ثم » للعطف و « قفينا » فعل ماض للتكلم مع الغير من باب التفعيل و « آثارهم » جمع أثر من جموع القلة والضمير راجع إلى نوح وابراهيم

والسابقين من ذريتهما و « آتيناه » الضمير في موضع نصب على المفعول به الاول و « الانجيل » مفعول به الثاني ، و « رأفة » مفعول به لجعلنا ، و « رهبانية » منصوب بفعل يفسّره « ابتدعوها » أى ابتدعوا رهبانية ابتدعوها ، و « ما كتبناها عليهم » في موضع نصب نعتاً من « رهبانية » و « ابتغاء » منصوب على الاستثناء من غير الجنس ، وقيل : بدل من الضمير المنصوب في « كتبناها » أى كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله أى اتباع أوامره ولم نكتب عليهم الرهبانية .

٢٨ ـ (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم)

« يؤتكم » فعل مضارع من باب الافعال مجزوم بحرف شرط ـ إن ـ مقدر لوقوع الفعل جواباً للامر « اتقوا الله وآمنوا برسوله » وضمير الخطاب في موضع نصب على المفعول به الاول و « كفلين » مفعول ثان و « يجعل » مجزوم بالعطف على الجواب و « تمشون به » في موضع جر نعت من ضمير « لكم » و « يغفر » مجزوم بالعطف .

٢٩ ـ (لئلا يعلم أهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

قيل : « الا يقدرون » « أن » مخففة من الثقيلة ، إسمها ضمير شأن مقدر وعدم حذف نون « يقدرون » دليل على ذلك .

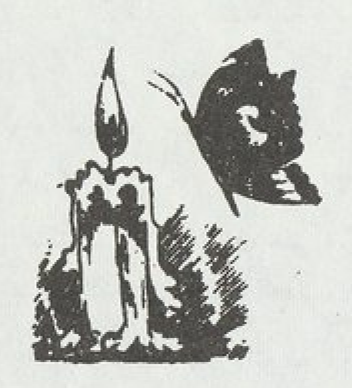
و « يقدرون » في موضع رفع على الخبرية ، والضمير راجع إلى المؤمنين والمعنى : انما امرنا المؤمنين بالايمان بعد الايمان ، ووعدناهم كفلين من الرحمة وجعل النور والمغفرة لئلا يعتقد اهل الكتاب أن المؤمنين لا يقدرون على شيء من فضل الله بخلاف المؤمنين من أهل الكتاب حيث يؤتون أجرهم مرتين ان آمنوا .

وقيل : أى لئلا يعلم أهل الكتاب أن يفعل بكم هذه الاشياء ليبين جهل أهل الكتاب وان ما يؤتيكم الله من فضله لا يقدرون على إزالته وتغييره .

وقيل : أى لئلا يعلم أهل الكتاب عجز المؤمنين .

وقيل : « لا » زائدة ، والمعنى : ليعلم اهل الكتاب عجزهم على ان ضمير « يقدرون » راجع إلى أهل الكتاب .

أقول: والاخير هو الاوجه .



﴿ البيان ﴾

١ ـ (**سبح لله ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم**)

تنزيه عمالايليق بساحة الالوهية من الشرك فى الخلق والعبادة ، ومن العجز فى التدبير ، ومن الجهل فى أمر الكون ومافيه ، فامره بيده و هو حكيم فى تدبيره وغالب عليه ، و كأن الاية جواب عمايرد من السؤال على الامر بالتسبيح فى ختام سورة الواقعة ، و فى ايثار الفعل « سبح » بصيغة الماضى ما لايخفى على القارىء المتدبر الخبير فتأمل جيداً .

٢ ـ (**له ملك السموات والارض يحيى و يميت وهو على كل شىء قدير**)

تعليل للتنزيه على طريق النعت والحصر ، فلا ملك و لا سلطنة الا له لانه الموجد لكل شيء ، وبه قوام العالم ومافيه ، و « يحيى ويميت » الخ مستأنف بيانى سبق لبيان بعض أحكام الملك و التصرف ، و بيان لقدرة الله تعالى و عرض لسلطانه المطلق فى هذا الوجود .

وفى ايثار صيغتى المضارع دلالة على التجدد والاستمرار .

٣ ـ (**هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم**)

وصف الله تعالى ذاته المقدسة بتلك الاسماء الاربعة على سبيل الاستعارة وليس إطلاق لفظ الاستعارة على الله سبحانه كاطلاقه على خلقه لانه سبحانه لايأتى بالكلام المستعار والمجاز لضيق العبارة عليه ، فمعنى : « هو الاول » : الذى لم يزل قبل الاشياء كلها لا عن ابتداء أمد ، و « الاخر » الذى لايزال بعد الاشياء كلها لاإلى انتهاء غاية و « الظاهر » : المتجلى للعقول بأدلته ، و « الباطن » : الذى

لاتدركه الابصار برؤيته .

« وهو بكل شيء عليم » تقرير لكمـال علمه بما كان ومايكون و إحاطة علمه بجميع ما في الكون من أعمال وحركات : ظاهرة وخفية وباطنة .

٤ ـ (هوالذى خلق السموات والارض فيستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج في الارض ومايخرج منها وماينزل من السماء ومايعرج فيها و هومعكم أينما كنتم والله بماتعملون بصير)

بيان لبعض أحكام ملكه ، وتصرفه في العالم .

ان قلت : ان الله تعالى صرح ههنا انه خلق السموات والارض في ستة أيام وهذا منقوض بقوله تعالى : « خلق الارض في يومين ـ وقدر فيها اقواتها فياربعة أيام ـ فقضاهن سبع سموات في يومين » فصلت : ٩ ـ ١٢) إذ فيها ثمانية أيام .

قلت : ان الروايات الواردة تصرح بان الله تعالى خلق الارض يومي الاحد والاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء ، وخلق الشجر والماء يوم الاربعـاء ، فتلك أربعة ايام ، فمعنى قوله تعالى : « فياربعة ايام » أى في تتمة أربعة ايام من حين ابتداء الخلق فان اليومين الاولين داخلان فيحساب الايام الاربعة ومن جملتها .

كما تقول : خرجت من بلدة قم المشرفة إلى النجف الاشرف في يومين وإلى مدينة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في أربعة ايام أى يومان إلى النجف ويومان إلى المدينة لااربعة أيام .

وقوله تعالى : « فقضاهن سبع سماوات في يومين » وهما يـوم الخميس والجمعة فهذه ستة أيام فلا تناقض قط .

وان ما في سورة فصلت تفصيل لما فيهذه السورة هذا اذا فرضنا يوماً قبل الليل والنهار وإلا ففي المقام كلام سيأتيك إنشاء الله تعالى .

ان تسئل : لماذا احتاج الله سبحانه في خلق الكون وما فيه إلى مدة ستة ايام ، وهو كان قادراً على خلقه في لحظة واحدة إذ هو يقول : « انما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » النحل : ٤٠) ؟

تجيب : انما جرى ذلك مجرى المتعارف بين الناس فى ايجاد الامور ولكن الله تعالى كلما أوجد شيئاً أوجده بالقدرة القاهرة وانما تدرج فى الايجاد ورتب الحوادث ليدل على أن الموجد عالم بصير مدبر يصرفها باختياره ويجريها على مشيته .

نظير من يخيط لك ستة أثواب فى ستة ايام : كل يوم ثوباً واحداً فى ساعة واحدة مثلا ثم يطوى نهاره بلا عمل إلى اليوم الثانى فيخيط غداً الثوب الثانى كذلك إلى ستة أيام فيصح ان يقال : انه خاط ستة أثواب فى ستة أيام .

وقوله تعالى : « ثم استوى على العرش » كناية عن الاخذ فى تدبير الملك والتصرف ولذا عقبه بالعلم بجزئيات الاحوال لان العلم من لوازم التدبير .

وقوله تعالى : « وهو معكم أينما كنتم » تمثيل لاحاطة وجوده تعالى على الكون وعلمه بجميع مخلوقاته وتصوير لعدم خروجهم عنه أينما داروا .

قيل : فى التعبير عن الصعود إلى السماء بالعروج إشارة إلى صورة الفلك وانه دائرى وان العروج إليه والنفوذ من أقطاره لايكون الا فى خطوط متعرجة منحنية .

وقوله تعالى : « والله بما تعملون بصير » إشارة اخرى إلى نفوذ علم الله تعالى إلى كل مايجرى فى ملكه ، ورد على من يستبعد انه تعالى يراهم ويرى كل ما يعملون ، وكالفرع المترتب على كونه تعالى معهم أينما كانوا وكونه بكل شيء عليما فان لازم حضوره عندهم من دون مفارقة ما واحتجاب وهو عليم أن يكون بصيراً باعمالهم الظاهرة والباطنة وما فى قلوبهم .

٥ ـ (له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور)

تكرير للتاكيد من بسطة سلطان الله تعالى وشهوده لكل شيء فى هذا الوجود ، فلا شيء فيه إلا وهو يقع فى ملكه وتقديره وتدبيره ويرجع إليه تعالى فالصدر تمهيد لذيل الاية .

وفى وضع الظاهر موضع الضمير فى « إلى الله » وكذا فى الاية السابقة فى قوله تعالى : « والله بما تعملون بصير » تقريع لقلوبهم كما يقرع المثل السائر

لما سيجيىء من ذكر يوم القيامة وجزيل أجر المتقين فى سبيل الله تعالى فيه .

وفى ايثار صيغة الجمع « الامور » محلّى باللام افادة للعموم .

قال الله تعالى : « كل إلينا راجعون » الانبياء : ٩٣) .

٦ ـ (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور)

فى تكرار الايلاج بصيغة المضارع الدال على الحال والاستقبال تنبيه على أمر مستمر مستغرب ـ إلى أجل مسمّى ـ وهو حصول الزيادة والنقصان معاً فى كل من الليل والنهار فى آن واحد ، وذلك بحسب إختلاف البقاع كالشمالية عن خط الاستواء والجنوبية عنه سواء أكانت مسكونة أم لا ، فان صيف الشمال شتاء الجنوب وبالعكس فزيادة النهار ونقصانه حاصلتان فى وقت واحد ولكن فى بقعتين وكذلك زيادة الليل ونقصانه .

وقوله تعالى : « وهو عليم بذات الصدور » بيان لاحاطة علمه تعالى بما يضمرونه من نياتهم بعدبيان إحاطته جل وعلا باعمالهم وكونه بصيرا بها فى قوله : « والله بما تعملون بصير » .

فتقرير لهذه الحقيقة التى تحدث عن نفوذ علم الله تعالى إلى ما فى قلوبهم من خواطر ووساوس .

وهذا من شواهد قدرته جل وعلا فيما بين الليل والنهار من امتزاج وافتراق فى وقت معا .

٧ ـ (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير)

ان الخطاب موجه إلى المؤمنين فى الدرجة الاولى ، والى السامعين كافة ودعوة لهم إلى الايمان بالله تعالى ورسوله ، وإلى الانفاق من المال الذى جعلهم الله جل وعلا خلفاء ووكلاء عليه ، وفى التفريع ترغيب ووعد جميل على ذلك .

وفى تقديم الايمان على الانفاق تنبيه على أن الانفاق لا يقبله الله إلا بالايمان

كما يدل عليه تعليق الاجر الكبير على الايمان والانفاق على الترتيب السابق .

وفي التعبير عما بأيديهم من الاموال والارزاق بالاستخلاف فيها تحقيق للحق وترغيب لهم في الانفاق فان من علم انهالله تعالى وانما هو بمنزلة الوكيل الذي لابد له من صرف ما بيده من مال موكّله إلى ما عيّنه من المصارف هان عليه الانفاق .

وان الايمان بالله ورسوله حق الخالق على المخلوق وحق الهادي على المهدي وان الانفاق من مال الله تعالى في سبيل الله حق مطلوب أدائه ، ولعل الجزاء هو بازاء الاستخلاف والوكالة في أداء مال الله تعالى في سبيل الله جل وعلا بعد ما علم انه تعالى موكله وهو مستخلفه في ذلك .

وفي تنكير « أجر كبير » من التفخيم والتعظيم ما لا يخفى على المتدبر .

٨ - (وما لكم لاتؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقدأخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين)

سؤال إستنكاري على سبيل الحث والعتاب عما يمنعهم من الايمان بالله تعالى ، واستجابة دعوة الرسول الذي يدعوهم الى الايمان ، وهو قد أخذ منهم من قبل ميثاقاً بذلك إن كانوا حينما اعطوا هذا الميثاق مؤمنين حقّاً .

فالجملة الاولى مستأنفة سيقت لتوبيخهم على ترك الايمان حسبما امروا به بانكار أن يكون لهم في ذلك عذر ما في الجملة فيتوجه الانكار والنفي إلى السبب فقط مع تحقق المسبب لا إلى السبب والمسبب معاً لان الاستفهام قد يكون لانكار الواقع واخرى لانكار الوقوع والاول كقولك : (أتضرب أباك) والثاني كقولك : (أأضرب أبي) وتحتمل الحال .

وقوله تعالى : « والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم » جملة حالية تفيد التوبيخ على الكفر مع تحقق مايوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم مايوجبه أي أيّ عذر لكم حصل في ترك الايمان ، والحال ان الرسول يدعوكم إليه ، وينبهكم ، وفي إيثار لفظ « رب » واضافته إليهم تلويح إلى علّة توجه الدعوة والامر إليهم ، فكانه قيل : يدعوكم لتومنوا بالله لانه ربكم يجب عليكم أن تؤمنوا به .

وقوله تعالى : « وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين » تأكيد للتوبيخ وصدر القطعة جملة حالية والجملتان الحاليتان تكشفان عن حال المخاطبين وهم يدعون إلى الايمان، وقد أخذوا ميثاقاً أن يستجيبوا وهم لا يستجيبون دعوة الداعي .

وقيل : ان المراد بالايمان هو ترتيب آثاره عليه منها الانفاق لانفس الايمان لانهم آمنوا ، وهذا بناء على اختصاص الخطاب بالمؤمنين الحاضرين زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولكن الصواب هو عموم الخطاب .

٩ ـ (هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤف رحيم)

تنبيه على أن الله تعالى نزل على رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم آياته ليخرج العباد بها من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الايمان والعلم ، وفي ايثار المضارع «ينزل » اشارة الى ان القرآن الكريم لم يتم نزوله بعد وانه ما زال يتنزل حالا بعد حال وفي ذكر « عبده » دون أن يذكر اسم هذا العبد تنبيه على انه هو عبدالله الذى تحققت فيه صفة العبودية الكاملة لله تعالى حتى انه اذا اضيف إليه هذا العبد من غير ذكر اسمه لم يكن المقصود إلا هو ، وهو محمد رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم وهذا مقام جليل لا يبلغه أحد من عباده .

وفى ختام الاية تعليل تأكيداً بعد توكيد على ذلك بأنه تعالى فعل بذلك لكونه رؤفاً رحيماً بعباده ومن أهم آثار الرأفة والرحمة عليهم إرسال الرسل وإنزال الكتب ، ومن الرسل محمد رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن الكتب هذا القرآن الذى فيه وبه سعادة العباد فى الدنيا والاخرة .

فتمّت عليهم الحجة وأزاحت عنهم المعذرة .

١٠ ـ (وما لكم الا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل اولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير)

سؤال إستنكارى آخر على سبيل الحث والعتاب أيضاً عما يمنعهم من إنفاق أموالهم فى سبيل الله تعالى فى حين أن كل ما فى السموات والارض هو ملك لله تعالى

وهذا شق آخر من شقى الدعوة التى يدعوالله تعالى عباده إليها بعد الايمان وهو الانفاق فى سبيل الله جل وعلا ولماذا يمسك هذا المال الذى آتاه الله؟ ولماذا يضن به على الانفاق فيما يدعوه اليه؟ أله شيء من هذا المال؟ أليس هذا المال من مال الله؟ وهل يملك أحد شيئاً مع الله سبحانه الذى له ملك السموات والارض؟ وهل يبقى هذا المال فى يد ممسكيه إلى الابد؟

وهذا توبيخ لهم على ترك الانفاق المأمور به بعد توبيخهم على ترك الايمان بانكار أن يكون لهم فى ذلك أيضاً عذر من الاعذار وتعيين المنفق فيه من تشديد التوبيخ عليهم مما لا يخفى.

وقوله تعالى: «ولله ميراث السموات والارض» استعارة، والمعنى: **إن** الخلائق إذا فنوا وانقرضوا، وخلوا ما كانوا يسكنونه وزالت أيديهم عما كانوا يملكونه ولم يبق الا الله تعالى صار سبحانه كأنه قد ورث عنهم ما تركوه وحاز ما خلفوه لانه الباقى بعد فنائهم والدائم بعد انقضائهم.

وإضافة الميراث إلى السموات والارض بيانية فالسموات والارض هى الميراث بما فيهما من الاشياء التى خلق منهما مما يتملكه ذووا الشعور من سكنتهما، فالسموات والارض شاملة لما فيهما مما خلق منهما، ويتصرف فيها ذووا الشعور كالانسان مثلا بتخصيص ما يتصرفون فيه لانفسهم، وهو الملك الاعتبارى الذى هداهم الله تعالى إلى اعتباره فيما بينهم لينتظم بذلك جهات حياتهم فى الدنيا.

والجملة حالية من فاعل «لا تنفقوا» ومفعوله مؤكدة للتوبيخ فان ترك الانفاق بغير سبب قبيح منكر ومع تحقق ما يوجب الانفاق أشد فى القبح وأدخل فى الانكار فان بيان بقاء جميع ما فى السموات والارض من الاموال بالاخرة لله تعالى من غير أن يبقى من أصحابها أحد أقوى فى ايجاب الانفاق عليهم من بيان

انها لله تعالى فى الحقيقة وهم خلفائه جل وعلا فى التصرف فيها كأنه قيل : وما لكم فى ترك انفاق الاموال فى اعلاء كلمة الحق والحال انه لايبقى لكم منها شيء بل يبقى كلهالله تعالى واظهار الاسم الجليل « لله » فى موضع الاضمار لزيادة التقرير وتربية المهابة .

وقوله تعالى : « لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح » هذا بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت أحوالهم فى الانفاق بعد بيان أن لهم أجراً كبيراً على الاطلاق حثاً لهم على تحرى الافضل ، وعطف القتال : « وقاتل » على الانفاق ايذان بانه من أهم مواد الانفاق مع كونه فى نفسه من أفضل العبادات ، وانه لا يخلو من الانفاق أصلا .

وقسيم من انفق محذوف لظهوره ودلالة ما بعده عليه .

إذ ههنا تقرير على سبيل الحث والبيان بان هناك فرقاً عظيماً بين الذين انفقوا أموالهم وقاتلوا قبل الفتح وبين الذين فعلوا ذلك بعده وبأن الاولين أعظم درجة وأجراً عند الله تعالى مع تقرير كون الاخرين أيضاً موعودين من الله جل وعلا كالاولين بالاجر والحسنى على كل حال وهو الذى يعلم كل ما يفعله الناس ويقدمونه بين أيديهم .

و « اولئك » إشارة إلى ما أنفق ، والجمع باعتبار معنى « من » ومعنى البعد فيها مع قرب العهد بالمشار اليه إشعار ببعد منزلتهم ، وعلو طبقتهم فى الفضل .

وفى ختام الاية وعد تصريحاً ، ووعيد تلويحاً .

١١ ـ (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم)

دعوة كريمة وندب بليغ من رب كريم إلى أن يقرضوه وينفقوا فى سبيله مما أعطاهم ، واستخلفوا عليه ، فيضاعف لهم هذا القرض ، ويجزيهم عليه الجزاء الاوفى بعد الامر بالانفاق والتوبيخ على تركه ، وبيان درجات المنفقين .

فالمعنى : من ذا الذى ينفق فى سبيله جل وعلا رجاء أن يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحرى اكرم المال والجهات « فيضاعف »

بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كأنه قيل : أيقرض الله أحد فيضاعفه له أى فيعطيه أجره اضعافا .

فالاية توكيد لما احتوته الايات السابقة من حث على البذل ، والهتاف بأصحاب الاموال بأن أموالهم وإن كانت هى لله تعالى ، وهم عليها خلفاء ، وان الله جل وعلا ليعد بذلها بمثابة قرض يقرضونه له ، ويضاعف لهم عليه الاجر الكريم والثواب العظيم الكثير .

فلا عذر بعد ذلك لمعتذر ممن آمنوا بالله واليوم الاخر فى ألايجيبوا دعوة الله تعالى ، والا ينفقوا مما خولهم اياه ، وجعله ملكاً خالصاً لهم فيأخذ منهم ما انفقوا أخذ المقترض الذى يشكر لمقرضه ويحمد صنيعه معه .

١٢ ـ (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم)

حكاية لما سوف يكون عليه أمر المؤمنين والمؤمنات يوم القيامة إذ يسعى النور بين أيديهم وعن أيمانهم ، فتضاء بذلك طريقهم ضوءاً قوياً ، وهم يومئذ يعرفون بذلك النور انهم أصحاب اليمين ويهتف لهم بالبشرى بالخلود فى الجنات وفى ذلك ما فيه من الفوز العظيم .

واسلوب الاية اسلوب تنويه وتطمين وبشرى للمخلصين المؤمنين والمؤمنات .

وفى تخصيص تلك الجهات « أيديهم وبأيمانهم » بالذكر لان منها اخذت صحائف أعمالهم ، فجعل الله تعالى معها نوراً يعرف به انهم من أصحاب اليمين ، ولم يقل : بشمائلهم لانهم الذين لايوتيهم كتابهم بشمالهم .

قيل فى الايه استعارة على أحد التأويلين : و هو ان يكون المعنى : ان ايمانهم يوم القيامة هاد لهم ، ومطرق بين أيديهم ، و واصل لاجنحتهم فجرى مجرى النور الهادى فى طريقهم بمعنى : انهم يسعون إلى الموقف غير عاثرين ولا متعتعين ولامخوفين ولامروعين كما يكون غيرهم من لا ايمان لـه و لاهـدى معه

فكأنهم لكونهم على تلك الحال يسيرون بدليل مسكون إلى دلالته، و فى ضياء موثوق بهدايته.

١٣ - (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب)

حكاية لما سوف يكون عليه أمر المنافقين والمنافقات، و موقفهم يوم القيامة إذ ينادى المنافقون المؤمنين ملتمسين إنتظارهم لاقتباس نور من نورهم ليسيروا فيه، فيقال لهم: ارجعوا وابحثوا عن نور من مكان آخر، ثم يضرب بين الفريقين بسور فى إحدى ناحيته الرحمة و النعيم للمؤمنين، و فى إحداهما العذاب الشديد للمنافقين.

قوله تعالى: «قيل ارجعوا» طرد للمنافقين وتهكّم بهم من جهة المؤمنين أو من ناحية الملائكة، وردع و حبس لهم فى اماكنهم التى هم فيها لايبرحونها حتى يقضى الحق فيهم قضائه.

قوله تعالى: «فضرب بينهم بسور له باب الخ» رفع بين المنافقين والمنافقات والمؤمنين والمؤمنات بالحاجز.

وفى التعبير عن إقامة الحاجز بين اهل الجنة، و بين اهل النار بالضرب دلالة على أن الحاجز يقام مرة واحدة فى لحظة خاطفة ولم يبن لبنة لبنة وجزءاً جزءاً وشبيه بهذا مايقام بين خيام فانه يسمى فى حال إقامته بالضرب...

١٤ - (ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى و لكنكم فتنتم انفسكم و تربصتم وارتبتم وغرتكم الامانى حتى جاء امرالله وغركم بالله الغرور)

مستأنف بيانى كانه قيل: فماذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب فقيل: إذاً ينادى المنافقون المؤمنين مرة اخرى قائلين لهم: ألم نكن معكم و منكم فى الدنيا؟ فيقولون لهم: نعم، و لكن كانت قلوبكم فاسدة و أعمالكم كاسدة، و كنتم مرتكسين فى الريبة والشك تتربصون سير الامور، و قد غرتكم

الاماني التي كنتم تتمنونها ، وغركم الشيطان و الغرور بالله سبحانه ، فظننتم انكم لن تحشروا ولن يحاسبكم الله ، فمصيركم اليوم ما ترونه الان من حكم الله وقضائه .

فالمنافقون يستنصرون المؤمنين على ما هم فيه من الظلمة والعذاب ، متوسلين بانهم كانوا معهم في الدنيا ، ولكن المؤمنين يجيبونهم بأنهم كانوا بينهم ولم تكن قلوبهم معهم إذ هم كانوا مؤمنين سليمي القلوب ، وهم كانوا منافقين مرضى القلوب فشتان بينهما .

١٥ ـ (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي موليكم وبئس المصير)

رد قوي لازع وتنديد وتقريع وإنذار متناسب للمنافقين ، وإشارة إلى مواقف مزعجة من مرضى القلوب ، ونفي لعذر المترددين والمقصرين ، وهذا ما تستحقه طبقة المنافقين على مواقفها الخبيثة التي فيها كيد وتشكيك وإزعاج ودس وتقصير وتثبيط وتربص ، وفيه تلقين مستمر المدى .

وقوله تعالى : « مأواكم النار » تأكيد لقوله تعالى : « لايوخذ منكم فدية » و « هي مولاكم » استعارة ، إذ معناه : أملك بكم واولى باخذكم ، وهذا مولى من طريق الرق لا المولى من طريق العتق ، فكأن النار تملكهم رقاً ولا تحررهم عتقاً ، فلا فداء ولا فكاك لهم منها ، ففي الجملة من الحصر ما لا يخفى .

وفي الاية دلالة على أن المنافقين والكافرين في العذاب ، ومصيرهم في النار واحد ، فان المنافقين هم الكافرون حقيقة وان كانوا متظاهرين بالاسلام .

١٦ ـ (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون)

مستأنف ناع عليهم تثاقلهم في امور الدين ورخاوة عقدهم فيها واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا إليه بالترغيب والترهيب ، وفيه دلالة على أن المنفي متوقع .

وان السؤال إستنكارى ينطوى على معنى التنديد عما إذاكان لم يحن الوقت الذى تخشع فيه قلوب المؤمنين لذكر الله ، ويخضعون للحق الذى أنزله الله تعالى على رسوله ، وتحذيرهم من كونهم كالسابقين من أهل الكتاب الذين قست قلوبهم بمرور الزمن ، فانحرف كثير منهم عن جادة الحق وتمردوا على أوامر الله تعالى ، وحرفوا كتاب الله جل وعلا ، وهذا التحذير مستحكم قوى لازع لان هذا الواقع كان تحت نظر المسلمين ومشاهداتهم ومسموعاتهم ، وكان موضع إنتقادهم بل موضع انتقاد العرب قبل الاسلام .

فالاية تهتف بالفريق المقصر المرتاب المتباخل عما اذالم يحن وقت اخلاصه وخشوع قلبه لذكر الله ، وما انزل من الحق حتى لايكون كأهل الكتاب الضالين المغضوب عليهم مع توكيد التنويه بالفريق المخلص المتفانى .

١٧ - (اعلموا أن الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون)

تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة باحياء الارض الميتة بالغيث للترغيب فى الخشوع ، والتحذير عن القساوة ، وفيه لفت لانظارهم إلى الارض كيف يحييها الله بعد موتها مع تنبيههم إلى أن الله تعالى يضرب لهم الامثال ، ويبين لهم مقاصد آياته لعلهم يدركون مغزاها ومرماها ، وينتفعون من عبرها وعظاتها .

وذلك لان اسلوب الاية يحتوى عظات متنوعة بليغة يهدى بها المهتدى إلى طريق السعادة والنجاح فى الدنيا والاخرة بعد الجهالة والظلمات اللتين يكونون مرتكسين فيهما .

ومن المحتمل أن يكون التمثيل من تمام العتاب السابق ، ويكون تنبيهاً على أن الله تعالى لا يخلّى هذا الدين على ما هو عليه من الحال بل كلما قست قلوب وحرموا الخشوع لامر الله جاء بقلوب حية خاشعة له يعبد بها كما يريد .

قال الله تعالى : « وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم »
محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ٣٨)

ولذلك ذيل الاية بقوله تعالى : « قد بيّنّا لكم الايات لعلكم تعقلون » استدعاء لهم أن يستدعوا عقولهم وليتدبروا موقفهم من البعث بالنظر إلى ما تفعله قدرة الله جل وعلا بالارض الميتة .

١٨ ـ (ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسناً يضاعف لهم ولهم اجر كريم)

دعوة ثانية إلى الانفاق في سبيل الله تعالى ، وتنويه وحث وترغيب وبشرى للمتصدقين والمتصدقات من المؤمنين والذين يقرضون الله جل وعلا قرضاً حسناً بما يبذلونه من أموالهم فى سبيله وإعلاء كلمته .

١٩ ـ (والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك أصحاب الجحيم) .

وعد و وعيد على سبيل تعليق الحكم بالوصف ، وتلقين مستمر المدى يمد المسلم بالحافز الروحي ، ويجعله يرى فى تصديق ما أنزل الله تعالى ، وبذل المال والنفس فيسبيله ، والفناء فيه وسيلة عظمى للتقرب اليه، ونيل السعادة والطمأنينة الدنيوية والاخروية ، واستحقاق الرضا الربانى ، ويمد المنافق الذى هو فى زمرة الكافر والمكذب إلى ما يرى ان النفاق والكفر والتكذيب سبب لصحبة الجحيم .

ومعنى البعد فى « اولئك » مع قرب العهد بالمشار إليه تفخيماً لشأنهم ، وتعظيما لما هم عليه من الايمان و « لهم أجرهم ونورهم » بيان لثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال وعزة المنال .

ان تسئل : كيف يقال : إن أعلى الدرجات بعد درجة الانبياء درجة الصديقين ، وقد حكم الله تعالى لكل مؤمن بكونه صديقا بقوله تعالى : « والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون » ؟

اجيب : ان الصديق هو كثير الصدق في تمام الاقوال والافعال والاحوال ، فالمراد بالصديقين بعض المؤمنين لاكلهم ، إذ ليس كلهم كذلك ، وان كان لابد لهم منه فيها جميعاً . وقيل : كل مؤمن صديق ، فيشمل للجميع .

وان تسئل : كيف ذكر الله تعالى هؤلاء المذكورين بكونهم شهداء ، ومنهم من لم يقتل ولا يكون شهيداً ؟

اجيب : ان « الشهداء » مبتداء منقطع عما قبله لامعطوف عليه والمعنى : والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم .

وقيل : إن المعنى: انهم شاهدون عندربهم علىأنفسهم بالايمان ، فالشهداء جمع شهيد وهو بمعنى شاهد .

وقيل : التقدير : ان لهم أجر الشهداء .

أقول : والصواب ان الشهداء هم المؤمنون والصديقون .

إن قلت : لماذا لم يقل : « آمنوا بالله ورسوله » كما قال في اول السورة : « آمنوا بالله ورسوله » ، وفي آخرها : « يا ايّها الذين امنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله » ؟ قلت : تنبيها علىأن المؤمنين برسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم هم المؤمنون بجميع المرسلين فلا يفرقون من أحد من بينهم بخلاف أهل الكتاب إذ آمنوا ببعض وكفروا ببعض .

٢٠ - (اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولادكمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) .

تقرير تنبيهي عام على سبيل الموعظة بان الحياة الدنيا إنما هي محال اللعب واللهووالزينة والتفاخر والتكاثر في الاموال والاولاد ، وان مثل ذلك كمثل الماء الذي ينزل إلى الارض ، فينبت به نبات رائع يسر به الزارع ثم يتعاظم ولكنه لا يلبث أن يصفر ويغدو حطاماً مهشماً .

وان التمثيل هنا في معرض التنديد بالمقصرين والمترددين في الاخلاص والبذل كما جاء سابقاً في معرض الدعوة الى الله تعالى وعدم التصامم عنها ركوناً إلى ما يتمتع به المدعون من جاه ومال وقوة دنيوية .

وان الاية الكريمة تجمع بين خمسة امور مـن امور الدنيا ، وهي موطن الفتنة بها ، ومصدر الداء لكل من كان من صرعاها . .

وهي اللعب واللهو والتزيين والتفاخر والتكاثر في الاموال والاولاد .

وهي التي يتعلق بها هوى النفس الانسانية ببعضها أو بجميعها ، وهي امور وهمية واعراض زائلة لاتبقى لانسان ، وليست هي ولا واحدة منها تجلب للانسان كمالا نفسياً ولاخيراً حقيقياً .

وعن شيخنا البهائي رضوان الله تعالى عليه :

« ان الخصال الخمس المذكورة فيالاية مترتبة بحسب سني عمر الانسان ومراحل حياته ، فيتولع اولا باللعب وهوطفل أو مراهق ثم اذا بلغ واشتد عظمه تعلّق باللهو والملاهي ثم اذابلغ أشدّه اشتغل بالزينة من المـلابس الفاخـرة ، والمراكب البهية ، والمنازل العالية ، وتوله للحسن والجمال ثم اذا اكتهل أخذ بالمفاخرة بالاحساب والانساب ثم اذا شاب سعى فيتكثيرالمال والولد » .

ولايخفى على القارىء الخبير : ان الاية ليست بصـدد أمر الانســان بترك الدنيا وطيباتها والكسب والمال والولد تماماً بلفيها تنبيه علىعدم ميل الانسان إلى الدنيا وعدم جعل أعراضها أكبر همه وقصارى آماله و على عدم الاستغراق فيها استغراقاً ينسيه واجباته نحوالله تعالى ونحوالناس ، ويجعله يغفل عنالاخرة وحسابها وهي دار الخلود فيحين انأمد الحياة الدنيا قصير جداً بالنسبة لكل انسان يعيش فيها ، فاسلوبها بهذا البيان علاج روحاني شاف يفيد الانســان فـي جميع ظروفه ، و بخاصة حينما تطغى المادة على الروح و تطغى أعراض الدنيا الغرارة مثل الانسانية العليا وتقسي القلوب وتنزع منها خشية الله تعالى » .

قوله تعالى : « ومغفرة من الله » التنوين للعظمة ، و « رضوان » التنـوين

للتعظيم ، وتقديم المغفرة على الرضوان لتقدم التخلية على التحلية .

ان تسئل : لم خص الكفار دون المؤمنين ؟ أو ليس هذا مما يستوى فيه المؤمنون والكافرون ولاينقص ايمان المؤمنين إعجابهم به .

اجيب : ان المراد من الكفار : الزراع لاالكفار مقابل المؤمنين و واحد الكفار كافر وهو الزارع ، وانما سمى الزارع كافراً لانه إذا القى البذر فى الارض كفره أى غطاه ، و كل شيء غطيته فقد كفرته .

ومنه قيل : تكفر فلان بالسلاح اذا تغطى به ، وقيل لليل : كافر لانه يستر بظلمته كل شيء .

و فى ختام الاية تقرير تنبيهى آخر ينطوى على الامر الجد و هو امر الاخرة حيث يلقى الناس فيها مصائرهم إما عذاباً شديداً وإماغفراناً من الله تعالى ورضواناً وحينئذ يدركون ان الحياة الدنيا لم تكن الا متاعاً قصيراً لأمد خداع المظهر .

٢١ - (سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

دعوة تعقيبية على التقريرين السابقين ، موجهة إلى المخاطبين بأن يسارعوا - والحالة هذه - إلى إصطناع الاسباب إلى غفران الله ورضوانه ، و جنة عرضها كعرض السماء والارض قدهيئت للذين يؤمنون بالله ورسله ، و هذا فضل من الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم .

وفى جمع الرسل إشارة إلى ان الايمان برسل الله جميعاً هو الايمان الحق إذ كان الرسل جميعاً على دين واحد : وهو الاسلام كمايقول تغالى : « ان الدين عندالله الاسلام » .

ان تسئل : كيف قال الله تعالى : « سابقوا إلى مغفرة من ربكم » و المسابقة من باب المفاعلة التى لاتكون إلا بين الاثنين كقولك : سابق زيد عمراً ؟

اجيب : ان المعنى : سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم فى الميـدان ، و يؤيد ذلك مجيئه بلفظ المسارعة فىقوله تعالى : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين » آل عمران : ١٣٣)

ويقال : سابقوا ملك الموت قبل أن يقطعكم بالموت عن الاعمال التى توصلكم إلى الجنة ، ويقال : سابقوا ابليس قبل ان يصدكم بغروره وخداعه عن ذلك .

وفى تقديم المغفرة على الجنة إشعار بأن لايدخل فيها من لم يغفر له ذنبه .

ان تسئل : كيف قال الله تعالى : « وجنة عرضها كعرض السماء والارض » وقال تعـالى فى سورة آل عمران : « وجنة عرضها السموات والارض » فكيف يكون عرضها كعرض السماء الواحدة ، و كعرض السموات السبع ؟

اجيب : ان المراد بالسماء جنس السموات لاسماء واحدة كما ان المراد بالارض فى الايتين جنس الارضين ، فصار التشبيه فى الايتين بعرض السموات السبع والارضين السبع .

وقوله تعالى : « اعدت للذين آمنوا بالله ورسله » من تعليق الحكم على الوصف مما لايخفى ، فلا يدخل الجنة الا من اتصف بالايمان وصالح العمل .

٢٢ ـ (ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير)

خطاب للسابقين المؤمنين الصديقين والمنفقين أموالهم فى سبيل الله والشهداء فى إعلاء كلمته جل وعلا بان كل ما يقع على وجه الارض ، وما يصيب نفوسهم من مصيبة هو ما فى كتاب عند الله سبحانه مكتوب قبل وقوعها ، وهذا من الامور اليسيرة على الله تعالى المتّسقة مع شمول قدرته وعلمه .

ومن غير خفى على القارىء الخبير ان هذه المصيبة هى من نوع ماليس فى مقدور الناس جلبه او دفعه ، فلا صلة لها بما يصدر من الناس من أعمال فاسدة قد يعاقبون عليها فى الدنيا بالمصائب وفى الاخرة بالعذاب ، قال الله تعالى : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » الشورى : ٣٠)

بل هذه المصيبة هي المصائب التى تصيب على الانبياء والاولياء من نقص الاموال والانفس فى سبيل الله تعالى وإعلاء كلمته .

وفى الاية تلقين مستمر المدى يمد المسلم فى كل ظرف بالثقة بالله جل وعلا والتسليم له والصبر على مايصيبه من بلاء وعدم الجزع وإسلام النفس إلى الله فى كل حال وظرف وفيها استهداف تربية المسلم والتسامى به إلى أوج الكمال النفسانى والاخلاقى .

و « فى كتاب » كناية عن اللوح المحفوظ الذى كتب فيه كل ما كان ، وما يكون قبل أن يكون .

٢٣ ـ (لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولاتفرحوا بما آتاكم والله لايحب كل مختال فخور)

تعليل لمعلول محذوف يدل عليه السياق ، فالتقدير : انا قد بيّنالكم حقيقة ما يصيبكم فى سبيل الله تعالى وإعلاء كلمته من المصائب الموجبة لنقص الاموال والانفس كلها قدر مقدور عليكم فى كتاب الله جل وعلا بينالكم «لكيلا تأسوا الخ » .

والخطاب للمؤمنين السابقين ، وتقرير بأن الله سبحانه يبين لهم هذه الحقيقة حتى لا يداخلهم الحزن والاسى مما يفوتهم من خيرات ولا يبطر بهم الفرح بما ينالونه من خيرات ، ولا يعرض عليهم الزهو والبطر والغرور بها والخوف من عواقب البذل فى سبيل الله تعالى ، ومساعدة المحتاجين ، ولا الارتكاس فى رذيلة الحض على البخل ، ومنع الخير فى أى حال .

وتنبيه على أن الله تعالى لايحب المتكبرين المتفاخرين المزهوين بما قديحرزونه من خير ثم يبخلون عن البذل ، ويحرضون غيرهم على احتذاء حذوهم ، وهذا ما يفعله البخلاء فى الغالب لتبرير بخلهم .

ان تسئل : كيف قال الله تعالى : « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » ولاأحد يملك نفسه عندمضرة تناله أن لاتحزن ، ولاعند منفعة تناله أن لاتفرح ، وليرجع كل واحد منا فى ذلك إلى نفسه ؟

اجيب : ليس المرادبذلك الحزن والفرح الذى لاينفك عنه الانسان بطبعه قسراً وقهراً بل المرادبه الحزن المخرج لصاحبه إلى الذهول عن الصبر والتسليم لامر الله تعالى ورجاء ثواب الصابرين والفرح المغطى الملهى عن الشكر ، نعوذ بالله منهما .

ولكن الحق ان ليس فى طبع كل السابقين الصديقين المؤمنين الفرح بالمنفعة والحزن بالمضرة إذ نرى كثيراً من المؤمنين لايفرحون بها ، ولايحزنون بها جداً ، وهم راضون برضاالله تعالى فى الشدة والرخاء .

٢٤ ـ (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد)

وصف لكل مختال فخور يفيد تعليل عدم حبّه تعالى ، و فى التوصيف بالموصول إشعار بالتلازم بين الاختيال والفخر، وبين البخل بما فى يده وأمر الناس بالبخل فى وجوه البر .

والاية تبيّن شأن المختال المعجب بنفسه الفخور بمافى يده أن يضن بماله الذى لايرى لأحد فيه حقاً إذ يرى أن ذلك من سعيه ، ومن معطيات تدبيره وحوله ثم انه لايقف عند هذا بل سرعان مايتحول إلى داعية من دعاة الامساك عن الانفاق فى سبيل الله جل وعلا ليقوى بذلك موقفه ويدعم جبهته ، فان اهل الضلال إنّما يأنسون باخوانهم ، ويتقوون بالاكثار من امثالهم . . . و مثلهم فى هذا كمثل الشيطان اذ ضل وغوى ، فيضل غيره ويغويهم ليكثر مثله فى الغواية والضلال .

وقوله تعالى : « ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد » تهديد على البخيل ، وعلى آمر الناس بالبخل ، وإشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وإلا فان الله تعالى غنى عنه ، وعن انفاقه محمود فى ذاته لايضره البخل و امر الناس بالبخل ، والاعراض عما أمره الله تعالى به .

٢٥ - (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز)

مستأنف سيق لتقرير حكمة ارسال الرسل وإنزال الكتب إليهم وتشريع الدين ، وهى أمران :

أحدهما : ـ قيام العدل بين الناس .

ثانيهما ـ : انكشاف أحوال الناس عند اقامة العدل بينهم .

والامران لايتمان الا بالامرين : الاول : وضع القانون ودعوة الناس إليه والثانى : القوة لتوطيد الحق والعدل بين الناس اذ لا بد للقانون من قوة تجريه ، فترغم بها أنف الظالم ويحمى بها المظلوم .

فأرسل الله تعالى رسله إلى الناس بالبينات الواضحة ، وأنزل عليهم كتبه ، وجعل القوة الممثلة فى الاسلحة الحديدية من الوسائل النافعة لمن ينحرف ويكابر ويعاند ويحاول تسويد البغى والباطل على الحق والعدل ، ولا يرضخ لمقتضياتهما ، وكل ذلك انما هو لخير الناس وصلاحهم .

فخلق الحديد وألهمهم كيفية إستعماله ، وفيه وسائل القوة والتنكيل كما فيه منافع اخرى للناس .

والمراد من الكتاب ما أنزله الله تعالى على رسله كتب سماوية كالتوراة والزبور والانجيل والقرآن ، وفى ايثار صيغة الافراد موضع الجمع دلالة على ان جميع الكتب السماوية كتاب واحد فى دعوتها الناس إلى الحق والخير ، وقيام العدل بينهم .

وفى اختصاص النصر لله تعالى ولرسله بالذكر حال الغيب فى قوله تعالى : «وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب» إشعار إلى أن هذا هو النصر الذى يصدر عن صدق ويقين ، وهو النصر الذى لا ينقطع أبداً سراً وجهراً قولا وعملا ، وأما النصر

الذى يكون بمشهد الناس فقديكون عن ايمان واخلاص وعقيدة و قد يكون عن نفاق ورياء ومصادفة .

وفى قوله تعالى : « ان الله قوى عزيز » اشارة إلى أن نصر المؤمنين لله ولرسله ليست لحاجة منه جل وعلا إلى ناصر ينصره فانه جل وعلا قوى لايملك أحد معه قوة ولاللضعف إليه سبيل ، و هو تعالى عزيز يملك العزة جميعاً ليس للذلة إليه طريق ، ففى الاستنصار إختبار منه تعالى لهم .

وفى الجملة نكتة سياسية لاتخفى على اهلها .

وان الجملة إعتراض تذييلى جيىء بها تحقيقاً للحق ، و تنبيهاً على أن تكليفهم الجهاد ، وتعريضهم للقتال ليس لحاجته تعالى فى اعلاء كلمته ونشر دينه إلى نصرتهم بل انما هو لينتفعوابه ويصلوا بامتثال الامر فيه إلى الثواب و الا فهو تعالى غنى بقدرته وعزته عنهم فى كل مايريده .

وان الاية الكريمة تحتوى تلقينات ايمانية و اجتماعية و سياسية و قضائية وحكومة الهية بين الناس .

٢٦ ـ (ولقد ارسلنا نوحاً وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون)

تعقيب بيانى تفصيل لاجمال المتقدم ، يضمن تقرير كون الله جل وعلا ـ جرياً على ما اقتضته حكمته من ارسال الرسول لهداية الناس ، وتوطيد الحق العدل بينهم، وامتحانهم بالدعوة ـ قدأرسل نوحاً وابراهيم عليهما السلام ، وجعل فى ذريتهما النبوة والكتاب ، فاهتدى منهم وفسق عن امر الله تعالى وانحراف عن جادة الحق كثير منهم .

وفى اختصاص « نوح وابراهيم » بالذكر لكونهما أبوى جميع أنبياء الله تعالى يشير إلى ذلك قوله جل وعلا : « و جعلنا فى ذريتهما النبوة و الكتاب » وتكرير القسم لاظهار مزيد الاعتناء بالامر .

قيل : وفى افراد المهتدين وجمع الفاسقين إشارة إلى ان اهل الهداية ذوات

شخصية متميزة يوزن الواحد منهم بميزان الذهب و يحسب بحساب الجواهر الكريمة جوهرة . . . جوهرة .

واما اهل الضلال فهم غثاء كغثاء السيل يحسبون حساب الحطب ويعدون الحصا . . .

وفى الاية ايماء إلى أن كثيراً من الناس خرجوا عن الصراط المستقيم بعد أن تمكّنوا من الوصول اليه وبعد أن عرفوه حق المعرفة وهذا أبلغ فى الذم وأشد فى الاستهجان لعملهم ، وفى العدول عن لفظ الضلال الذى هو مقابل الاهتداء دلالة على غاية الذم عليهم فى فسقهم ، فذكر الفسق مقام الضلال و يمكن ان يكون من ذكر المقدمة وإرادة ذى المقدمة حيث ان الفسق مقدمة الضلال وان الاهتداء مقدمة الهداية ففى الجملة مبالغة فى الذم لمكان المقابلة ايذان بغلبة الضلال و كثرة أهلـه .

٢٧ - (ثم قفينا على آثارهم برسلنا و قفينا بعيسى بن مريم و آتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فمارعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون)

تقرير لوحدة طريق الانبياء عليهم السلام فى دعوتهم الناس إلى الايمان بالله تعالى ، واقامة العدل بين الناس ، طريق يتبع فيه بعضهم أثر بعض .

وفى تخصيص عيسى عليه السلام بالذكر لشهرة شريعته فى عصر التنزيل ولوجود أتباعه فى جزيرة العرب وغيرها ، ولاتصال شريعته بشريعة خاتم الانبياء محمد رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ففى ذلك ايماء إلى استمرار الوحدة فى الدعوة ، و اتباع بعضهم إثر بعض .

وقوله تعالى : « وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها » تقرير لصفات عيسى عليه السلام بثلاث صفات :

١ - الرأفة بين بعضهم وبعض .

٢ - الرحمة .

٣ - الرهبانية المبتدعة ، ثم ذمهم بانهم لم يقوموا على ما فرضوه على أنفسهم .

ان تسئل : كان حق العبارة فى « ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله » أن يقال : إلا إبتغاء رضواننا .

اجيب : ان الاستثناء منقطع ، فليس له علاقة بقوله : « ما كتبنا عليهم » فالمعنى : لم نفرضها نحن عليهم بل هم فرضوها على أنفسهم .

٢٨ - (ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم)

إلتفات إلى المؤمنين من اهل الكتاب ، ودعوة لهم بالتقوى والايمان بنبينا محمد رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم دعوة تنطوى على التعقيب والحث و البشرى ، فعليهم أن يعتبروا ويتقوا الله ويلزموا حدوده ويؤمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويتبعوا إرشاده ، فلا يفرقوا بين أحد من رسله ، فاذا فعلوا ضاعف الله تعالى لهم الاجر ، وجعل لهم نوراً يمشون فى ضوئه ، فلا يضلون عن سبيل الحق القويم وغفر لهم ذنوبهم وهو الغفور الرحيم .

وفى تقديم الأمر بالتقوى على الامر بالايمان فان التقوى يجلبهم ويحثهم إلى الايمان بخاتم الانبياء صلى الله عليه وآله وسلم .

ان تسئل : ما وجه امرهم بالايمان برسوله صلى الله عليه وآله وسلم بعد فرض الايمان لهم بالله تعالى ، وليس الايمان بالله تعالى من غير ايمان برسوله ايماناً ؟

اجيب : ان الخطاب يكون لاهل الكتاب من اليهود و النصارى خاصة ، فالمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام آمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وفى قوله تعالى : « يؤتكم كفلين من رحمته » إشعار بان الجزائين : جزاء ايمانهم بانبياء السابقين ، وجزاء ايمانهم بنبينا صلى الله عليه وآله وسلم اذا آمنوا به والا فلا أجر لهم أصلا لا أن لهم اجراً واحداً فى ايمانهم بالانبياء السابقين من غير ايمان به .

و « كفلين من رحمته » تعبير عجيب لأن رحمة الله تعالى لا تتجز أو مجرد

مسها لانسان يمنحه حقيقتها ولكن في هذا التعبير زيادة امتداد للرحمة وزيادة فيض

وفي قوله تعالى : « ويجعل لكم نوراً تمشون به » إشارة إلى أن هذا النور هو خاص بالذين يؤمنون بمحمد رسول الله الاعظم ﷺ كما أن الجزاءين والمغفرة لذنوبهم قبل ايمانهم بمحمد ﷺ لاتتحقق لهم إلا إذا آمنوا به ﷺ.

فشأن أهل الكتاب في ذلك شان الجاهلين الذين دخلوا في الاسلام .

٢٩ - (لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله و ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

إلتفات من الخطاب إلى الغيبة وتعليل لما تقدم ، ورد على اهل الكتاب في اختصاصهم فضل الرسالة بهم ، وتنبيه لهم على عجزهم عن منع فضل الله تعالى من أحد فلا يحق لاحد أن يحتكره ويختصه بنفسه .

وقوله تعالى : « وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء » استعارة أي في ملك الله تعالى وقدرته يبسطه لمن يشاء ، ويقبضه حسب المصالح والمفاسد و المغاوى والمراشد . . .

وختام الاية اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ماقبله .



﴿الاعجاز﴾

قال بعض المفسرين : قوله تعالى : « هو الاول والآخر والظاهر والباطن » السورة : ٣) هذا من إحدى المعجزات العلمية لهذه السورة إذ يشير إلى قوام المركبات بأوجز بيان وأخصر عبارة مع كونها من صفات الله تعالى .

وذلك لان قوام كل مركب أربعة : أحدها ـ : العلة الفاعلية أشار إليها بقوله تعالى : « هو الاول » .

ثانيها ـ : العلة الغائية أشار إليها بقوله : « والآخر » .

ثالثها ـ : العلة الصورية أشار إليها بقوله : « والظاهر » .

رابعها ـ : العلة المادية أشار اليهابقوله : « والباطن » من غيراتحاد المعلول مع علته ، ولا حلولها به مع عدم انفكاك المعلول عن العلة فى ابتداء أصل وجود المعلول وبقائه كما يدل على ذلك قوله تعالى : « وهو معكم أينما كنتم » .

ولبعض المفسرين فى قوله تعالى : « الم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » السورة : ١٦) كلام يمس المقام ولا يخلو من فوائد . . .

فقال : « ألم يأن » هذه كلمة فيها حث وإطماع وجدال وحجة تصرح ان خشوع القلب الذى تلك صفته هو كمال للايمان ، وإن وقت هذا الخشوع هو كمال العمر ، وكيف يعرف المؤمن انه سيأتى له أن يعيش ساعة أو ما دونها ؟ إذن فالكلمة صارخة تقول : الآن الآن قبل ألا يكون آن .

أى : البدار البدار ما دمت فى نفس من العمر ، فان لحظة بعد « الآن » لا يضمّنها الحى ، وإذا فنى وقت الانسان إنتهى زمن عمله : فبقى الأبد كلّه على ما هو .

فالمعنى : ان الأبد للمؤمن الذى يدرك الحقيقة إن هو إلا اللحظة الراهنة من عمره التى هى « الان » فانظر - ويحك - وقد جعل الابد فى يدك انظر كيف تصنع به ؟ تلك هى حكمة اختيار اللفظة من معنى « الان » دون غيره على كثرة المعاني ثم قال : « للذين آمنوا » وهذا كالنص على أن غير هؤلاء لاتخشع قلوبهم لذكر الله ولا للحق فلا تقوم بهم الفضيلة ، ولا تستقيم بهم الشريعة ، وعالمهم وجاهلهم سواء لا يخشعان الا للمادة وكأن انسانهم انسان ترابى لا يزال يضطرب على مكر الليل والنهار بين الطرفين من الحيوان عيشه وموته وما تقسو الحياة قسوتها على الناس إلا بهم وما ترق رقتها إلا بالمؤمنين .

وجعل الخشوع للقلوب خاصة إذكان خشوع القلب غيرخشوع الجسم فالاخير ليس خشوعاً بل ذلا أو ضعة أو رياء أو نفاقاً ، وأما خشوع القلب فلن يكون إلا خالصاً مخلصاً محض الارادة واشترط القلب ، كأنه يقول : انما القلب هو أساس الايمان وهوينبع من قلب المؤمن لامن غيره متى كان هذا القلب خاشعاًلله وللحق .

فاذا لم يكن القلب على تلك الحال نبع منه الفسق والنفاق والكفر والرياء ، فخذ نفسك من قلبك كما شئت : حلواً من حلو أو مراً من مر وخشوع القلب لله تعالى وتجاه الحق معناه السموفوق حب الذات ، وفوق الاثرة والمطامع الفاسدة ، وهـذا هو الذى يضع للمؤمن قاعدة الحياة الصحيحة ، ويجعلها فى قـانونين لا قانون واحد .

ومتى خشع القلب لله تعالى وتجاه الحق عظمت فيه الصغائرمن قوة احساسه بها فيراها كبيرة كبيرة ، وان عمى الناس عنها ويراها وهى بعيدة عنه بمثل عين العقاب يكون فى لوح الجو ولا يغيب عن عينه ما فى الثرى وقد تخشع القلوب لبعض الاهواء خشوعاً هو شر من الطغيان والقسوة ، فتقيد خشوع القلب بذكر الله تعالى هو فى نفسه نفى لعبادة الهوى وعبادة الذات الانسانية فى شهواتها ، وما الشهوة عند المخلوق الضعيف إلا إله ساعتها ، فيا ما أحكم وأعجب قول رسول الله صلى الله عليه وآله : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولايسرق السارق حين

يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » جعل نزع الايمان موقوتاً بالحين الذى تقترف فيه المعصية إذلم يكن الله عند هذا الشقى هوإله ذلك الحين والخشوع لما نزل من الحق هو فى معناه نفىآخر للكبرياء الانسانية التى تفسد على المرإ كل حقيقة ، وتخرج به من كل قانون إذ تجعل الحقائق العامة محدودة بالانسان وشهواته لا بحدودها من الحقوق والفضائل ويخرج من هذا .

وذلك تقرير للارادة الانسانية وإلزامها الخير والحق دون غيرها وقهرها للذات وشهواتها وجعلها الكبرياء الانسانية كبرياء على الدنايا والخسائس لاعلى الحقوق والفضائل ...

وإذا تقرر كل ذلك إنتهى بطبيعته إلى إقرار السكينة فى النفس ، ومحو الفوضى منها وجعل نظامها فى إحساس القلب وحده ، فيحيا القلب فى المؤمن حياة المعنىالسامى ، ويكون نبضه علامة الحياة فى ذاتها وخشوعه لله تعالى وتجاه الحق علامة الحياة فى كمالها .

وقال : « ما نزل من الحق » كأنه يقول : ان هذا الحق لا يكون بطبيعته ولا بطبيعة الانسان أرضياً فاذا هو ارتفع من الارض ، وقرره الناس بعضهم على بعض لم يجاوز فى ارتفاعه رأس الانسان ، وأفسدته العقول إذ كان الانسان ظالماً متمرداً بالطبيعة لاتحكمه منأول تاريخه إلاالسماء ومعانيها وماكان شبيهاً بذلك مما يجيئه مـن أعلى أى بالسلطان والقوة فيكون حقا نازلا متدفعاً كما يتصوب الثقل من عال ليس بينه وبين أن ينفذ شىء والخضوع لما نزل مـن الحق ينفى خشوعاً آخرهو الذى أفسد ذات البين من الناس وهوالخشوع لما قام من المنفعة وانصراف القلب إليها بايمان الطمع لاالحق وبحمل الاية علىذلك الوجه يتحقق العدل والنصفة بين الناس ، فيكون العدل فى كل مؤمن شعوراً قلبياً جارياً فـى الطبيعة لا متكلّفاً من العقل ، وبهذا وحده يكون الانسان ارادة ثابتة على الحق فى كل طريق لا إرادة لكل طريق ، وتستمر هـذه الارادة متسقة فـى نظامها مع إرادة الله تعالى لا نافرة منها ، ولا متمردة عليها ، وهـذا وذلك يثبت القلب مهما

اختلفت عليه أحوال الدنيا ، فلا يكون من ايمانه إلاسموه وقوته وثباته ، وينزل العمر عنده منزلة اللحظة الواحدة .

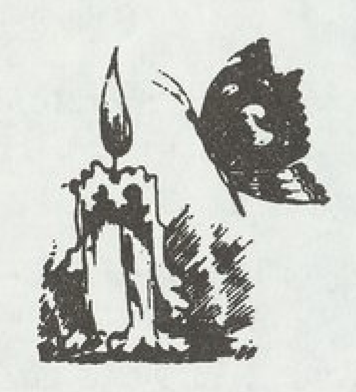
وما أيسر الصبر على لحظة ما أهون شر « الان » إن كان الخير فيما بعده ألم يأن ؟ ألم يأن ؟ ألـم يأن ؟ وهذا حياة اسلامية : حياة كوقعة الطير ، هى عمـل جناحين مستوفزين أبداً لعمل آخرهو الاقوى والاشد ، فلا ينزلان بطائرهما على شيء الا مطويين على قدرة الارتفاع به ، ولا يكونان أبداً الا هفهافين حفيفين على الطيران إذكانا فى حكم الجو لا فى حكم الارض ، وآلة الوقوع والطيران بالانسان شهواته ورغباته ، فان حطته شهوة لاترفعه فقد أوبقته وأهلكته ، وقذفت به ليوخذ وقد قال رسول الله الاعظم ﷺ : « لايبلغ العبـد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس » .

وهذا ضرب من خشوع القلب المؤمن فيما يحل له يدع أشياء كثيرة لابأس عليه فيها لو أتاها بتقوى على أن يدع ما فيه بأس ، فان الذى يترك ما هـو له يكون أقوى على ترك ما ليس له ، والنفس لابد وأن ترجـع يوماً إلى الاخـرة وتاركة أداتها ، فقوام نظامها فى الحياة الصحيحة أن تكون كل يوم كأنها ذهبت إلى الاخرة وجائت ، وتلك هى الحكمة فيما فرضته الشريعة الاسلامية من عبادة راتبة تكون جزءاً من عمل الحياة فى يومها وليلتها ، فاذا لـم تكن النفس فـى حياتها كأنما دائماً تذهب إلى مصيرها ، وترجع منه طمسها الجسم ، وحبسها فى إحدى الجهتين ، فلم يبق لها فيه إلا أثرضئيل لا يتجاوز النصح كاعتراض المقتول على قاتله يحاول أن يرد السيف بكلمة . . وبذلك يتضاعف الجسم فى قوته ويشتد فى صولته ويتصرف فى شهواته كأن له بطنين يجوعان معاً . .

فتستهلك شهوات المرء دينه وتقذف به يميناً وشمالا على قصد ، وعلى غير قصد ، وتمضى به كما شائت فى مدرجة مدرجة من الشر .

فحقيقة الدين هى كبرياء النفس على شرها وظلمها وشهواتها ، وان هـذه الكبرياء القاتلة للاثم هى فـى النفس اخت الشجاعة القاتلة للعدو الباغى يفخر البطل الشجاع بمبلغه من هذه ، ويفخر الرجل المؤمن بمبلغه من تلك وان خشوع القلب هو فى معناه حقيقة هذه الكبرياء بعينها .

وذلك معجزة من اعجاز السورة يعرفها القارىء المتدبر الخبير .



«التكرار»

ثلاث سور يشتمل كل واحدة منها تسعاً وعشرين آية :

١ ـ سورة الفتح) ٢ ـ سورة الحديد) ٣ ـ سورة التكوير .

وسبع سور إبتدأت بالتسبيح لله تعالـى على صيغه بالترتيب الاتى : واحدة منها بالمصدر وهى سورة الاسراء .

ثلاثة منها بالمضارع وهى سور الحديد والجمعة والتغابن .

اثنتان منها بالماضى وهما سورتا الحشر والصف .

واحدة منها بالامر، وهى سورة الاعلى استيعاباً للاقسام وفىذلك دلالة على أن التسبيح لله جل وعلا مستمر دائم فى جميع الاوقات من الازمنة الثلاثة : الماضى والحال والاستقبال .

وعلى انه تعالى منزه عن كل ما لا يليق بساحة الالوهية أزلا وأبداً .

ونشير فى المقام إلى صيغ تسع لغات ـ أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء فى بحث اللغة ـ جائت فى هذه السورة وفىغيرها من السور القرآنية :

١ ـ جائت كلمة (الولوج) على صيغها فى القرآن الكريم نحو ١٤ مرة .

٢ ـ « « (القرض) « « « « ١٣ مرة .

٣ ـ « « (القبس) « « « « ٣ مرات :

١ ـ سورة الحديد : ١٣) ٢ ـ سورة طه : ١٠) ٣ ـ سورة النمل : ٧) .

٤ ـ جائت كلمة (الامد) بصيغتها فى القرآن الكريم نحو ٤ مرات :

١ ـ سورة الحديد : ١٦) ٢ ـ سورة آل عمران : ٣٠) ٣ ـ سورة الكهف : ١٢) ٤ ـ سورة الجن : ٢٥)

٥ ـ جاءت كلمة (الغيث) على صيغها فى القرآن الكريم نحو٦ مرات :
١ ـ سورة الحديد : ٢٠) ٢ ـ سورة لقمان : ٣٤) ٣ ـ سورة الشورى : ٢٨)
٤ ـ سورة يوسف : ٤٩) ٥ و ٦ ـ سورة الكهف : ٢٩) .

٦ ـ جاءت كلمة(الاسى) على صيغها فى القرآن الكريم نحو ٤ مرات :
١ ـ سورة الحديد : ٢٣) ٢ ـ سورة الاعراف : ٩٣) ٣ و ٤ ـ سورة المائدة : ٢٦ ـ ٦٨) .

٧ ـ جاءت كلمة (الحديد والحد) على صيغها فى القرآن الكريم نحو ٢٥ مرة .

٨ ـ جاءت كلمة (القفو والقفا) على صيغها فى القرآن الكريم نحو٥ مرات :
١و٢ـ الحديد : ٢٧) ٣ـ الاسراء :٣٦) ٤ ـ البقرة : ٨٧) ٥ ـ المائدة : ٤٦) .

٩ ـ جائت كلمة (البدع) على صيغها فى القرآن الكريم نحو ٤ مرات :
١ ـ الحديد : ٢٦) ٢ـ الأحقاف : ٩) ٣ـ البقرة : ١١٧) ٤ـ الأنعام : ١٠١)

وفى تكرار الفعل : « يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل » وجوه :

أحدها ـ عن الشيخ البهائى قدس سره : ان المراد بتكرار الفعل : هو التنبيه على أمر مستغرب : وهو حصول الزيادة والنقصان معاً فى كل من الليل والنهار فى وقت واحد ، وذلك بحسب اختلاف البقاع كالشمالية عن خط الاستواء والجنوبية عنه سواء كانت مسكونة أم لا .

وذلك لان صيف الشمالية شتاء الجنوبية وبالعكس ، فزيادة النهار ونقصانه واقفان فى دقت واحد لكن فى بقعتين ، و كذا زيادة الليل ونقصانه .

ثانيها ـ : قيل : إن الجملة الاولى تدل على أن كلا منهما مولج فى صاحبه والثانية تدل على أن كلا منهما مولج فيه صاحبه ، وهذا معنى آخر غير الاول ، وهو وإن كان لازماً للاول إلا أن التصريح بما علم ضمناً للاهتمام والمبالغة أمر شائع ذائع خصوصاً فيما كان أمراً عظيماً ، فيه قوام العالم ونظامه ، فان الليل والنهار من ضروريات مصالح هـذا العالم ، وآيتان دالتان على وحدة الله تعالى

وكمال قدرته .

ثالثها ـ قيل : ان فى التكرار إشعاراً بتكرر هذا الامر واستمراره كما يقال لهذا المعنى : يفعل فلان ويفعل ويعطى ويعطى .

وهذا وجه وجيه .

رابعها ـ قيل : إن دلالة ايلاج كل واحد منهما فى صاحبه على ايلاج صاحبه فيه من الخارج لا من اللفظ ، فاذا علمنا فى الخارج أن ليس لليل صاحب إلا النهار ولا للنهار صاحب إلا الليل علمنا من قوله : « يولج كل واحد منهما فى صاحبه » ايلاج أيضا فيه ، وأما بالنسبة إلى اللفظ فلا دلالة له على ذلك أصلا ، فاذا قلنا : يولج الليل فى صاحبه ويولج النهار فى صاحبه ولم يعلم من الخارج أن صاحبهما ماذا ؟ فلا يعلم ايلاج صاحبه فيه البتة ، فنحتاج الى ذكره .

وأما ترك العطف فلكون الجملة صفة اخرى من الله تعالى أو استينافاً أو حالية مقدرة ، وفى العدول إلى المضارع دلالة على الاستمرار التجددى .



« التناسب »

إن البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ : التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولا .

ثانيها ـ : التناسب بينها وما قبلها مصحفاً .

ثالثها ـ : التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة الزلزال تحقيقاً ، فلما اشير في سورة الزلزال إلى ما سينبىء الله تعالى الانسان يوم القيامة من عمله في الحياة الدنيا خيره وشره صغيره و كبيره ، وأشير إلى بعض أشراط البعث من إضطراب الارض لم يسبقها بعد ، وفيها من الانذار بيوم البعث وأهواله ومن الحث على الخير والترهيب عن الشر .

جائت هذه السورة تدعو الناس كافة إلى الايمان وصالح العمل ، وتحث ذوى الثراة إلى بذل الاموال في اعلاء كلمة الحق ، وتحطيم أركان الباطل ، وترغب المؤمنين في القتال بالحديد والسلاح لتقطيع أذناب أهل الكفر والنفاق ، وتشير إلى عاقبة أصحاب التقوى ، وموقف أصحاب الفجور .

أما الثانية : فمناسبة هذه السورة بما قبلها مصحفاً فبأمور أهمها ثلاثة مع التداخل :

١ ـ لما ختم الله تعالى سورة الواقعة بالتسبيح بدء هذه السورة بالتسبيح معقبة بالدلائل الموجبة للتسبيح .

٢ـ ان اول هذه السورة واقع موقع العلة لآخر ماقبلها من الامر بالتسبيح ،

فكأنه قيل : سبح باسم ربك العظيم لانه سبح له ما فى السموات والارض .

ثم ذكر الادلة العديدة الواضحة لاثبات التوحيد و لياقة ذاته المقدسة للتسبيح دون من سواه ثم ذكر التكاليف الدينية بعد الامر بالايمان الذى له آثار عملية من إخبات النفس لله تعالى وحده ، واخلاص العمل له تعالى ، وترك الفواحش ماظهر منها وما بطن بقوله تعالى : « آمنوا بالله ورسوله » ثم ذكر من آثار الايمان التكليف المالى بقوله تعالى : « وأنفقوا مما جعلكم » الخ ثم ذكر ان المال عارية مستردة ممن هو عنده فهو ملك لله ، وان الانسان خلفائه تعالى فى تثمير المال لتحصيل السعادة له بتصريفه اياه فى الوجوه الخيرية ، ولاعلاء كلمة الحق ، وابطال الباطل .

٣ ـ ان الله تعالى لما قسم عباده فى السورة السابقة على طوائف ثلاث : السابقون ، وأصحاب اليمين ، واصحاب الشمال ، وختمها بأمر رسوله ﷺ بالتسبيح حثاً للعباد إلى التسبيح حتى يصير جميع عباده من أهل النعيم المقيم ، إبتدأ هذه السورة بان التسبيح لايختص بان يأتيه الانسان بل الكون وما فيه يسبح لله تعالى فى جميع الازمنة ثم صرح بان الطائفة الثالثة مع ذلك كله لماذا لا يؤمنون ؟ ولماذا لا يسبحون لله تعالى ؟ فقال : « سبح لله ما فى السموات والارض » ولا يخفى إن ختام السورة السابقة يصافح لبدء هذه السورة ، ويكون بدء هذه جواباً وتلبية للامر الذى ختمت به السورة السابقة .

وهذا التجاوب بين السورتين شاهد من الشواهد الكثيرة التى تشهد بان ترتيب السور توقيفى كترتيب الايات فى السور ، وان ترتيب الايات فى السور كترتيب الكلمات فى آياتها ، وان ترتيب الكلمات فى آياتها كترتيب الحروف فى كلماتها ، ولا يكون القرآن قرآناً إلا بهذا الترتيب . . .

وأما الثالثة : فلما افتتحت السورة بالتسبيح والتنزيه لله تعالى عما لايليق بساحة قدسه من الشرك والعجز والجهل اخذت بذكر أنواع من الادلة الواضحة والبراهين القاطعة على وحدانيته وكمال قدرته وإحاطة علمه جل وعلا ، وان كل ما فى هذا العالم الشاسع من الارض والسماء فى قبضته يصرفه كيفما يشاء

على ما تقتضيه الحكمة الالهية على طريقي الاجمال والتفصيل . .

فلما ثبت بالادلة ان هناك خالقاً ومخلوقاً وأمراً وتدبيراً أمر العباد والناس كافة بالايمان بخالقهم ، وبمن أرسله إليهم من خاتم الانبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاءهم فيه سعادتهم وعزهم وخيرهم وصلاحهم ونورهم ذكر ما فيه شقاءهم وذلهم وضلالتهم ترغيباً لهم في الاولى وترهيباً عن الثانية .

ثم أمرهم بالانفاق لاعلاء كلمة الله تعالى ، وتحطيم أركان الكفر والفساد ثم وبّخهم على ترك الايمان والانفاق تنبيهاً إلى موقف الناس تجاه الدعوة وصيرورتهم طائفتين : طائفة مؤمنون منفقون مع بيان تفاوت درجات المنفقين ، حسب تفاوت أحوالهم في الانفاق ، وتسابقهم في ذلك مع تحذيرهم أن يكونوا كأهل الكتاب الذين قست قلوبهم ففسقوا .

وطائفة كافرون ومنافقون ممسكون أصحاب البخل بالاجمال والتفصيل مع التنبيه إلى حال الحياة الدنيا التي اطمأن بها الطائفة الثانية ، وأشار إلى انّها من محقرات الامور التي لا يركن اليها إنسان عاقل فضلا عن أن يطمئن بها ، وانّها مع ذلك سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال إذ قال : « اعلموا انما الحياة الدنيا ـ ثم يكون حطاماً » ووصفها بصفات خمس كلها يتعلق بها هوى النفس ثم أشار إلى نتائج الانهماك فيها بقوله : « وفي الاخرة عذاب شديد » تحذيراً من العذاب ولمّا حقّر الحياة الفانية ، وصورها صورة الخضراء السريعة الانقضاء دعاهم إلى الحياة الباقية ، فقال : « سابقوا إلى مغفرة من ربكم » ثم أشار إلى فخامة شأن الاخرة ، وعظم ما فيها من الالام واللذات ترغيبا في تحصيل نعيمها المقيم .

ثم أشار إلى إرسال الرسل وإنزال الكتاب ، وحكمته من قيام العدل بين الناس بالدعوة والحديد ثم أمر أهل الكتاب بالايمان بخاتم الرسل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحثّهم على ذلك ، ورد عليهم في اختصاص فضل الرسالة بهم وفي تناسب أوائل السورة بختامها ما لا يخفى ، إذ في الاوائل دعوة الناس كافة إلى الايمان بالله تعالى ورسوله ، وفي ختامها دعوة أهل الكتاب خاصة اليه ، وهذا مشهد من مشاهد النظم والتأليف القرآني التي تكررت في أوائل سور عديدة وأواخرها .

﴿ الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ﴾

ما رأيت من الباحثين كلاماً يدل على أن فى السورة ناسخاً أو منسوخاً .

وقال بعض المفسرين : ان قوله تعالى : « عرضها كعرض السماء والارض » من الايات المتشابهات .

وذلك لان الله تعالى وصف الجنة بقوله هـذا وقد ورد فـى الأخبار : ان الجنة فى السماء السابعة فما وجه التوفيق إلا التوقيف .

أقول : وقد صح ماورد : ان الجنة فوق السماء السابعة وقد ورد أيضاً : ان كل سماء عالية أوسع من سماء دانية إلىأن تنتهى إلى السماء السابعة والكرسى والعرش « عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى » .

وذلك كالدوائر والنقطة بين الدائرة الاولى لان الدائرة الاولى تحيط على الدائرة وان الدائرة الثانية تحيط على الاولىوعلى النقطة معاًمع إضافتها وهكذا إلى انانتهت الدائرة الىالعرش وقد اشبعنا الكلام فىالسماوات السبع فى تفسير سورة الذاريات فراجع .

وقيل : ان عرضها كعرض السماء الدينا واما الجنة ففى السماء السابعة فلا منافاة بين ذلك .

أقول : وهذا مردود بقوله تعالى : « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدّت للمتقين » آل عمران : ١٣٣) .

وقال بعض المتأخرين : ان قوله تعالى: «لئلايعلم أهل الكتاب الايقدرون على شيء » الاية من المتشابهات .

أقول : انها من المحكمات عند جمهور المفسرين وسيتضح معناها انشاء الله تعالى والله جل وعلا هو أعلم .

﴿ تحقيق في الاقوال ﴾

١ - (سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم)

فيها أقوال :

١ - عن مقاتل : أي مجدالله تعالى وأثنى عليه بماهوأهله ونزهه عن السوء كل ما سوى الله بمقالته ونطقه كل بحسبه .

٢ - عن إبن عباس : أي صلى لله ما في السموات من الملائكة ومافي الارض من شيء فيه روح أولاروح فيه .

٣- قيل : التسبيح هو تسبيح الدلالة لاتسبيح المقالة إطلاقاً على ان العقلاء يسبحون لله تعالى بالقول والاعتقاد ، واما غيرهم فبالحال الدالة على وحدانية الله تعالى والصفات التي باين بها جميع خلقه لمافيه من الحجج على انه لايشبه خلقه على شمول « ما » للعقلاء وغيرهم .

٤ - قيل : اريد بما العقلاء فقط من الملائكة والجن والانس .

أقول : والاول هو الانسب بالاطلاق والسياق .

٢ - (له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير)

في « ملك » قولان : احدهما - قيل : الملك - بضم الميم - عبارة عن الملك بفتحها - وهو نفوذ الامر فهوسبحانه الملك القادر القاهر .

ثانيهما - قيل : أراد خزائن المطر والنبات وسائر الرزق .

أقول : وعلى الاول أكثر المفسرين وهوالانسب بظاهر السياق .

وفي « يحيي ويميت » أقوال :

١ ـ قيل : أي يحيي النطف وهي موات بأن يجعلها ، و هي جماد حيواناً ، ويميت الاحياء اذابلغوا آجالهم التى قدرها لهم .

٢ ـ قيل : أي يحيي الاموات للبعث ، ويميت الاحياء في الدنيا .

٣ ـ قيل : أي يحيي كل شيء ويميته ، فيشمل لكل إحياء وإماتة كايجاده تعالى الملائكة من غير سبق موت و إحيائه الجنين في بطن امه ، و إحيائه الموت في البعث ، وايجاده الجماد ميتاً من غيرسبق حياة ، واماتته الانسان في الدنياواماتته ثانياً في البرزخ على مايشير إليه قوله تعالى : « ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا إثنتين» المؤمن : ١١)

أقول : والاخير هو الانسب بالاطلاق .

٣ ـ (هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم)

في « الاول والاخر » أقوال :

١ ـ قيل : هو الاول قبل كل شيء بلاابتداء كان هو ولم يكن شيء موجود والاخر بعد فناء كل شيء بلاانتهاء له ، فيفنى الاشياء كلها ومافيها من الاعراض . ويبقى وجه ربك ذوالجلال والاكرام .

وذلك لأن الله تعالى سابق لجميع ماسواه من الخلق بمالايتناهى من تقدير الاوقات لانه قديم أزلي ، وماعداه محدث فان ، والقديم يسبق المحدث بمالايتناهى من تقدير الاوقات ، فالمراد بالسبق والاولية هو الذاتي لا الزماني فان الزمان من جملة الحوادث أيضاً والاخر هوالباقي بعدفناء الخلق حقيقة اونظراً إلى ذاتهم مع قطع النظر عن مبقيهم فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها فهي فانية .

٢ ـ قيل: هو الاول بيره إذ عرّف الانسان توحيده ، والاخر بجوده إذ عرّفه التوبة على ما عصاه ، قال السدى : الاول بيره إذ هداك ، والاخر بعفوه اذ قبل توبتك .

٣ ـ عن إبن عمر والضحاك : هو أول الاول ، وأخر الاخر .

وذلك لان كل مافرض اولا فهوتعالى قبله ، فهوالاول دون الشيء المفروض اولا ، و كل ما فرض آخراً ، فهوجل وعلا بعده لاحاطة قدرته بـه من كل جهة ، فهوالاخر دون الشيء المفروض .

٤ ـ قيل : هوالاول بالخلق والاخر بالرزق .

٥ ـ عن أبي بكر الوراق : الاول بالازلية والاخر بالابدية .

٦ ـ عن يمان : هوالاول القديم ، والآخر الرحيم .

٧ ـ عن البلخي : هو كقول القائل : فلان أول هذا الامر وآخره وظاهره وباطنه أي يدور عليه الامر وبه يتم .

٨ ـ قيل : هوالاول بلاتأويل ، والاخر بلاتأخير أحد ، و الظاهر بلا اظهار أحد ، والباطن بلا إبطان أحد .

٩ ـ قيل : هو الاول بكشف أحوال الدنيا حتى لا يرغبوا فيها ، و الاخر بكشف أحوال العقبى حتى لا يشكّوا فيها .

١٠ ـ قيل : ان الواوات مقحمة ، والمعنى : هوالاول الاخر والظاهر الباطن لان من كان منا اولا لا يكون آخراً ، ومن كان ظاهراً لايكون باطناً ، عن عبد العزيز بن يحيى .

١١ ـ قيل : هوالاول كان قبل كل شيء باسمائه و صفاته و كلامه لم يكن شيء غيره ، والاخر بعد كل شيء يمضي ماقد أراد ويجبر على مشيئته العباد لم يزل آخراً كما كان اولا ولايزال اولا كمايكون آخراً .

١٢ ـ قيل : هوالاول علماً وحكماً ، والاخر امضاءاً وقسماً .

١٣ ـ قيل : ان معناه : علمه تعالى بالاول كعلمه بالاخر .

١٤ ـ قيل الاول : هوالعلة الفاعلية والاخر هوالعلة الغائية ، و الظاهر هو العلة الصورية والباطن هو العلة المادية ، و هذا بناءاً على عدم استغناء المعلول عن العلة في الحدوث والبقاء ، وعدم اتحاد المعلول مع العلة والحلول فيهـا حيث ان قوام المركبات على العلل الاربع : الفاعلي والغائي والصوري والمادي .

١٥ - قيل : الاول فى الرحمانية والآخر فى الرحيمية .

١٦ - قيل : هو الاول بشرح الصدر و القلوب ، و الاخر بغفران المعصية والذنوب . . .

١٧ - قيل : هو الاول الذى تبتدأ منه الاسباب ، والاخر الذى تنتهى إليه المسببات ، فهو الاول بلحاظ المراتب واعتبار حيثية العلّية والمعلولية فانه تعالى بهذا اللحاظ أول العلل الفاعلية وآخر العلل الغائية لانه مسبب الاسباب وعلة العلل وغاية الغايات ونهاية النهايات .

وذلك لانا اذا نظرنا إلى سلسلة الموجودات الممكنة المتكونة بعضها من بعض نجد الله تعالى مبدأ تلك السلسلة ومنتهاها إذ تبتدىء منه سلسلة الاسباب ، وتنتهى إليه سلسلة المسببات ، فهو الاول فى عين آخريته ، والاخر فى عين اوليته ، والظاهر فى عين باطنيته ، والباطن فى عين ظاهريته من حيثية واحدة وباعتبار واحد فى آن واحد لاقتضاء ذاته المطلقة عن هذه الاعتبارات المختلفة والحيثيات المتباينة لاحاطته بالكل واستغنائه عن الكل .

قال بعض الظرفاء : إنى عرفت الله تعالى بجمعه بين الاضداد فتلا « هو الاول والاخر والظاهر والباطن » فقال : لايتصور الجمع بين الاضداد الامن حيثية واحدة واعتبار واحد فى آن واحد وهو تعالى بكل شىء من الاولية والاخرية والظاهرية والباطنية عليم إذ علمه عين ذاته وذاته محيط بالاشياء كلها اذ قال : « والله بكل شىء محيط » .

١٨ - قيل : هو الاول فى تركيب الموجودات ، والاخر فى تحليلها ، نظير الوحدة فى الاعداد ، فان مراتب الاعداد كلها تركيبها من الوحدة وتحليلها إلى الوحدة لاغير .

وبهذا اللحاظ قال تعالى: « والظاهر والباطن » فان مراتب الاعداد وظواهرها وبواطنها ليست إلا الوحدة .

١٩ - قيل : ان الاول والاخر مستغرقاً كل حقيقة الزمان والظاهر والباطن

مستغرقاً كل حقيقة المكان ، وهما مطلقتان فلا يجد الانسان كينونة لشيء إلا لله تعالى ، وان قوام كل شيء بوجوده سبحانه ، ولا يتحقق الوجـود إلا مستمداً من وجوده ، فهذا الوجود الالهي هـو الوجود الحقيقي الذي يستمد منه كـل شيء وجوده ، وهذه الحقيقة هي الحقيقة الاولـى التي يستمد منها كل شيء حقيقته ، وليس ورائها حقيقة ذاتية ، ولاوجود ذاتي لشيء في هذا الوجود كما قال : « وهو معكم أينما كنتم » .

فالأسماء الأربعة من فروع إسمه تعالى المحيط وهو فرع إطلاق القدرة ، فقدرته محيطة بكلشيء ويمكن تفريع الاسماء الاربعة على إحاطة وجوده بكل شيء ، فانه تعالى ثابت قبل ثبوت كل شيء وثابت بعد فناء كل شيء ، وأقرب من كل شيء ظاهر ، وأبطن من الاوهام والعقول من كل شيء خفي باطن .

وكذا للاسماء الاربعة نوع تفرع على علمه تعالى يشعر به ذيل الاية : «وهو بكل شيء عليم » .

أقول : والأول هـو المؤيد بالروايات الـواردة عـن طـريق أهـل بيت الوحي عليهم السلام ، والقريب منه الخامس والثامن والعاشر والحاديعشر والسابع عشر والتاسع عشر من الأقوال من غير تناف بينها فتدبر .

وفي قوله تعالى : « والظاهر والباطن » أقوال :

١ ـ قيل : أي يعلم الظاهر ، ويعلم الباطن .

٢ ـ عن إبن عباس : أي هو القاهر لما ظهر وما بطن ، وهو الغالب العالي على كل شيء والعالم بكل شيء .

وذلك لان كل شيء فرض ظاهراً فهو أظهر منه لاحاطة قدرته به من فوقه فهو الظاهر دون المفروض ظاهراً لكل شيء فرض انه باطن ، فهوتعالى أبطن منه لاحاطته به من ورائه فهو الباطن دون المفروض باطناً ، فهو تعالى الاول والاخر والظاهر والباطن على الاطلاق وما في غيره تعالى من هذه الصفات فهي إضافية نسبية .

٣ ـ قيل : أي الظاهر بالشواهد والادلة والباطن من إحساس خلقه وغير

مدرك بالحواس ، وقيل : الباطن الخبير العالم بكل شيء .

٤ - قيل : معنى الظاهر والباطن هو المراد بقوله تعالى : « الله الصمد » .

٥ - عن السدى : الظاهر بتوفيقه الانسان واحسانه عليه إذا أطاعه إذ وفقه للجود له ، والباطن بستره إذ عصاه ، فستر عليه .

٦ - عن إبن عمر : الظاهر بالاحياء ، والباطن بالاماتة .

٧ - عن الضحاك : هو أظهر الظاهر ، وأبطن الباطن .

٨ - قيل : الظاهر بلا إقتراب ، والباطن بلا إحتجاب .

٩ - عن أبى بكر الوراق : الظاهر بالاحدية ، والباطن بالصمدية .

١٠ - عن يمان : الظاهر : الحكيم ، والباطن : العليم .

١١ - قيل : الظاهر : الحليم ، والباطن : العليم .

١٢ - قيل : الظاهر على قلوب المؤمنين حتى يعرفوه ، والباطن على قلوب الاعداء حتى ينكروه .

١٣ - قيل : الظاهر صنعاً ورسماً ، والباطن كيفاً وقدراً .

١٤ - قيل : أى علمه تعالى بالظاهر كعلمه بالباطن .

١٥ - قيل : الظاهر فى الحكمة ، والباطن فى العلم .

١٦ - قيل : الظاهر بكشف الكروب ، والباطن بعلم الغيوب .

١٧ - قيل : الظاهر لان وجود الكثرة دلائله واضحة ، والباطن حقيقة فلا يحوم العقل حول إدراك كنهه فى الدنيا والاخرة .

أقول : والثانى هو المؤيد بالروايات .

٤ - (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير)

فى قوله تعالى : « فى سته أيام » أقوال :

١ - عن مجاهد : أى فى مقدار ستة أيام من الدنيا .

ولا شبهة ان الله تعالى كان قادراً على خلق السموات والارض ، وما بينهما في لحظة واحدة ، ولكنه جل وعلا خلقهما في هذه المدة لمصلحة ، ورتبهما على أيام الاسبوع ، فابتدأ بالاحد ثم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة ، فاجتمع له الخلق يوم الجمعة فلذلك سمى الجمعة .

٢ ـ عن إبن عباس : ان اليوم من الايام الستة التى خلق الله تعالى فيهما السموات والارض مقداره ألف سنة من سنى الدنيا .

٣ ـ عن الضحاك : أى في ستة آلاف سنة ، أى في مدة ستة أيام من أيام الاخرة ، وذلك لتفخيم خلق السموات والارض .

٤ ـ قيل : أى في ستة أطوار مختلفة .

٥ ـ قيل : إن ستة ايام غيب من غيب الله تعالى الذى لا مصدر لادراكه إلا هذا المصدر (القرآن) فعلينا أن نقف عنده ولا نتعداه ، والمقصود بذكرها هو الاشارة إلى حكمة التقدير والتدبير والنظام الذى يسير به الكون ، من بدئه إلى منتهاه .

٦ ـ قيل : في ذلك دلالة على أن الله تعالى خلق السموات والارض على ترتيب ، وأما المدة والفواصل بين ذلك فغيرمعلوم ، اذالمدة والزمان واليوم منتزعة عن بعد خلق السموات والارض والليل والنهار والشمس والقمر والكواكب والنجوم ، إذ ما كان قبل ذلك يوم .

وان ترتيب الحوادث على إنشاء شيء بعد شيء على ترتيب أدل على كون فاعله عالماً مدبراً يصرفه على اختياره ويجريه على مشيئته .

٧ ـ عن سعيد بن جبير : في ذلك تعليم للعباد التثبت والرفق في الامور ولتظهر قدرته للملائكة شيئاً بعد شيء .

أقول: والاول هو المروى .

وفي « ثم استوى على العرش » أقوال :

١ ـ عن الحسن : أى استوى أمره على الملك يعنى استقر ملكه ، واستقام

بعد خلق السموات والارض فظهر ذلك للملائكة ، وانما أخرج هذا على المتعارف من كلام العرب كقولهم : إستوى الملك على عرشه إذا انتظمت امور مملكته ، وإذا اختل أمر ملكه قالوا : ثل عرشه ، فالاستواء على العرش كناية عن الاخذ في تدبير الملك ولذا عقبه بالعلم بجزئيات الأحوال لان العلم من لوازم التدبير .

٢ ـ عن الجبائي : أي استوى عليه بأن رفعه .

٣ ـ عن الفراء والقاضي وجماعة : أي قصد إلى خلق العرش واستولى وظهر .

٤ ـ عن مالك بن أنس : إن الاستواء غير مجهول ، وكيفيته غير معلومة ، والسؤال عنه بدعة .

٥ ـ عن أبي حنيفة قال : امرّوه كما جاء أي لا تفسروه .

٦ ـ قيل : ان نهاية هذا الكون العظيم ، والعالم الشاسع يمكن أن يعيش هي العرش ، فلا سبيل لأحد لما ورائه ، والله تعالى محيط بما ورائه .

٧ ـ قيل ، أي على السماء ، والمراد استواءه عليها كونه قادراً على خلقها وإفنائها وتصريفها .

٨ ـ قيل : أي ان الله تعالى مستو على عرشه بغير حد ولا كيف كما يكون استواء المخلوقين .

وذلك لتنزهه تعالى عن الجهة والتمييز ، وفي تخصيص العرش بالذكر ، لأنه أعظم مخلوقاته ، وينتهي إليه الخلق .

٩ ـ عن أبي عبيدة : أي علا بمجده وصفاته وملكوته ، فليس فوقه فيما يجب له من معاني الجلال أحد ، ولا معه من يكون العلو مشتركاً بينه وبينه ، فهو العلي الأعلى اطلاقاً .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين ، وسيأتي البحث في العرش واستوائه سبحانه عليه تفصيلا في سورة البروج انشاء الله تعالى فانتظر .

وفي قوله تعالى : « وهو معكم أينما كنتم » قولان :

١ ـ قيل : إن المراد بالمعية : الاحاطة العلمية على سبيل المجاز المرسل.

٢ - قيل : أى هو تعالى معكم أينما كنتم بالعلم والقدرة والتدبير فى كل مكان وظرف ، وفى كل شيء وذرة على العموم ومع المؤمنين بالرحمة والنصرة على الخصوص .

أقول: والاخير هو الانسب بالوعد والوعيد .

٦ - (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور)

فى صدر الاية أقوال :

١ - عن إبن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدى والكلبى : أى يدخل الله تعالى ما نقص من أحدهما فى الاخر حتى يصير النهار خمس عشر ساعة ، وهو أطول مايكون ، ويصير حينئذ تسع ساعات ، وهو أقصر مايكون ، وكذلك العكس .

وذلك لان الله تعالى يزيد من جزء من الليل على النهار ، ويزيد من جزء من النهار على الليل ، فيدخل جزءاً من الليل فى النهار ، والعكس إذ يدخل نهار النصف الأول من السنة فى ليالها ، ويدخل ليالى النصف الثانى فى نهارها مع إدخال ليالى النصف الاول فى نهارها ، وادخال نهار النصف الثانى فى لياليها .

وذلك فى الافق المقابل لانه يصير ثمة قوس الليل قوس النهار وبالعكس ، ولهذا تكرر الايلاج ، فالليل الذى يلج عندنا فى النهار هو بعينه نهار ثمة يلج فى الليل ، وان البقاع الجنوبية أمرها على العكس باعتبار النصفين مطلقاً من غير اعتبار كل يوم وليلة بعينه .

٢ - عن إبن مسعود والجبائى: أى يجيىء الليل بعد النهار ويجيىء النهار بعد الليل فيختفى النهار ويظهر الليل ، وبالعكس ، وفى الليل نهار مطوى ، وفى النهار ليل مخفى .

وذلك على أن الآية تحتمل أن يدخل فيها تعاقب الليل والنهار ، فكأن زوال أحدهما ولوج فى الاخر فيدخل أحدهما فى الاخر باتيانه بدلامنه فى مكانه .

٣ - قيل : أى يقلب الله تعالى الليل والنهار ، ويقدرهما بحكمته كما يشاء

فيطول الليل ويقصر النهار تارة والعكس بالعكس تارة اخرى ويتر كهما معتدلين ثالثة ، وحيناً يجعل الفصل شتاء وحيناً ربيعاً وحيناً قيظاً وحيناً خريفاً على ما تقتضيه الحكمة الالهية .

أقول: والاول مروى عن أهل بيت الوحى عليهم السلام .

٧ ـ (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير)

فى الخطاب أقوال :

١ ـ قيل : خطاب لكافة الناس من المؤمنين والسامعين .

٢ ـ قيل خطاب للكافرين فقط ، فيدعوهم إلى الايمان والانفاق .

٣ ـ خطاب للمؤمنين فقط على أن الامر بالايمان أمر بترتيب آثاره عليه ومن الاثار الانفاق فى سبيل الله تعالى والطاعة فيما أمرهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

أقول: والاول هو الانسب بظاهر عموم السياق ، وتؤيده الايات التالية .

وفى قوله تعالى : « انفقوا » أقوال :

١ ـ قيل : أى تصدقوا .

٢ ـ قيل : أى انفقوا فى سبيل الله تعالى من تلك الاموال فلا تبخلوا مادام أمر مالكها الحقيقى بالانفاق ، وهو يقدر على أخذها منكم فيأخذها منكم .

٣ ـ قيل : اريد بالانفاق الزكاة المفروضة .

٤ ـ قيل : اريد بالانفاق وجوه الطاعات ، ومايقرب منه .

اقول: والثانى هو الانسب بظاهر السياق .

وفى قوله تعالى : « مستخلفين » أقوال :

١ ـ قيل : أى فى الاموال التى بأيديكم ، فهى ملك الله تعالى حقيقة انما وليكم إياها ، وخولكم الاستمتاع بها ، وأجاز لكم التصرف فيها ، فليست هى ملكهم واقعاً بل لكم ملكية اعتبارية ، فأنتم وكلاء فى تصرفات الاموال ، وما أعطاهم من القوى والقدرة ، فاذا علمتم ان ما بأيديكم وديعة من الله تعالى عندكم

سيستردها وأذن لكم فيها التصرف بما بيّن في كتابه الكريم ولسان رسوله ﷺ سهل عليكم الانفاق في إعلاء كلمة الله تعالى وفي وجوه البر ولم تتحرج أنفسكم من ذلك .

فاذا علمتم ذلك علمتم ان ما في هذه الدنيا لايدوم على أحد بل متاعها تركه السابقون لاخلافهم وماتوا ، وأنتم لستم بأولى منهم ، فانفقوه في سبيل الله تعالى وفي اعلاء كلمة الحق وإبطال كلمة الباطل .

وان المال مال الله والعباد عباد الله تعالى إلا انه قد جعل أرزاقهم متداولة بينهم بحكمته متعلقة بالوسائط والروابط ، فالسعيد من وفقه الله تعالى لرعاية حق الاستخلاف ، فيتصرف فيما آتاه على وفق ما أمره الله من الانفاق في سبيل الله قبل أن ينتقل منه إلى غيره بارث أو حادث كما انتقل من غيره اليه بأحد السببين ، وربما تسلب الملكية الاعتبارية عن تلك الاموال فتصير بلا مالك .

٢ - عن الحسن : أى جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في أيديكم بتوريثه إياكم ، فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم إليكم ، فسينتقل منكم إلى من بعدكم ، فجعلكم الله تعالى خليفة عمن سبقكم من الاجيال كما يخلف كل جيل عن سابقه ، فاغتنموا الفرصة فيها باقامة العدل قبل أن تزال عنكم إلى من بعدكم .

٣ - قيل : ان الله تعالى جعل الانسان خليفة في الارض كقوله تعالى : « اني جاعل في الارض خليفة » البقرة : ٣٠) .

أقول : والاول هو المؤيد بظاهر السياق وخاصة قوله تعالى : « وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض » الخ .

٨ - (وما لكم لاتؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين)

في قوله تعالى : « وقد أخذ ميثاقكم » أقوال :

١ - قيل : أى وقد أخذ الله ميثاقكم في الذر .

٢ ـ قيل : أى وقد أخذ الرسول ميثاقكم يوم آمنتم بالله تعالى وبرسوله وبما جاء به محمد رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، فاشهدتم على وحدانية الله تعالى ورسالة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى السمع والطاعة .

٣ ـ قيل : العموم بأن الله تعالى قد أخذ ميثاقكم في الذر ، وأشهدتم يوم الايمان لدى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

أقول : وعلى الاول جمهور المحققين من المفسرين ، وأمّا استبعاد بعضهم بأن الاول بعيد عن سياق الاحتجاج عليهم ، فانهم غافلون عنه ، وان أخذ الميثاق في الذرلايختص بالمؤمنين بل يعم المنافقين والكفار ـ فبعيد جداً لايناسب شأنه.

وفي « إن كنتم مؤمنين » أقوال :

١ ـ عن مجاهد : أى إن كنتم مؤمنين حقاً بالميثاق الذى أخذه عليكم يوم أخرجكم من ظهر آدم عليه السلام بأن الله ربكم لا إله لكم غيره .

٢ ـ قيل : أى إن كنتم مؤمنين بموسى وعيسى عليهما السلام فان شريعتهما تقتضى الايمان بمحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

٣ ـ قيل : أى إن كنتم مؤمنين بموجب الادلة والبراهين على وحدانية الله تعالى ، وعلى رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحقيّة ما جاء به .

٤ ـ قيل : أى إذ كنتم مؤمنين من قبل فالآن أحرى الاوقات ان تؤمنوا لقيام الحجج والاعلام ببعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد صحت براهينه .

وذلك لانهم كانوا يعترفون بالله تعالى ويقولون : لو جاء نبى لامنّا به .

٥ ـ قيل : هذا خطاب لقوم آمنوا وأخذ النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ميثاقهم فارتدوا .

٦ ـ قيل : ان المراد بالايمان ترتيب آثار الايمان وشرائطه ، ومن الاثار الانفاق في سبيل الله تعالى ، وفي وجوه البر .

وقيل : أى إن كنتم تقرون بشرائط الايمان .

أقول : وعلى الاول أكثر المفسرين .

٩ - (هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤف رحيم)

فى « آيات بينات » أقوال :

١ - قيل : أى القرآن .

٢ - قيل : أى المعجزات ، فلزمكم الايمان بمحمد ﷺ لما معه من المعجزات ، والقرآن الكريم أكبرها وأعظمها .

٣ - قيل : أى حججاً منيرة وبراهين واضحة وأدلة قاطعة .

أقول : والمعانى متقاربة .

وفى « ليخرجكم » أقوال :

١ - قيل : أى ليخرجكم الله تعالى بالقرآن الكريم والادلة الواضحة والبراهين القاطعة .

٢ - قيل : أى ليخرجكم الله بالرسول ﷺ .

٣ - قيل : أى ليخرجكم الرسول ﷺ بالقرآن الكريم وبالدعوة إلى الايمان بالله تعالى وبما جاء ، وباليوم الاخر .

اقول : ومرجع المعانى واحد .

١٠ - (وما لكم - من انفق من قبل الفتح - بما تعملون خبير)

فى « الفتح » قولان :

أحدهما عن قتادة وزيد بن أسلم : أى فتح مكة .

ثانيهما - عن الشعبى والزهرى : أى صلح الحديبية .

اقول : وعلى الاول جمهور المفسرين .

١١ - (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم)

فى القرض الحسن اقوال :

١ - عن الكلبى والقشيرى : أى الصدقة بلا من ولا أذى ، فيكون المتصدق

صادق النية طيب النفس يبتغي بها وجه الله تعالى دون رئاء وسمعة .

٢ - قيل : أى أن يكون الانفاق من الحلال فى سبيل الله تعالى واعلاء كلمة الحق وابطال الباطل وتحطيم أركانه وتقطيع أذناب أهله .

٣ - عن إبن حبان : القرض الحسن : هو أن يقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

٤ - عن زيد بن أسلم : القرض الحسن : النفقة على الأهل .

٥ - عن الحسن : التطوع بالعبادات .

٦ - قيل : انه عمل الخير إطلاقاً وعن مقاتل : أى طيبة بالانفاق نفسه .

٧ - قيل : القرض الحسن أن لايقصد المتصدق إلى الردى من ماله فيخرجه لقوله تعالى : « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » فيضاعف الجزاء من سبع الى سبعمأة .

٨ - قيل : أى أن يتصدق فى حال يأمل الحياة ، إذ قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم حين سئل عن أفضل الصدقة : « أن تعطيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش ولا تمهل حتى إذا بلغت التراقى قلت لفلان كذا ولفلان كذا » .

أقول : والثانى هو المؤيد بسياق السورة والرواية الاتية .

١٢ - (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم) .

فى الرائى أقوال :

١ - قيل : هو النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

٢ - قيل : اريد بالرائى كل من يصح منه الرؤية يوم القيامة إطلاقاً .

٣ - قيل : أى أيها الرائى من النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنون .

أقول: إن ظاهر الخطاب للنبى صلى الله عليه وآله ولكن الاخير غير بعيد .

وفى قوله تعالى : « يسعى نورهم » أقوال :

١ ـ عن الحسن : النور هو الضياء الذى يمرون به على الصراط ، وعن قتادة : ذكر لنا ان نبى الله ﷺ قال : « ان المؤمنين من يضيىء نوره كما بين المدينة وعدن أو ما بين المدينة وصنعاء ودون ذلك حتى يكون منهم من لا يضيىء نوره إلا موضع قدميه » .

وعن إبن مسعود : « يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نوراً من نوره على إبهام رجله ، فيطفأ مرة ويوقد اخرى » .

٢ ـ عن الضحاك : نورهم : أى هداهم ، وبايمانهم أى كتبهم .

فالمعنى : يسعى إيمانهم وصالح عملهم بين أيديهم ، وفى أيمانهم كتب أعمالهم .

٣ ـ قيل : اريد بالنور : القرآن ونور الولاية والايمان .

٤ ـ عن مقاتل : إن النور يكون دليلا لهم إلى الجنة .

أقول: والثالث هو المؤيد بالروايات الاتية من غير تناف بينه وبين غيره من الاقوال الاخر .

١٣ ـ (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب)

« قيل » فى القائل أقوال .

١ ـ قيل : القائل هو الله تعالى .

٢ ـ القائل هو الملائكة .

٣ ـ القائل : الانبياء عليهم السلام .

٤ ـ القائل : المؤمنون .

٥ ـ هذا جواب الحال فلا ينطق به أحد .

أقول : وعلى الثانى أكثر المفسرين ولكن الرابع غير بعيد عن السياق ،

وفي قوله : « ارجعوا وراء كم » أقوال :

١ ـ قيل : أي إرجعوا إلى ورائكم الموقف في النار ، فالتمسوا نوراً آخر مريدين بالنور الظلمة تهكماً وإستهزاء بهم .

٢ ـ قيل أي إرجعوا إلى المكان الذي قسّم فيه النور ، والتمسوا من هناك فيرجعون فلايجدون شيئاً، فينصرفون إليهم ، وقد ضرب بينهم بسور ، وهذا خدعة من الله تعالى يخدعهم بها كما كانوا هم في الحياة الدنيا يخادعونه ، قال تعالى : « ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم » النساء : ١٤٢) .

٣ـ قيل : اريد بالوراء : الدنيا أي ارجعوا إلى الدنيا التي تركتموها وراء ظهوركم ، وعملتم فيها من النفاق والعصيان ، فالتمسوا نوراً لو كان لاعمالكم وعقيدتكم نوراً إذ النور يؤخذ من العقيدة والعمل ، فليس لهم إيمان ولا عمل صالح ، وهذا على سبيل التعجيز بأنكم لا تستطيعون على ذلك .

٤ ـ عن إبن عباس : أي ارجعوا الى المحشر حيث اعطينا النور ، فيرجعون فلا يجدون نوراً ، وذلك اذ تغشى الجميع ظلمة شديدة ثم يقسم النور ، ويعطى المؤمن نوراً ويترك الكافر والمنافق في ظلمة شديدة .

أقول: وعلى الاخير أكثر المفسرين مع تقاربه من الثاني بوجه فتدبر .

وفي قوله : « بسور » أقوال :

١ ـ عن مجاهد وابن زيد : السور هو الاعراف ، لقوله تعالى : « وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال » الاعراف : ٢٦) .

٢ ـ قيل : السور الحاجز الذي يحجز حزب الله تعالى عن حزب الشيطان فيفصل به بين المؤمنين وبين الكافرين والمنافقين .

٣ ـ عن قتادة : السور : الحائط بين الجنة والنار .

اقول : والمعاني متقاربة .

١٤ ـ (ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور)

في « فتنتم » أقوال :

١ ـ عن مجاهد : أى أهلكتم أنفسكم بالكفر والنفاق ، وان كنتم تظاهرون بالاسلام .

٢ ـ قيل : أى استعملتم أنفسكم فى الفساد والعناد والعصيان وكلها فتنة .

٣ ـ عن ابن سنان : اى اهلكتم انفسكم بالمعاصى .

٤ ـ عن أبى نمير الهمدانى : أى اهلكتم انفسكم بالشهوات واللذات .

اقول: والاول هو المؤيد بالروايات الاتية ، من غير تناف بينه وبين غيره من الاقوال .

وفى قوله : « تربصتم » اقوال :

١ ـ عن مقاتل : أى تربصتم بموت محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكنتم تقولون : يوشك ان يموت محمد صلى الله عليه وآله وسلم فنستريح منه .

٢ ـ قيل : اى كنتم تنتظرون بالمؤمنين دوائر السوء لتلتحقوا بالكفار وتتخلصوا من النفاق .

٣ ـ قيل : أى انتظرتم بالتوبة فتقولون نأتى ما تشتهيه انفسنا ثم نتوب فيستغفر الله لنا .

٤ ـ قيل : اى تربصتم ان لا يصل إليكم ما اوعدكم الله تعالى به من النار والعذاب .

اقول: والثانى مؤيد بما ورد فى المقام .

وفى قوله تعالى « ارتبتم » أقوال :

١ ـ قيل : أى شككتم فى الايمان بالله تعالى وبكتابه وما وعدهم الله تعالى فيه وبالنبوة .

٢ ـ قيل : أى شككتم فى الدين وفى وعيد الله تعالى .

٣ ـ قيل : أى شككتم فى نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

٤ ـ قيل : أى فى البعث والحساب والجزاء .

اقول: وعلى الثانى اكثر المفسرين .

وفى قوله تعالى : « وغرتكم الامانى » أقوال :

١ - قيل : أى غرتكم الاباطيل والاوهام والخيالات الواهية مما كانوا يتمنّون من نزول دوائر السوء على المؤمنين ، وضعفهم حتى جاءهم الموت فلم يصلوا إلى ما تمنوا .

٢ - عن إبن عباس : أى غرتكم الدنيا ومتاعها ، فنسوا الآخرة فصدتكم عن سبيل الله تعالى وأضلتكم .

٣ - قيل : أى غرّتكم ما كنتم عليه من الكفر والطغيان ، وما كنتم تتمنون بشفاعة آلهتهم لهم فى الاخرة .

٤ - قيل : أى غرتكم كثرة الاجال وطول الامال .

٥ - عن أبى سنان : الأمانى هى قولهم : سيغفر لنا .

٦ - عن قتادة : الامانى هنا خدع الشيطان .

٧ - عن بلال بن سعد : الامانى : ذكرك حسناتك ونسيانك سيئاتك .

أقول : وعلى الثانى أكثر المحققين .

وفى قوله تعالى : « حتى جاء أمر الله » أقوال :

١ - قيل : امر الله هو الموت .

٢ - قيل : أمر الله تعالى : نصرة الله تعالى نبيه وغلبته على الكافرين .

٣ - عن قتادة : أمر الله تعالى : إلقاء المنافقين فى النار .

أقول : والأول هو الاظهر .

وفى قوله تعالى : « وغرّكم بالله الغرور » أقوال :

١ - عن عكرمة ومجاهد وقتادة وإبن زيد : أى الشيطان فأطمعكم بالنجاة من عقوبته ، والسلامة من عذابه .

٢ - عن الضحاك : أى الدنيا .

٣ - قيل : تأخير العقاب والعذاب .

أقول : والاول هو المروى .

١٥ ـ (فاليوم لايؤخذ منكم فدية ولامن الذين كفروا مأواكم النار هى مولاكم وبئس المصير)

فى « مولاكم » أقوال :

١ ـ قيل : مولاكم أى مصيركم .

٢ ـ قيل : أىان النارهى موضعكم الذى تقربون منه ، وتصلون إليه حيث ان المولى موضع الولى ، وهو القرب .

٣ ـ قيل : أى النار أولى بكم .

٤ ـ قيل : أى لامولى لكم ، وذلك لان من كانت النار مأواه ، فلا مولى له كما يقال للذليل والحقير : إن الخذلان والذلة ناصره والبكاء معينه ، أى لاناصر له ولا معين ، كما قال الله تعالى : « وان الكافرين لا مولى لهم » .

اقول : وعلى الثانى أكثر المفسرين .

١٦ ـ (الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون)

فى قوله تعالى : « لذكر الله » قولان : أحدهما ـ إن المراد بذكر الله : هو ما يذكر به الله تعالىمن الاذكار ثانيهما ـ اريد بذكرالله وما نزل من الحق جميعاً هو القرآن الكريم .

اقول : والاخيرهو الاظهر فالقرآن على وصفيه من كونه ذكر الله وكونه حقاً يستدعى الخشوع .

وفى قوله تعالى : « فطال عليهم الامد فقست قلوبهم » أقوال :

١ ـ أى طال على أهل الكتاب مدة الجزاء على الطاعات فقست قلوبهم ، فعدلوا عن الواجب وعملوا بالباطل فلم يعاجلوا بالجزاء فاغتروا بذلك .

٢ ـ قيل : أى طال عليهم الامد ما بين زمانهم وزمان موسى عليه السلام .

٣ ـ قيل : أى طال عليهم الامد ما بين نبيّهم وزمن موسى عليه السلام .

٤ ـ قيل : أى طال أمر الاخرة .

٥ ـ قيل : أى طالت المدة نبيهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم .

٦ ـ قيل : أى طالت اميالهم إلى الدنيا وآمالهم إلى نيلهم بزخارفها فقست قلوبهم ، واعرضوا عن الحق والمواعظ .

٧ ـ قيل : أى طالت اعمارهم فى الغفلة ، فحصلت القسوة فى قلوبهم لذلك وسائت اعمالهم .

٨ ـ قيل : أى طالت آمالهم بظهور نبى ورسول .

٩ ـ عن مقاتل بن سليمان بن مقاتل : أى طال على مؤمنى أهل الكتاب امد خروج محمد صلى الله عليه وآله وسلم واستبطئوا بعثة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

١٠ ـ قيل : أى طال عهدهم بسماع التوراة والانجيل ، فزال وقعهما عن قلوبهم فقست فاخترعوا كتاباً من عند انفسهم استحلته انفسهم ، وكان الحق يحول بينهم وبين كثيرمن شهواتهم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون .

اقول : والتاسع هو الانسب بسياق السورة من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر .

١٧ ـ (اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون) .

فى « يحيى الارض بعد موتها » اقوال :

١ ـ أى يحيى الارض الجدبة بعد موتها بالمطر والنبات .

٢ ـ أى يلين القلوب بعد موتها بسبب القسوة ، فالمواظبة على الذكر سبب لعود حياة الخشوع إليها .

٣ ـ أى يحيى الارض بالعدل بعد الظلم والجور والفساد .

٤ ـ أى يحيى الكافر بالهدى إلى الايمان بعد موته بالكفر والضلالة ، كما يحيى الارض بالمطر بعد موتها .

٥ ـ اى يحيى الموتى من الامم ، ويميز بين الخاشع قلبه وبين القاسى قلبه .

أقول: والثالث هو المؤيد بالروايات الاتية عن طريق أئمة أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين ، وعليه اكثر المحققين ، وظاهر السياق يؤيد ذلك أيضاً فتدبر جيداً .

١٨ ـ (ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم)

فى « المصدقين والمصدقات » قولان :

أحدهما ـ أى المصدقين بالله تعالى ورسوله وبما أنزله الله تعالى وهذا على قرائة تخفيف الصاد .

ثانيهما ـ أى المصدقين بالصدقات بأموالهم على الفقراء وذوى الحاجة .

أقول: والاخير هو الظاهر .

وفى « وأقرضوا الله قرضاً حسناً » أقوال :

١ ـ أى وأقرضوا الله تعالى قرضاً حسناً بالصدقة والنفقة فى سبيل الله جل وعلا .

٢ ـ عن الحسن : أى كل ما فى القرآن من القرض الحسن فهو التطوع .

٣ ـ قيل : أى هو العمل الصالح من الصدقة وغيرها محتسباً صادقاً .

٤ ـ قيل : أى أنفقوا فى سبيل الله تعالى لاعلاء كلمة الحق ، وتحطيم أركان الباطل .

اقول: والاخير هو الاظهر وعليه أكثر المفسرين .

١٩ ـ (والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم)

فى الصديقين أقوال :

١ ـ عن مقاتل بن حيان : هم الذين آمنوا بالرسل ولم يكذبوهم طرفة عين مثل مؤمن آل فرعون وصاحب آل ياسين وعلى بن أبيطالب عليه السلام .

٢ ـ قيل : هم وأصحاب الاخدود .

٣ ـ عن مجاهد : هم كل مؤمن صديق وشهيد .

اقول: والاخير هو المروى .

وفى « الشهداء » أقوال :

١ ـ قيل : هم أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذين سرى الصدق فى أقوالهم وأفعالهم وعقيدتهم فيفعلون ما يقولون ويقولون مايعتقدون به ، عن مجاهد وزيد بن أسلم.

فالكلام على هذا متصل بما قبله ، فالشهداء هم الذين شهدوا لله تعالى بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة .

٢ ـ عن الكلبى ومقاتل بن حيان ومسروق والفراء والزجاج : هم الانبياء عليهم السلام إذ هم يشهدون يوم القيامة على اممهم بالتصديق والتكذيب لقوله تعالى : « فكيف إذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » .

٣ ـ قيل : الشهداء هم الملائكة .

٤ ـ قيل : هم أهل بيت الرسول صلوات الله عليهم أجمعين .

٥ ـ قيل : هم شهداء الاعمال يوم القيامة دون الشهداء بمعنى المقتولين فى سبيل الله تعالى .

٦ ـ عن إبن عباس أيضاً ومقاتل بن سليمان : هم الذين قتلوا فى سبيل الله جل وعلا .

٧ ـ عن إبن عباس ومسروق أيضاً والضحاك : هم غير الصديقين ، فالشهداء على هذا منفصل عما قبله .

٨ ـ قيل : الشهداء هم امم الرسل السابقة يشهدون على أنفسهم يوم القيامة بما عملوا فى الحياة الدنيا من الكفر والايمان ، ومن الطاعة والمعصية .

وعن الكلبى أيضاً : هم يشهدون لانبيائهم بتبليغهم الرسالة إلى اممهم .

اقول: والاول هو ظاهر السياق وتؤيده الروايات الآتية فانتظر .

٢٠ - (اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور)

في « لعب ولهو » أقوال :

١ - عن قتادة : اللعب : الاكل ، واللهو : الشرب .

٢ - قيل : اللعب : الباطل واللهو : كل شيء يتلهى به ثم يذهب .

٣ - عن مجاهد : كل لعب لهو .

٤ - قيل : اللعب : ما رغب في الدنيا واللهو ما ألهى عن الاخرة وشغل عنها فيشغل الانسان عما يعنيه ويهمه ويشغل فيما لايعنيه ولا يهمه ، وان الحياة الدنيا لعب باطل ، ولهو فرح ثم ينقضي .

٥ - قيل : اللعب : الاقتناء ، واللهو : النساء .

٦ - قيل : لعب : ما لا ثمرة له كلعب الصبيان ، ولهو كلهو الفتيان ، وزينة كزينة النسوان ، وتفاخر كتفاخر الاقران ، وتكاثر كتكاثر الدهقان فالدنيا كتلك الاشياء في الفناء والزوال ، فالحياة في دار الدنيا ومتاعها بمنزلة اللهو واللعب لابقاء لهما كما لابقاء لهما .

أقول: والرابع هو الانسب بالسياق وعليه أكثر المفسرين .

وفي « زينة » أقوال :

١ - قيل : الزينة ما يتزين بها الكفار في الحياة الدنيا .

٢ - قيل : الزينة ما تتحلى في أعين أهلها ثم تتلاشى .

٣ - قيل : الزينة : الملابس الفاخرة .

اقول: ولكل وجه من غير تناف بينها .

وفي قوله تعالى : « وتفاخر بينكم » أقوال :

١ ـ عن إبن عباس : أي يفخر بعضكم على بعض بالدنيا ومتاعها إذ يفاخر الرجل بها قرينه وجاره .

٢ ـ قيل : اى يفاخر بعضهم على بعض بالخلقة والقوة .

٣ ـ قيل : أى يفتخر بعض على بعض بالانساب على عادة العرب الجاهلية في المفاخرة بالآباء والعظام البالية .

أقول: والتعميم غير بعيد وهو الانسب بظاهر الاطلاق .

وفى « أعجب الكفار » قولان :

أحدهما ـ إن المراد بالكفار الزراع والحراث لان العرب تقول للزارع الكافر لانه يكفر البذر الذى يبذر بتراب الارض ، وإذا أعجب الزراع نباته مع علمهم به ، فهو فى غاية الحسن .

ثانيهما ـ عن الحسن والزجاج : اريد بالكفار الكفار بالله تعالى ورسوله ، وبماجاءهم وهم إعجاباً بزينة الحياة الدنيا وزخارفها وحرثها من المؤمنين لانهم لايرون سعادة إلا الدنيا والانتفاع من لذاتها .

اقول: وعلى الاول أكثر المفسرين .

وفى « وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » أقوال :

١ ـ عن سعيد بن جبير : متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الاخرة ، ومن اشتغل بطلبها فهى له متاع بلاغ إلى ما هو خير منه .

٢ ـ أى تغر الدنيا الكفار ، وأما المؤمن فالدنياله متاع بلاغ إلى الجنة .

٣ ـ قيل : أى العمل للحياة الدنيا متاع الغرور تزهيداً فى العمل للدنيا وترغيباً فى العمل للاخرة ، فتلك الاشياء كالدنيا فى عرضة الزوال والفناء .

اقول: والمعانى متقاربة .

٢١ ـ (سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

في « سابقوا إلى مغفرة من ربكم » أقوال :

١ ـ قيل : أى سابقوا إلى ترك المعاصي والذنوب .

٢ ـ قيل : أى سابقوا إلى الايمان والعمل الصالح ، وهما الموجبان المغفرة لكم من ربكم .

٣ ـ عن الكلبي : أى سابقوا إلى ما يوجب المغفرة من التوبة ، فانها تؤدى إلى المغفرة .

٤ ـ عن مكحول : أى سابقوا إلى التكبيرة الاولى مع إمام الجماعة .

٥ ـ أى سارعوا إلى الصف الاول مع الجماعة .

٦ ـ قيل : أى سارعوا إلى النبي الكريم صلى الله عليه وآله .

٧ ـ قيل : أى سابقوا إلى إستحقاق ثواب جنة عرضها كعرض السماء والارض .

اقول : والثاني هو ظاهر السياق .

وفي « عرضها كعرض السماء والارض » أقوال :

١ ـ قيل : اريد بالعرض سعة الجنة ، فليس العرض مقابل الطول ، ولكل واحد جنّة بهذه السعة .

وقيل : عنى بذلك جنة واحدة من الجنات .

٢ ـ قيل : اريد بالعرض ما يقابل الطول ، فاقتصر بذكر العرض للمبالغة في السعة ، والعرض : هوأقصر الامتدادين يكون كعرض السماء والارض لووصل بعضها ببعض .

فاذا كان عرض الجنة كذلك فكيف طولها ، وانّها تعبر عن سعة الشيء بعرضه دون طوله .

٣ ـ قيل : اريد بذلك البسطة كقوله تعالى : « فذو دعاء عريض » .

٤ ـ عن الحسن : أى جميع السموات والارضين مبسوطتان ، كل واحدة إلى صاحبتها .

أقول : وعلى الثاني أكثر المفسرين ، ولكن الاول غير بعيد .

٢٢ - (ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير)

في مصيبة الارض والانفس أقوال :

١ - عن مقاتل : ان المصائب في الارض هي قحط المطر ، وقلّة النبات ، ونقص الثمار ، ومصيبة الانفس هي الامراض ، وقال قتادة : مصيبة الارض : الجدب ومصيبة الانفس الاوصاب والاوجاع .

٢ - قيل: المصائب في الارض : هي عدم الامنية لاهلها بالغزوات والمقاتلات بين الملوك والامم والقبائل والاغتشاش بينهم تعقبها الفقر والمعيشة ضنكاً ، ومصيبة الانفس : هي الامراض المتنوعة الجديدة .

٣ - عن إبن عباس : مصيبة الارض في الدين ومصيبة الانفس في الدنيا .

٤ - عن إبن حبان : مصيبة الانفس : هي إقامة الحدود .

٥ - عن إبن جريج : مصيبة الانفس : هي ضيق المعاش .

اقول : وعلى الاول أكثر المفسرين .

وفي قوله تعالى : « في كتاب » أقوال :

١ - قيل : الكتاب هو اللوح المحفوظ الذى كتب فيه ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة .

٢ - قيل : هو القرآن الكريم لانه تبيان كل شيء .

٣ - قيل : الكتاب هو علم الله تعالى .

اقول : وعلى الاول أكثر المحققين .

وفي « من قبل أن نبرأها » أقوال :

١ - عن إبن عباس : أى من قبل أن يخلق الله تعالى المصيبة .

٢ - عن سعيد بن جبير وإبن زيد : أى من قبل أن يخلق الارض والنفس .

وذلك لان المصائب والنفوس والرزق والاشياء كلها مما تحب وتكره فرغ

الله تعالى من قبل أن يخلقها .

٣ ـ قيل : انّ الاية تتصل بما قبلها ، وهـو أن الله تعالى هون عليهم ما يصيبهم في الجهاد من قتل وجرح وبين ان يخلفهم عن الجهاد من المحافظة على الاموال ، وما يقع فيها من خسران فالكل مكتوب مقدر لامدفع له ، وانّما على المرء إمتثال الامر .

٤ ـ عن إبن عباس وقتادة والضحاك : اى من قبل ان يخلق الانفس .

اقول : والثاني هو الانسب بظاهر السياق .

٢٣ ـ (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لايحب كل مختال فخور)

في الفائت والاتي اقوال :

١ ـ عن إبن عباس : هما متاع الدنيا .

٢ ـ عن سعيد بن جبير : هما العافية والخصب .

٣ ـ عن إبن عباس ايضاً : الصبر عند المصيبة والشكر عند النعمة .

اقول : والتعميم هو الانسب بالاطلاق .

٢٤ ـ (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هـو الغني الحميد)

في صدر الاية اقوال :

١ ـ عن عامر بن عبد الله : اى كل من يبخل بما آتاه الله تعالى ، فلا ينفق ولا يتصدق منه ، ولا يؤدى حقه في وجوه البر .

٢ ـ عن السدى والكلبي : اريد بالباخلين رؤساء اليهود الذين بخلوا ببيان صفات النبي الكريم صلى الله عليه وآله التي جائت في التوراة لئلا يؤمن بـه الناس ، فتذهب مأكلتهم .

٣ ـ عن سعيد بن جبير : اى الذين يبخلون بالعلم ، ويأمرون الناس بالبخل

لئلا يعلم الناس شيئاً .

٤ ـ عن زيد بن اسلم اى الذين يبخلون بأداء حق الله تعالى من الواجبات والمندوبات إطلاقاً .

اقول : والاول هو الانسب بترغيب السياق الناس فى الانفاق فى سبيل الله تعالى .

٢٥ ـ (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز)

فى الرسل أقوال :

١ ـ قيل : هم الملائكة الذين ارسلوا الى أنبياء الله تعالى عليهم السلام اذ قال تعالى : « ولقد جائت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما » هود : ٦٩) .

٢ ـ قيل : هم الانبياء عليهم السلام إلى الامم .

٣ ـ قيل : العموم والشمول .

اقول: والثانى هو الظاهر .

وفى البينات أقوال :

١ ـ قيل : البينات هى المعجزات الباهرات ، والدلائل الظاهرات ، والحجج البالغات ، والشرائع الظاهرة .

٢ ـ قيل : البينات هى أعمال الرسل التى يدعون بها الناس إلى طاعة الله تعالى ، والاعراض عما سوى الله تعالى .

٣ ـ قيل : البينات هى الكتب السماوية التى أنزلها الله تعالى على أنبيائه وهى خمسة : كتاب نوح ، وكتاب ابراهيم ، والتوراة ، والانجيل، والقرآن الكريم وقيل : ستة باضافة الزبور لداود إلى الخمسة المذكورة ، وقيل : ثلاثة عشر ومأة كتاب ، وقيل : ثلاثة ومأة كتاب .

٤ ـ قيل : البينات هى الاخبار السابقة ، والمعنى : أوحينا إليهم خبر ما

كان قبلهم .

٥ ـ قيل : البينات هي الاخلاص لله تعالى في العبادة ، وأقام الصلاة وايتاء الزكاة ، بذلك دعت الرسل نوح فمن دونه إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

اقول: : والاول هو الصواب لذكر الكتاب بعد ذلك ، وفي الميزان أقوال :

١ ـ عن إبن زيد والجبائي ومقاتل بن سليمان : أي ما يوزن به الاثقال من ذي الكفلين ، وهو الذي يوزن به الاعيان يتعامل بها الناس .

٢ ـ قيل : هو العدل بين الناس فالمعنى : أنزلنا العدل ليقوم الناس به في معاملاتهم وتجاراتهم في الاشياء الموزونة وفي عقائدهم وأعمالهم وأقوالهم .

٣ ـ قيل : الميزان : العقل وهذا هو الذي يوزن به الاعراض .

٤ ـ قيل : الميزان : الدين الذي يوزن به عقائد الناس وأعمالهم ، وهو الذي به قوام حياة الانسان السعيدة مجتمعين ومنفردين .

اقول: وعلى الاول اكثر المفسرين ، وهو الانسب بجملة تالية ، وان كان للاخير نوع تلائم بما قبله من ذكر الرسل والكتاب .

وفي إنزال الحديد أقوال :

١ ـ قيل : انزال الحديد : خلقه ثم اتخذت آلات الحروب منه .

٢ ـ قيل : أي ارسلنا مادة الحديد من السماء ، وقيل : هي السلسلة التي انزلها الله تعالى على داود عليه السلام .

٣ ـ قيل : انزل من السماء ما يوجد به الحديد كالنبت بالمطر .

٤ ـ عن إبن عباس : نزلت مع آدم عليه السلام ثلاثة اشياء : السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة .

وفي رواية : انزل الله تعالى اربع بركات من السماء إلى الارض : الحديد والنار والماء والملح .

اقول: والاول هو المروي وان تسمية الخلق في الارض تنزيلا وإنزالا باعتبار ان الله جل وعلا يسمي ظهور الاشياء في الكون بعد ما لم يكن إنزالا لها من

خزائنه التي عنده، ومن الغيب إلى الشهادة نظير قوله تعالى : « وانزل لكم من الانعام ثمالية ازواج » الزمر : ٦) .

وقولـه : « وإن مـن شيء الا عندنا خزائنه ومـا ننزله إلا بقـدر معلوم » الحجر : ٢١) .

٢٧- (ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريـم وآتينـاه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها مـا كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حـق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون)

في « رأفة ورحمة » اقوال :

١ ـ قيل : اى مودة ، فكان يواد بعضهم بعضاً .

٢ ـ قيل : هـذا اشارة الـى انهم امروا فـى الانجيل بالصلح ، وترك ايذاء الناس وألان الله تعالى قلوبهم لـذلك ، بخلاف اليهود الذين قست قلوبهم وحرفوا الكلم عن مواضعه .

٣ ـ قيل : الرأفة : اللين والرحمة : الشفقة والرقة.

٤ ـ قيل : الرأفة : تخفيف الكل ـ بفتح الكاف ـ والرحمة تحمل الثقل .

٥ ـ قيل : الرأفة أشد الرحمة .

أقول: والثالث هو الانسب بمعناهما اللغوى .

وفى « رهبانية ابتدعوها » اقوال :

١ ـ عن أبى على والزجاج : أى ابتدعوا الرأفة والرحمة رهبانية ابتدعوها وهذا على اضمار فعل وضمير المفعول راجع إلى الرأفة والرحمة . ٠

٢ ـ قيـل : أى ابتدعـوا رهبانية ابتدعوها ، على اضمار الفعل فقـط على شريطة التفسير .

٣ ـ قيل : ان الجملة عطف على الرأفة والرحمة ، فالمعنى : ان الله تعالى أعطاهم رأفة ورحمة ، فغيروهما وابتدعوا فيهما .

٤ ـ قيل : الرهبانية هي حملهم أنفسهم على المشقات في الامتناع من المطعم والمشرب والنكاح والتعلق بالكهوف والصوامع ، وذلك ان ملوكهم غيروا وبدلوا ، وبقي نفر قليل منهم ، فترهبوا وتبتلوا .

٥ ـ عن الضحاك : ان ملوكا بعد عيسى عليه السلام ارتكبوا المحارم ثلاثمأة سنة فانكرها عليهم من كان بقي على منهاج عيسى ، فقتلوهم فقال قوم بقوا بعدهم : نحن إذا نهيناهم قتلونا ، فليس يسعنا المقام بينهم ، فاعتزلوا الناس واتخذوا الصوامع .

٦ ـ عن قتادة : الرهبانية التي ابتدعوها رفض النساء واتخاذ الصوامع ولحوقهم بالبراري والجبال .

٧ ـ عن ابن عباس : كانت ملوك بعد عيسى بدلوا التوراة والانجيل ، وكان فيهم مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل ويدعون الى دين الله تعالى فقال : اناس لملكهم لو قتلت هذه الطاعة فقال المؤمنون : نحن نكفيكم انفسنا فطائفة قالت : ابنوا لنا اسطوانة ارفعونا فيها واعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا ولا نرد عليكم ، وقالت طائفة : دعونا نهيم في الارض ونسيح ونشرب كما شرب الوحوش في البرية ، فاذا قدرتم علينا فاقتلونا .

٨ ـ قيل : أي ابتدع الصالحون المتقدمون رهبانية فما رعاها المتأخرون حق رعايتها .

اقول : وعلى الثاني أكثر المفسرين .

وفي « ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله » أقوال :

١ ـ عن إبن مسلم : ما أمرناهم إلا بما يرضى الله تعالى .

٢ ـ عن الزجاج : ما كتبنا عليهم إلا ابتغاء رضوان الله تعالى فلم نكتب عليهم شيئاً ألبتة بناء على كون « الا ابتغاء رضوان الله » بدلا من ضمير « ها » في « كتبناها » .

٣ ـ قيل : ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله .

اقول : وعلى الأخير أكثر المفسرين ، وهو المؤيد بما يأتى من الرواية .

وفى « فما رعوها حق رعايتها » أقوال :

١ ـ قيل : أى انهم ما أقاموا على تلك السيرة ولكنهم ضموا إليه التثليث والالحاد إلا اناساً منهم أقاموا على دين عيسى حتى أدركوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فآمنوا به .

٢ ـ ان اكثرهم لم يتوسلوا بها إلى مرضاة الله ولكنهم جعلوها سلماً إلى المنافع الدنيوية .

٣ ـ قيل : لم نفرضها أولا عليهم بل كانت على جهة الاستحباب ثم فرضناها عليهم فمارعوها إلا قليلا منهم آمنوا بمحمد صلى الله عليه واله بعد ان استقاموا على الطريقة ، وهذا على إضمار الفعل .

٤ ـ قيل : إن الصالحين من قوم عيسى ابتدعوا الرهبانية وانقرضوا عليها ثم جاء بعدهم من لم يرعها كما رعاها الحواريون .

أقول : وعلى الاول اكثر المحققين مع تقاربه بالاخير .

٢٨ ـ (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم)

فى « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله » اقوال :

١ ـ قيل : اى آمنوا بمحمد رسول الله صلى الله عليه واله فلا تكذبوه بعد ما آمنوا بربه .

٢ ـ عن إبن عباس والضحاك : اى إعترفوا بتوحيد الله تعالى ، وصدقوا بموسى وعيسى عليهما السلام وخافوا الله يا اهل الكتاب وآمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله فلا تكذبوه بعد ما آمنتم بالله وصدقتموهما .

٣ ـ قيل : اى يا ايها الذين آمنوا يوم الميثاق بالله جل وعلا ، واقررتم به آمنوا بالله ورسوله اليوم ، فآمنوا بالعلانية ، فانطقوا باللسان .

٤ ـ قيل : أى يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله باللسان والظاهر آمنوا

بالقلب وتصديق الباطن ، فلا تكونوا كالمنافقين يصدقون باللسان ويضمرون الكفر.

أقول : والثانى هو الأنسب بظاهر السياق .

وفى « يؤتكم كفلين من رحمته » أقوال :

١ ـ عن إبن عباس ومجاهد والضحاك وابن جريج : أى يعطيكم الله يا أهل الكتاب نصيبين من الاجر فى الآخرة : أجر لايمانكم بموسى وعيسى والانبياء قبل محمد عليهم السلام وأجر لايمانكم بمحمد صلى الله عليه واله حين بعث نبياً .

٢ ـ قيل : « كفلين » : ضعفين بلسان الحبشة .

٣ ـ عن إبن زيد : أى أجرين : أجر فى الدنيا واجر فى الاخرة .

أقول : والاول هو الاظهر وعليه اكثر المفسرين .

وفى « ويجعل لكم نوراً تمشون به » اقوال :

١ ـ عن مجاهد : اى بياناً وهدى تهتدون به ، وفيه البيان لكل خير ، وصلاح لانسان .

٢ ـ عن إبن عباس : النور هو القرآن الكريم ، وبه يستحق الضياء الذى يمشى به يوم القيامة على الصراط إلى الجنة ، وهو النور المذكور فى قوله : « يسعى نورهم » .

٣ ـ قيل : النور هو الايمان يمشى به فى الناس ، وهو النور المذكور فى قوله : « او من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً » .

فتمشون بنور الايمان بين الناس فى الحياة الدنيا تدعونهم إلى الاسلام ، فتكونون رؤساء فى دين الاسلام لاتزول عنكم رئاسة كنتم فيها ، وذلك انهم خافوا ان تزول رياستهم لو آمنوا بمحمد صلى الله عليه واله وانما كان يفوتهم اخذ رشوة يسيرة من الضعفة بتحريف احكام الله تعالى لا الرئاسة الحقيقية فى الدين .

أقول : وعلى الثانى اكثر المفسرين ولكن لكل وجه من غير تناف بينها .

٢٩ ـ (لئلا يعلم أهل الكتاب الا يقدرون على شىء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

فى الفضل اقوال :

١ - قيل : الفضل هو الاسلام والايمان .

٢ - عن عكرمة : الفضل : خلاف المرسوم .

٣ - قيل : الفضل : ثواب الله تعالى .

٤ - عن الكلبى : الفضل : رزق الله تعالى .

٥ - قيل : الفضل : نعم الله تعالى التى لاتحصى .

٦ - عن قتادة : ان المراد من فضل الله تعالى هنا النبوة .

فالمعنى : لايقدر اهل الكتاب على نبوة الانبياء عليهم السلام ولا على صرفها عمن شاء الله جل وعلا ان يخصه بها فيصرفونها عن محمد صلى الله عليه واله إلى من يحبونه بل بيد الله يعطها من يشاء ممن هو اهل لها ويصلح لها .

وذلك لانهم كانوا يرون ان الله تعالى قد فضلهم على جميع الخلق ، فاعلمهم الله انه قد أتى امة محمد صلى الله عليه واله من الفضل والكرامة ما لم يؤتهم .

٧ - عن إبن عباس : المعنى : لان لايعلم اهل الكتاب انهم لايقدرون ان يؤمنوا اى لكى يعلموا انهم يقدرون على ان يؤمنوا ، فيحوزوا الفضل والثواب .

٨ - قيل : اى لئلا يعلم اليهود والنصارى ان النبى صلى الله عليه وآله والمؤمنين لايقدرون على ذلك ، فقد علموا انهم لايقدرون عليه ، فان آمنتم كما امركم الله آتاكم الله من فضله ، فعلم اهل الكتاب خلافه ، وعلى هذا فالضمير فى « يقدرون » ليس لأهل .

٩ - عن أبى سعيد السيرافى قال : المعنى : ان الله يفعل بكم هذه الأشياء لئلايعلم اى ليتبين جهل اهل الكتاب وانهم لا يعلمون ان ما يؤتيكم الله من فضله لايقدرون على تغييره وإزالته عنكم .

١٠ - قيل : اى لئلا يعتقد اهل الكتاب ان النبى صلى الله عليه وآله والمؤمنين لا يقدرون على شيء من فضل ولكى يعتقدوا ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء .

أقول : وعلى السابع اكثر المحققين .

﴿التفسير والتأويل﴾

١ - (سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم)

نزه الله جل وعلا وبرأه عما لايليق به من الشرك والنقص والعجز والجهل والسوء كل ما سواه من أهل السموات والأرض بمقالتهم ونطقهم وأحوالهم كل بحسبه وإن لم نفهم تسبيح الكل .

قال الله تعالى : « تسبّح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » الاسراء : ٤٤) .

وقال : « ألم تر ان الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه » النور : ٤١) .

وقال : « وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين» الأنبياء : ٧٩) .

وهو القادر الذي لايمتنع عليه شيء ، فلاينازعه في ملكه شيء وهو الغالب على كل شيء فلا يغلب عليه شيء .

وهو الحكيم في الخلق والتدبير ، فيفعل أفعاله وفق الحكمة والعليم بوجوه الصواب .

قال الله تعالى : « وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير » الانعام : ١٨) .

٢ - (له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير)

لله جل وعلا التصرف والسلطان في جميع مافي السموات والأرض من الايجاد والافناء وإنفاذ أمره في خلقه ، فلا يعجزه شيء ولايمتنع منه شيء ولا لأحد منعه منه ، وبيده حياة كل شيء وموته يحيي مايشاء من الخلق ويميته حيثما يريد ،

وهوذوقدرة لايتعذر عليه شيء أراده من إحياء واماتة وإعزازوإذلال إلى نحوخلقه.

قال الله تعالى: « ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير » المائدة : ١٧) .

وقال : «الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا » الفرقان : ٢) .

وقال : « لله ملك السموات والارض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء اناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أويزوجهم ذكراناً واناثاً ويجعل من يشاء عقيماً انه عليم قدير » الشورى : ٤٩ ـ ٥٠)

وقال : « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير » آل عمران : ٢٦)

وقال : « انماامره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون» يس : ٨٢ ـ ٨٣) ونعم ما قال الشاعر:

أما والذى أبكى وأضحك والذى	أمات وأحيى والذى أمره الامر

٣ ـ (هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم)

ان الله تعالى لم يزل ولايزال بلا بدء ولانهاية لايقع عليه سبحانه الحدوث ولايحول من حال إلى حال ، فان أوليته عين آخريته وآخريته عين اوليته ، فلا اول لأوليته ، ولاآخر لآخريته ، فهو الأول لاشيء قبله والآخر لا غاية له ، وهو الاول قبل كل اول والاخر بعد كل آخر وبأوليته وجب ان لا أول له ، وبآخريته وجب ان لاآخر له ، فهو الاول الذى لا غاية له فينتهى ولا آخر له فينقضى .

فهو الأول قبل كل شيء بغير حد فى أوليته ، وهو الاخر بعد كل شيء بغير نهاية فى بعديته لانه تعالى كان ولم يكن موجود سواه ، وهوكائن بعد فناء الاشياء كلها « كل شيء هالك الا وجهه » .

وهو الظاهرأى الغالب القاهر العالى فى صنعه الدال على قدرته وحكمته ،

وهو الباطن أى العالم الخبير الذى بطن كل شيء علماً فهو يبطن الاشياء ويرى سرائرها ويعلم خفاياها مع خفاء كنهه و كيفه وقدره تعالى .

فهو الظاهر على هذا الوجود بسلطانه وعظمته وهو الباطن لهذا العالم بعلمه ومعرفته ، الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين ، والباطن بجلال عزته عن فكر المتوهمين ، الظاهر لقلوب العباد بحجته ، والباطن الذى خرق علمه باطن غيب الستراب ، الظاهر قبل أن يكون باطناً ، والباطن قبل أن يكون ظاهراً ، كل ظاهر غيره غير باطن و كل باطن غيره غير ظاهر ، وهو الظاهر لا برؤية ، والباطن لا بلطافة لأن الظاهر من الاجسام ماكان مرئياً بالبصر ، والباطن منها ماكان لطيفاً جداً إما لصغره أو لشفافيته والبارى تعالى ظاهر للبصائر لا للابصار وباطن أى غير مدرك بالحواس لأن ذاته لاتقبل المدركية لامن حيث لطافة الحجم أو لشفافة الجرم .

فهو الظاهر على كل شيء دونه بآثاره وأفعاله ، وهو العالى فوق كل شيء اذ لا شيء أعلى منه ، والباطن فى حقيقة الاشياء بعلمه بما بطن ، وخفى ، فلا شيء أقرب إليه منه « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » .

فليست أوليته جل وعلا ، ولا آخريته ، ولا ظهوره ولا بطونه زمانية ولا مكانية بمعنى مظروفيته لهما وإلا لم يتقدمها ولا تنزه سبحانه عنهما بل هو محيط عليم بالاشياء إطلاقاً .

« وهو بكل شيء عليم » ما كان منه وما هو كائن مما لم يكن فلا يخفى عليه شيء « فلا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين » .

فيعلم خطورات قلوبكم ونياتكم وأقوالكم وأفعالكم ومتقلبكم ومثواكم وحسناتكم وسيئاتكم وطاعتكم وطغيانكم ، عليم بظواهركم ، وعليم ببواطنكم .

٤ - (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير)

ان الله جل وعلا هو الذى خلق السموات والارض ومابينهما فى مقدار ستة أيام من أيام الدنيا ثم استوى أمره على الملك والتدبير .

قال : « الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ـ يدبر الامر من السماء إلى الارض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون » السجدة : ٤ ـ ٥)

يعلم ما يدخل فى الارض من مطر وغيره وما يستتر فيها ، وما يغوص فى باطنها من بذور ومعادن وغيرها . . .

ويعلم ما يخرج من الارض من نبات وحيوان وجماد وزروع ، وثمار ، وما يتفجر من عيون ، وما يستخرج منها من معادن وغيرها . . .

ويعلم ما ينزل من السماء من رزق ومطر وملك ووحى وأشعة وشهاب ثاقب وغيرها . . .

ويعلم ما يصعد فى السماء وإليها من ملائكة ودعوات وصلوات وصالح الاعمال وغيرها . . .

قال تعالى : « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » فاطر : ١٠) .

وقال حكاية عن ابراهيم عليه السلام : « ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن ومايخفى على الله من شىء فى الارض ولا فى السماء » ابراهيم : ٣٨) .

وقال : « ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين » الانعام : ٧٩) .

وقال : « سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » يس : ٣٦) .

والله سبحانه معكم أينما كنتم من بر أو بحر ، فى ليل مظلم أو فى نهار منير فى البيوت أو فى القفار ، فالجميع فى علمه واحاطته بكل شىء علماً وتدبيراً وقدرة على السواء من غير فرق فى ذلك بين محمد رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله ليلة الاسراء عند سدرة المنتهى ، وبين يونس النبى عليه السلام حين كان فى بطن

الحوت إذ نسبته جل وعلا الى جميع الأمكنة والأزمنة والاحوال سواء فانه تعالى يحيط بعلمه وقدرته وتدبيره بكل شيء وبكل ذرة أينما كان وكيفما تكون « أينما تولـوا فثم وجـه الله » البقرة : ١١٥) « وان الله قـد أحـاط بكل شـيء علماً » الطلاق : ١٢) .

وقال عز وجل : « ألا انه بكل شيء محيط » فصلت : ٥٤) .

محيط بالاشراف والقدرة والعلم والتدبير ، فان الاشياء كلها باب واحد وهي فعله لا يشغل ببعضها عن بعض يدبر أعلى الخلق من حيث يدبّر أسفله ، ويدبر أوله من حيث يدبر آخره من غير عناء ولا كلفة ولا مؤنة ولا مشاورة ولا نصب .

قال تعالى : « وهو الذي في السماء إله وفي الارض إله وهو الحكيم العليم » الزخرف : ٨٤) .

وانه سبحانه بكل مكان وفي كل حين وأوان ومع كل انس وجن وملائكة ...

وهو جل وعلا يبصر أعمالكم ويراها ظاهرها وباطنها ، ولا يخفى عليه شيء منها ويعلم سركم ونجواكم .

قال تعالى : « وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ـ واعلموا ان الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه » البقرة ٣٣ ـ ٢٣٥) .

وقال : « سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » الرعد : ١٠) .

وقال : « ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألاحين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور » هود : ٥) .

٥ ـ (له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور)

لله جـل وعلا ملك السموات والارض وما فيهن ، وبيده تعـالى أمر الخلق والتدبير في هذه الحياة الدنيا واليه سبحانه يرجع جميع امور الخلق في الاخرة فيحكم بينهم بالحق وينبئهم بما كانوا يعملون .

قال : « لله ملك السموات والارض وما فيهن » المائدة : ١٢٠) .

وقال : « ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله » هود : ١٢٣) .

وقال : « كل إلينا راجعون » الانبياء : ٩٣) .

وقال : « إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون » المائدة ١٠٥) .

وقال : « الملك يومئذ لله يحكم بينهم » الحج : ٥٦) .

٦ - (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور)

هو الذى يدخل فى النهار ما ينقص من الليل ، ويدخل فى الليل ماينقص من النهار ، وهو جل وعلا عليم بما فى القلوب التى فى الصدور من خواطر وسرائر ونيات : خيرها وشرها كما يعلم ظواهر الاعمال صالحها وفاسدها . . . فاحذروه جداً.

قال الله تعالى : « ذلك بأن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وان الله سميع بصير » الحج : ٦١) .

وقال : « يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك » فاطر : ١٣) .

وقال : « قل إن تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله » آل عمران : ٢٩).

وقال : « واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور » المائدة ٧) .

٧ - (آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم اجر كبير)

يا أيها الناس آمنوا بالله ورسوله فأقروا بوحدانية الله تعالى ، وصدقوا رسوله صلى الله عليه وآله فيما جاءكم به من عند الله واتبعوه وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، وأنفقوا مما خولكم الله من المال الذى أورثكم عمن كان قبلكم فجعلكم خلفاءهم فيه فى سبيل الله واعلاء كلمته وإبطال الباطل .

فالذين آمنوا بالله ورسوله صلى الله عليه وآله منكم أيها المؤمنون أو الناس وأنفقوا فى سبيل الله تعالى لهم أجر كبير فى الاخرة .

٨ - ﴿ وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين ﴾

وأى عذر لكم ايها الناس في ترك الايمان ، وما يمنعكم من الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله والرسول يدعوكم إلى ما ركب في عقولكم من معرفة الصانع وصفاته لتؤمنوا بربكم ويتلوا عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج ، ووضوح الدلائل على وحدانية الله تعالى وصدق رسوله وحقية كتابه .

وقد أخذ الله تعالى ميثاقكم في الذر ، وفيما أودع الله جل وعلا فيكم وركبكم به ، واعطاكم العقل ومكنكم من النظر ، وازاح عللكم فما لكم لا تؤمنون إن كنتم بموجب الايمان مما فطركم عليه فلزمتكم الحجج العقلية من فطرة العقول والسمعية من دعوة الرسول صلى الله عليه وآله .

قال الله تعالى : « وإذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى » الاعراف : ١٧٢) .

وقال : « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم » الروم : ٣٠) .

٩ - ﴿ هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤف رحيم ﴾

ان الله تعالى هو الذى ينزل مرة بعد مرة على عبده النبي الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم آيات قرآنية ليخرجكم بذلك من ظلمة الشرك والكفر إلى نور الاخلاص والايمان ومن ظلمة الجهل والضلالة إلى نور العلم والهدى ، ومن ظلمة الظلم والمعصية الى نور العدل والطاعة ، ويعيد اليكم الفطرة التى فطركم عليها إذ أفسدتموها بالكفر والعصيان وهذا رأفة من الله تعالى .

وان الله تعالى بكم لرؤف حيث يهديكم إلى سعادة الدارين بارسال الرسل وإنزال الكتب ، ونصب الادلة القاطعة رحيم يجازى كل محسن على إحسانه .

١٠ ـ (وما لكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل اولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير)

وأى شيء لكم فى ترك الانفاق، وما يمنعكم فى الانفاق بعض مارزقكم الله تعالى من الاموال فى سبيل الله جل وعلا وإعلاء كلمة الحق، وإبطال الباطل، فتحصل لكم السعادة والزلفى عند الله تعالى وأنتم تموتون وتخلفون أموالكم، وهى صائرة إلى الله جل وعلا ولله ميراث السموات والارض فانهما راجعتان إليه بانقراض من فيهما كرجوع الميراث إلى الوراث.

لا يستوى منكم أيها المسلمون من أنفق من قبل فتح مكة أو قبل صلح الحديبية وقاتل ومن انفق وقاتل بعد ذلك لان الاولين إنما فعلوا ذلك قبل عزة الاسلام وقوة أهله عند كمال الحاجة إلى النصرة بالمال والانفس فهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار.

وأما الاخرون ففعلوا ذلك بعد ظهور الاسلام ودخول الناس فيه أفواجاً وقلة الحاجة إلى الانفاق والقتال والنصرة فشتان بين الفريقين: السابقون والاخرون.

وكلا من السابقين والاخرين وعدهم الله تعالى الجزاء الجزيل والثواب الجميل، ولكن مع تفاوت الدرجات كل بحسبه.

وان الله تعالى بما تعملون خبير.

قال الله تعالى: «والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم» التوبة: ١٠٠).

١١ ـ (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله اجر كريم)

من ذا الذى ينفق فى سبيل الله تعالى وإعلاء كلمة الحق وابطال الباطل، وتقطيع أذناب اهله إطلاقاً حتى يبدله الله تعالى بالاضعاف الكثيرة إلى ما شاء الله

تعالى من الاضعاف في الدنيا والأجر الكثير في الاخرة قال الله تعالى : « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً » البقرة : ۲۴۵)

وقال : « واقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً » المزمل : ۲۰) وما ورد في ذلك فمن باب التأويل .

۱۲ - (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم)

يوم ترى ايها الرسول ﷺ فيه المؤمنين بالله ورسوله وبما جاءهم والمؤمنات يسعى نور ايمانهم ونور إهتدائهم ونور ولايتهم بالائمة أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين بين قدامهم ، وجانب أيمانهم كل حسب درجات الايمان والاهتداء والولاء فيظهر النور ويتجسم فيهدون بهذا النور إلى الجنة ونعيمها ، فتقول لهم الملائكة : بشراكم ايها المؤمنون والمؤمنات جنات تجرى من تحت مساكنها وأشجارها أنهار من ماء وانهار من لبن وأنهار من خمر وأنهار من عسل وانتم مؤبدون دائمون فيها ، فلا تموتون فيها ولا تفنى نعيمها ذلك هو الظفر المطلوب العظيم .

قال الله تعالى : « يوم لايخزى الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم » التحريم : ۸) .

وقال : « فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى انزلنا » التغابن : ۸) .

وقال . « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه » الزمر : ۲۲) .

۱۳ - (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب)

يوم يرى المنافقون والمنافقات إن المؤمنين والمؤمنات قد زايلوا موقف الحشر ، وانطلقوا وأخذوا طريقهم إذ يسعى بهم نورهم إلى الجنة ونعيمها ، فيركب

المنافقين والمنافقات الكرب ويستبد بهم الفزع ، فيحاولون أن يتعلقوا بأذيال المؤمنين ، وأن يلحقوا بهم ، فيقولون للمؤمنين : أمهلونا قليلا فنأخذ من نوركم ونمشى بكم ونتعرف على طريق السلامة بالجرى على آثاركم تقول الملائكة أو المؤمنون للمنافقين والمنافقات : ارجعوا إلى موقفكم الذى أخذ أهله نوراً كل بحسبه ، فالتمسوا هناك نوراً بالايمان وصالح الاعمال ، فلا ايمان لهم ولا عمل صالح .

فضرب عندئذ بين المؤمنين والمؤمنات وبين المنافقين والمنافقات بحائل بين شق الجنة وشق النار ، لذلك السور باب لاهل الجنة يدخلون منه فيها باطن السور ، وهو الشق الذى يلى الجنة فيه الرحمة وظاهر الباب ما ظهر لاهل النار من جهة النار العذاب ، فيبقى المنافقون والمنافقات فيها .

وما ورد فى المقام من الرواية فمن باب التأويل فتدبر .

١٤- (ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الامانى حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور)

ينادى المنافقون والمنافقات المؤمنين والمؤمنات بعد ما ضرب الحائل بين الطائفتين ، ودخل كل طائفة بما اقتضته عقيدتهم وأعمالهم ، فأهل الايمان وصالح العمل فى الرحمة ، وأهل النفاق والفساد فى الظلمة والشقاء - : ألم نكن معكم أيها المؤمنون فى الحياة الدنيا يريدون بذلك موافقتهم لهم ظاهراً ، قال المؤمنون بلى كنتم معنا بحسب الظاهر ، ولكنكم محنتم أنفسكم بالنفاق ، وأهلكتموها بالعصيان ، وكنتم تنتظرون بنا دوائر السوء ، فكنتم مع الشيطان وأتباعه من اليهود والكفار خفاء وحقيقة ، ولذلك أهلكتم أنفسكم باللذات والمعاصى وشككتم فى الدين والبعث والحساب والجزاء فلم تؤمنوا واقعاً .

وغرتكم الامانى إذ كنتم تقولون : لو كان البعث والجزاء حقاً فان الله تعالى سيغفر لنا فنحن نستلذ بكل اللذات وننهمك فى الشهوات فالله رؤف رحيم .

وما زلتم كذلك حتى جاء أمر الله فحضركم الموت وغركم الشيطان بالله

الغرور إذ يسوسكم: ارتكبوا المعاصي وأتوا بما تشتهيه أنفسكم ستتوبون لان الله غفور سيغفر لكم ورحيم لايعذبكم.

قال الله تعالى في المنافقين: «وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ـ رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لايفقهون ـ ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ويتربص بكم الدوائر ـ لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة في قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم» التوبة: ٤٥ ـ ٨٧ ـ ٩٨ ـ ١١٠).

وقال: «يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ـ ليس بامانيكم ولا اماني أهل الكتاب من يعمل سوء يجزبه ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً» النساء: ١٢٠ ـ ١٢٣).

١٥ ـ (فاليوم لايؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ماواكم النار هي مولاكم وبئس المصير)

فيوم القيامة لايؤخذ منكم أيها المنافقون فدية لو جمّعتموها وإن كثرت ولا تؤخذ من الذين كفروا فلن يقبل منكم بدل ولا عرض ولا نفس اخرى، مصيركم ومقركم النار، التي هي أولى بكم لما أسلفتم من فساد العقيدة وطالح العمل، وسائت هذه النار مصيراً تأوون اليها.

قال الله تعالى: «يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعاً ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعوا من أدبر وتولى» المعارج: ١١ ـ ١٧).

وقال: «ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهباً ولو افتدى به اولئك لهم عذاب أليم ومالهم من ناصرين» آل عمران: ٩٠ ـ ٩١).

وقال: «والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعاً ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد» الرعد: ١٨).

وقال : « ان الذين كفروا لوأن لهم ما فى الارض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم » المائدة : ٣٦) .

١٦ - (ألم يان للذين امنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون)

أما حان وآن للمؤمنين أن تلين وترق قلوبهم لذكر الله تعالى إذا تليت عليهم آياته جل وعلا ، ولم يجيء وقت ذلك لما يذكرهم الله بكتابه المنزل الحق ويعظهم .

وان القرآن الكريم على كونه ذكراً وحقاً نازلا من عند الله تعالى يستدعى الخشوع من المؤمنين ، قال الله تعالى : « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله » الزمر : ٢٣) .

وقال : « الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم » الحج : ٣٥) .

وقال : « انما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون » الانفال : ٢) .

فلا ينبغى أن يكون المؤمنون كاليهود والنصارى قاسية القلوب الذين كانوا من قبل هذه الامة المسلمة فطال عليهم الفترة بين موسى وعيسى عليهما السلام وبعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فغلظت قلوب أهل الكتاب وزال خشوعها ومرنوا على المعاصى واعتادوا بها ، وكثير منهم خرجوا من طاعة الله تعالى وابتدعوا فى الدين .

قال الله تعالى : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أوأشد قسوة » البقرة : ٧٤)

وقال : « ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون » الانعام : ٤٣)

١٧ - (اعلموا ان الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون)

اعلموا أيها الناس ان الله تعالى يحيي الارض بكتابيه : الصامت والناطق بالقسط والعدل والايمان وصالح العمل بعد فساد الارض بالكفر والجور والمعاصي كما انه جل وعلا يحيي الارض الجدبة الميتة اليابسة التي لا تنبت شيئاً بالمطر والنبات.

قد بينا لكم الحجج الواضحة والدلائل الباهرة والبراهين المتقنة لعلكم تعقلون فترجعون إلى طاعتنا وتعملون بما أمرنا كم به.

وان احياء الله تعالى الارض بعد موتها دليل على قدرة الله جل وعلا على ذلك.

قال الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » الانفال : ٢٤).

وقال : « من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » النحل : ٩٧)

١٨ - (ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم)

ان المتصدقين بأموالهم والمتصدقات بأموالهن على الفقراء وذوى الحاجة وأنفقوها في سبيل الله تعالى لاعلاء كلمة الحق انفاقاً حسناً يبتغون لوجه الله جل وعلا يضاعف الله تعالى لهم ذلك القرض الحسن في الدنيا ولهم في الاخرة أجر كريم.

قال تعالى : « والمتصدقين والمتصدقات - اعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً » الاحزاب : ٣٥).

١٩ - (والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم)

والذين أقروا بوحدانية الله تعالى وصدقوا رسله من غير أن يفرقوا بين أحد منهم اولئك هم الصديقون الكاملون في الصدق ، إذ لا قول أصدق من التوحيد والاعتراف ، والتصديق برسالة الانبياء عليهم السلام ، وهم الشهداء عند ربهم لهم

أجر كثير ولهم يوم القيامة نور يسعى بين أيديهم يوم القيامة كل بحسب نور ايمانهم في الحياة الدنيا ، وهم الامة المسلمة .

قال الله تعالى : « وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » البقرة : ١٤٣) .

وقال : « والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » البقرة : ٢٨٥) .

وقال: « يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط » المائدة : ٨).

وقال : « وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس » الحج : ٧٨) .

والذين كفروا بالله تعالى ورسوله ﷺ وكذبوا بحججه وبراهينه الدالة على وحدانيته وصدق رسله اولئك أصحاب النار يعذبون فيها أبداً ولايفارقونها قط .

قال الله تعالى : « ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به إلا كل معتد اثيم إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم » المطففين : ١٠ ـ ١٦) .

٢٠ ـ (اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور)

إعلموا أيها الناس ان الحياة الدنيا لعب يرغب فيها أهلها ولهو يشغلهم عن الاخرة وزينة يتزين بها أهلها منكم ومباهاة بينكم بالانساب والعظام البالية والقوة والخلقة وتكاثر في الاموال والاولاد فيجمع أهلها ما لا يحل له تكاثراً به ويتطاول على أولياء الله تعالى بماله وولده وخدمه وبكثرة العدد والعدد .

ومثلها في بهجتها المعجبة ، ثم الزوال والفناء كمثل المطر أعجب الحراث

الناظرين إلى زرعهم لخضرته وتحركه إلى غاية ما يمكنه من النمو ، وغاية الاستحسان بسبب الامطار .

ثم لا يلبث أن يصير مصفر اللون ، ثم يكون هشيماً متكسّراً من يبسه متلاشياً تذروه الرياح .

وكذلك الدنيا لاهلها ولهم في الاخرة عذاب شديد ، وللمؤمنين فى الاخرة مغفرة من الله جل وعلا ، ورضوان الله أكبر من ذلك .

وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ، تغر أهلها .

قال الله تعالى : « وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الاخرة خيرللذين يتقون أفلا تعقلون » الانعام : ٣٢) .

وقال : « إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام » يونس : ٢٤) .

وقال : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيماً تذروه الرياح » الكهف : ٤٥) .

وقال: « وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » العنكبوت : ٦٤) .

وقال : « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون » الروم : ٧) .

وقال : « وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا » الانعام : ٧٠) .

وقال « الذين يستحبّون الحياة الدنيا على الاخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً اولئك فى ضلال بعيد » ابراهيم : ٣) .

٢١ - (سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم)

سارعوا أيها الناس إلى الايمان ، وصالح العمل ، وهما الموجبان مغفرة لكم من ربكم ، وجنة عرضها عرض السموات والارض ، هيئت للمؤمنين بالله تعالى وبجميع رسله ذلك فضل الله يؤتيه من آمن بالله وعمل عملا صالحاً ، وائتمر بما أمر وانتهى عما نهى ، والله تعالى ذو الفضل العظيم بمن استحق بذلك .

قال الله تعالى : « ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم إلى ربهم راجعون اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون » المؤمنون ٥٧ ـ ٦١) .

وقال: « يؤمنون بالله واليوم الاخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها السموات والارض اعدت للمؤمنين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ـ اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » آل عمران : ١١٤ ـ ١٣٦) .

٢٢ ـ (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير)

ما أصاب من مصيبة في الارض من جدب وقحط مطر وقلّة نبات ونقص ثمار وغلاء أسعار وتتابع جوع ومجيىء وباء وبلاء ووقوع زلازل مخربة وخسف مذلل وإختلال الاجانب الظالمين وفسادهم واستيلاء الحكام الفاسقين وإفسادهم . . .

ولا من مصيبة في أنفسكم من أمراض وأسقام وأوجاع وفقر وجروح وقتل وغرق وهلاك وذهاب الاولاد ومجيىء الفتن . . . سواء كانت تلك المصائب إمتحاناً أم إستحقاقاً بما قدمت يدا الانسان إلا وهي ثابتة في لوح محفوظ من قبل أن يخلق الله تعالى الارض والانفس ، وما يقع عليها وفيها ، إن خلق ذلك وحفظ جميعه هيّن غير صعب على الله تعالى .

فعلمه جل وعلا بالاشياء قبل وجودها وكتابته لها طبق ماتوجد حينهايسير عليه تعالى لانه يعلم ماكان وما سيكون وما لايكون .

قال الله تعالى : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذاأصابتهم قالوا انالله وانا إليه راجعون » البقرة : ١٥٥ - ١٥٦)

وقال : « فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم » النساء : ٦٢) .

وقال : « ما أصاب من مصيبة إلاباذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه وهو بكل شيء عليم » التغابن : ١١) .

٢٣ - (لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور)

كتب الله تعالى ذلك في اللوح المحفوظ ، وأخبركم بذلك لئلا تحزنوا على ما فاتكم من متاع الحياة الدنيا ، ولا تفرحوا بما آتاكم الله جل وعلا منها والله تعالى لايحب كل متكبر بما اوتى من الدنيا فخور به على الناس .

فمن عرف سر الله جل وعلا في القدر ، هانت عليه المصائب ، فالفائت لايرده الجزع ، والمعطى لايكاد يثبت ويدوم لانه عرضة للزوال ونهزة للانتقال ، فلا يشتد به فرحه .

وقيل : المختال هو الذى ينظر إلى نفسه بعين الافتخار ، والفخور هو الذى ينظر إلى الناس بعين الاحتقار كل ذلك بسبب ما يراه لنفسه من المال والقوة والعدد والعدد ، فيباهي بها على غيره .

٢٤ - (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد)

ان الله تعالى لا يحب المختالين الفاخرين الذين يبخلون بما آتاهم الله ، فلا ينفقون منه فى وجوه البر وإعلاء كلمة الله ، وتحطيم أركان الباطل ، وهم مع

بخلهم فى أنفسهم يأمرون الناس أيضاً بالبخل لئلا يعرفوا بالبخل ، ولا يذموا وحدهم به وليقفوا الدين عن النشر ، ومن يتول عن الايمان بالله تعالى ، واستجابة الرسول ﷺ وعن صالح العمل فان الله جل وعلا غنى عنهم ، وعن ايمانهم وطاعتهم وانفاقهم وحميد فى جميع أفعاله كما انه حميد فى ذاته سواء حمد الناس أم لم يحمدوا .

قال الله تعالى : « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ـ لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء » آل عمران : ١٨٠ ـ ١٨١) .

وقال : « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ـ وما ذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الاخر وأنفقوا مما رزقهم الله » النساء : ٣٧ ـ ٣٩)

وقال : « ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لايكونوا امثالكم » محمد ﷺ : ٣٨) .

٢٥ ـ (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز)

لقد أرسلنا رسلنا إلى اممهم بالمعجزات الباهرة التى يتبين بها : انهم مرسلون من جانب الله تعالى وأنزلنا معهم كتباً مشتملة لمعارف الدين ، ومصالح معاشهم ومعادهم ، ولبشارات واضحة وحجج قاطعة ولوعد ووعيد . . .

قال الله تعالى : « وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير » فاطر : ٢٥) .

وأنزلنا مع الرسل مايوزن به الاشياء ليقوم الناس بالعدل فى معاملاتهم وتجاراتهم ، فلا يخسروا باختلال الاوزان والنسب بين الاشياء ، وفى تقارن إنزال

الكتب السّماوية بانزال الميزان ما لايخفى .

ومن غير خفى على القارىء الخبير أيضاً ان قوام حياة الانسان بالاجتماع ، وقوام الاجتماع بالمعاملات والتجارات الدائرة بينهم والمبادلات في الامتعة والسلع وقوام المعاملات فى ذوات الاوزان بحفظ النسب بينها وهذا هو شأن الميزان أشار إليه بقوله تعالى : « والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » الرحمن : ٧ ـ ٩) .

وقوله : « ولا تنقصوا المكيال والميزان انى أراكم بخير ـ اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين »
هود : ٨٤ ـ ٨٥)

وما ورد فى الميزان فمن باب التأويل .

وخلقنا الحديد فيه بأس شديد يمتنع ويحارب به فيتخذ من الحديد آلتان : آلة للدفع من الجنة ، وما اليها وللضرب من السلاح وما إليه .

وفى الحديد منافع كثيرة للناس لما يصنعون منه السيارات البرية والطيارات الجوية والفلك الجارية وغيرها من الالات المتخذة من الحديد التى ينتفعون بها فى طوال الاعصار . . .

أرسلنا رسلنا ـ ليقوم الناس ـ وليعلم الله تعالى من ينصره جل وعلا ورسله فى سبيله بالاموال والانفس دفاعاً عن حوزة الدين ، وبسطاً لكلمة الحق ، وتحطيماً لاركان الكفر وأساس الباطل حال كون الرسل غائبين عنهم أو حال كونه تعالى غائباً عنهم ، فينصرونه ولا يبصرونه لاخلاصهم فى الدين ، وخلوهم عن النفاق .

فبذلك يميز الطيب مـن الخبيث ، ويفترق المخلص من المنافق ، وتظهر أحوال الناس تجاه دعوة الرسل .

ان الله جل وعلا قوى يقدر على إهلاك جميع أعدائه وتأييد أوليائه ، عزيز غالب غير مفتقر إلى نصرة أحد ، منيع مـن أن يعترض عليه مانـع ، فليس نصر المؤمنين لله تعالى ولرسله بحاجة الله سبحانه إلى ناصر ينصره .

وانما الانتصار اختبار لهم وتمحيص فيما فى قلوبهم من الاخلاص والنفاق.

قال الله تعالى: «كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز» المجادلة : ٢١)

وقال: «ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم» محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ٣١) وقال : «وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم» آل عمران : ١٥٤).

٢٦ - (ولقد أرسلنا نوحاً وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون)

ولقد أرسلنا نوحاً شيخ الانبياء إلى الناس ثم بعثنا إبراهيم عليه السلام من بعد نوح إلى قومه ، وجعلنا بعض ذريتهما أنبياء ، وبعض الاخرين امماً وأنزلنا إليهم كتباً ، فمن الذرية مهتد وهم المحسنون الذين ائتموا بنوح وابراهم عليهما السلام واهتدوا إلى الحق وسلكوا سبيل الرشاد وكثير منهم كافرون بالله تعالى وبكتبه ورسله خارجون عن طاعة الله تعالى إلى المعصية وطاعة الطاغوت وشياطين الجن والانس ، فعدلوا عن سنن الحق وسقطوا من سطح الانسانية المرتفعة .

وهكذا جرت الامم فى طوال الاعصار بقلة المهتدين وكثرة الفاسقين الذين ظلموا على أنفسهم .

قال الله تعالى: «ولقد نادينا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه فى الاخرين - وان من شيعته لابراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لابيه وقومه ما لاتعبدون - فبشرناه بغلام حليم - وفديناه بذبح عظيم - وبشرناه باسحق نبياً من الصالحين وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين» الصافات : ٧٥ - ١١٣) .

وقال : «ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون» آل عمران : ١١٠) .

٢٧ - (ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون)

ثم عقبنا وأتبعنا على آثار نوح و ابراهيم والسابقين من ذريتهم واحداً بعد واحد برسلنا موسى وإلياس وداود وسليمان ويونس وغيرهم فأرسلنا رسولا بعد رسول حتى إنتهى الامر إلى عيسى بن مريم عليه السلام - وهو من ذرية ابراهيم من جانب امه وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين إتبعوا عيسى عليه السلام من الحواريين وغيرهم مودة ، فكان يواد بعضهم بعضاً ، ويدفعون الشر ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ويصلحون ما فسد من أمورهم وشفقة بينهم ، فيجلب بعضهم لبعض خيراً ، وهم يودون الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بخلاف اليهود هم أشد عداوة بالمسلمين .

قال الله تعالى : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وانهم لايستكبرون واذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين » المائدة : ٨٢ - ٨٥) .

ومن الاتباع ابتدعوا رهبانية واستحدثوها من عند أنفسهم ما فرضناها عليهم ولا أمرناهم بها طلباً لمرضاة الله جل وعلا فانقطعوا عن الناس في الفلوات والصوامع معتزلين الخلق وحرموا على انفسهم النساء ظاهراً ولبسوا الملابس الخشنة.

فما رعوا وما حافظوا هذه الرهبانية وما قاموا بما التزموه حق القيام بل ضيعوها و كفروا بدين عيسى بن مريم عليه السلام فضموا إليه التثليث ودخلوا في دين

الملوك الذين غيروا وبدلوا فتعدوا حدودها « لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد » المائدة : ٧٣) .

وتسببوا بالترهب إلى طلب الرئاسة على الناس ، واكل اموالهم ، قال الله تعالى : « اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله يا ايها الذين آمنوا ان كثيراً من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله » التوبة : ٣١ ـ ٣٤) .

ان الله تعالى ذمّهم لأمرين :

أحدهما ـ إبتداعهم في دين الله تعالى ما لم يأمر به ، وإدخالهم فيه ما ليس منه .

ثانيهما ـ انهم لم يقوموا بما فرضوه على أنفسهم مما زعموا انه قربة يقرّبهم إلى ربهم وقد كان ذلك كالنذر الذي يجب رعايته والعهد الذي يجب الوفاء به .

فآتينا الذين آمنوا من أتباع عيسى بن مريم عليه السلام أجورهم ، وكثير منهم خرجوا عن دين الله تعالى وحدوده ، وعن اتباع رسوله عيسى حقيقة وإن انتحلوا إليه ظاهراً .

قال الله تعالى : « وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدّقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون » المائدة : ٤٦ ـ ٤٧) .

٢٨ ـ (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم)

يا أيّها الذين إعترفوا بالله تعالى ، وصدقوا بموسى وعيسى عليهما السلام خافوا الله جل وعلا يا أهل الكتاب بأداء طاعته وإجتناب معاصيه وآمنوا برسوله الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

إن فعلتم ذلك يعطكم الله تعالى أجرين من رحمته في الآخرة : أجر

لايمانكم بالانبياء السابقين قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأجر لايمانكم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ويجعل الله تعالى لكم نور الايمان فى قلوبكم تمشون به بين الناس ويستر عليكم ذنوبكم ، فانّ الله جل وعلا غفور يغفر الذنوب ، رحيم يرحم بعباده المؤمنين يوم القيامة .

قال الله تعالى : « ولقد وصّلنا لهم القول لعلّهم يتذكّرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به مؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انّه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين اولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون » القصص : ٥١ ـ ٥٤) .

وقال : « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه » الزمر : ٢٢) .

وقال : « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس » الانعام : ١٢٢) .

وقال : « يا أيّها الذين إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفّر عنكم سيئآتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم » الانفال : ٢٩) .

وما ورد فى المقام فمن باب الجرى والانطباق .

٢٩ ـ (لئلا يعلم أهل الكتاب الا يقدرون على شىء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

جعلنا الاجرين لمن آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وفعلنا ذلك ليعلم الذين لم يؤمنوا انه لا أجر ولا نصيب لهم من فضل الله تعالى فلا ينالون شيئاً منه ولا يتمكنون من نيله ما لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وان الفضل بيد الله تعالى يؤتيه من يشاء ، فأتى المؤمنين منهم أجرين والنور والمغفرة والله ذو الفضل العظيم يتفضل على من يشاء من عباده المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبالانبياء السابقين فلا ينفعهم ايمانهم بانبياء السابقين من غير ايمانهم بمحمد صلى الله عليه وآله بعد ما بعثه الله تعالى .

﴿ جملة المعانى ﴾

٥٠٧٦ـ (سبح لله ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم)

نزه الله تعالى عما لا يليق به كل ما فى السموات والارض وهو الله القادر الغالب على كل شيء والحكيم فى الخلق والتدبير .

٥٠٧٧ـ (له ملك السموات والارض يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير)

لله عزوجل السطوة والسلطان على جميع الخلق من السموات والارض وما فيهما وله التصرف فيهما على أنحائه يحيى ما يشاء ويميت من أراد وهو على كل شيء قدير لا يتعذر عليه شيء .

٥٠٧٨ـ (هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم)

هو الله الذى لم يزل ولا يزال بلا بدء ولا نهاية ، وهو الاول لا شيء قبله والاخر لا غاية له وهو الظاهر على هذا الوجود بسلطانه وعظمته وهو الباطن لهذا العالم بعلمه ومعرفته وهو بكل شيء عليم فلا يخفى عليه شيء .

٥٠٧٩ـ (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير)

هو الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما بمقدار ستة أيام من أيام الدنيا ثم استوى أمره وتدبيره على الملك وهو الذى يعلم ما يدخل فى الارض من مطر وبذور ومعادن وما إليها ويعلم ما يخرج من الارض من نبات وزروع وعيون

ومعادن وما إليها ويعلم ما ينزل من السماء من ملك ووحي ومطر وما إليها ويعلم ما يصعد إلى السماء من دعوات وصالح الاعمال وملائكة وصلوات وما إليها وهو الذى معكم أينما كنتم فى بر أوبحر فى سهل أم فى جبل والله تعالى بماتعملون بصير يعلم سر كم ونجوا كم .

٥٠٨٠ـ (له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور)

لله تعالى ملك السموات والارض وما فيهما ، فيتصرف كيفما شاء وحيثما أراد وإليه جل وعلا يرجع جميع امور الخلق فى الحياة الدنيا بالايجاد والتدبير والافناء وفى الاخرة بالحكم والجزاء .

٥٠٨١ـ (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور)

هو الذى يدخل فى النهار ما ينقص من الليل ويدخل فى الليل ما ينقص من النهار وهو الذى يعلم بما فى الصدور من خواطر وسرائر خيرها وشرها . .

٥٠٨٢ـ (آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير)

يا أيها الناس آمنوا بالله ورسوله ، فأقروا بتوحيد الله سبحانه وصدق ما جاء كم به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وانفقوا فى سبيل الله واعلاء كلمته وفى وجوه البر بعض ما جعلكم الله تعالى مستخلفين فيه من الاموال والثراة . . .

فالذين آمنوا منكم وانفقوا فى سبيل الله لهم أجر كبير وثواب جزيل عند الله جل وعلا .

٥٠٨٣ـ (وما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين)

وأى عذر ومانع لكم أيها الناس لاتؤمنون بالله ورسوله وهذا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يدعوكم لتؤمنوا بربكم الذى لا إله إلا هو وقد أخذ الله تعالى ميثاقكم فى الذر

بتوحيد الربوبية إن كنتم مؤمنين بذلك .

٥٠٨٤ ـ (هوالذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤف رحيم)

هو الذى ينزل على عبده محمد ﷺ آيات قرآنية تبين لكم فرائض الدين ومعارف الاسلام وما فيه خيركم وصلاحكم فى الدنيا والاخرة نجوماً : مرة بعد مرة ليخرجكم بذلك من ظلمة الكفر والطغيان إلى نور الايمان والطاعة ومن ظلمة الجهل والضلالة الى نور العلم والهدى وان الله تعالى بكم لرؤف اذ يهديكم إلى سعادتكم ورحيم يجازى كل محسن باحسانه .

٥٠٨٥ ـ (وما لكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير)

وأى عذر ومانع أن لا تنفقوا بعض مارزقكم الله تعالى من الاموال فى سبيل الله جل وعلا ولله تعالى ميراث السموات والارض وما فيهما إذ يرجع كلها إليه بانقراضها كرجوع الميراث إلى الوراث .

لا يستوى منكم أيها المسلمون من انفق قبل فتح مكة وقاتل فى سبيل الله ومن انفق وقاتل بعد ذلك اولئك السابقون أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد الفتح وقاتلوا بعده وإن وعد الله تعالى كلا جزاء جزيلا وثواباً جميلا كل بحسبه والله تعالى بما تعملون خبير يجزى كلا بما عمل .

٥٠٨٦ ـ (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله اجر كريم)

من ذا الذى ينفق فى إعلاء كلمة الله تعالى وفى وجوه البر انفاقاً حسناً فيضاعف الله عز وجل ما أنفقه المنفق وله عند الله سبحانه أجر كريم .

٥٠٨٧ - (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم)

يوم ترى ايها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيه المؤمنين والمؤمنات يسعى نور إيمانهم واهتداءهم وولايتهم بالائمة أهل البيت عليهم السلام وصالح عملهم بين قدامهم وجانب أيمانهم فيهدون بهذا النور إلى الجنة ونعيمها ويقول لهم الملائكة : بشراكم أيها المؤمنون والمؤمنات اليوم جنات تجرى من تحتها أنهار كثيرة مختلفة وأنتم مؤبّدون مخلّدون فيها ذلك النور وما يعقّبه من الجنات والنعيم هو الظفر المطلوب له العظمة والجلال .

٥٠٨٨ - (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب)

يوم يقول المنافقون والمنافقات للمؤمنين والمؤمنات : أمهلونا قليلا نأخذ من نوركم ونمشى بكم تقول الملائكة لهم حينئذ : إرجعوا إلى موقفكم الذى أخذ أهله نوراً فالتمسوا هناك نوراً فاذا رجعوا وراءهم فضرب حينئذ بين أهل الايمان وأصحاب النفاق بحائل له باب باطنه فيه الرحمة التى يدخل فيها أهلها وظاهر الباب من جانب النار العذاب يدخل فيها أصحابها .

٥٠٨٩ - (ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور)

فحينئذ ينادى أهل النفاق أهل الايمان : ألم نكن معكم يا أهل الايمان فى الحياة الدنيا ، قال المؤمنون : بلى كنتم معناظاهراً ولكنكم كنتم مع أصحاب الكفر والطغيان واقعاً إذ محنتم أنفسكم بالنفاق واهلكتموها بالعصيان وكنتم تنتظرون بنا دوائر السوء وتشكّون فى الدين وفى البعث والجزاء وغرتكم الامانى

إذ كنتم تقولون : لو كان هذا الدين حقا وكان البعث والجزاء صدقاً فيغفر الله لنا حتى جاءكم الموت وغركم الشيطان بالله الغرور .

٥٠٩٠ - (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هى مولاكم وبئس المصير)

فيوم القيامة لا يؤخذ منكم أيها المنافقون فدية لو جئتموها وان كثرت ولا تؤخذ من الذين كفروا مقركم النار التى هى أولى بكم ، وبئس المصير مصيركم هذا!.

٥٠٩١ - (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون)

أما حان أن تلين وترق قلوب المؤمنين لذكر الله وما نزل من الايات القرآنية ولا يكونوا بذلك كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الفترة بين موسى وعيسى وبعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقست قلوب اليهود والنصارى ، وكثير منهم خرجوا عن الطاعة وعن دائرة الايمان .

٥٠٩٢ - (اعلموا أن الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون)

اعلموا ايّها الناس أن الله تعالى كما يحيى الارض الجدبة الميتة التى لا تنبت شيئا بالمطر والنبات كذلك يحييها بكتابيه : الصامت والناطق بالقسط والعدل بعد فسادها بالظلم والجور قد بيّنا لكم الحجج الواضحة لعلكم تعقلون فتخشع قلوبكم لذكر الله وتجاه الايات الكريمة .

٥٠٩٣ - (ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم)

انّ المتصدقين بأموالهم والمتصدقات بأموالهن على الفقراء وذوى الحاجات

وانفقوا منها لاعلاء كلمة الحق وفى وجوه البر انفاقاً حسناً ابتغاء لوجه الله تعالى يضاعف الله لهم ذلك فى الدنيا ولهم فى الاخرة أجر جميل وثواب جزيل .

٥٠٩٤ - (والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الحجيم)

والذين أقروا بوحدانية الله تعالى وصدقوا رسله من غير أن يفرقوا بين أحد من الرسل اولئك هم الصديقون الكاملون فى الصدق وهم الشهداء عند ربهم لهم أجر كثير ونور يوم القيامة ، والذين كفروا بالله ورسوله و كذبوا بما جاءهم الرسول صلى الله عليه واله اولئك أصحاب النار مخلّدين فيها .

٥٠٩٥ - (اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة و تفاخر بينكم و تكاثر فى الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفى الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور)

إعلموا ايّها الناس ان الحياة الدنيا لعب يرغب فيها أهلها وهو يشغلهم عن الاخرة وزينة يتزيّن بها أهلها منكم ومباهاة بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد ومثلها فى بهجتها المعجبة ثم الزوال والفناء كمثل المطر أعجب الحراث الناظرين إلى زرعهم ثم لا يلبث أن يصير مصفر اللون ثم يكون هشيماً متكسراً متلاشياً تذروه الرياح ولهم فى الاخرة عذاب شديد وللمؤمنين فيها مغفرة من الله تعالى ورضوان الله أكبر من ذلك وليست الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ، تغر أهلها .

٥٠٩٦ - (سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

سارعوا أيها الناس إلى ما يوجب المغفرة لكم من ربكم وجنة عرضها عرض

السموات والارض هيئت ومهدت للمؤمنين بالله تعالى وبجميع رسله ذلك المغفرة والجنة فضل من الله تعالى يؤتيه من يشاء ممن آمن وعمل صالحاً ، والله صاحب الفضل العظيم بمن استحق ذلك .

٥٠٩٧ - (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير)

ما أصاب من مصيبة في الارض من جدب وقحط ولا في أنفسكم من أمراض وفقر إلا وهي ثابتة في لوح محفوظ من قبل أن يخلق الله تعالى الخلق إن ذلك على الله يسير هين .

٥٠٩٨ - (لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لايحب كل مختال فخور)

أخبركم بذلك لان لاتحزنوا على ما فاتكم من متاع الحياة الدنيا ، ولا تفرحوا بما آتاكم الله تعالى منها ، والله لايحب كل متكبر بما اوتى من الدنيا فخور به على الناس .

٥٠٩٩ - (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد)

اولئك الذين يبخلون بما آتاهم الله فلا ينفقون منه في وجوه البر ويأمرون الناس بالبخل ويصدونهم عن الانفاق ومن يتول عن الايمان بالله تعالى وعن استجابة دعوة الرسول ﷺ فان الله تعالى غني عنهم وحميد في جميع أفعاله .

٥١٠٠ - (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز)

لقد ارسلنا رسلنا إلى أممهم بالمعجزات الباهرة التي يتبين بها انهم مرسلون من جانب الله تعالى ، وأنزلنا معهم كتباً مشتملة لمعارف الدين ومصالح معاشهم

ومعادهم، وأنزلنا مايوزن به الاشياء ليقوم الناس بالعدل في معاملاتهم، وخلقنا الحديد فيه بأس شديد يدافع به عن حوزة الدين والحق وفي الحديد منافع كثيرة للناس وليعلم الله تعالى من ينصر دينه ورسله بالاموال والانفس حال كون الرسل غائبين عن الناس ان الله تعالى قوي يقدر على اهلاك جميع أعدائه ونصرة أوليائه غالب غير مفتقر إلى نصرة أحد .

٥١٠١ - (ولقد ارسلنا نوحاً وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون)

ولقد ارسلنا نوحاً إلى الناس وبعثنا ابراهيم إلى قومه وجعلنا بعض ذريتهما أنبياء وبعض الاخرين امماً وانزلنا إليهم كتباً فمن الذرية مهتد وهم المحسنون الذين اقتدوا بنوح وابراهيم عليهما السلام واهتدوا إلى الحق وكثير منهم خارجون عن طريق الهدى والطاعة .

٥١٠٢ - (ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم الاابتغاء رضوان الله فمارعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون)

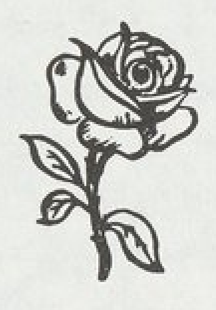
ثم اتبعنا على آثار نوح وابراهيم والسابقين من ذريتهم واحداً بعد واحد برسلنا موسى والياس وداود وسليمان ويونس وغيرهم حتى انتهى الامر إلى عيسى ابن مريم عليه السلام وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوا عيسى عليه السلام من الحواريين وغيرهم مودة إذيواد بعضهم بعضاً وشفقة بينهم وابتدعوا رهبانية مافرضناها عليهم ابتدعوها طلبا لمرضاة الله تعالى فما حافظوا هذه الرهبانية وما قاموها حق القيام فآتينا الذين آمنوا من اتباع عيسى عليه السلام اجورهم وكثير منهم خرجوا عن الدين والطاعة .

٥١٠٣ - (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم)

يا ايها الذين اعترفوا بتوحيد الله تعالى وصدقوا بموسى وعيسى عليهما السلام خافوا الله جل وعلا يا أهل الكتاب وآمنوا بخاتم رسله محمد ﷺ إن فعلتم ذلك يؤتكم الله جل وعلا أجرين من رحمته : أجر لايمانكم بالانبياء السابقين قبل محمد ﷺ وأجر لايمانكم بمحمد ﷺ ويجعل الله لكم نوراً تمشون به بين الناس ويستر عليكم ذنوبكم والله غفور يغفر الذنوب رحيم يرحم بعباده المؤمنين يوم القيامة .

٥١٠٤ - (لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

فعلنا ذلك ليعلم الذين لم يؤمنوا انه لا أجر لهم من فضل الله تعالى ، وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده المؤمنين والله صاحب الفضل العظيم .



﴿بحث روائي﴾

في تفسير القمي: في قوله تعالى: « سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم » قال: هو قوله صلى الله عليه وآله: « أوتيت جوامع الكلم »، وقوله: « هو الاول » قال: أي قبل كل شيء « والاخر » قال: يبقى بعد كل شيء « وهو عليم بذات الصدور » قال: بالضمائر.

أقول: وفي بعض النسخ « اعطيت » بدل « أوتيت ».

وفي الكافي: باسناده عن ابن أبي يعفور قال: سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزوجل: « هو الاول والاخر » وقلنا: اما الاول فقد عرفناه وأما الاخر فبيّن لنا تفسيره؟ فقال: انه ليس شيء الا يبيد أو يتغير أو يدخله التغير والزوال وينتقل من لون الى لون ومن هيئة إلى هيئة ومن صفة إلى صفة، ومن زيادة إلى نقصان ومن نقصان الى زيادة إلا رب العالمين فانه لم يزل ولايزال بحالة واحدة، هو الاول قبل كل شيء وهو الاخر على ما لم يزل ولاتختلف عليه الصفات والاسماء كما تختلف على غيره مثل الانسان الذي يكون تراباً مرة ومرة لحماً ودماً ومرة رفاتاً ورميماً، وكالبسر الذي يكون مرة بلحاً ومرة بسراً ومرة رطباً ومرة تمراً فتتبدل عليه الاسماء والصفات والله عز وجل بخلاف ذلك

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « اللهم أنت الاول فليس قبلك شيء، وأنت الاخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر » عنى بالظاهر الغالب وبالباطن العالم.

وفيه : باسناده عن عبد الله بن سنان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ان الله خلق الخير يوم الاحد وما كان ليخلق الشر قبل الخير وفي يوم الاحد والاثنين خلق الارضين وخلق أقواتها في يوم الثلثا ، وخلق السموات يوم الاربعا ويوم الخميس وخلق اقواتها يوم الجمعة وذلك قول الله عزوجل : « خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ».

وفي تفسير القمي : عن أبي جعفر عليه السلام يقول في قوله تعالى : « يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » : ما ينقص من الليل يدخل في النهار وما ينقص من النهار يدخل في الليل .

وفي الصحيفة السجادية : قال الامام علي بن الحسين عليه السلام : الحمد لله الذي خلق الليل والنهار بقوته ، وميّز بينهما بقدرته ، وجعل لكل واحد منهما حداً محدوداً وأمداً ممدوداً ، يولج كل واحد منهما في صاحبه ، ويولج صاحبه فيه بتقدير منه للعباد فيما يغذوهم به وينشئهم عليه ، الخبر . .

وفي البرهان : عن أبي جعفر وجعفر عليهما السلام في قول الله تعالى : « ليخرجكم من الظلمات إلى النور » يقول : من الكفر الى الايمان ، يعني الى الولاية بعلي عليه السلام .

وفيه : بالاسناد عن الامام الحسن بن علي عليه السلام في خطبة خطبها عند صلح معاوية بمحضره قال عليه السلام فيها : فكان أبي سابق السابقين الى الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه واله واقرب الاقربين ، وقد قال الله تعالى : « لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة » فأبي كان أولهم إسلاماً وايماناً وأولهم الى الله ورسوله هجرة ولحوقاً وأولهم على وجده وسعته نفقة قال سبحانه « والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربّنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم ».

فالناس من جميع الامم لتستغفر له لسبقه ايّاهم إلى الايمان بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وذلك انه لم يسبقه إلى الايمان أحد ، وقال الله تعالى : « والسابقون الاولون من

المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه، فهو سابق جميع السابقين. الخطبة.

وفى الكافى: عن أبى الحسن الماضى عليه السلام فى قوله تعالى: «من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله اجر كريم» قال: صلة الامام فى دولة الفسقة.

وفى نهج البلاغة: قال الامام على عليه السلام: «واتّقوا اموالكم وخذوا من اجساد كم تجودوا بها على انفسكم ولا تبخلوا بها عنها فقد قال الله سبحانه «من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله اجر كريم»، واستقرضكم وله خزائن السّموات والارض وهو الغنى الحميد، وانّما اراد ان يبلوكم ايّكم احسن عملا.

وفى الكافى: باسناده عن صالح بن سهل الهمدانى قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام وهو يقول: «نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم»، قال: نور ائمة المؤمنين يوم القيامة يسعى بين ايدى المؤمنين وبايمانهم حتى ينزلوا بهم منازلهم فى الجنة.

وفى الخصال: باسناده عن جابر بن عبدالله الانصارى قال: كنت ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه واله إذ اقبل بوجهه على بن ابى طالب عليه السلام وقال: الا ابشرك يا ابا الحسن؟ قال: بلى يارسول الله، قال: هذا جبرئيل يخبرنى عن الله تعالى انّه قال: قد اعطى شيعتك ومحبّيك سبع خصال: الرفق عند الموت، والانس عند الوحشة، والنور عند الظلمة، والامن عند الفزع، والقسط عند الميزان، والجواز على الصّراط، ودخول الجنّة قبل سائر الناس، نورهم يسعى بين ايديهم وبأيمانهم.

وفى تفسير القمى فى قوله تعالى: «يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم» قال: يقسم النور بين الناس يوم القيامة على قدر ايمانهم يقسم للمنافق فيكون نوره بين إبهام رجله اليسرى فينظر نوره ثم يقول للمؤمنين: مكانكم حتى اقتبس من نوركم فيقول المؤمنين لهم: إرجعوا وراءكم

فالتمسوا نوراً ويضرب بينهم بسور له باب ، فينادون من وراء السور للمؤمنين : « ألم نكن معكم قالوا : بلى ولكنكم فتنتم انفسكم » قال : بالمعاصي « وتربصتم وارتبتم » قال : أي شككتم وتربصتم .

وفي كنز الفوائد : للكراجكي قدس سره باسناده عن سلام بن المستنير قال : سئلت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى : « فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم » قال : فقال عليه السلام : أما انها نزلت فينا وفي الكفار ، أما انه إذا كان يوم القيامة وحبس الخلائق في طريق المحشر ضرب الله سوراً من ظلمة فيه باب باطنه فيه الرحمة يعني النور وظاهره من قبله العذاب ، يعني الظلمة فيصيّرنا الله وشيعتنا في باطن السور الذي فيه الرحمة والنور ويصيّر عدونا والكفار في ظاهر السور الذي فيه الظلمة فيناديكم عدونا وعدوكم من الباب الذي في السور من ظاهره : ألم نكن معكم في الدنيا نبينا ونبيكم واحد وصلاتنا وصلاتكم وصومنا وصومكم وحجنا وحجكم واحد ؟ قال :

فيناديكم الملك من عندالله : « بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم » بعد نبيكم ثم توليتم وتركتم اتباع من أمركم به نبيكم و« تربصتم » به الدوائر « وارتبتم » فيما قال فيه نبيكم « وغرتكم الاماني » وما اجتمعتم عليه من خلافكم لاهل الحق (على اهل الحق خ) وغركم حلم الله عنكم في تلك الحال حتى جاء الحق يعني بالحق ظهور علي بن أبي طالب عليه السلام ومن ظهر من الائمة عليهم السلام بعده بالحق وقوله : « غركم بالله الغرور » يعني الشيطان « فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا » ، أي لا توجد حسنة تفدون بها أنفسكم « مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير » .

وفيه : باسناده عن ابن عباس قال : سئلت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله عزوجل : « فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب » فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا السور ، وعليّ الباب .

وفيه: باسناده عن ابن جبير قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن قول الله عز وجل : « فضرب بينهم بسور له باب » الاية فقال : أنا السور وعلى الباب وليس يؤتى السور إلا من قبل الباب .

أقول : ولعل المراد من السور والباب في الاخرة هما صورة مدينة العلم وبابها في الدنيا ، فمن أتى في الدنيا المدينة من بابها يكون في الاخرة مع من يدخل الباب الى باطن السور فيدخل في رحمة الله تعالى ومن لم يأتها في الدنيا من قبل الباب ولم يؤمن بوصي النبي الكريم صلى الله عليه وآله كما هو حقّه عليه السلام يكون في الاخرة في ظاهر السور في عذاب الله .

وفي الخصال: باسناده عن مكحول قال : قال اميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : لقد علمتم المستحفظون من أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وآله انه ليس فيهم رجل له منقبة إلا وقد شركته فيها وفضّلته ، ولي سبعون منقبة لم يشركني فيها أحد ، قلت : يا أميرالمؤمنين فأخبرني بهم ، فقال عليه السّلام وذكر السبعين .

قال : وأمّا الثلاثون : فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : تحشر امتي يوم القيامة على خمس رايات ، فأول راية ترد عليّ راية فرعون هذه الامة وهو معاوية ، والثانية مع سامري هذه الامة وهو عمرو بن العاص ، والثالثة مع جاثليق هذه الامة وهو أبو موسى الاشعري والرابعة مع أبي الأعور السلمي وأما الخامسة فمعك يا علي تحتها المؤمنون وأنت امامهم .

ثم يقول الله تبارك وتعالى للاربعة : « ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة » وهم شيعتي ومن والاني وقاتل معي الفئة الباغية والناكبة عن الصراط وباب الرحمة هم شيعتي فينادي هؤلاء : « ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني في الدنيا حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير» ثم ترد امتي وشيعتي فيردون من

حوض محمد صلى الله عليه وآله وسلم - الخبر .

وفي مصباح الشيخ : قدس سره قال الامام على عليه السلام في خطبة خطب بها يوم الغدير : « وسابقوا الى مغفرة من ربّكم قبل أن يضرب بالسّور باطنه الرحمة وظاهره العذاب فتنادون فلا يسمع نداء كم ، وتضجّون فلا يحفل بضجيجكم » .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « فاليوم لايؤخذ منكم فدية » قال : والله ما عنى بذلك اليهود والنصارى وما عنى به الا أهل القبلة ثم قال : « مأواكم النار هي مولاكم » قال : هي أولى بكم .

أقول: والمراد بأهل القبلة المنافقون من المسلمين الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر ، ومن لم يتول بولاية على بن أبيطالب عليه السلام حقاً .

وفي الكافي: باسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال : لم يزل بنو اسمعيل ولاة البيت ويقيمون للناس حجتهم وأمر دينهم يتوارثونه كابر عن كابر - أي عظيماً وكبيراً عن كبير - حتى كان زمن عدنان بن أدد « فطال عليهم الامد فقست قلوبهم » وفسدوا واحدثوا في دينهم وأخرج بعضهم بعضاً - الخبر .

وفيه : باسناده عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي ابراهيم عليه السلام في قول الله عزوجل : « يحيي الارض بعد موتها » قال : ليس يحييها بالقطر ولكن يبعث الله عزوجل رجالا فيحيون العدل فتحيى الارض لاحياء العدل ولاقامة الحد فيها انفع في الارض من القطر اربعين صباحاً .

وفي غيبة الشيخ : باسناده عن ابن عباس في قوله تعالى : « اعلموا أنّ الله يحيي الارض بعد موتها » يعني يصلح الارض بقائم آل محمد من بعد موتها يعني من بعد جور أهل مملكتها « قد بيّنّا لكم الايات » بقائم آل محمّد « لعلكم تعقلون » .

وفي اكمال الدين : باسناده عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّوجل : « اعلموا أن الله يحيي الارض بعد موتها » قال : يحييها الله عزوجل بالقائم بعد موتها يعني بموتها كفر أهلها ، والكافر ميّت .

وفى الكافى: باسناده عن محمد الحلبى انه سئل أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزوجل : « اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها » ، قال : العدل بعد الجور .

وفى اكمال الدين : بأسناده عن الحسين بن على بن أبيطالب عليهما السلام قال : منا اثنى عشر مهديا أولهم أمير المؤمنين على بن أبيطالب وآخرهم التاسع من ولدى هو القائم بالحق به يحيى الارض بعد موتها ، ويظهر به الدين الحق على الدين كله ولو كره المشركون - الخبر .

وفى الكافى: بأسناده عن سماعة بن مهران عن أبى عبد الله عليه السلام قال : ان الله عزوجل فرض فى مال الاغنياء فريضة لايحمدون بأدائها وهى الزكاة بها حقنوا دمائهم وبها سمّوا مسلمين ، ولكن الله عزوجل فرض فى أموال الاغنياء حقوقاً غير الزكاة فقال عزوجل : « فى أموالهم حق معلوم » والحق غير الزكاة إلى أن قال وقد قال الله عزوجل ايضاً : « أقرضوا الله قرضاً حسناً » .

وفى محاسن البرقى : باسناده عن زيد بن أرقم عن الامام الحسين بن على عليهما السلام قال : ما من شيعتنا إلا صديق شهيد ، قال : قلت : جعلت فداك أنّى يكون ذلك وعامتهم يموتون على فرشهم ؟ فقال : اماتتلو كتاب الله فى الحديد « والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربّهم » ، قال : فقلت : كأنى لم اقرأ هذه الاية من كتاب الله عز وجل قط ، قال : لو كان ليس إلا كما تقولون كان الشهداء قليلا .

وفيه : باسناده عن منهل القصاب قال : قلت لأبى عبد الله عليه السلام : ادع الله لى بالشهادة ؟ فقال: ان المؤمن لشهيد حيث مات ، أو ماسمعت قول الله فى كتابه : « والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم » .

وفى الدرالمنثور : عن البراء بن عازب سمعت رسول الله يقول : مؤمنو امتى شهداء ثم تلا النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم » .

وفى تفسير المجمع : وروى العياشى بالاسناد عن منهال القصاب قال : قلت

لابى عبدالله عليه السلام: ادع الله أن يرزقنى الشهادة ، فقال : إن المؤمن شهيد وقرأ هذه الآية .

وفيه : وعن الحرث (الحارث خ) بن المغيرة قال : كنا عند أبى جعفر عليه السلام فقال : العارف منكم هذا الامر المنتظر له المحتسب فيه الخير كمن جاهد والله مع قائم آل محمد عليه السلام بسيفه ، ثم قال : بل والله كمن جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسيفه ، ثم قال الثالثة : بل والله كمن استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى فسطاطه وفيكم آية من كتاب الله ، قلت : وأى آية جعلت فداك ؟ قال : قول الله عز وجل « والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم » ثم قال : صرتم والله صادقين شهداء عند ربكم .

وفى الكافى : باسناده عن أبى بصير قال : قلت لابى عبدالله عليه السلام : جعلت فداك الراد على هذا الامر فهو كالراد عليكم ، فقال : يا أبا محمد من رد عليكم هذا الأمر فهو كالراد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الله تبارك وتعالى . يا أبا محمد ان الميت منكم على هذا الامر شهيد ، قلت : وإن مات على فراشه ! قال : اى والله وان مات على فراشه حى يرزق .

وفى الخصال : عن أبى بصير ومحمد بن مسلم قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : حدثنى أبى عن جدى عن آبائه ان امير المؤمنين عليه السلام علّم أصحابه فى يوم واحد اربعمأة باب من العلم .

منها قوله عليه السلام : احذروا السفلة فان السفلة لايخافوا الله عزوجل لان فيهم قتلة الانبياء وفيهم اعدائنا ان الله تبارك وتعالى اطلع على الارض فاختارنا واختار لنا شيعة ينصروننا ويفرحون بفرحنا ويحزنون لحزننا ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا والينا وما من الشيعة عبد يقارف أمراً نهيناه عنه فلا يموت حتى يبتلى ببلية تمحص فيها ذنوبه ، اما فى ماله أو ولده أو فى نفسه حتى يلقى الله وماله ذنب وانه ليبقى عليه الشىء من ذنوبه فيشتدد عليه عند موته والميت من شيعتنا صديق شهيد صدق بأمرنا وأحب فينا وأبغض فينا يريد بذلك وجه الله عزوجل مؤمن بالله ورسوله .

قال الله عزوجل: « والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء

عندربهم لهم أجرهم ونورهم ».

وفي بشارات الشيعة للصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن معاوية بن عمار عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليهم السلام قال : قال رسول الله ﷺ إذا كان يوم القيامة يؤتى بأقوام على منابر من نور ، تتلالؤ وجوههم كالقمر ليلة البدر يغبطهم الاولون والاخرون ، ثم سكت ثم عاد لي الكلام ثلثا فقال عمر بن الخطاب : بأبي أنت وامي هم الشهداء ؟ قال : هم الشهداء ، وليس هم الشهداء الذين تظنون .

قال : هم الانبياء ؟ قال : هم الانبياء وليسوا هم الانبياء الذين تظنون قال : هم الاوصياء ؟ قال : هم الاوصياء وليسوا هم الاوصياء الذين تظنون قال : أفمن أهل السماء أو من أهل الارض ؟ قال : هم اهل الارض .

قال : فأخبرني منهم ؟ قال فأومى بيده إلى علي عليه السلام فقال : هذا وشيعته ما يبغضه من قريش الا سفاحي ، ولا من الانصار إلا يهودي ولا من العرب إلا دعي ولا من سائر الناس الا شقي .

ياعمر كذب من زعم انه يحبني ويبغض هذا .

وفي الكافي : باسناده عن أبي عمرو الزبيري عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : إن للايمان درجات ومنازل يتفاضل المؤمنون فيها عند الله ؟ قال : نعم قلت : صفه لي رحمك الله حتى افهمه ؟

قال : ان الله سبق بين المؤمنين كما يسبق بين الخيل يوم الرهان ثم فضلهم على درجاتهم بالسبق اليه فجعل لكل امرىء منهم على درجة سبقه لا ينقصه فيها من حقه ولا يتقدم مسبوق سابقاً ولا مفضول فاضلا تفاضل بذلك أوائل هذه الامة وأواخرها .

ولولم يكن للسابق إلى الايمان فضل على المسبوق إذن للحق آخر هذه الامة أولها نعم ولتقدموهم إذا لم يكن لمن سبق إلى الايمان الفضل على من ابطأ عنه ولكن بدرجات الايمان قدم الله السابقين ، وبالابطاء عن الايمان آخر الله

المقصرين لانا نجد من المؤمنين من الاخرين من هو اكثر عملا من الاولين وأكثرهم صلاة وصوماً وحجاً وجهاداً وانفاقاً ولو لم يكن سوابق يفضل بها المؤمنون بعضهم بعضاً عند الله لكان الاخرون بكثرة العمل متقدمين على الاولين أبى الله عزوجل أن يدرك آخر درجات الايمان اولها ويقدم فيها من اخر الله ويؤخر فيها من قدم الله قلت : اخبرني عما ندب الله عزوجل المؤمنين اليه من الاستباق إلى الايمان ؟ فقال:

قول الله عزوجل : « سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله » .

وقال : « السابقون السابقون اولئك المقربون » « والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه » .

فبدأ بالمهاجرين الاولين على درجة سبقهم ثم ثنى بالانصار ثم ثلث بالتابعين لهم باحسان فوضع كل قوم على قدر درجاتهم ومنازلهم عدة ، ثم ذكر ما فضل الله عز وجل به اوليائه بعضهم على بعض فقال عز وجل : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله ورفع بعضهم فوق بعض درجات » الاية . . .

وقال : « ولقد فضّلنا بعض النبيين على بعض » ، وقال : « انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات وأكبر تفضيلا » ، وقال : « هم درجات عند الله » ، وقال : « يؤتي كل ذى فضل فضله » وقال : « الذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم اعظم درجة عند الله » .

وقال : « وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه ومغفرة ورحمة » ، وقال : « لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا » .

وقال : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات » وقال : « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح » ، وقال : « وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه » وقال : « من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن

يعمل مثقال ذرة شراً يره » فهذا ذكر درجات الايمان ومنازله عند الله تعالى .

وفي الخصائص : عن أبي جعفر محمد بن على الباقر عليه السلام قال : قدم اسقف نجران على عمر بن الخطاب فقال : يا اميرالمؤمنين : ان ارضنا ارض باردة شديدة المؤنة لا تحتمل الجيش ، وأنا ضامن لخراج أرضى احمله اليك فى كل عام كملا فكان يقدم هو بالمال بنفسه ومعه اعوان له حتى يوفيه بيت المال ويكتب له عمر البراة قال : فقدم الاسقف ذات عام وكان شيخاً جميلا فدعاه عمر إلى الله وإلى دين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانشاء يذكر فضل الاسلام وما يصير اليه المسلمون من النعيم والكرامة ، فقال له الاسقف : يا عمر انتم تقرؤن فى كتابكم ان جنّة عرضها كعرض السماء والارض ، فأنّى تكون النار ؟ قال : فسكت عمر ونكس رأسه ، فقال أمير المؤمنين على عليه السلام وكان حاضراً ، أجب هذا النصرانى ، فقال له عمر : بل أجبه انت ، فقال عليه السلام له : يا أسقف نجران أنا اجيبك إذا جاء النهار أين يكون الليل ؟ واذا جاء الليل أين يكون النهار ؟

فقال الاسقف : ما كنت أرى أحداً يجيبنى عن هذه المسئلة فقال : من الفتى يا عمر ؟ قال : هذا على بن ابيطالب ختن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمّه ، وأول مؤمن معه هذا ابو الحسن والحسين . الخبر .

وفي البرهان : عن أمير المؤمنين عليه السلام فى حديث وقد سئله جاثليق أخبرنى عن الجنة والنار أين هما ؟ قال عليه السلام : الجنة تحت العرش فى الاخرة ، والنار تحت الارض السابعة السفلى ، فقال الجاثليق : صدقت .

وفي تفسير القمي باسناده عن عبدالرحمن بن كثير عن أبى عبدالله عليه السلام فى قوله : « ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها » صدق الله وبلغت رسله كتابه فى السماء علمه بها وكتابه فى الارض علومنا فى ليلة القدر وغيرها « ان ذلك على الله يسير » .

وفيه : باسناده عن حفص بن غياث قال : قلت لابى عبد الله عليه السلام : جعلت فداك فما حد الزهد فى الدنيا ؟ فقال : قد حده الله فى كتابه ، فقال عز وجل :

« لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ».

وفي نهج البلاغة: قال الامام على عليه السلام: « الزهد كله بين كلمتين من القرآن قال الله تعالى: « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتى فقد أخذ الزهد بطرفيه.

وفي الكافي: باسناده عن عبد الحميد بن أبي الديلم عن أبي عبدالله عليه السلام قال في حديث طويل: فلما ان بعث الله عز وجل المسيح قال المسيح لهم: انه سوف يأتي من بعدى نبي اسمه احمد من ولد اسمعيل يجييء بتصديقي وتصديقكم وعذرى وعذركم وجرت من بعده في الحواريين في المستحفظين وانما سماهم الله عزوجل المستحفظين لانهم استحفظوا الاسم الاكبر وهو الكتاب الذى يعلم به علم كل شيء الذى كان مع الانبياء، يقول الله عزوجل: « ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وانزلنا معهم الكتاب والميزان » الكتاب: الاسم الاكبر. الحديث.

وفي البرهان: بالاسناد عن سعد بن طريف عن أبي جعفر عليه السلام في حديث قال: ونحن الميزان وذلك قول الله عزوجل في الامام: « ليقوم الناس بالقسط ».

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: « ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان » قال: الميزان الامام.

وفي جوامع الجامع: وروى ان جبرئيل عليه السلام نزل بالميزان، فدفعه إلى نوح عليه السلام وقال: مر قومك يزنوا به.

وفي الاحتجاج: عن الامام أميرالمؤمنين عليه السلام في حديث وقال: « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد » فانزاله ذلك خلقه إياه.

وفي نهج البلاغة: قال الامام على عليه السلام الخير كله في السيف وماقام هذا الدين الا بالسيف أتعلمون ما معنى قوله تعالى: «وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد»؟ هذا هو السيف.

وفي تفسير ابن كثير الدمشقي عن إبن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له،

وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلّة والصغار على من خالف أمري ، ومن تشبّه بقوم فهو منهم ».

وفي البرهان : عن إبن عباس في قوله تعالى : « وأنزلنا الحديد » قال : أنزل الله آدم معه من الجنة سيف ذي الفقار خلق من ورق آس الجنة ثم قال فيه باس شديد ، فكان به يحارب آدم أعدائه من الجن والشياطين ، وكان عليه مكتوباً لايزال أنبيائي يحاربون به نبي بعد نبي وصديق بعد صديق حتى يرثه أميرالمؤمنين فيحارب به مع النبي الامي ومنافع للناس لمحمد وعلي ان الله قوي عزيز منيع بالنقمة من الكفار لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

أقول: فتأويل الاية أن يكون المراد بالحديد هو ذوالفقار الذي أنزله الله تعالى من السماء على النبي صلى الله عليه وآله فأعطاه علياً عليه السلام.

وفي التوحيد : في حديث عن علي عليه‌السلام : وقد سئله رجل عما اشتبه عليه من الايات قال : وقد أعلمتك ان رب شيء من كتاب الله تأويله غير تنزيله ولا يشبه كلام البشر، وسأنبئك بطرف منه ، فتكتفي ان شاء الله ، من ذلك قول ابراهيم: « اني ذاهب الى ربي سيهدين » فذهابه إلى ربه توجهه إليه عبادة واجتهاداً وقربة إلى الله جل وعلا ، ألا ترى ان تأويله غير تنزيله وقال : « أنزلنا الحديد فيه بأس شديد » يعني السلاح وغير ذلك.

وفي المجمع : عن إبن مسعود قال : كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وآله على الحمار فقال : يا بن ام عبد هل تدري من أين أحدثت بنو إسرائيل الرهبانية ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم ، فقال : ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى عليه‌السلام يعملون بمعاصي الله ، فغضب أهل الايمان فقاتلوهم ، فهزم أهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم إلا القليل.

فقالوا : إن ظهرنا لهولاء أفنونا ولم يبق للدين أحد يدعو إليه فتعالوا نتفرق في الارض إلى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى يعنون محمداً صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فتفرقوا في غيران الجبال وأحدثوا رهبانيّة ، فمنهم من تمسك بدينه ، ومنهم من

كفر، ثم تلا هذه الآية : « ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » إلى آخرها .

ثم قال : يا بن ام عبد أتدرى ما رهبانية امتى ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة .

وفى الكافى : باسناده عن إبن أسباط عن محمد بن على بن أبى عبدالله عن أبى الحسن عليه السلام فى قول الله عز وجل : « ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله » قال : صلاة الليل .

وفيه: باسناده عن سماعة بن مهران عن أبى عبد الله عليه السلام فى قول الله عز وجل : « يؤتكم كفلين من رحمته » قال الحسن والحسين عليهما السلام « ويجعل لكم نوراً تمشون به » قال : إماماً تأتمون به .

أقول: رواه القمى فى تفسيره .

وفى البرهان : بالاسناد عن جابر بن يزيد الجعفى قال : سئلت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل : « اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته » قال الحسن والحسين عليهما السلام قلت : « يجعل لكم نوراً تمشون به » قال : على عليه السلام .

وفيه: فى رواية اخرى عنه عليه السلام : قال : يجعل لكم امام عدل تأتمون به وهو على بن أبيطالب عليه السلام .

وفى المناقب لابن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه عن الصادق عليه السلام فى قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به » قال : الكفلين الحسن والحسين والنور على عليهم السلام .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « يوتكم كفلين » قال : نصيبين من رحمته ، احدهما : ان لا يدخله النار ، والثانية ان يدخله الجنّة . وفى قوله : « ويجعل لكم نورا تمشون به » يعنى الايمان .

وفي المجمع : و روى عن رسول الله صلى الله عليه واله انه قال : من كانت له ابنة يعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها وأعتقها وتزوجها فله اجران ، وأيّما رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه اله فله اجران ، وأيّما مملوك ادى حق الله وحق مواليه فله اجران .



﴿ بحث فقهي ﴾

استدل بعض الفقهاء بقوله : « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم ـ ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم » السورة : ١١ ـ ١٨) .

على أرجحية القرض للمؤمن وان فيه أجراً عظيما وان الله تعالى هو المكافيء عليه إذ الحقيقة ممنوعة لاستحالة الحاجة على الله سبحانه فيحمل على إقراض عباده المؤمنين على سبيل التحريص والترغيب .

ورده الفاضل المقداد ـ بأن إطلاق القرض الذى هو إعطاء شيء ليستعيد عوضه وقتاً آخر إستعارة للاعمال الصالحة فان الاعمال الصالحة يفعلها العبد ويحصل له العوض فى الدار الاخرة وحينئذ لا دلالة فى الآيتين على مشروعية القرض .

وقال المحقق الاردبيلى : ولعل المراد باقراضه الاعمال لوجه الله سواء كانت ببذل النفس كما فى الجهاد أو السعى فى تحصيل العلوم والواجبات أو السعى فى قضاء الحاجات وسائر مرضات الله أو صرف المال فى مثل الزكاة ونفقة العيال وصرفه لله على أى وجه كان قرضاً أو غيره ، وكأنه شبه تقديم العمل الذى يتعقبه العوض والجزاء والثواب بالقرض الذى هو قطع المال ودفعه ليعوض به أو يكون المراد قرض المحتاجين لله قرضاً حقيقياً ولعل المراد بحسن القرض فعله مخلصا خاليا عن غيروجه الله مفهوماً من قوله « يقرض الله » وبطيب النفس من غير كدورة وكسل وبغير من ولا أذى فيضاعفه بتجارته ضعفاً كثيراً أى أمثالا كثيرة لايقدره إلا الله ـ إلى أن قال ـ : فيحتمل كون المراد قرضاً عرفياً فيكون

دليل استحبابه بخصوصه والعموم فيكون دليلا عليه وعلى جميع الاحسان مثل كشف الكرب عن المسلم وقضاء حاجته وإدخال السرور عليه وما يدل عليه في الكتاب والسنة كثير جداً ويدل عليه العقل أيضاً ، إنتهى كلامه .

أقول: وأما المحققون من المفسرين خرجوا الاقراض على الانفاق في سبيل الله تعالى وإعلاء كلمته وتحطيم أركان الباطل وفي وجوه البر لظاهر السياق وما ورد في ذلك من الروايات عن طريق أئمة أهل البيت عليهم السلام ، ويمكن أن يكون من وجوه البر نفس الاقراض وان يستعيد وقتاً آخر .

واستدل بعض الفقهاء : بقوله تعالى : « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه» على إثبات الملكية الاعتبارية للانسان فيما بيده من الاموال وعلى نفي الملكية الحقيقية له عنها ، فله حق تصرف مباح فيها بالبيع والشراء والاجارة والانفاق والقرض وغيرها من أنحاء التصرف المباح ، ولا يجوز له التصرف في الحرام ، وبقوله تعالى : « ولله ميراث السموات والارض » على الملكية الحقيقية لله تعالى .

أقول: وقد اشبعنا الكلام في الملكية الحقيقية والاعتبارية في تفسير سورة الفاتحة فراجع .

﴿ بحث ديني ومذهبي ﴾

ذهب بعض المفسرين إلى أن قوله تعالى: « هو الاول والاخر » يدل على فناء ما سوى الله ثم قال: فعلى هذا يشكل خلود أهل الجنة فيهاوأهل النارفيها.

أقول: إن الفناء من عوارض هذه الحياة الدنيا، وأما دار الاخرة فهي دار الحياة الأبدية فلا فناء فيها لاهلها ولا لنعيمها وجحيمها.

قال الله تعالى: « وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الاخرةلهي الحيوان لوكانوا يعلمون » العنكبوت: ٦٤).

وقال: « انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الاخرة هي دار القرار » المؤمن: ٣٩).

وقال: « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » النحل: ٩٦).

وقال: « ان المتّقين في مقام أمين في جنّات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى » الدخان: ٥١ ـ ٥٦).

وقال: « انّه من يأت ربّه مجرماً فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى » طه: ٧٤).

وقال: « والذين كفروا لهم نار جهنّم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور » فاطر: ٣٦).

واستدل بعض المحققين بقوله تعالى: « هو الاول والاخر » على توحيد الله تعالى.

وذلك لان الاول هو الفرد السابق إذ شرط الاولية كونه سابقاً وشرط السبق أن يكون واحداً خارجاً عما يلحق به في الوجود فكان هو وحده ولم يكن شيء معه ثم يترتب عليه غيره بايجاده غيره لانه موجد الكل .

فاذا قيل في صفات الله تعالى: هو الاول فمعناه هو الذى لم يسبقه في الوجود شيء ، وإلى هذا يرجع قول من قال : هو الذى لا يحتاج إلى غيره وهو غني على الاطلاق .

وكل ما فرض له اول فالله تعالى قبله فهو جل وعلا الاول من غير الشيء المفروض له اول ، وكل ما فرض له آخر فالله تعالى بعده لاحاطة قدرته ووجوده وعلمه به من كل جهة ، فهو تعالى الاخر دون الشيء المفروض له آخر .

وكل شيء فرض له ظاهر فهو تعالى أظهر منه لاحاطة وجوده وقدرته جل وعلا به من فوقه فهو الظاهر دون المفروض له وكل شيء فرض له باطن فهو تعالى أبطن منه لاحاطته به من ورائه فهو الباطن دون الشيء المفروض له باطن .

فالله تعالى وحده هو الاول والاخر والظاهر والباطن على الاطلاق ، وما في غيره تعالى من هذه الصفات فهي إضافيّة نسبيّة أعيانا أو أعراضاً .

واستدل بعض المتكلمين بقوله تعالى : « وما لكم لاتؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتومنوا بربكم ـ ومالكم الا تنفقوا في سبيل الله » على أن الانسان قادر على الايمان وعلى الاستطاعة قبل الفعل وإلا لم يصح التوبيخ عليه في ترك الايمان والفعل ، كما لا يقال : ما لك لا تطول ولا تبيض .

أقول : ففي الآيتين دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر فتأمّل جيداً .

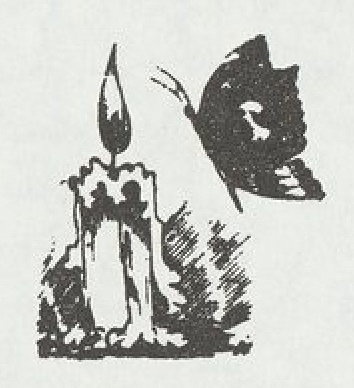
وفي المجمع : في قوله تعالى : « وان الله بكم لرؤف رحيم » قال : وفي هذا دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر فانه بيّن أن الغرض في إنزال القرآن الايمان به

واستدل بعض المتكلمين بقوله تعالى : « ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب مبين » على أن الله جل وعلا عالم بالاشياء قبل وقوعها

فان الاية تدل على أن جميع الحوادث الارضية قبل دخولها فى الوجود مكتوبة فى اللوح المحفوظ لايعلمه الا هو تعالى .

ويستدل بقوله تعالى : « وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله » على كون الجنة مخلوقة بالفعل .

ويستدل بقوله تعالى : « لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات » على لزوم المعجزة التى هى إحدى الشرائط العشرة التى لابد منها لكل رسول ونبى ليثبت بها نبوته ليتميّز النبى من المتنبّى .



بحث عميق روائي

في كون الله تعالى أولا وآخر

قال الله تعالى : « هو الاول والاخر » الحديد : ٣).

وقد وردت روايات كثيرة نشير إلى ما يسعه المقام :

١ - في نهج البلاغة قال الامام مولى الموحدين علي عليه السلام في خطبة :

« وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الاول لاشيء قبله ، والاخر لا غاية له ».

أقول : في قوله عليه السلام : « الاول لا شيء قبله » إشارة إلى كونه تعالى قديماً أزلياً وذلك لانه سبحانه لو كان محدثا - بالفتح - لكان له محدث - بالكسر - فكان ذلك المحدث قبله فثبت أنه متى صدق انه ليس شيء قبله صدق كونه قديماً.

وفي قوله عليه السلام : « والاخر لاغاية له » إشارة إلى انه تعالى أبدي لا انتهاء له ولا انقضاء لذاته.

٢ - في الكافي باسناده عن ميمون البان قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام وقد سئل عن « الاول والاخر » فقال : الاول لاعن أول قبله ولاعن بدء سبقه والاخر لا عن نهاية كما يعقل من صفة المخلوقين ، ولكن قديم أول آخر لم يزل ولا يزول بلا بدء ولا نهاية لايقع عليه الحدوث ولا يحول من حال إلى حال خالق كل شيء.

قوله عليه السلام : « اول آخر » بدون العطف إشارة إلى أن اوليته عين آخريته ليدل على ان كونه قديما ليس بمعنى القدم الزماني أى الامتداد الكمّي بلانهاية إذ وجوده ليس بزماني بل هو فوق الزمان والدهر ، نسبته إلى الأزل كنسبته إلى

الابد فهو بما هو أزلى أبدى وبما هو أبدى ازلى ، فهو وإن كان مع الازل والابد لكن ليس فى الازل ولافى الابد حتى يتغير ذاته وإليه الاشارة بقوله عليه السلام : « لا يقع عليه الحدوث » .

٣ ـ فى الاحتجاج : جاء حبر من الاحبار إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا اميرالمؤمنين متى كان ربك ؟ فقال له : ثكلتك امك ومتى لم يكن حتى يقال : متى كان ؟ ! كان ربى قبل القبل بلا قبل وبعدالبعد بلا بعد ولاغاية ولامنتهى لغايته انقطعت الغايات عنده فهو منتهى كل غاية .

٤ ـ فى نهج البلاغة قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام فى خطبة :

« الاول الذى لا غاية له فينتهى ، ولا آخر له فينقضى »

٥ ـ فى الكافى باسناده عن إبراهيم عن أبى عبدالله عليه السلام قال : إن الله تبارك اسمه وتعالى ذكره وجل ثناءه سبحانه وتقدس وتفرد وتوحد ولم يزل ولا يزال وهو الاول والاخر والظاهر والباطن فلا أول لاوليته رفيعاً فى أعلا علوه ، شامخ الاركان رفيع البنيان عظيم السلطان منيف الآلاء ، سنى العلياء الذى عجز الواصفون عن كنه صفته ولا يطيقون حمل معرفة إلهيته ولا يحددون حدوده لانه بالكيفيّة لا يتناهى إليه .

أقول: ومن المحتمل أن يكون إبراهيم هذا هو الصيقل والكرخى والبصرى .

٦ ـ فى التوحيد قال الامام الحسن بن على عليه السلام فى خطبة :

« الحمد لله الذى لم يكن فيه اول معلوم ولا آخر متناه ولا قبل مدرك ولابعد محدود فلا تدرك العقول وأوهامها ولاالفكر وخطراتها ولا الألباب وأذهانها صفته فتقول : متى ولا بدىء مما ولا ظاهر على ما ولا باطن فيما » .

قوله عليه السلام : « اول معلوم » الخ أوصاف توضيحيّة أى ليس له أول ولو كان له أول كان من الجائز أن يتعلق به علم ولا آخر ولو كان له آخر كان متناهياً ولا قبل ولو كان لكان جائز الادراك ولا بعد وإلا لكان محدوداً .

وقوله عليه السلام : « ولا بدىء مما » أى لم يبتدء من شىء حتى يكون له أول

« ولا ظاهر على ما » أى لم يتفوق على شيء بالوقوع والاستقرار عليه كالجسم على الجسم « ولا باطن فيما » أى لم يتبطّن فى شيء بالدخول فيه والاستتار به .

٧ ـ فى نور الثقلين عن على بن محمد مرسلا عن أبى الحسن الرضا عليه السلام قال : قال : إعلم علّمك الله الخير ان الله تبارك وتعالى قديم والقدم صفته التى دلت العاقل على أنه لا شيء قبله ولا شيء قبله ولا شيء معه فى ديموميته ، فقد بان لنا باقرار العامة معجزة الصفة انه لا شيء قبل الله ولا شيء مع الله فى بقائه ، وبطل قول من زعم انه كان قبله أوكان معه شيء ، وذلك انه لوكان معه شيء فى بقائه لم يجز أن يكون خالقاً له لانه لم يزل معه ، فكيف يكون خالقاً لمن لم يزل معه ولوكان قبله شيء كان الاول ذلك الشيء لا هذا وكان الاول أولى بأن يكون خالقاً للاول .

٨ ـ وفيه عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه رفعه قال : اجتمعت اليهود إلى رأس الجالوت فقالوا له : إن هذا الرجل عالم يعنون أمير المؤمنين عليه السلام فانطلق بنا إليه نسئله فأتوه فقيل لهم : هو فى القصر فانتظروه حتى خرج فقال له رأس الجالوت :

جئناك نسئلك قال : سل يا يهودى عما بدالك فقال : اسئلك عن ربك متى كان ؟ فقال : كان بلا كينونية ، كان بلا كيف ، كان لم يزل بلا كمّ وبلا كيف ، كان ليس له قبل هو قبل القبل بلا قبل ولا غاية ولا منتهى انقطعت عنه الغاية ، وهو غاية كل غاية .

فقال رأس الجالوت : امضوا بنا فهو أعلم مما يقال فيه .

٩ ـ فى نهج البلاغة قال الامام على عليه السلام فى خطبة :

« الحمد لله الاول قبل كل أول ، والاخر بعد كل آخر ، وبأوليته وجب أن لا اول له ، وبآخريته وجب ان لا آخر له » .

إن الله تعالى موجود قبل كل شيء يشير إليه العقل ويفرضه اول الموجودات وكذلك هو موجود بعد كل شيء يشير إليه العقل ويفرضه آخر مـا يبقى من

جميع الموجودات .

وذلك لأن الله تعالى بالاعتبار الأول يكون اولا قبل كل ما يفرض اولاً وبالاعتبار الثانى يكون آخراً بعد كل ما يفرض آخراً .

وقوله عليه السلام : « وبأوليته وجب ان لا اول له » الخ يحتمل وجهين :

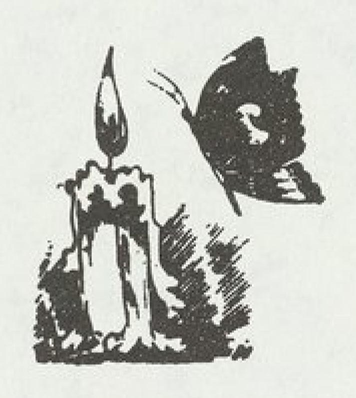
احدهما ـ : انّا لما فرضنا الله تعالى اولاً مطلقا تبع هذا الفرض ان يكون قديما ازلياً ، وهو المعنى بقوله عليه السلام : « وجب ان لا اول » وانما تبعه ذلك ، لأنه سبحانه لو لم يكن ازلياً لكان محدثا ـ بالفتح ـ فكان له محدث ـ بالكسر ـ والمحدث متقدم على المحدث وانا فرضناه تعالى اولامطلقاً أى لايتقدم عليه شيء فيلزم المحال والخلف ، وهكذا القول فى آخريته ، لانّا إذا فرضناه آخراً مطلقاً تبع هذا الفرض ان يكون مستحيل العدم ، وهو المعنى بقوله : « وجب ان لا آخر له » .

وإنما تبعه ذلك لانه لولم يستحل عدمه لصح عدمه لكن كلصحيح وممكن فليفرض وقوعه لانه لايلزم من فرض وقوعه محال مع فرضنا إياه صحيحا وممكنا لكن فرض تحقق عدمه محال لانه لوعدم لما عدم بعد إستمرار الوجودية إلا بضد لكن الضد المعدم يبقى بغد تحقق عدم الضد المعدوم لاستحالة ان يعدمه ويعدم معه فى وقت واحد لانّه لو كان وقت عدم الطارىء هو وقت عدم الضد المطروء عليه لامتنع عدم الضد المطروء عليه لأن حال عدمه الذى هوالأثر المتجدد تكون العلة الموجبة للاثر معدومة والمعدوم يستحيل أن يكون مؤثراً ألبتة ، فثبت أن الضد الطارىء لابد أن يبقى بعد عدم المطروء عليه ولو وقتاً واحداً لكن بقائه بعده ولو وقتاً واحداً يناقض فرضنا كون المطروء عليه آخراً مطلقاً ، لأن الضد الطارىء قد بقى بعده فيلزم من الخلق والمحال مالزم فى المسئلة الاولى .

ثانيهما ـ : أن لاتكون الضمائر الأربعة راجعة إلى الله تعالى بل يكون منها ضميران راجعين إلى غيره ، ويكون تقدير الكلام بأولية الأول الذى فرضنا كون الله تعالى سابقاً عليه علمنا أن البارىء لا اول له وبآخرية الآخر الذى فرضنا

ان البارىء متأخر عنه ، علمنا ان البارى لآخرله ، وانما علمنا ذلك لأنه لوكان سبحانه اولا لأول الموجودات وله مع ذلك اول لزم التسلسل ، وإثبات محدثين بالكسر ـ ومحدثين ـ بالفتح ـ إلى غير نهاية وهذا محال .

ولوكان الله تعالى آخر لآخر الموجودات وله مع ذلك آخر لزم التسلسل وإثبات اضداد تعدم ويعدمها غيرها إلى غير نهاية وهذا ايضا محال .



تحقيق علمي كلامي وفلسفي

في كون الله تعالى هو الاول والاخر

إعلم أن للاول معنيين :

أحدهما ـ : مالم يسبقه شيء فهو خارج عن الامور النسبية وهذا هو المراد من كونه تعالى أولا .

وذلك لان تقدم الشيء على الشيء على خمسة أقسام :

الاول : تقدم التأثير كتقدم حركة الاصبع على حركة الخاتم .

الثاني : التقدم بالحاجة لا بالتأثير ، كتقدم الامام على المأموم ، أو معقول على المحسوس .

الثالث : الزمان كتقدم الاب على الابن .

الرابع : الشرف .

الخامس: المكان .

ان القرآن الكريم صرح بأن الله تعالى قبل كل شيء ، والبرهان العقلي أيضاً يدل على ذلك لان انتهاء الممكنات لابد وأن يكون إلى الواجب ، إلا أن تلك القبلية ليست من الاقسام المذكورة لا بالتأثير ، لان المؤثر من حيث هو مؤثر مضاف إلى الاثر من حيث هو أثر والمضافان معاً والمعى لا يكون قبل ، ولا بالحاجة لانهما قد يكونان معاً وان ذات الواجب من حيث هو لا تفتقر إلى الممكن من حيث هو وحال الممكن بالخلاف .

ولا لمحض الشرف فان تلك القبلية ليست مرادة ههنا ، ولا بالمكان ، فانه

تعالى وراء كل الاماكن ومعها إذ قال : « ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطاً » النساء : ١٢٦) .

وقال : « فأينما تولوا فثم وجه الله » البقرة : ١١٥) .

وقال : « وهو معكم أين ما كنتم » الحديد : ٤) .

وأما تقدم الزمان فان الزمان بجميع أجزائه ممكن الوجود والتقدم على جميع الازمنة لا يكون بالزمان .

فتقدم الواجب تعالى على ما عداه خارج عن تلك الاقسام الخمسة وكيفية لا يعلمها إلا هو جل وعلا .

قال بعض الحكماء : المبدع لاغاية له ولا نهاية وما ليس له نهاية ليس له شخص وصورة. وقال : اللانهاية في سائر الموجودات لو تحققت لكان لها صورة واقعة ، ووضع وترتيب وما تحقق له صورة ووضع وترتيب صار متناهياً .

فالموجودات ليست بلا نهاية والمبدع الاول ليس بذى نهاية ليس على أنه ذاهب في الجهات بلا نهاية كما يتخليه الخيال والوهم ، بل لا يرتقى اليه الخيال حتى يصفه بنهاية ولا نهاية فلا نهاية له من جهة العقل إذ ليس يحده ولا من جهة الحس فليس يحده فهو ليس لـه نهاية فليس لـه شخص وصورة خيالية أو وجودية حسّية أو عقلية تعالى وتقدس .

وقال بعض المتكلمين : العلم بأن الله تعـالى قديم لم يزل ، أزلـي ليس لوجوده أول بل هو أول كل شيء وقبل كل ميت وحى ، وبرهانه انه لو كان حادثاً ولـم يكن قديماً لافتقر هو أيضا إلى محدث وافتقر محدثه إلى محدث ، وتسلسل ذلك إلى مالا نهاية وما تسلسل لم يتحصل أو ينتهى إلى محدث قديم هـو الاول ، وذلك هو المطلوب الذى سميناه صانع العالم ومبدئه وبارئه ومحدثه ومبدعه .

ثم قال : العلم بأنه تعالى مع كونه أزلياً أبدياً ليس لوجوده آخر فهو الاول والاخر والظاهر والباطن ، لان ما ثبت قدمه استحال عدمه ، وبرهانه أنه لوانعدم لكان لا يخلو إما أن ينعدم بنفسه او بمعدم يضاده ولو جاز ان ينعدم شيء يتصور

دوامه لجاز ان يوجد شيء يتصور عدمه بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود إلى سبب فلذلك يحتاج طريان العدم إلى سبب .

وباطل ان ينعدم بمعدم يضاده ، لان ذلك المعدم لو كان قديما لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالاصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده ؟ فان كان الضد المعدم حادثاكان محالا إذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده بأولى من القديم في مضادته للحادث حتى يدفع وجوده بل الدفع أهون من القطع والقديم اقوى واولى من الحادث .

والمعنى الثاني للاول بالنسبة إلى شيء كقوله تعالى : « قل انى امرت أن أكون أول من أسلم » الانعام : ١٤) فهو من الامور النسبية كالاول بالنسبة إلى الثاني .

والفرق بين المعنيين كالفرق بين ما يصدر عن الواحد الالهى ، والواحد المادى حيث ان وحدة الالهى حقيقية دون أى تركب إطلاقاً ، و وحدة المادة الاولية نسبيّة .

وقول الفلاسفة : الواحد لايصدر عنه إلا واحد ، لايعنى الواحد الواحد الالهى المجرد ، وانّما يعنى الواحد المادى : غير العالم المختار .

وان الواحد الالهى الذى له العلم والارادة والاختيار غير المتناهية يصدر منه الكثير حسب إرادته واختياره فبين الواحدين بوناً شاسعاً : بين العلم والحكمة والارادة والاختيار وأضدادها .

وعن بعض الظرفاء كلام لايخلو عن فائدة فقال : إذا دخلت في حديقة ترى زهرة جميلة في وسطها فتسئل عندئذ عن صاحبها : من أين هذه الزهرة الجميلة ؟

فيجاب : ان الفلاح وضع بذرها في هذا الموضع الصالح فأنتجت هذه الزهرة بعد مدة .

ثم تسئل عنه : من أين البذرة فيقول الصاحب إذا يبست الزهرة في الخريف أو الشتاء تأخذها الفلاح وفيها (كمّيّة) من البذور من الزهرة .

فاذن تتعجب من هذا الجواب بأن الزهرة من البذرة والبذرة من الزهرة التي كانت قبلها فالى أى مكان ينتهى الكلام فيقول الصاحب الخبير : يا أخـى إن لكل شيء بدءاً ينتهى إليه ، مثلا أفراد الانسان بدئهم آدم عليه السلام وأفراد الزهور بدئها زهرة أو بذرة خلقها الله تعالى وهكذا . . .

فلكل شيء بدء إلا شيء واحد فانه لا أول له ولا آخر وهو الله تعالى فانه سبحانه كان أول جميع الاشياء وقبلها ثم يفنى جميع الاشياء ويبقى هو كما كان وهو معنى قوله تعالى : « هو الاول والاخر » .

وهو معنى انه تعالى : « أزلى أبدى » .

أزلى كان قبل كل شيء ، أبدى يبقى بعد كل شيء .



بحث روائي

في أزلية الله تعالى

في نهج البلاغة: قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة:

« الحمد لله الدال على وجوده بخلقه، وبمحدث خلقه على أزليته، وباستشباههم على أن لاشبه له - إلى أن قال - : من وصفه فقد حده ومن حده فقد عده ومن عده فقد أبطل أزله ».

أقول: في اثبات ان للعالم صانعاً طريقتان:

إحداهما - وهي طريقة المتكلمين، وهي إثبات ان الاجسام محدثة، ولابد للمحدث - بالفتح - من محدث - بالكسر - اشار اليها الامام عليه السلام بجملته الاولى.

ثانيتهما - اثبات وجود الله تعالى من النظر في نفس الوجود.

وذلك لان الوجود ينقسم بالاعتبار الاول إلى قسمين: واجب وممكن، وكل ممكن لابد وان ينتهي إلى الواجب لان طبيعة الممكن يمتنع من ان يستقل بنفسه في قوامه فلا بد من واجب يستند إليه، وذلك الواجب الوجود الضروري الذي لابد منه، هو الله تعالى.

قوله عليه السلام: « وبمحدث خلقه على ازليته » إشارة إلى اثبات ازلية الله تعالى وذلك لان العالم مخلوق لله جل وعلا، حادث من جهته والمحدث - بالفتح - لابد له من محدث - بالكسر - فان كان ذلك المحدث محدثاً عاد القول فيه كالقول في الاول ويتسلسل، فلابد من محدث قديم، وذلك هو الله تعالى.

وفي الاحتجاج: قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: « وان لكل

نجم منها ـ من النجوم ـ مو كلا مدبراً فهى بمنزلة العبيد المامورين المنهيين فلو كانت قديمة أزليّة لم تتغير من حال إلى حال » الحديث .

وفى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام فى خطبة :

« مستشهد بحدوث الاشياء على أزليّته » .

أقول : وذلك لان الاشياء تتغير وتتنقل من حال إلى حال والعلة المصحّحة لذلك كونها محدثة ، وقد ثبت بالقطع واليقين أن لايصح عليه سبحانه التنقّل والتغير ، لانّه ليس بمحدث ـ بالفتح ـ وبذلك تثبت أزليته .

وفيه : قال عليه السلام : « لايقال كان بعد أن لم يكن فتجرى عليه الصفات المحدثات ولايكون بينها وبينه فصل ولاله عليها فضل فيستوى الصانع والمصنوع ويتكافأ المبتدع والبديع » .

أقول : فلا يجوز أن تصف الله سبحانه بالحدوث فتجرى عليه الصّفات المحدثات كما تجرى على كل محدث ، فلو كان سبحانه محدثا ـ بالفتح ـ لجرت علية صفات الاجسام المحدثة فلم يكن بينه وبين الاجسام المحدثة فرق فكان يستوى الصانع والمصنوع ، وهذا محال .

وفى الاحتجاج : عن هشام بن الحكم عن أبى عبد الله عليه السلام فى حديث قال : « لو كانت ـ الاشياء ـ قديمة أزليّة لم تتغيّر من حال إلى حال ، وإن الازلى لاتغيّره الايام ولايأتى عليه الفناء » .

أقول : ما يكون وجوده أزلياً لايكون محدثاً معلولا ، فيكون الواجب الوجود بذاته فلا يعتريه التغيّر والفناء ، فان الا زلى لايتغير .

وفى التوحيد : باسناده عن أبى المعتمر مسلم بن أوس عن أمير المؤمنين عليه السلام فى خطبة طويلة : « لم يخلق الاشياء من اصول أزليّة ولا من أوائل كانت قبله أبديّة بل خلق ما خلق وأتقن خلقه ، وصور ما صور فأحسن صورته .

وفى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام فى خطبة :

« ليس لاوليّته ابتداء ولا لازليّته انقضاء ، هو الاول ولم يزل ، والباقى

بلا اجل - إلى ان قال - لم يخلق الاشياء من اصول ازليّة ، ولا من اوائل ابديّة بل خلق ما خلق فأقام حده ، وصوّر ما صور فأحسن صورته » .

قوله عليه السلام : « ليس لاوليته ابتداء » لانه لو كان لاوليته ابتداء لكان محدثا ولا شيء من المحدث بواجب الوجود لان معنى واجب الوجود ان ذاته لا تقبل العدم ويستحيل الجمع بين قولنا : هذه الذات محدثة أى كانت معدومة من قبل وهي فى حقيقتها لاتقبل العدم .

وقوله عليه السلام : « ولا لازليته انقضاء » لانّه لوصحّ عليه العدم لكان لعدمه سبب ، فكان وجوده موقوفاً على انتفاء سبب عدمه والمتوقف على غيره يكون ممكن الذات فلا يكون واجب الوجود .

وقوله عليه السلام : « هو الاول ولم يزل والباقى بلا أجل » تكرار لهذين المعنيين السابقين على سبيل التأكيد .

وقوله عليه السلام : « لم يخلق الاشياء من اصول أزليته » الخ ، بيان لقدرة الله تعالى على كل الممكنات ، وفيه رد على أصحاب الهيولى والطينة التى يزعمون قدمها .

وفى التوحيد : باسناده عن جابر بن يزيد الجعفى عن أبى جعفر محمد ابن على الباقر عن أبيه عن جده عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام فى خطبة خطبها بعد موت النبى صلى الله عليه وآله بتسعة أيام - وذلك حين فرغ من جمع القرآن - فقال: « الحمد لله الذى أعجز الاوهام أن تنال الا وجوده وحجب العقول عن أن تتخيل ذاته فى إمتناعها من الشبه والشكل ، بل هو الذى لم يتفاوت فى ذاته ولم يتبعّض بتجزية العدد فى كماله ، فارق الاشياء لا على اختلاف الاماكن وتمكّن منها لا على الممازجة ، وعلمها لا بأداة لا يكون العلم إلا بها ، وليس بينه وبين معلومه علم غيره إن قيل: « كان » فعلى تأويل أزليّة الوجود وإن قيل : « لم يزل » فعلى تأويل نفى العدم ، فسبحانه وتعالى عن قول من عبد سواه واتخذ إلهاً غيره علواً كبيراً » .

تحقيق علمي عميق

في أزلية الله جل وعلا

ومن البديهي ان هناك اموراً ثلاثة :

١ ـ الوجود .

٢ ـ في الوجود أزليّة ما .

٣ ـ ان المادة حادثة .

واعلم أن الازلية مالا أول له ولا يسبقه عدم إطلاقاً ـ كلما رجعنا القهقرى وجدناه كما هو الان وتجده إلى غير البداية ـ فلا أول له ولا آخر ، لا زمنياً ولا دهرياً ، لا ذاتياً ولا عرضياً ، ولا أيّة بداية أو نهاية .

فالازلية هي اللا أولية تستلزم الا بدية اللانهائيّة دون العكس فان الابدية تتصور وعرضية غيرية دون الازلية والموجود الازلي الا بدى يسمى سرمدياً .

وان الازلية اللاأولية هي الغنى المطلق دون أن تتصور فيها الحاجة إلى سواها إطلاقاً ، وان الأزلية هي اللا محدودية .

وان الحدوث هو الفقر إطلاقاً دون ان يتصور فيه الغنى فيحتاج إلى كائن ازلي احدثه وابقاه إلى اجل مسمى وان الحادث محدود جميع جهاته : في ادراكاته ومشاعره وحواسه وقواه . . .

فاذاً بين الازلية والحدوث تباين التناقض إذ يحيل العقل اجتماعهما في كائن شخصي واحد حيث ان المدار فيهما دائر بين النفي والاثبات : نفي الابتداء واثباته .

فالحدوث يباين الازلية كلياً ، فان الحادث ماله بداية ونهاية مهما تطاول عمره .

ومن البديهى ان الاشياء فى العالم صغيرها و كبيرها ، مرئيها وغير مرئيها كلها حادثة قابلة للزوال والفناء لان القديم والحادث صفتان متقابلتان للوجود لا يجتمعان فى شيء واحد ، وان ما سوى الله تعالى بحاجة ماسة فى كينونيتها إلى خالق أزلى مجرد عنها ودائها .

وقد ثبت ببرهانى الان واللم : ان للعالم صانعاً مبدعاً محدثاً أزلياً واجباً بذاته عالماً بجميع معلوماته وكان فى الازل ولم يكن فى الوجود رسم ولاطلل .

وان علمه وحكمته وجوده وقدرته بلانهاية ولايبلغ العقل أن يصفها إذ لو وصفها لكانت متناهية وهى لاغاية ولانهاية لها ، فان التجرد والحدوث والازلية معان تحمل حقائق ولكنها بعيدة عن أفهامنا ومدى إدراكنا إذليست بالتى نجدها فى العلوم التجريبية ولافى معاهد الفيزياء والكيمياء ولا من المكبريات المتجهزة بالعدسيات القوية ولا . .

ان الله جل وعلا هو الاول لااول له وهو الاخر لاآخر له وهو مبدأ الاشياء ولابد ولـه هو المدرك من خلقة انه هو فقط وانه لاهوية تشبهه و كل هوية فمبدعة منه هو الواحد ليس واحد الاعداد لأن واحد الاعداد يتكثر وهو لايتكثر و كل مبدع ظهرت صورته فى حد الابداع فقد كانت صورته فى علمه الاول والصور عنده بلانهاية.

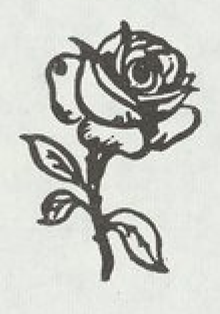
وانه تعالى لم يزل هويته فقط وهو العلم المحض وهو الارادة المحضة وهو الجود والعز والقدرة والعدل والخير والحق ، لاأن هناك قوى مسماة بهذه الاسماء بل هى هو وهو هى كلها .

مبدع فقط ، لا انه أبدع من شيء ولا ان شيئاً كان معه فأبدع ما اراد بلا سبق وجود له « انما امره اذا اراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » يس : ٨٢) .

ابدع الصور لابنوع إرادة مستأنفة بل بنوع انه علة فقط وهو العلم والارادة فاذا المبدع إنما ابدع الصور بنوع انه علة لها فالعلة ولا معلول والا فالمعلول مع العلة معية بالذات .

وهو جل وعلا مبدأ كل شيء وغاية له والغاية : هي نهاية الامتداد وقدتطلق على نفس الامتداد .

فكل ماتوهمت انه غاية له فالله جل وعلا موجود بعده لاينتهي اليه وجوده فكل غاية أي إمتداد اونهايـة ينقطع عنه لوجـوده تعالى قبله وبعده فهو منتهى كل غاية أي بعدها وهو علّة لكل غاية وإليه ينتهي وجودها فكيف تكون غاية له ؟ ولا غاية لوجوده وسائر كمالاته أزلاً وابداً .



بحث روائي

في كون الله تعالى قديماً

في الكافي : عن أبي هاشم الجعفري قال : كنت عندأبي جعفر الثاني عليه السلام فسئله رجل فقال : أخبرني عن الرب تبارك وتعالى له أسماء وصفات في كتابه ؟ وأسمائه وصفاته هي هو ؟

فقال ابو جعفر عليه السلام : إن لهذا الكلام وجهين إن كنت تقول : هي هواى انه ذو عدد و كثرة فتعالى الله عن ذلك وإن كنت تقول : هذه الصفات والاسماء لم تزل فان « لم تزل » محتمل معنيين ، فان قلت : لم تزل عنده في علمه وهو مستحقها فنعم ، وإن كنت تقول : لم يزل تصويرها وهجاؤها وتقطيع حروفها فمعاذالله أن يكون معه شيء غيره ، بل كان الله ولاخلق ، ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه يتضرعون بها إليه ويعبدونه وهي ذكره .

وكان الله ولا ذكر والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل ، والاسماء والصفات مخلوقات والمعاني والمعنيّ بها هـو الله الذي لا يليق به الاختلاف ولا الائتلاف ، وانما يختلف ويأتلف المتجزىء فلا يقال : الله مؤتلف ولا الله قليل ولا كثير ولكنه القديم في ذاته لان ما سوى الواحد متجزى ، والله واحد لامتجزىء ولا متوهم بالقلّة والكثرة ، وكل متجزىء أو متوهم بالقلة والكثرة فهو مخلوق دال على خالق له . الحديث .

أقول : قوله عليه السلام : « لهأسماءوصفات » ان المراد بالاسماء مادل على الذات من غير ملاحظة صفة وبالصفات مادل على الذات مع ملاحظة الاتصاف بصفة .

وقوله عليه السلام : « وهى ذكره » أى يذكر بها ، والمذكور بالذكر قديم ، والذكر حادث .

وفيه : عن أبى الحسن الرضا عليه السلام قال : إعلم علّمك الله الخير أن الله تبارك وتعالى قديم والقدم صفته التى دلت العاقل على أنه لاشى قبله ولاشىء معه فى ديموميّته . الحديث .

وفى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام فى خطبة :

« الحمدلله الذى لاتدركه الشواهد ، ولاتحويه المشاهد ، ولاتراه النواظر ولاتحجبه السواتر ، الدال على قدمه بحدوث خلقه ، وبحدوث خلقه على وجوده » الخطبة .

أقول : اريد بالشواهد ههنا : الحواس ، سميت بها إما لحضورها ، يقال : شهد فلان كذا ، أى حضره ، واما لانها تشهد على ما تدركه وتثبته عند العقل كما يشهد الشاهد على شىء ويثبته عند الحاكم ، وفسّرها بقوله عليه السلام : « ولا تراه النواظر » .

واريد بالمشاهد ههنا : المجالس والنوادى يقال : حضرت مشهد بنى فلان اى مجتمعهم وناديهم ، وفسرها بقوله عليه السلام : « ولاتحجبه السواتر » .

وقوله عليه السلام : « الدال بحدوث الاشياء على قدمه » اى حدوث الاشياء دليل على قدمه تعالى اى على كونه ذاتاً لم يجعلها جاعل .

وفيه : فى خطبة له عليه السلام :

« لايشمل بحد ولايحسب بعد وانما تحد الادوات انفسها وتشير الآلات إلى نظائرها منعتها منذالقدمة وحمتها قد الأزلية وجنّبتها لولا التكملة بها تجلّى صانعها للعقول ، وبها امتنع عن نظر العيون ولاتجرى عليه الحركة والسكون وكيف يجرى عليه ماهو اجراه ويعود فيه ماهو ابداه ويحدث فيه ما هواحدثه » الخطبة .

قوله عليه السلام : « لايشمل بحد » وذلك لان الحد الشامل ما كان مركباً من

جنس وفصل والله تعالى منزه عن ذلك لانه لو شمله الحد على هذا الـوجه لكان مركباً فلم يكن واجب الوجود وقد ثبت انه واجب الوجود، ومن المحتمل ان يكون المراد : انه ليس بذى نهاية فتحويه الاقطار وتحده .

وقوله عليه السلام : « ولا يحسب بعد » اى لاتحسب ازليته فلا يقال : وجد منذ كذا و كذا كما يقـال فيما سواه ، ومن المحتمل ان يكون المراد : انه ليس مماثلا للاشياء فيدخل تحت العدد كما يعد ما سواه ويدخل تحته .

وقوله عليه السلام : « وانما تحد الادوات انفسها وتشير الآلـات إلـى نظائرها » وذلك لان الادوات كالجوارح انما تحد وتقدّر ما كان مثلها من ذوات المقادير وتشير الآلات وهى الحواس إلى ما كان نظيراً لها فى الجسمية ونحوها والله سبحانه ليس بذى مقدار ولاجسم ولاحال فيه فاستحال ان تحده الادوات وتشير اليه الآلات.

وقوله عليه السلام : « منعتها منذ القدمة » أى إن إطـلاق لفظ « منذ » على الآلات والادوات يمنعها عن كونها قديمة ، لان كلمة « منذ » وضعت لابتداء الزمان كلفظة « من » لابتداء المكان والقديم لا إبتداء له .

وقوله عليه السلام : « وحمتها قد الازلية » أى ان إطلاق لفظة « قد » على الآلات والادوات تمنعها من كونها أزليّة لان « قد » لتقريب الماضى من الحال ، يقال: قد قام زيد ، فدلّت لفظة « قد » على أن قيام زيد قريب من الحال التى اخبرت فيها بقيامه ، والازلى لايصح ذلك فيه .

وقوله عليه السلام : « وجنبتها لولا التكملة » أى ان اطلاق لفظة «لو لا» على الادوات والآلات يجنّبها التكملة ويمنعها من التمام المطلق لان كلمة « لو لا » وضعت لامتناع الشيء لوجود غيره كقولك : لولا زيد لقام عمرو فامتناع قيام عمرو انما هو لوجود زيد وتقول فى الادوات والآلات و كل جسم : ما أحسنه لولا أنه فان ! وما أتمه لولا كذا ! فيكون المقصد والمنحى بهذا الكلام على هذا بيان أن الادوات والآلات محدثة ناقصة والمراد بالآلات والادوات أربابها .

هذا بناء على نصب « القدمة » و « الازلية » و «التكملة» على كونها مفعولاً

ثانياً والمفعول الاول : الضمائر المتصلة بالافعال وتكون « منذ » و « قد » و «لولا» في موضع رفع على الفاعلية .

ومن المحتمل أن تكون « القدمة » و « الازلية » و « التكملة » مرفوعات على الفاعلية وتكون الضمائر المتصلة بالافعال مفعولاًاولاً وتكون « منذ » و « قد » و « لولا » في موضع نصب على كونها مفعولا ثانياً .

والمعنى : ان قدم الله تعالى وازليته وكماله منعت الادوات والآلات من إطلاق لفظة « منذ » و « قد » و « لولا » عليه سبحانه لأنه تعالى قديم كامل ولفظتا « منذ » و « قد » لاتطلقان الا على محدث لأن إحداهما لابتداء الزمان والاخرى لتقريب الماضي من الحال ولفظة « لولا » لاتطلق الّا على ناقص ، فيكون المقصد والمنحى بهذا الكلام على هذه الرواية بيان قدم البارى تعالى وكماله وانّه لا يصح ان يطلق عليه ألفاظ تدل على الحدوث والنقص .

وقوله عليه السلام : « بها تجلّى صانعها للعقول وبها امتنع عن نظر العيون » أي بهذه الآلات والادوات التي هي حواسّنا ومشاعرنا وبخلقه اياها وتصويره لها تجلّى للعقول وعرف لانه لولم يخلقها لم يعرف وبها امتنع عن نظر العيون أي بها استنبطنا استحالة كونه مرئياً بالعيون لانّا بالمشاعر والحواس كملت عقولنا وبعقولنا استخرجنا الدلالة على أنه لاتصح رؤيته فاذن بخلقه الآلات والأدوات لنا عرفناه عقلا وبذلك عرفناه أنه يستحيل أن يعرف بغير العقل .

وقوله عليه السلام : « لا تجرى عليه الحركة والسكون » وذلك لأن الحركة والسكون من معان محدثة فلو حلّت فيه لم يخل منها ، وما لم يخل من المحدث ـ بالفتح ـ فهو محدث ـ بالكسر ـ .

وفي نهج البلاغة : قال الامام علي عليه السلام في خطبة :

« لا بصوت يقرع ولا بنداء يسمع وانما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه ومثّله لم يكن من قبل ذلك كائناً ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً » .

أقول: وذلك لأنّه لو كان في الوجود معنى قديماً قائماً بذات البارى تعالى

لكان ذلك المعنى مشاركا له سبحانه فى أخص صفاته وكان يجب لذلك المعنى جميع ما وجب للبارىء من الصفات نحو العالمية والقادرية وغيرهما فكان إلهاً ثانياً.

وقوله عليه السلام : « ومثّله » يقال : مثلت له كذا تمثيلا إذا صوّرت له مثاله بالكتابة أو بغيرها ، وان الله تعالى مثّل القرآن الكريم لجبرئيل عليه السلام بالكتابة فى اللوح المحفوظ فأنزله على محمد رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم .

ويقال أيضا : مثل زيد بحضرتى إذا حضر قائما ومثلته بين يدى زيد أى أحضرته منتصباً فلما كان الله تعالى فعل القرآن واضحاً بيّناً كان قد مثّله للمكلّفين .

وفى التوحيد : باسناده عن أبى بصير قال : أخرج ابو عبد الله عليه السلام حقاً فاخرج منه ورقة فاذا فيها : سبحان الواحد الذى لا إله غيره ، القديم المبدىء الذى لا بدء له ، الدائم الذى لانفاد له ، الحى الذى لا يموت ، الخالق ما يرى وما لايرى ، العالم كل شىء بغير تعليم ، ذلك الله الذى لا شريك له .

أقول: « حقّاً » بضم الحاء : وعاء من خشب .

وفى الاحتجاج : سئل ابوالحسن على بن محمد عليه السلام عن التوحيد فقيل : لم يزل الله وحده لا شىء معه ثم خلق الاشياء بديعاً واختار لنفسه الأسماء ؟ أولم تزل الأسماء والحروف معه قديمة ؟

فكتب عليه السلام : « لم يزل الله موجوداً ثم كوّن ما اراد » الخبر .



تحقيق علمى كلامى

فى كون الله تعالى قديماً

إعلم ان القدم هو استمرار الوجود حتى لا يكون له أول.

وقد اختلف فى أن الوجود هل هو أمر زائد على الذات؟ أم هو الذات والذات هو؟.

وفى أن القدم هل هو صفة زائدة على وجود الله تعالى؟ أم انه جل وعلا قديم لذاته؟.

والصواب عندنا الشيعة الامامية الاثنى عشرية: ان الوجود هو الذات، والذات هو الوجود وانه تعالى قديم لذاته ودليلنا على ذلك دلالتنا على ان للعالم محدثا دلالة على أنه ذات وبما أن وجود الشيء هو ذاته فقد حصلت الدلالة على أنه موجود دلت على ذلك آيات قرآنية وروايات شريفة من أهل بيت الوحى صلوات عليهم أجمعين أوردناها سابقاً فراجع وتدبر.

وما تشبث بعض أهل الوساوس لا يغنى ولا يشبع.

ان الله تعالى هو القديم الذى لايشاركه فيه أحد إذ كلماسواه ممكن حادث.

وذهبت الاشاعرة إلى أن معه تعالى معان قديمة ثمانية: هى علل فى الصفات بأن المراد بالمعانى مبادىء المشتقات المطلقة عليه سبحانه كالقدرة والعلم والمراد بالصفات نفس مفاهيم المشتقات كمفهوم القادر والعالم والحى وقال بعض الأشاعرة: إن هذه الصفات متأخرة رتبة من الذات.

وقال الفخر الرازى: «ان النصارى كفروا، لانهم اثبتوا ثلاثة قدماء

واصحابنا قد أثبتوا تسعة فيلزمهم افتقار الله سبحانه في كونه عالماً إلى اثبات معنى هو العلم ولولاه لم يكن عالماً وافتقاره في كونه قادراً إلى القدرة ولولاها لم يكن قادراً وكذلك باقي الصفات والله تعالى منزه عن الحاجة والافتقار لان كل مفتقر إلى الغير فهو ممكن».

أقول: وتوقفت المعتزلة في المقام.

والمستفاد من صراح ما ورد عن طريق أهل بيت الوحي المعصومين عليهم السلام انه لا تكون بينونة بين ذاته وصفاته سبحانه بأن يكون هناك ذات وصفة.

هذا هو كلام الامام مولى الموحدين أميرالمؤمنين علي عليه السلام في اول خطبته على ما في النهج: «وكمال الاخلاص لـه نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزأه ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشاراليه ومن أشارإليه فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن قال: «فيم» فقد ضمنه ومن قال: «علام» فقد أخلى منه».

في قوله عليه السلام: «وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه» نفي المعاني القديمة التي زعمتها الاشاعرة ومن إليهم.

وقوله عليه السلام: «لشهادة كل صفة انها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف انه غير الصفة»

وذلك لانه لو كان عالماً مثلا بمعنى قديم لكان ذلك المعنى إمّا هو أوغيره واما ليس هو ولا غيره، والاول باطل لانّا نعقل ذاته قبل أن نعقل أو نتصور لـه علماً والمتصور مغاير لما ليس بمتصور، والثالث باطل أيضاً، لان اثبات شيئين: أحدهما ليس هو الاخر ولا غيره معلوم فساده ببديهة العقل، فتعيّن القسم الثاني وهو محال.

أما اولا فباتفاق أهل الملة، واما ثانياً فلما سبق من أن وجوب الوجود لا يجوز أن يكون لشيئين.

واذا عرفت هذا فاعلم ان الاخلاص لله تعالى قد يكون ناقصاً وقد يكون تاماً والناقص هو العلم بوجوب وجوده تعالى وانه واحد ليس بجسم ولا عرض ولا يصح عليه ما يصح على الاعيان والاعراض ، واما التام فهو العلم بانه لا تقوم به المعانى القديمة مضافاً الى تلك العلوم السابقة وحينئذ تتم المعرفة وتكمل .

وقوله عليه السلام : « فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه » تأكيد وتقرير لما سبق ، وان الموصوف يقارن الصفة والصفة تقارنه .

وقوله عليه السلام : « ومن قرنه فقد ثناه » وذلك لانه يوجب اثبات القديمين وذلك محض التثنية .

وقوله عليه السلام : « ومن ثنّاه فقد جزاه » وذلك لانه لو اطلق لفظ « الله » تعالى على الذات والعلم القديم فقد جعل مسمى هذا اللفظ وفائدته متجزئه كاطلاق لفظ « الاسود » على الذات الّتى حلّها سواد .

وقوله عليه السلام : « ومن جزاه فقد جهله » وذلك لان الجهل هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو به .

وقوله عليه السلام : « ومن اشار اليه فقد حدّه » وذلك لان كل مشار اليه فهو محدود لان المشار اليه لابد ان يكون فى جهة مخصوصة وكل ما هو فى جهة فله حد وحدود اى اقطار واطراف .

وقوله عليه السلام : « ومن حده فقد عده » اى جعله من الاشياء المحدثة وذلك لان كل محدود معدود فى الذوات المحدثة .

وقوله عليه السلام : « ومن قال : فيم ؟ فقد ضمنه » وذلك لان من تصور انه فى شيء فقد جعله اما جسماً مستتراً فى مكان ، او عرضاً سارياً فى محل ، والمكان متضمّن للتمكن والمحل متضمّن للعرض .

وقوله عليه السلام : « ومن قال : علام ؟ فقد اخلى منه » وذلك لان من تصور انه سبحانه على العرش او على الكرسى ، فقد اخلى منه غير ذلك الموضع واصحاب تلك المقالة يمتنعون من ذلك ومراد الامام عليه السلام اظهار تناقض اقوالهم

والا فلو قالوا : هب انا قد اخلينا منه غير ذلك الموضع اى محذور يلزمنا ؟ .

فـاذا قيل لهم : لـو خلا منه موضع دون موضع لكان جسماً ولزم حدوثه قالوا : لزوم الحدوث والجسمية انّما هو من حصوله فى الجهة لا مـن خلو بعض الجهات عنه وانتم انّما احتججتم علينا بمجرد خلـو بعض الجهات منه فظهر ان توجيه الكلام عليهم انّما هو الزام لهم لا استدلال على فساد قولهم .

والتجئت الاشاعرة ومن اليهم فقالوا : ان هذه المعانى لا هى نفس الذات ولا مغايرة لها وليس هـذا الا التناقض حيث ان الشىء اذا نسب الـى آخر فامّا ان يكون هو هو أو غيره ولا يعقل سلبهما معاً .



الله تعالى

وكونه ظاهراً وباطناً

قال الله تعالى : « والظاهر والباطن » الحديد : ٣) .

فى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام فى خطبة :

« الحمد لله الذى لم يسبق له حال حالا فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً ـ إلى أن قال ـ وكل ظاهر غيره غير باطن وكل باطن غيره غير ظاهر » .

قوله عليه السلام : « الذى لم يسبق له حال حالاً فيكون أولا قبل أن يكون آخراً » فيه وجهان :

أحدهما ـ ان يكون المراد من كونه اولا انه تعالى كان ولم يكن معه شيء ومن كونه آخراً انه سبحانه لا يزال باق ولا يبقى شيء معه كل شيء هالك إلا وجهه .

فذاته تعالى ذات يجب لها اجتماع استحقاق هذين الاعتبارين معاً فى كل حال فلا حال قط الا ويصدق على ذاته انه يجب كونه مستحقاً للاولية والاخرية بالاعتبار المذكور استحقاقاً ذاتياً ضرورياً وذلك الاستحقاق ليس على وجه وصف الترتيب ، بل مع خلاف غيره من الموجودات الجسمانية فان غيره مما يبقى زمانين فصاعداً إذا نسبناه إلى مايبقى دون زمان بقائه لم يكن استحقاقه الاولية والاخرية بالنسبة إليه على هذا الوصف ، بل إما يكون استحقاقا بالكلية بأن يكون إستحقاقا قريبا ، فيكون انما يصدق عليه أحدهما لأن الاخر لم يصدق عليه ، أو يكونا معا

يصدقـان عليه مجتمعين غير مرتبين ، لكن ليس ذلك لذات الموصوف بالاوليّة والاخرية وبل انما الاستحقاق لأمر خارج عن ذاته .

ثانيهما ـ : أن يكون المراد انه لايجوز أن يكون مورداً للصفات المتعاقبة من كونه سبحانه ذا صفة بكونه أولا وآخراً ، بل انما المرجع بذلك إلى إضافات لا وجود لها في الاعيان ولايكون ذلك من أحوال ذاته الراجعة إليها كالعالمية ونحوها لأن تلك احوال ثابتة ونحن انما ننفي عنه تعالى بهذه الحجة الأحوال المتعاقبة .

وقوله عليه السلام : « ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطنا » وفيه أيضا وجهان :

أحدهما ـ : انه تعالى ظاهر ، بمعنى ان أدلّة وجوده وأعلام ثبوته وإلهيته جلية واضحة ، ومعنى كونه باطنا انه غيرمدرك بالحواس الظاهرة ، بل بقوة اخرى باطنة وهي القوة العقلية .

ثانيهما ـ : ان يكون المراد بالظاهر الغالب ، يقال : ظهر فلان على بني فلان أي غلبهم ، والمراد بالباطن العالم ، يقال : بطنت سرفلان أي علمته والقول في نفيه عنه سبحانه أن يكون ظاهراً قبل كونه باطنا كالقول فيما تقدم من نفيه عنه سبحانه كونه أولا قبل كونه آخراً .

وقوله عليه السلام : « وكل ظاهر غيره غير باطن وكل باطن غيره غير ظاهر » وذلك لان كل ظاهر غيره على التفسير الاول فليس بباطن كالشمس والقمر وغيرهما من الالوان الظاهرة فانها ليست انما تدرك بالقوة العقلية بل بالحواس الظاهرة ، وأما الله سبحانه فانه أظهر وجوداً من الشمس لكن لايمكن إدراك ذلك الظهور بالقوى الحاسة الظاهرة بل بأمر آخر ، إما خفي في باطن هذا الجسد أو مفارق ليس في الجسد ولا في جهة اخرى غير جهة الجسد .

وأما على التفسير الثاني فلان كل ملك ظاهر على رعيته أو على خصومه وقاهرلهم ليس بعالم ببواطنهم وليس مطّلعا على سرائرهم والله تعالى بخلاف ذلك وبذلك يظهر معنى : « وكل باطن غيره غير ظاهر » مع أن حيثية الظهور في

غيره تعالى غير حيثية البطون وبالعكس وأما هو تعالى فلما كان أحدى الذات لا تنقسم ولا تتجزى إلى جهة وجهة كان ظاهراً من حيث هو باطن وباطنا من حيث هو ظاهر، فهو باطن خفى من كمال ظهوره وظاهر جلى من كمال بطونه.

وفى الكافى: عن أبى الحسن الرضا عليه السلام فى حديث ـ إلى أن قال ـ: «واما الظاهر فليس من اجل انه علا الاشياء بركوب فوقها وقعود عليها وتسنم لذراها ولكن ذلك لقهره ولغلبته الاشياء وقدرته عليها كقول الرجل: ظهرت على اعدائى واظهرنى الله على خصمى يخبر عن الفلج والغلبة فهكذا ظهور الله على الاشياء ووجه آخر انه الظاهر لمن اراده ولا يخفى عليه شيء وانه مدبّر لكل ما برأ، فأى ظاهر اظهر واوضح من الله تبارك وتعالى لانك لاتعدم صنعته حيثما توجهت وفيك من آثاره ما يغنيك، والظاهر منا البارز بنفسه والمعلوم بحده، فقد جمعنا الاسم ولم يجمعنا المعنى.

وأما الباطن فليس على معنى الاستبطان للاشياء بأن يغور فيها ولكن ذلك منه على استبطانه للاشياء علماً وحفظا وتدبيراً.

كقول القائل: أبطنته يعنى خبّرته وعلمت مكتوم سره والباطن منا الغائب (الغابر خ) فى الشيء المستتر، وقد جمعنا الاسم واختلف المعنى» الحديث.

وفى نهج البلاغة: قال مولى الموحدين على عليه السلام فى خطبة:
«والظاهر لا برؤية والباطن لا بلطافة».

وذلك لان الظاهر من الاجسام ما كان مرئيا بالبصر والباطن منها ما كان لطيفا جداً إما لصغره أو لشفافيته، والله جل وعلا ظاهر للبصائر لا للابصار وباطن أى غير مدرك بالحواس، لأن ذاته لاتقبل المدركية لا من حيث كان لطيف الحجم أو شفّاف الجرم.

وفيه: قال عليه السلام: «الحمد لله المتجلّى لخلقه بخلقه، والظاهر لقلوبهم بحجتّه، خلق الخلق من غير رويّة، إذ كانت الرويات لا تليق إلا بذوى الضمائر وليس بذى ضمير فى نفسه خرق علمه باطن غيب السترات وأحاط بغموض عقائد

السريرات » . وذلك لانه لما كانت دلائل إثبات الصانع وبراهين التوحيد ظاهرة ظهور الشمس وصفه الامام عليه السلام بكونه ظهر وتجلّى لخلقه ، ودلهم عليه بخلقه إياهم وايجاده لهم .

ثم أكّد ذلك بقوله : « والظاهر لقلوبهم بحجته » ولم يقل : «لعيونهم » لانه غير مرئى ولكنه ظاهر للقلوب بما أودعها من الحجج الدالة عليه تعالى .

ثـمّ نفى عنه سبحانه الرؤية والفكر والتمثيل بين خاطرين ليعمل على أحدهما لان ذلك إنما يكون لأرباب الضمائر ، والقلوب أولى النوازع المختلفة والبواعث المتضادة .

ثم وصفه جل وعلا بأن علمه محيط بالظاهر والباطن والماضى والمستقبل ، فقال : إن علمه خرق باطن الغيوب المستورة وأحاط بالغامض من عقائد السرائر .

وفيه: قال عليه السلام : « الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين والباطن بجلال عزته عن فكر المتوهمين العالم بلا اكتساب ولا ازدياد ولا علم مستفاد ، المقدر لجميع الامور بلا روية ولا ضمير الذى لا تغشاه الظلم ولايستضيء بالانوار ولايرهقه ليل ولا يجرى عليه نهار ليس إدراكه بالابصار ولا علمه بالاخبار » .

قوله عليه السلام : « الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين » أى الظاهر بأفعاله على وفق الحكمة والتدبير « والباطن بذاته » لأنه إنّما يعلم منه أفعاله ، وأمّا ذاته فغير معلومة .

وقوله عليه السلام : « العالم بلا اكتساب ولا ازدياد » أى أنه تعالى غير مكتسب كما يكتسب الواحد منا علومه بالاستدلال والنظر ولا هو علم يزداد إلى علومه الاولى كما تزيد علوم الواحد منا ومعارفه وتكثر لكثرة الطرق التى يتطرق بها إليها.

وقوله عليه السلام : « ولاعلم مستفاد » أى ليس يعلم الاشياء بعلم محدث مجدد.

وقوله عليه السلام : « المقدر لجميع الامور بلا روية ولا ضمير » وذلك لان الله تعالى قدر الامور كلها بغير فكر ولاضمير وهو مايطويه الانسان من الرأى والاعتقاد والعزم فى قلبه .

وقوله عليه السلام : « الذي لا تغشاه الظلم » لانه ليس بجسم « ولا يستضيء بالانوار » كالاجسام ذوات البصر ، « ولا يرهقه ليل » أي لا يغشاه « ولا يجري عليه نهار » لانه ليس بزماني ولا قابل للحركة « ليس إدراكه بالابصار » لان ذلك يستدعي المقابلة « ولا علمه بالاخبار » .

الاخبار : مصدر أخبر ، أي ليس علمه مقصوراً على أن تخبره الملائكة بأحوال المكلفين بل هو تعالى يعلم كل شيء وما تخبره الملائكة قبل إخبارهم لان ذاته ذات واجب لها أن تعلم كل شيء لمجرد ذاتها المخصوصة من غير زيادة أمر على ذاتها .

وفي التوحيد : قال الامام الحسن بن علي عليه السلام في خطبة :

« الحمد لله الذي لم يكن فيه أول معلوم ولا آخر متناه ولا قبل مدرك ولا بعد محدود فلا تدرك العقول وأوهامها ولا الفكر وخطراتها ولا الالباب وأذهانها صفته فتقول : متى ولا بدىء مما ولا ظاهر على ما ولا باطن فيما » .

قوله عليه السلام : « اول معلوم الخ » أوصاف توضيحيّة اى ليس له أول ولو كان له اول كان من الجائز ان يتعلّق به علم ولا آخر ولو كان له آخر كان متناهياً ولا قبل ولو كان لكان جائز الادراك ولا بعد والا لكان محدوداً .

وقوله عليه السلام : « ولا بدىء مما » أي لم يبتدء من شيء حتى يكون له اول « ولا ظاهر على ما » اى لم يتفوق على شيء بالوقوع والاستقرار عليه كالجسم على الجسم « ولا باطن فيما » اى لم يتبطن في شيء بالدخول فيه والاستتار به .

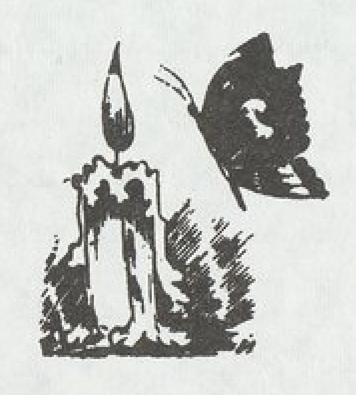
وفي الدر المنثور : عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا يزال الناس يسئلون عن كل شيء حتى يقولوا : هذا الله كان قبل كل شيء فماذا كان قبل الله فان قالوا لكم ذلك فقولوا : هو الاول قبل كل شيء وهو الآخر فليس بعده شيء وهو الظاهر فوق كل شيء وهو الباطن دون كل شيء وهو بكل شيء عليم » .

وفي نهج البلاغة : قال الامام علي عليه السلام في خطبة :

« هو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته والعالى على كل شيء منها بجلاله وعزته » .

قوله عليه السلام : « الظاهر » : الغالب القاهر و « الباطن » : العالم الخبير .

وليست ظاهريته وباطنيته بحسب المكان بل الله تعالى هو سابق بنفس ذاته المتعالية على كل شيء مفروض وآخر بنفس ذاته عن كل أمر مفروض انه آخر وظاهر وباطن ، كذلك والزمان مخلوق له متأخر عنه .



« الله سبحانه ومعيته »

قال الله تعالى : « وهو معكم أين ما كنتم » الحديد : ٤)

ومما يدل على معيّة الله تعالى قوله : « فأينما تولوا فثم وجه الله » البقرة : ١١٥) .

وقوله : « ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » ق : ١٦) .

وقوله : « ونحن اقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون » الواقعة : ٨٥) .

وقوله : « مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم أينما كانوا » المجادلة : ٧) .

وقوله : « هو الاول والاخر والظاهر والباطن » الحديد : ٣) وغيرها . .

ولاتصرف هذه الايات عن ظواهرها فتحملها على مجرد علمه تعالى بها أو غيرها كما هو شيمة الظاهرين ، فان الصرف عن الظواهر من غير داع اليه من عقل اونقل غير جائز .

في نهج البلاغة : قال الامام امير المؤمنين عليه السلام في خطبة :

« وانه لبكل مكان وفي كل حين وأوان ومع كل إنس وجان » .

وفي الاحتجاج : فيمااحتج الامام على بن موسى الرضا عليه السلام على أبي قرة :

«قال ابوقرّة : فمن أقرب إلى الله : الملائكة او اهل الارض ؟ قال ابو الحسن عليه السلام إن كنت تقول بالشبر والذراع فان الاشياء كلها باب واحد هي فعله لايشغل ببعضها عن بعض ، يدبّر أعلى الخلق من حيث يدبر أسفله ، ويدبر اوله من حيث يدبر آخره من غير عناء ولاكلفة ولامؤنة ولامشاورة ولا نصب ، وان كنت تقول من اقرب

اليه فى الوسيلة فأطوعهم له وأنتم تروون ان أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد » الحديث .

قال الله تعالى : « استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين » البقرة : ١٥٣)

وقال : « واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين » البقرة : ١٩٤) .

وقال : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله مع المحسنين » العنكبوت : ٦٩) .

والتدبّر فى الايات النازلة فى المعيّة يلهمنا ان للمعيّة معان :

منها ـ : ان المراد بالمعية معيّة قيوميّة على أن قوام الممكن حدوثاً وبقاء وفعليته وأوله وآخره وظاهره وباطنه بوجود الله تعالى واحاطة الذات الواجب الوجود على الممكن من غير لزوم الاتحاد والممازجة بممكن كما توهم بعض ضعفاء العقول فالله تعالى هو الفاعل المؤثر المبدع لكل شيء المحيط بكل شيء المهيمن على كل شيء العليم بكل شيء .

وان قوام الكون ووجوده بوجوده جل وعلا ، فلا يوجد شيء الا وقوامه بالله تعالى فلا يعلم له مهرب من وجوده وقدرته ، ولا مخبأ من علمه ولا مرجعاً الا اليه ، ولا متوجهاً الا لوجهه الكريم .

فالله تعالى مع كل احد ومع كل شيء فى كل وقت وفى كل زمان ومكان مطلع على ما يعمل بصير بالعباد .

والشعور بهذه الحقيقة يحرس القلب من كل لفتة لغيرالله تعالى فى أى أمر فى أول الاول وفى آخره ويحميه من التطلع لغير الله سبحانه فى أى طلب ومراقبة غير الله فى أى عمل ويقيمه على الطريق إلى الله تعالى فى سره وعلنه وحركته وسكونه وخوالجه ونجواه وأقواله وأفعاله لانه يعلم ان لامهرب من الله تعالى الا إليه ولا ملجأ منه الا إلى حماه ، فهذه الجملة : « وهو معكم أينما كنتم » حقيقة هائلة حيث يتمثلها القلب حقيقة مذهلة من جانب ومؤنسة من جانب آخر : مذهلة بروعة الجلال ومؤنسة بظلال القربى وهى كفيلة وحدها حين يحسّها القلب البشرى

على حقيقتها ان ترفعه وتطهره وتدعه مشغولا بها عن كل أعراض الارض كما تدعه في حذر دائم وخشية دائمة مع الحياة والتحرج من كل دنس ومن كل اسفاف وهذه الجملة صورة تملأ القلب بوجود الله تعالى وقربه وعطفه ورعايته وحضوره واطلاعه صورة تهز القلوب صورة لفظية عميقة التأثير صورة تترك القلوب وجلة ترتعش مرة وتأنس مرة اخرى فالله تعالى حاضر لكل نجوى وشاهد لكل اجتماع ووحدة، ويعلم كل خفي.

نعم ما قال الشاعر:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلاتقل خلوت ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفى عليه يغيب

«وهو معكم أينما كنتم» وفي أي زمان عشتم وفي أي حال فرضتم وفي أي مكان فعلتم.

وذكر «أين» للمكان لان الاعرف في مفارقة شيء شيئاً وغيبته عنه أن يتوسل إلى ذلك بتغيير المكان، والا فنسبة احاطة وجوده تعالى وقدرته وعلمه تعالى إلى الامكنه والازمنة والاحوال سواء.

ومنها: أن يكون المراد بالمعية النصرة والتقوية والتشجيع كقوله تعالى: «لا تحزن ان الله معنا» التوبة: ٤٠).

وقوله: «ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون» النحل: ١٢٨).

ومنها: أن يكون المراد بها التوافق، تقول: «فلان معي في هذا الامر» كقوله تعالى: «محمد رسول الله والذين معه» الفتح: ٢٩).

وقوله: «فأولئك مع المؤمنين» النساء: ١٤٦).

وقوله: «وجاهدوا معكم» الانفال: ٧٥).

ومنها: أن يكون المراد بها المصاحبة والرفاقة كقوله تعالى: «اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» التوبة: ١١٩).

لا يخلو من الله مكان

ولا يشتغل به مكان

في التوحيد: باسناده عن يعقوب بن جعفر الجعفري عن أبي ابراهيم موسى بن جعفر عليه السلام أنّه قال: ان الله تبارك وتعالى كان لم يزل بلا زمان ولا مكان، وهو الان كما كان، لا يخلو منه مكان ولا يشتغل به مكان، ولا يحل في مكان ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الاهو معهم أينما كانوا ليس بينه وبين خلقه حجاب غيرخلقه، احتجب بغيرحجاب محجوب واستتر بغير ستر مستور لا اله الا هو الكبير المتعال.

قوله عليه السلام: «حجاب غيرخلقه» أي ليس الحجاب بينه وبين خلقه الاعجز المخلوقين عن ادراك كنهه والاحاطة به.

وقوله عليه السلام: «احتجب بغيرحجاب محجوب» أي ليس له تعالى حجاب مستور بل حجابه ظاهر وهو تجرده وتقدسه وعلوه عن أن يصل اليه عقل أو وهم او يكون المراد بالحجاب الحجة التي أقامها بينه وبين خلقه فهي ظاهرة غير خفيّة.

وفيه: باسناده عن المفضّل بن عمر عن ابي عبد الله عليه السلام قال: من زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد اشرك، لو كان عز وجل على شيء لكان محمولاً، ولو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان من شيء لكان محدثاً.

قوله عليه السلام: «لكان محمولاً» أي محتاجاً الى ما يحمله ولازمه

جسميته ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

وقوله عليه السلام : « لكان محصوراً » اى عاجزاً ممنوعاً عن الخروج من المكان أو محصوراً بذلك الشيء ومحوياً به فيكون له انقطاع وانتهاء فيكون ذا حدود واجزاء .

وفي أمالي الصدوق : رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال : ان الله تبارك وتعالى لا يوصف بزمان ولا مكان ولا حركة ولا انتقال ولا سكون بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون والانتقال ، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وفي الكافي : في خطبة الامام علي عليه السلام ـ سميت بخطبة الوسيلة ـ : « الحمد لله الذي منع الاوهام أن تنال الا وجوده وحجب العقول أن تتخيل ذاته لامتناعها من الشبه والتشاكل بل هو الذي لا يتفاوت في ذاته ولا يتبعض بتجزئة العدد في كماله فارق الاشياء لا على اختلاف الاماكن ، ويكون فيها لا على وجه الممازجة » الخطبة .

وفي التوحيد : باسناده عن حماد بن عمرو عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كذب من زعم أن الله عز وجل في شيء أو من شيء أو على شيء .

اقول : وذلك لان الاماكن كلها حادثة وقد ثبت : ان الله تعالى قديم سابق للاماكن فلا يجوز أن يحتاج القديم إلى الحادث الذي ما كان محتاجاً اليه من قبل والاحتياج من صفات الحدث لا من صفات القديم .

وفيه : باسناده عن سليمان بن مهران قال : قلت لجعفر بن محمد عليه السلام : هل يجوز أن نقول : إن الله عز وجل في مكان ؟ فقال : سبحان الله وتعالى عن ذلك ، إنه لو كان في مكان لكان محدثاً لان الكائن في مكان محتاج إلى المكان ، والاحتياج من صفات الحدث لا من صفات القديم .

وفي الاحتجاج : فيما احتج الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام على ابن أبي العوجاء ـ فقال ابن أبي العوجاء : ذكرت الله فأحلت على الغائب .

فقال أبو عبد الله عليه السلام : ويلك ! كيف يكون غائباً من هو مع خلقه شاهد وإليهم أقرب من حبل الوريد يسمع كلامهم ويرى أشخاصهم ويعلم أسرارهم .

فقال ابن أبي العوجاء : فهو في كل مكان ، أليس إذا كان في السماء كيف يكون في الارض وإذا كان في الارض كيف يكون في السماء ؟ .

فقال أبو عبد الله عليه السلام : انما وصفت المخلوق الذي اذا انتقل من مكان اشتغل به مكان ، وخلا منه مكان ، فلا يدري في المكان الذي صار اليه ما حدث في المكان الذي كان فيه ، فأما الله العظيم الشأن ، الملك الديان ، فلا يخلو منه مكان ولا يشتغل به مكان ولا يكون الى مكان أقرب منه الى مكان .

وفيه: فيما احتج الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام على أبي قرة ـ فقال أبو قرة : أين الله ؟ .

فقال أبو الحسن عليه السلام : الاين مكان وهذه مسئلة شاهد عن غائب فالله تعالى ليس بغائب ، ولا يقدمه قادم ، وهو بكل مكان موجود ، مدبّر صانع حافظ ممسك السموات والارض .

فقال أبو قرة : أليس هو فوق السماء دون ما سواها ؟ .

فقال أبو الحسن عليه السلام : هو الله في السماوات وفي الارض وهو الذي في السماء اله وفي الارض إله وهو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء وهو معكم أينما كنتم ، الحديث .

وفي ارشاد المفيد: قدس سره : أن بعض أحبار اليهود جاء الى أبي بكر فقال له : أنت خليفة رسول الله على هذه الامة ؟ فقال : نعم ، فقال : انا نجد في التوراة ان خلفاء الانبياء أعلم امممهم ، فخبرني عن الله أين هو ؟ في السماء هو أم في الارض ؟ فقال له أبو بكر : في السماء على العرش قال اليهودي : فأرى الارض خالية منه ، فأراه على هذا القول في مكان دون مكان ! .

فقال له أبو بكر: هذا كلام الزنادقة ، اعزب عني والا قتلتك ، فولى الرجل متعجباً يستهزي بالاسلام ، فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فقال له :

يا يهودى قد عرفت ما سئلت عنه وأجبت به وانا نقول : ان الله عز وجل أيّن الاين فلا أين له ، وجلّ من أن يحويه مكان وهو فى كل مكان بغير مماسة ولامجاورة ، يحيط علماً بما فيها ، ولا يخلو شيء من تدبيره تعالى ، وانى مخبرك بما جاء في كتاب من كتبكم يصدّق بما ذكرته لك ، فان عرفته اتؤمن به ؟ قال اليهودى : نعم قال : ألستم تجدون في بعض كتبكم ان موسى بن عمران كان ذات يوم جالساً ، إذ جاءه ملك من المشرق فقال له :

من أين جئت ؟ قال : من عند الله عز وجل ثم جاءه ملك من المغرب فقال له : من أين جئت ؟ قال : من عندالله عز وجل ثم جاءه ملك آخر فقال له : من اين جئت ؟ قال : قد جئتك من السماء السابعة من عند الله عزوجل وجاءه ملك آخر فقال : من أين جئت ؟ قال : قدجئتك من الأرض السابعة السفلى من عندالله عزوجل فقال موسى عليه السلام : سبحان من لا يخلو منه مكان ولا يكون إلى مكان أقرب من مكان ، فقال اليهودى : أشهد ان هذا هو الحق المبين وانك أحق بمقام نبيك ممن استوى عليه .

اقول : رواه الطبرسى فى الاحتجاج .

قوله عليه السلام : « ولايكون إلى مكان اقرب من مكان » وذلك لان القرب والبعد انما يجريان فى المكانى بالنسبة إلى المكان والله متعال عن المكان .

وفى التوحيد : عن ابى جعفر عليه السلام قال : ان الله تعالى خلو من خلقه وخلقه خلو منه وكلما وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ما خلا الله عزوجل.

وفيه : باسناده عن ابن اذينة عن أبى عبدالله عليه السلام فى قوله عزوجل « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا » ، فقال : هو واحد أحدى الذات ، بائن من خلقه ، وبذاك وصف نفسه وهو بكل شيء محيط بالاشراف والاحاطة والقدرة لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الارض ولا اصغر من ذلك ولا أكبر بالاحاطة والعلم لا بالذات لأن الاماكن محدودة تحويها حدود اربعة فاذا كان بالذات

لزمه الحواية .

أقول: وذلك فلو كانت احاطته تعالى بالذات بأن كانت بالدخول في الامكنة لازم كونه محاطاً بالمكان كالمتمكن ولو كانت بالانطباق على المكان للزم كونه محيطاً بالمتمكن كالمكان .

وفيه: عن محمد بن النعمان قال : سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : « وهو الله في السماوات وفي الارض » قال : كذلك هو في كل مكان ، قلت : بذاته ؟ قال : ويحك ان الاماكن اقدار ، فاذا قلت : في مكان بذاته لزمك ان تقول في اقدار وغير ذلك ولكن هو بائن من خلقه ، محيط بما خلق علماً وقدرة واحاطة وسلطاناً ، وليس علمه بما في الارض بأقل مما في السماء لا يبعد منه شيء ، والاشياء له سواء علماً وقدرة وسلطاناً وملكاً واحاطة .

وفيه: باسناده عن سلمان الفارسي رضي الله عنه في حديث ـ قال : قدم الجاثليق المدينة مع مأة من النصارى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسؤاله ابابكر عن مسائل لم يجبه عنها ثم ارشد الى امير المؤمنين على بن ابيطالب عليه السلام فسئله عنها فاجابه ، فكان فيما سئله ان قال له : اخبرني عن وجه الرب تبارك وتعالى ، فدعا على عليه السلام بنار وحطب فأضرمه فلما اشتعلت قال على عليه السلام : أين وجه هذه النار ؟ قال النصراني هي وجه من جميع حدودها ، قال على عليه السلام :

هذه النار مدبرة ـ بفتح الباء ـ مصنوعة لا تعرف وجهها وخالقها لايشبهها ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمّ وجه الله لايخفى على ربّنا خافية الحديث.

وفيه: باسناده عن جعفر بن محمد عليه السلام عن آبائه قال : كان الحسن بن علي بن أبيطالب عليه السلام (كان الحسين بن على بن أبيطالب عليه السلام خ) يصلى فمر بين يديه رجل فنهاه بعض جلسائه فلما انصرف من صلاته قال له : لم نهيت الرجل ؟ قال : يا ابن رسول الله حظر فيما بينك وبين المحراب ، فقال : ويحك إن الله عز وجل أقرب إليّ من أن يحظر فيما بيني وبينه أحد .

وفيه: باسناده عن الحارث الاعور عن على ابن ابيطالب عليه السلام انه

دخل السوق فاذاً هو برجل موليه ظهره يقول : لا والذى احتجب بالسبع ، فضرب على عليه السلام ظهره ثم قال : من الذى احتجب بالسبع ؟ قال : الله يا أمير المؤمنين ، قال : أخطأت ثكلتك امّك إن الله عزوجل ليس بينه وبين خلقه حجاب لانه معهم أينما كانوا .

قال : ما كفارة ما قلت يا أمير المؤمنين ؟ قال : أن تعلم أن الله معك حيث كنت ، قال : أطعم المساكين ؟ قال : لا انما حلفت بغير ربك .

وفى الكافى: فى خطبة الطالوتية خطب الامام على عليه السلام الناس بالمدينة : « ولا كان خلواً عن الملك قبل إنشائه ولا يكون خلواً منه بعد ذهابه » .

وفيه: باسناده عن عبد الاعلى مولى آل سام عن أبى عبد الله عليه السلام قال : ان يهودياً يقال له : سبحت جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله ! جئت أسئلك عن ربك فان أنت اجبتنى عما أسئلك عنه والا رجعت قال : سل عما شئت قال : أين ربّك ؟ قال : هو فى كل مكان وليس فى شىء من المكان المحدود الحديث .

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « المحدود » اى المعين او المحدود بالحدود مع انه سبحانه غير محدود .

تحقيق علمي عميق

في كون الله مع كل شيء

اختلفت كلمات الحكماء والمتكلمين والفلاسفة والمفسرين وغيرهم في معية الله تعالى بكل شيء اختلافاً كثيراً وقد زلت الاقدام واضطربت الاقلام في المقام جداً.

ومن البديهي : ان بين الواجب تعالى والممكن اطلاقاً ارتباطاً وليس معناه أن يكون الله سبحانه محلا للممكن كما زعمه بعض ضعفاء العقول تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وذلك لان الله تعالى بذاته مبدأ ينتسب اليه الممكن بالارتباط الصدوري فينتزع منه الوجود الانتزاعي وهو سبحانه راسم الماهية وفاعل الانيّة غيرداخل في الممكن ولا مباشر له وانما هو جل وعلا قيّوم بذاته يلزمه نسب لاحقة واضافة عارضة وان حقيقة الحقّة ارفع وأقدس من أن يقاس بغيره .

ولا يتوهم من القول : ان حقيقة الله تعالى صرف الوجود وموجودية الممكن بالارتباط اليه كون وجود الحق صفة للممكن عارضاً لماهيته .

وان معيّة الله تعالى بالماهيات الممكنة ليست الا قيّوميته لها مع ان معيته بها اشد من باب المعيّة من معيّة العارض بالمعروض والعكس من غير لزوم ذلك اختلاط الواجب بالممكن وحصول التغيير والتجزي في ذاته سبحانه بصفات المحدثات من التلوث والتقذر كما توهم بعض المتوهمين .

قال الامام مولى الموحدين على عليه السلام : « مع كل شيء لا بمقارفة وغير كل شيء لا بمزايلة » .

فالحيثية المكتسبة المصححة لانتزاع الوجود تكون بارتباط الوجود ارتباطاً خاصاً غير الحالية والمحلية بحيث يصح انتزاع الوجود عنه بذلك الارتباط الخاص من غير مجال لاحتمال آخر .

بل هو نسبة خاصة وتعلق مخصوص يشبه نسبة المعروض إلى العارض بوجه من الوجوه وليس هي بعينه كما توهم .

وإلى تلك النسبة المخصوصة : معية الله تعالى بالممكنات أشار بقوله تعالى : « وهو معكم أينما كنتم » وهي بعينها نسبة العلة والايجاد .

ومعيّته تعالى للممكنات هي قيوميتها للماهيات ، وليست من قبيل معيّة الجوهر بالجوهر ولا العرض بالعرض ولا الجوهر بالعرض ، بل ليست من قبيل موجود بموجود .

وانما هي من قبيل معية الوجود بالماهية من حيث هي .

وتلك النسبة هي نسبة الانيّة والوجود باعتبار ونسبة العلة والايجاد باعتبار آخر ، ونسبة المعيّة والقرب باعتبار ثالث ، وليس بين تلك النسب الثلاث تغاير بالذات بل بالاعتبار .

فلايجوز أن يلحق الواجب إضافات مختلفة توجب اختلافات حيثيات بل له اضافة واحدة هي مبدئية تصحح جميع الاضافات فيحيط الله تعالى بكل شيء ومع كل شيء .

وعلى سبيل التقريب : ان من عرف معية الروح واحاطته بالبدن مع تجرده وتنزهه عن الدخول فيه والخروج عنه واتصاله به وانفصاله عنه عرف بوجه ما كيفية إحاطته تعالى ومعيته بالممكنات من غير حلول واتحاد ولادخول واتصال ولاخروج وانفصال وإن كان التفاوت في ذلك كثيراً بل لا يتناهى .

ولهذا قال عليه السلام : « من عرف نفسه فقد عرف ربّه » .

فلايتوهم : ان هذا يلزم ان يكون الواجب روح العالم ونفسه على ما توهم بعض الضعفاء تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

والصواب ان الممكنات مع انها موجودة بالارتباط الخاص الذي بينها وبين

الوجود الحقيقي الواحد على ما بيّنا فهي موجودات متعددة متكثرة في الخارج ولها كثرة حقيقية عينية، فالوجود واحد والموجودات متعدد متكثر، ويحكم بذلك العقل والنقل لا انها امور اعتبارية إنتزاعية على ماتوهمه المتوهمون من أن الكثرة في الممكنات اعتبارية محضة وانتزاعية صرفة، وانها ليست موجودات عينية بل هي اعتبارية، فالموجود كالوجود واحد حقيقة.

وبالجملة ليست تلك المعيّة معيّة في الوضع والمكان ولا في الزمان والآن ولا في المحل والحال ولا في الفعل والانفعال، ولا في الحركة والانتقال لتعاليه سبحانه من هذه الاوصاف والاشباه والامثال، وليست أيضاً معية في الوجود لكونه تعالى قبل كل موجود وقبليته قبلية لا تنقلب إلى المعية التي يقابلها فينبغي ذكر مثال للايضاح وهو مثال المرآة على سبيل التقريب.

وذلك لان الله تعالى يتجلّى للاشياء كما يتجلى صورة الشخص في المرائي المتعددة المختلفة، صغيراً وكبيراً واستقامة وإعوجاجاً وصفاء وكدورة وغشاً وخلاصاً.

وان التجلّي من قبل الله تعالى حاصل دائماً لجميع الأشياء لانه نور السموات والارض والنور من حقيقة التجلي على المجالي والظهور على المظاهر ولكن عدم ظهور هذا التجلي إما لضعف في المظاهر والمجالي كضعف أبصار الخفافيش وعيون العمشان في رؤية نور الشمس، واما للحجاب بين التجلّي والمجالي والا فالحق تعالى متجل على كل شيء لقوله تعالى: «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ان الله تعالى فوق كل شيء وتحت كل شيء وقد ملأ كل شيء عظمته فلم يخل منه أرض ولاسماء ولابحر ولا بر ولاهواء، هو الاول لم يكن قبله شيء وهو الاخر ليس بعده شيء وهو الظاهر ليس فوقه شيء وهو الباطن ليس دونه شيء».

وقد ورد عن موسى عليه السلام قال في مناجاته: «أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك فاني أحسّ حسن صوتك ولااريك فأين انت؟ فقال الله: أنا خلفك وأمامك

وعن يمينك وشمالك أنا جليس عند من يذكرني وأنا معه » .

وبعبارة اخرى : ان القرب والحضور على ضربين : أحدهما ـ قرب المفارقات والمجردات وحضورها بالاحاطة العلمية بالاشياء .

ثانيهما ـ : قرب المقارنات وذوات الاوضاع وحضورها بالحصول الأينى والمقارنة الوضعية فى الامكنة ومع المتمكنات والمتحيزات وحضور الله تعالى من القسم الاول دون الثانى .



الله وتنزيهه

عن الزمان والمكان وعن الحيز والجهة

في نهج البلاغة : قال الامام علي عليه السلام في خطبة :

« ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال ولاكان في مكان فيجوز عليه » .

وفيه: قال عليه السلام في خطبة :

« مع كل شيء لا بمقارنة ولا غير كل شيء لا بمزايلة » .

قوله عليه السلام : « مع كل شيء لابمقارنة » أي يعلم تعالى الجزئيات والكليات .

وقوله عليه السلام : « وغير كل شيء لابمزايلة » لأن الغيرين في الشاهد هما ما زايل أحدهما الاخر وباينه بمكان أوزمان وان الله تعالى يباين الموجودات مباينة منزهة عن المكان والزمان فصدق عليه أنه غير كل شيء لا بمزايلة .

وعن بعض الظرفاء : انه نزل بعض الاكابر ضيفاً فاجتمع عنده العلماء فقام واحد من أهل المجلس فقال : ما الدليل على تنزه الله تعالى عن المكان ؟ فقال بعض الظرفاء :

قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » فقال : الدليل عليه قول يونس في بطن الحوت : « لا إله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين » .

فالله تعالى منزه عن الزمان والمكان .

والدليل الآخر : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما ذهب في المعراج إلى ماشاء الله من العلى قال : هناك لا احصي ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك ولما ابتلى يونس عليه السلام بالظلمات في قعر البحر ببطن الحوت قال : « لا إله إلا أنت سبحانك

اني كنت من الظالمين » فكل منهما خاطبه تعالى « أنت » وهو خطاب الحضور ولو كان هو سبحانه فى مكان لماصح ذلك ، فدل ذلك على أنه تعالى ليس فى مكان .

وفى الكافي: باسناده عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السلام فى حديث قال : « ولا ابتدع لمكانه مكاناً » .

وفيه: وروى انه ـ علياً أمير المؤمنين عليه السلام ـ سئل : أين كان ربنا قبل أن يخلق سماء وأرضاً ؟ فقال عليه السلام : أين سؤال عن مكان ؟ ! وكان الله ولامكان .

وفيه: فى رواية زرارة عن أبى جعفر عليه السلام ـ قال : وسئلت عن المكان إذ لا مكان .

ان الله تعالى خلق الكون ، وبخلقه حصل الحيّز والجهة ومتى كان كذلك كان الله تعالى من غير حيّز ولا جهة : فثبت انه تعالى منزه عن الحيّز والمكان أزلاً وأبداً .

كما ان جهات الست للدار بعد بنائها فما لم تكن دار فلا معنى لفوقها وتحتها وشرقها وغربها وجنوبها وشمالها مع كون الجهات أيضاً من خلق الله تعالى.



الله تعالى

وتنزيهه عن الجسم والمادة

وقد ثبت بالعقل والنقل : ان الله سبحانه ليس بجسم واتفق عليه العقلاء وقد ذهب بعض العامة إلى أن الله سبحانه جسم يجلس على العرش ويفضل عنه من كل جانب ستة أشبار بشبره وانه ينزل في كل ليلة جمعة على حمار وينادى إلى الصباح : هل من تائب ؟ هل من مستغفر ؟

ومن هؤلاء البعض داود والحنابلة وقال داود امام الظاهرية : إن الله ذولحم ودم وجوارح وأعضاء وانه سبحانه بكى على طوفان نوح عليه السلام حتى رمدت عيناه وعادته الملائكة لما اشتكت عيناه حتى تمارى أكثرهم ، ان الله سبحانه يجوز أن يصافح وان المخلصين يعانقونه في دارالآخرة .

أقول: وقد مر مراراً : ان الضرورة تقتضي بأن كل جسم لاينفك عن الحركة والسكون ولاريب انهما حادثان ، فيلزم حدوث الله سبحانه ولايخفى على ذى لب ان كل محدث مفتقر إلى محدث فيكون واجب الوجود مفتقراً إلى مؤثر ويكون ممكناً لا الواجب .

وقد جائت روايات كثيرة في تنزهه تعالى عن الجسم والمادة وعما لا يليق بساحة قدسه الربوبي عن طريق الشيعة الامامية الاثنى عشرية عن أهل بيت الوحي عليهم السلام نشير إلى ما يسعه المقام .

في الكافي : باسناده عن حمزة بن محمد قال : كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسئله عن الجسم والصورة فكتب : سبحان من ليس كمثله شيء لاجسم ولا صورة .

وفيه: باسناده عن يعقوب بن جعفر الجعفرى عن أبى إبراهيم عليه السلام قال: ذكرعنده قوم يزعمون ان الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا، فقال: ان الله لا ينزل ولا يحتاج إلى أن ينزل، انما منظره في القرب والبعد سواء، لم يبعد منه قريب، ولم يقرب منه بعيد، ولم يحتج إلى شىء بل يحتاج إليه، وهو ذوالطول لا إله إلا هوالعزيز الحكيم، أماقول الواصفين: إنه ينزل تبارك وتعالى فانما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة، وكل متحرك محتاج إلى من يحركه أو يتحرك به فمن ظن" بالله الظنون هلك، فاحذروا فى صفاته من أن تقفوا له على حد تحدونه بنقص أوزيادة، أو تحريك أو تحرك، اوزوال او استنزال، او نهوض او قعود، فان الله جل وعز عن صفة الواصفين، ونعت الناعتين وتوهّم المتوهمين، وتوكّل على العزيز الرحيم، الذى يراك حين تقوم وتقلّبك في الساجدين.

وفى أمالي الصدوق: رضوان الله تعالى عليه باسناده عن الامام على بن موسى الرضا عليه السلام قال ـ فى حديث ـ: «من زعم ان الله جسم نحن منه برآء فى الدنيا والاخرة، يابن دلف ان الجسم محدث والله محدثه ومجسمه».

وفى الاحتجاج: عن ابراهيم بن ابى محمود قال: قلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله ما تقول فى الحديث الذى يرويه الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا؟

فقال عليه السلام: لعن الله المحرفين الكلم عن مواضعه، والله ماقال صلى الله عليه وآله وسلم كذلك انما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ان الله تبارك وتعالى ينزل ملكاً إلى السماء كل ليلة فى الثلث الاخير وليلة الجمعة فى اول الليل فيأمره فينادى: هل من سائل فأعطيه؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فاغفرله؟ يا طالب الخير فأقبل، يا طالب الشر فاقصر! فلا يزال ينادى بهذا حتى يطلع الفجر، فاذا طلع الفجر عاد إلى محله من ملكوت السماء» حدثنى ابى عن جدى عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفى التوحيد: باسناده عن جابر قال: قال الباقر عليه السلام: ياجابر ما اعظم

فرية اهل الشام على الله عزوجل يزعمون أن الله تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدس ، ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه على حجر فأمرنا الله تبارك وتعالى أن نتخذه مصلّى ، ياجابر إن الله تبارك وتعالى لا نظيرله ولا شبيه ، تعالى عن صفة الواصفين ، وجل عن أوهام المتوهمين واحتجب عن أعين الناظرين ، لايزول مع الزائلين ، ولايأفل مع الآفلين ، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم .

وفي أمالي الصدوق : باسناده عن إسمعيل بن الفضل قال : سئلت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن الله تبارك وتعالى هل يرى في المعاد فقال : سبحان الله وتعالى علواً كبيراً ، يابن الفضل إن الابصار لاتدرك الا ما له لون وكيفية ، والله خالق الالوان والكيفية .

وفي تفسير العياشي : عن هشام المشرقي قال : كتب إلى أبي الحسن الخراساني علي بن موسى الرضا عليه السلام رجل يسئل عن معان في التوحيد قال : فقال لي : ما تقول اذا قالوا لك : أخبرنا عن الله شيء هو ؟ أم لاشيء ؟ قال : فقلت : ان الله أثبت نفسه شيئاً فقال : « قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم » لا أقول شيئاً كالاشياء أو نقول : ان الله جسم ، فقال : وما الذي يضعف فيه من هذا ان الله جسم لا كالاجسام ولا يشبهه شيء من المخلوقين ثم قال : قال عليه السلام : ان للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب : مذهب نفي ، ومذهب تشبيه ، ومذهب اثبات بغير تشبيه ، فمذهب النفي لايجوز ، ومذهب التشبيه لايجوز وذلك ان الله لا يشبهه شيء والسبيل في ذلك الطريقة الثالثة ، وذلك انه مثبت لا يشبهه شيء وهو كما وصف نفسه أحد صمد نور .

أقول : ان المراد بمذهب النفي : نفي معاني الصفات عن الله تعالى كما ذهبت إليه المعتزلة ، وفي معناه إرجاع الصفات الثبوتية إلى نفي ما يقابلها كالقول بان معنى القادر انه ليس بعاجز ومعنى العالم انه ليس بجاهل الا أن يرجع إلى ما ذكره عليه السلام من المذهب الثالث .

والمراد من مذهب التشبيه أن يشبّه تعالى بغيره « وليس كمثله شيء » أي يثبت له من الصفة معناه المحدود الذي فينا ، المتميز عن غيره من الصفات بأن يكون قدرته كقدرتنا وعلمه كعلمنا وما إليه ولو كان ماله من الصفة كصفتنا فلم يكن واجباً تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ، والمراد من مذهب الاثبات من غير تشبيه أن يثبت له من الصفة أصل معناه ، وتنفى عنه خصوصية التي قارنته في الممكنات المخلوقة أي تثبت الصفة ، وينفى الحد .

وان الايات القرآنية والروايات الواردة عن أهل بيت الوحي عليهم السلام تنفى الجهة والحيّز والجسم والمادة عن الله سبحانه ، وخالف ذلك اكثر فرق العامة ومنهم الكرامية فقالوا : ان الله سبحانه في جهة الفوق .

وصرح أبو عبد الله محمد بن كرام في كتابه المسمّى بعذاب القبر :

ان لله على العرش استقراراً ، وعلى انه بجهة فوق ذاتاً وانه سبحانه أحدى الذات أحدى الجواهر ، وانه مماس للعرش من الصفحة العليا ويجوز عليه الانتقال والتحول والنزول .

ومنهم : من زعم انه سبحانه على بعض أجزاء العرش وقال بعضهم : امتلا العرش به ، وغير ذلك من الخرافات .

وفي تفسير روح البيان : واستدل بعض الناس باثبات فوقيّة مكانيّة لله سبحانه من قوله تعالى : « وهو القاهر فوق عباده » .

أقول : ولا يخفى على عاقل فضلا عن فاضل خبير : ان الضرورة تقضى انّ كل ما هو في جهة إمّا أن يكون ثابتاً فيها أو متحركاً عنها فهو إذن لاينفك عن الحوادث ، وكل ما لاينفك عن الحوادث فهو حادث ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وأمّا الدعاء إلى السماء فجرت العادة في الدعاء بالتوجه إلى جهة الفوق ولان البركات الالهيّة انما تنزل من السماء إلى الارض ، ويمكن أن يكون هذا مبنيّاً على إرادة العلو والتفوق ، فيعبّرن عن العلو العقلي بالعلو الحسّي .

جهل بعض الصحابة

عن مكان الله و علم الامام على عليه السلام به

فى التوحيد: باسناده عن سلمان الفارسى فى حديث يذكر فيه قدوم الجاثليق المدينة مع مأة من النصارى بعد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسؤاله أبابكر عن مسائل لم يجبه عنها ، ثم أرشد إلى أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام فسئله فأجابه ، فكان فيما سئله أن قال له : أخبرنى عن الرب أين هو وأين كان ؟ قال على عليه السلام :

لا يوصف الرب جل جلاله بمكان ، هو كما كان وكان كما هو ، لم يكن فى مكان ، ولم يزل من مكان إلى مكان ، ولا أحاط به مكان ، بل كان لم يزل بلا حد ولا كيف قال : صدقت ، فأخبرنى عن الرب أفى الدنيا هو ؟ أو فى الاخرة ؟ قال على عليه السلام : لم يزل ربنا قبل الدنيا هو مدبّر الدنيا وعالم بالاخرة ، فامّا أن يحيط به الدنيا والاخرة فلا ، ولكن يعلم ما فى الدنيا والاخرة ، قال : صدقت يرحمك الله .

وفيه: باسناده عن عبدالرحمن بن أسود عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عليه السلام قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صديقان يهوديّان قد آمنا بموسى رسول الله وأتيا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وسمعا منه ، وقد كانا قرءا التوراة وصحف ابراهيم عليه السلام ، وعلما علم الكتب الاولى ، فلمّا قبض الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أقبلا يسئلان عن صاحب الامر بعده وقالا :

انّه لم يمت نبى قط الا وله خليفة يقوم بالامر فى أمته من بعده ، قريب

القرابة إليه من أهل بيته، عظيم القدر (الخطر خ) جليل الشأن .

فقال أحدهما لصاحبه : هل تعرف صاحب الامر من بعد هذا النبي؟ قال الآخر: لا أعلمه إلا بالصفة التي أجدها في التوراة هو الأصلع المصفر فانه كان أقرب القوم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما دخلا المدينة وسئلا عن الخليفة أرشدا إلى أبيبكر، فلمّا نظرا إليه قالا : ليس هذا صاحبنا ثم قالا له : ماقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : إنّي رجل من عشيرته، وهو زوج ابنتي عائشة ، قالا : هل غير هذا ؟ قال : لا ، قالا : ليست هذه بقرابة فأخبرنا أين ربك ؟ قال : فوق سبع سماوات : قالا : هل غير هذا ؟ قال : لا ، قالا : دلنا على من هو أعلم منك فانك أنت لست بالرجل الذي نجد في التوراة أنّه وصي هذا النبي وخليفته قال : فتغيّظ من قولهما وهم بهما ـ أي عزم على قتلهما ـ ثم أرشدهما إلى عمر وذلك أنه عرف من عمر أنهما إن استقبلاه بشيء بطش بهما .

فلمّا أتياه قالا : ما قرابتك من هذا النبي ؟ قال : انا من عشيرته وهو زوج ابنتي حفصة قالا : هل غير هذا ؟ قال : لا قالا : ليست هذه بقرابة وليست هذه الصفة التي نجدها في التوراة ثم قالا له : فأين ربك ؟ قال : فوق سبع سماوات قال : هل غير هذا ؟ قال : لا قالا : دلنا على من هو أعلم منك فأرشدهما إلى علي عليه السلام فلما جاءاه فنظرا إليه قال :

احدهما لصاحبه : انه الرجل الذي صفته في التوراة انه وصي هذا النبي وخليفته وزوج ابنته وأبو السبطين والقائم بالحق من بعده .

ثم قالا لعلي عليه السلام : ايّها الرجل ما قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : هو أخي وأنا وارثه ووصيّه ، وأول من آمن به وأنا زوج ابنته .

قالا : هذه القرابة الفاخرة والمنزلة القريبة ، وهذه الصفة التي نجدها في التوراة فأين ربّك عز وجل ؟ .

قال لهما علي عليه السلام : إن شئتما انبأتكما بالذي كان على عهد نبيّكما موسى عليه السلام ، وإن شئتما انبأتكما بالذي كان على عهد نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم قالا :

انبئنا بالذى كان على عهد نبيّنا موسى عليه السلام .

قال على عليه السلام : اقبل اربعة املاك : ملك من المشرق ، وملك من المغرب ، وملك من السماء وملك من الارض فقال صاحب المشرق لصاحب المغرب : من اين اقبلت ؟ قال : اقبلت من عند ربى ، وقال صاحب المغرب لصاحب المشرق : من اين اقبلت ؟ قال : اقبلت من عند ربّى ؟ وقال النازل من السماء للخارج من الارض : من اين اقبلت ؟ قال اقبلت من عند ربّى وقال الخارج من الارض للنازل من السماء من اين اقبلت ؟ قال : اقبلت من عند ربّى فهذا ما كان على عهد نبيّكما موسى عليه السلام .

واما ما كان على عهد نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم فذلك قوله تعالى فى محكم كتابه : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولاخمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا » الاية .

قال اليهوديان : فما منع صاحبيك أن يكونا جعلاك فى موضعك الذى انت اهله ؟ فو الذى أنزل التوراة على موسى انك لانت الخليفة حقاً نجد صفتك فى كتبنا ونقرؤه فى كنائسنا ، وانك لانت احق بهذا الامر واولى به ممن قدغلبك عليه ، فقال على عليه السلام : قدّما واخّرا ، وحسابهما على الله عز وجل يوقفان ويسئلان .

بحث قرآني وروائي

في حقيقة الزهد

قال الله تعالى : (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) الحديد : 23) .

في نهج البلاغة : قال الامام امير المؤمنين على عليه السلام :

« الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن ، قال الله سبحانه : « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالاتى فقد أخذ الزهد بطرفيه » .

أقول : ولنا البحث في الزهد في أبواب عديدة رجاء أن يجعلنا الله تعالى من الزاهدين بحق محمد وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .

وقد جائت روايات كثيرة عنهم عليهم السلام في الزهد ونشير إلى ما يسعه المقام :

1 ـ في معاني الاخبار باسناده عن هاشم بن بريد عن أبي جعفر عليه السلام أن رجلا سئله عن الزهد فقال : الزهد عشرة أشياء وأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع ، وأعلى درجات الورع أدنى درجات اليقين ، وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضا ، ألا وان الزهد في آية من كتاب الله عزوجل : « لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم » .

أقول : رواه الكليني قدس سره في الكافي بهذا السند عن على بن الحسين عليه السلام .

2 ـ في تفسير القمي : باسناده عن حفص قال : قلت لابي عبد الله عليه السلام :

جعلت فداك ما حد الزهد في الدنيا ؟ فقال : فقد حده الله في كتابه فقال عزوجل : « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » إن أعلم الناس بالله أخوفهم بالله ، وأخوفهم له أعلمهم به وأعلمهم به أزهدهم فيها .

٣ ـ في الكافي : باسناده عن الوشاء قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : قال عيسى بن مريم صلوات الله عليه للحواريين : يا بني إسرائيل لاتأسوا على ما فاتكم من الدنيا كما لا يأسى اهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم إذا اصابوا دنياهم .

٤ ـ وفيه باسناده عن حفص بن غياث عن ابي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : جعل الخير كلّه في بيت ، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا ، ثمّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لايجد الرجل حلاوة الايمان في قلبه حتى لا يبالي من اكل الدنيا ، ثم قال ابو عبد الله عليه السلام : حرام على قلوبكم ان تعرف حلاوة الايمان في قلبه حتى تزهد في الدنيا .

٥ ـ في معاني الاخبار : باسناده عن ابي الطفيل قال : سمعت امير المؤمنين عليه السلام يقول : الزهد في الدنيا قصر الامل ، وشكر كل نعمة ، والورع عما حرم الله عليك .

٦ ـ وفيه باسناده عن السكوني قال : قال ابو عبد الله عليه السلام : ليس الزهد في الدنيا باضاعة المال ، ولا بتحريم الحلال ، بل الزهد في الدنيا ان لايكون بما في يدك اوثق منك بما في يد الله عزوجل .

أقول : رواه الكليني عن اسمعيل بن مسلم عن ابي عبد الله عليه السلام .

٧ ـ وفيه : باسناده عن السكوني عن ابي عبد الله عليه السلام قال : قيل لامير المؤمنين عليه السلام : ما الزهد في الدنيا ؟ قال : تنكب حرامها .

أقول: وفي الكافي باسناده عن السكوني عن ابي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : ما الزهد في الدنيا ؟ قال : ويحك حرامها فتنكّبه ، اى تحترز عنه .

٨ ـ في مصباح الشّريعة : قال الصّادق عليه السلام : الزهد مفتاح باب الاخرة ، والبراءة من النار ، وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله من غير تأسّف

على فوتها ، ولا إعجاب في تركها ، ولا انتظار فرج منها ، ولا طلب محمدة عليها ولا عوض منها ، بل ترى فوتها راحة ، وكونها آفة وتكون ابداً هارباً من الافة معتصماً بالراحة ، والزاهد الذي يختار الاخرة على الدنيا والذل على العز والجهد على الراحة ، والجوع على الشبع ، وعاقبة الاجل على محبّة العاجل ، والذكر على الغفلة ، ويكون نفسه في الدنيا وقلبه في الاخرة .

٩ ـ في تحف العقول : عن الامام علي عليه السلام قال : الزاهد في الدنيا من لم يغلب الحرام صبره ، ولم يشغل الحلال شكره .

١٠ ـ في عدة الداعي : في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : قلت لجبرئيل : يا جبرئل ! فما تفسير الزهد ؟ قال : الزاهد يحب ما يحب خالقه ويبغض ما يبغض خالقه ، ويتحرج من حلال الدنيا ، ولا يلتفت إلى حرامها ، فان حلالها حساب وحرامها عقاب ، ويرحم جميع المسلمين كما يرحم نفسه ، ويتحرج من كثرة الكلام فيما لا يعنيه كما يتحرج من الحرام ، ويتحرج من كثرة الاكل كما يتحرج من الميتة التي قد اشتدنتنها ويتحرج من حطام الدنيا وزينتها كما يتجنب النار ان يغشاها وان يقصر آماله وكان بين عينيه اجله ، الحديث .

١١ ـ في نهج البلاغة قال الامام علي عليه السلام في خطبة :

« ايها الناس : الزهادة قصر الامل والشكر عند النعم والتورع عند المحارم فان عزب ذلك عنكم فلا يغلب الحرام صبركم ولا تنسوا عند النعم شكركم ، فقد اعذر الله إليكم بحجج مسفرة ظاهرة وكتب بارزة العذر واضحة » .

أقول: الزهادة : هي الزهد فسّره الامام عليه السلام بأمور ثلاثة : قصر الامل ، وشكر النعمة ، والورع عن المحارم ، فلا يسمى الزاهد زاهداً حتى يستكمل فيه الامور الثلاثة ثم قال : « فان عزب ذلك عنكم » اى بعد ، فأمران من الثلاثة لابد منهما وهما الورع وشكر النعم ، جعلهما آكد واهم من قصر الامل .

١٢ ـ وفيه قال عليه السلام : « ولا زهد كالزهد في الحرام » .

أقول: ومن غير ريب ان من يزهد في الحرام ، فله فضل على من يزهد

فى المباحات من المآكل اللذيذة والملابس الناعمة والمساكن المشيدة . . .

١٣ ـ وفيه : قال عليه السلام : « أفضل الزهد اخفاء الزهد » .

أقول : وذلك لان الاظهار والاعلان بالزهادة قل أن يسلم من مخالطة الرياء.

وفى شرح الحديد : قال الرشيد للفضيل بن عياض : ما أزهدك ؟ قال : أنت ياهارون ازهد منّى لانّى زهدت في دنيا فانية وأنت زهدت فى آخرة باقية .

وفيه : قيل لمحمد بن واسع : فلان زاهد ، قال : وما قدر الدنيا حتى يحمد من يزهد فيها ؟ .

أقول : ان الاساس الذى يبتنى عليه الزهد : هو عدم تعلّق قلب الانسان بالدنيا ومتاعها ، وعدم إهتمامه بأعراضها .

وفى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام فى خطبة :

« ومن رضى برزق الله لم يحزن على ما فاته » .

أقول : ويقال : الحزن على المنافع الدنيوية سم ترياقه الرضا بالقضاء .

وفيه : قال عليه السلام : « إذا لم يكن ما تريد فلا تبل كيف كنت ؟ » ، أى لا تكترث بفوت مرادك ولا تبتئس بالحرمان كقوله : « فلا تكثر على ما فاتك منها أسفاً » فلا تبال الدهر ، ولا تكترث بما يعكس عليك من غرضك ، ويحرمك من أملك .

قال الله تعالى : « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » .

بحث علمي واجتماعي

في حقيقة الزهد

إعلم أن الزهد صفة كريمة يرغب الدين الاسلامي في الاتّصاف بها.

واختلفت كلمات الباحثين في حقيقة الزهد، فقيل: الزهد: عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس الانساني.

وقيل: الزهد: هو ترك المال وبذله على سبيل السخاء والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب وعلى سبيل الطمع. وقيل: الزهد: عبارة عن انصراف الرغبة عن شيء إلى شيء آخر، فلا يمكن أن تجتمع الرغبة فيهما معاً، فمن رغب في الدنيا فهو غير راغب في الآخرة والعكس بالعكس.

أقول: ان المستفاد من الآيات القرآنية والروايات الواردة وسيرة الائمة أهل البيت عليهم السلام والزهاد: ان الزهد: عبارة عن الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، فالزاهد يرغب عن الدنيا ولا يهتم بمتاعها عدولا إلى الآخرة ونعيمها أو عن غيرالله عدولاً إلى الله تعالى وهي الدرجة العليا.

ولا بد في الزهد امور ثلاثة: قدرة الزاهد على المرغوب عنه وعلمه بأن المرغوب فيه خير من المرغوب عنه، وعمله بمقتضى الزهد من ظهور آثاره في ملابسه ومطاعمه ومساكنه وفي جميع شئون حياته من غير فرق له أن يكون أميراً أو رعية، فانظر إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه وإمارته في مداين وقبلها وبعدها ولا أن تكون الدنيا راغبة فيه ولا فائتة عنه.

فالزاهد لا يهتم بالدنيا وهو قادر على اقتناء متاعها، لعلمه بحقارتها تجاه

نفاسة الاخرة ، فليس عدم الاهتمام عجزاً أو سفهاً أوخوفاً أو من غير علم بالحقارة والنفاسة زهداً .

فالزاهد من أتته الدنيا راغبة وهـو قادر على التنعم بها فلا يهتم بها كما لا يغتم اذا فاتته فلا يركن إليها ولايشتهى إلى الخلود فيها ولايشتد علاقته بزينتها وزخارفها حتى لايحسب شيئاً من نعيم سواها ولايرى منزلة من السعادة ورائها .

وليس معنى الزهد : الركون إلى البطالة والكسل والكف عن السعى والعمل كما زعم ضعفاء العقول لا معرفة لهم بالمعارف الاسلامية السامية .

والغرض من الزهد هو تعديل النفوس ووضعها فى حد الوسط من الكمالات والوسط هو الكمال كلّه ، وتعديلها فى حب الدنيا والاخرة كل بحسبه فلا تذهب إلى الشر والجشع فتفوتها السعادة الجوهرية والحياة الدائمة وهى الخير كله .

والا فالسعى حتم على كل انسان متكلا على الله تعالى اذ على السعى توسعة العمران وتمهيد الحضارة ، وللجد والسعى والطلب مقام من الاهميّة فى الشريعة الاسلامية الرفيعة وانه من نواميس عمارة العالم ولولاه لاختل النظام وبطل الاتقان والاحكام .

فالزهد من أسباب الكمال كما ان حب الدنيا رأس كل خطيئة والاهتمام بمتاعها فساد فى الارض .

فيجب على كل مسلم الاكتساب فى حياته مـن طريق الحلال بقدر وسعه وضرورته من غير اغترار بمتاع الدنيا فاذا زاد فيسعى فى نشر الدين وقضاء المحتاجين

قال الله تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك مـن الـدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فـى الارض » القصص : ٧٧) فالمال غير مناف للزهادة فان حقيقة الزهد أن لايملكك المال لاأن لاتملك الاموال

وقال: « ولاتمدّن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا » طه : ١٣١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مـن أصبح وهمّه الدنيا شتّت الله أمـره وفرق

عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته الا ما كتب له ومن أصبح وهمّه الاخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه فى قلبه وآتته الدنيا وهى راغمة » فليس معنى الزهد : ترك الدنيا تماماً على مازعمه بعض الناس وانما الزهد أن لا يجعل المرء الدنيا أكبر همها .

فمن يزهد عن الدنيا ونفسه مايلة إليها ولكنه يجاهدها فهذا متزهّد وليس بزاهد ، ولكن بداية الزهد التزهد ، وان الزاهد لاينفر عن الدنيا ولايهمها بل يكون وجودها وعدمها عنده سواء ويكون عنده بمثابة الماء وخزائن الله تعالى كالبحر فلا يلتفت قلبه إليه رغبة ولانفوراً ، فاذا توجه إليه يأخذ منها بقدر حاجته ويجعل مازاد عنه وسيلة نيله بنعمة الاخرة ، فاذا تزهد الانسان عن الدنيا فهوزهد واذا تزهّد الدنيا عن الانسان فهو فقر إذا كان الانسان راغبة فيها ولا يخفى ان الصبر والرضا على ما رزقه هما مبدأ الزهد .

فالزهد فى الدنيا لاينافى كثرة المال والخدم ونحوهما الا اذا كان محباً لها بقلبه وراغباً فيها وتشغله عن ذكر الله تعالى ، نعم لما كان جمع المال ونحوه بالنسبة إلى حال أكثر الناس لضعف نفوسهم يحرك الرغبة فى الدنيا فزهدهم انما يكون فى تركه .

ولا يخفى ان الزهاد قد يختلفون فى العلم والهمم بحسب مايختلف فيهم من الخواطر على حسب ما يختلف عندهم من دواعى العبر ومراتب التحقيق وبحسب تفاوت علمه بين الدنيا والاخرة تقوّى الرغبة فى أحدهما وعن الاخر .

فربما استوى عند الزاهد القشف والعطر بل ربما آثر التفل وذلك عند ما يكون الهاجس بباله : استحقار ما عدى الحق وربما صغا إلى الزينة وأحب من كل شيء عقيلته وكره الخداج والسقط وذلك عند ما يعتبر عادته من صحبته الاحوال الظاهرة فهو يرتاد إليها فى كل شيء لانه مزية خطوة من العناية الاولى وأقرب أن يكون من قبيل ما عكف عليه بهواه وقد يختلف هذا فى الزاهدين ، وقد يختلف فى زاهد بحسب وقتين .

في حديث صحيح : عن الامام علي عليه السلام قال : « ستة أشياء حسن ولكن في ستة من الناس أحسن : العدل حسن ولكن في الامراء أحسن ، السخاء حسن ولكن في الاغنياء أحسن ، الزهد حسن ولكن في العلماء أحسن ، الشكر حسن ولكن في الفقراء أحسن ، التوبة حسن ولكن من الشباب أحسن ، الحياء حسن ولكن في النساء أحسن » .

وقد صرحت آيات قرآنية : ان الرغبة في الدنيا مع طلب الآخرة لايجتمعان فمن زهد في الآخرة رغب في الدنيا والعكس بالعكس قال الله تعالى : « من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب » الشورى : ٢٠) .

وقال : « من كان يريد العاجلة عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنّم يصليها مذموماً مدحوراً ومن أراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً » الاسراء : ١٨ ـ ١٩) .

وغيرها من الآيات الكريمة . . .

وفي مواعظ عيسى بن مريم عليه السلام لبني اسرائيل: «اعلموا أن مثل دنياكم مع الاخرة كمثل مشرقكم ومغربكم كلّما أقبلتم إلى المغرب ازددتم من المشرق بعداً وكلما أقبلتم إلى المشرق ازددتم من المغرب بعداً » .

وفي رواية اخرى : « رغّبناكم في الاخرة فلم ترغبوا وزهّدناكم في الدنيا فلم تزهدوا وخوفناكم من النار فلم تخافوا وشوقناكم إلى الجنة فلم تشتاقوا وبكّيناكم فلم تبكوا » .

زهد الانبياء وأئمة اهل البيت عليهم السلام

فى نهج البلاغة: قال الامام على عليه السلام فى خطبة:

« ولقد كان فى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كاف لك فى الأسوة ودليل لك على ذم الدنيا وعيبها وكثرة مخازيها ومساويها اذ قبضت عنه أطرافها ووطّئت لغيره أكنافها وفطم عن رضاعها وزوى عن زخارفها وإن شئت ثنّيت بموسى كليم الله عليه السلام حيث يقول: « رب انى لما أنزلت إلى من خير فقير ».

والله ما سئله إلا خبزاً يأكله لانه كان يأكل بقلة الارض ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذّب لحمه.

وإن شئت ثلثت بداود عليه السلام صاحب المزامير وقارىء أهل الجنة فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده ويقول لجلسائه: أيّكم يكفينى بيعها ويأكل قرص الشعير من ثمنها.

وإن شئت قلت فى عيسى بن مريم عليه السلام، فلقد كان يتوسّد الحجر ويلبس الخشن ويأكل الجشب وكان إدامه الجوع، وسراجه بالليل القمر، وظلاله فى الشتاء مشارق الارض ومغاربها، وفاكهته وريحانه ما تنبت الارض للبهائم ولم تكن له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولا مال يلفته ولا طمع يذلّه، دابّته رجلاه وخادمه يداه.

قوله عليه السلام: « مساويها »: عيوبها و « اكنافها »: جوانبها « زوى »: قبض.

وفى شرح النهج: « وانه ما شبع آل محمد من لحم قط، أن فاطمة وبعلها وبنيها كانوا يأكلون خبز الشعير وأنهم آثروا سائلا بأربعة أقراص منه كانوا أعدوها

لفطورهم وباتوا جياعاً ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ملك قطعة واسعة من الدنيا فلم يتدنّس منها بقليل ولا كثير ، ولقد كانت الابل التى غنمها يوم حنين اكثر من عشرة آلاف بعير ، فلم يأخذ منها وبرة لنفسه وفرقها كلّهاعلى الناس ، وهكذا كانت شيمته وسيرته فى جميع أحواله إلى أن توفّى » .

وقوله عليه السلام : « صفاق بطنه » أى الجلد الباطن الذى فوقه الجلد الظاهر من البطن ، و « شفيف » : رقيق ، وقالوا : إنّ خضرة البقل كانت ترى فى بطنه من الهزال .

وقوله عليه السلام : « رب انى لما انزلت إلىّ من خير فقير » أى انى لأى شىء أنزلت إلىّ قليل او كثير غث أو سمين فقير إليك فلا احزن بالقليل ولا افرح من الكثير» .

« تشذّب » : تفرّقه .

وقوله عليه السلام : « المزامير » : جمع مزمار وهو الآلة التى يزمر فيها .

ويقال : « ان داود عليه السلام اعطى من طيب النغم ولذة ترجيع القراءة ما كانت الطيور لأجله تقع عليه وهو فى محرابه والوحش تسمعه فتدخل بين الناس ولا تنفر منهم لما قد استغرقها من طيب صوته » .

وقوله عليه السلام : « سفائف الخوص » : نسيجه .

وفى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام :

« فتأس بنبيك الاطيب الاطهر صلى الله عليه وآله وسلم ، فان فيه اسوة لمن تأسّى وعزاء لمن تأسى وعزاء لمن تعزّى ، وأحب العباد إلى الله المتأسّى بنبيه ، والمقتص لأثره قضم الدنيا قضماً ولم يعرها طرفاً ، اهضم اهل الدنيا كشحاً واخمصهم من الدنيا بطناً ، عرضت عليه الدنيا فأبى ان يقبلها وعلم ان الله تعالى ابغض شيئاً ، فأبغضه وحقّر شيئاً فحقّره وصغّر شيئاً فصغّره .

ولولم يكن فينا إلاحبّنا ماابغض الله ورسوله وتعظيمنا ما صغّر الله ورسوله لكفى به شقاقاً لله تعالى ومحادة عن امر الله تعالى ، ولقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يأكل على

الارض ويجلس جلسة العبد ، ويخصف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمار العارى ويردف خلفه ، ويكون الستر على باب بيته ، فتكون فيه التصاوير فيقول : يا فلانة ـ لاحدى أزواجه ـ غيّبيه عنّى ، فانّى اذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها .

فأعرض عن الدنيا بقلبه ، وأمات ذكرها من نفسه ، وأحب ان تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها رياشاً ، ولا يعتقدها قراراً ، ولا يرجو فيها مقاماً ، فأخرجها من النفس ، وأشخصها عن القلب ، وغيّبها عن البصر » .

قوله عليه السلام « المقتص » : المتبع له و « قضم الدنيا » : تناول منها قدر الكفاف وما تدعو إليه الضرورة من خشن العيشة .

« اهضم اهل الدنيا كشحاً » الكشح : الخاصرة ورجل اهضم بيّن الهضم اذا كان خميصاً لقلّة الاكل . و « شقاقاً » : خلافاً و « محادة » : معاداة . « رياشاً » : زينة .

أقول : ولا يسعنا المقام أن نذكر زهد جميع أئمة اهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين فنذكر ما يسعه المقام :

١ ـ روى ابن الصباغ المالكى ـ وهو من أعلام العامّة ـ فى (الفصول المهمة ص ١٣٨ ط الغرى) ما لفظه :

« كان (أى الحسن بن على عليه السلام) من أزهد الناس فى الدنيا ولذاتها ، عارفاً بغرورها وآفاتها وكثيراً ما كان عليه السلام يتمثل بهذا البيت شعراً :

يا أهل لذّات دنياً لا بقاء لها ان اغتراراً بظل زائل حمق

٢ ـ فى روضة الكافى : باسناده عن أبى حمزة قال : ما سمعت بأحد من الناس كان أزهد من على بن الحسين عليه السلام إلا ما بلغنى من على بن أبيطالب عليه السلام قال أبو حمزة : كان الامام على بن الحسين عليه السلام إذا تكلّم فى الزهد ووعظ أبكى من بحضرته ، قال أبو حمزة : وقرأت صحيفة فيها كلام زهد من كلام على بن الحسين عليه السلام وكتبت ما فيها ثم أتيت على بن الحسين صلوات الله عليه فعرضت ما فيها عليه فعرفه وصححه وكان ما فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

« كفانا الله وإيّاكم كيد الظالمين وبغى الحاسدين وبطش الجبارين ، أيّها المؤمنون لايفتننّكم الطواغيت وأتباعهم من أهل الرغبة فى هذه الدنيا المائلون إليها المفتتنون بها ، المقبلون عليها وعلى حطامها الهامد وهشيمها البائد غداً ، واحذروا ما حذركم الله منها وازهدوا فيما زهّدكم الله فيه منها ، ولا تركنوا الى ما فى هذه الدنيا ركون من اتخذها دارقرار ومنزل استيطان ، والله ان لكم مما فيها عليها لدليلا وتنبيهاً من تصريف أيامها وتغيّر انقلابها ومثلاتها وتلاعبها بأهلها ، انها لترفع الخميل وتضع الشريف وتورد أقواماً إلى النار غداً ففى هذا معتبر ومختبر وزاجر لمنتبه ان الامور الواردة عليكم فى كل يوم وليلة من مظلمات الفتن وحوادث البدع وسنن الجور ، وبوائق الزمان ، وهيبة السلطان ووسوسة الشيطان لتثبّط القلوب عن تنبّهها وتذهلها عن موجود الهدى ومعرفة أهل الحق الا قليلا ممن عصم الله ، فليس يعرف تصرف أيامها وتقلّب حالاتها وعاقبة ضرر فتنتها الا من عصم الله ونهج سبيل الرشد وسلك طريق القصد .

ثم استعان على ذلك بالزهد فكرر الفكر واتعظ بالصبر فازدجر وزهد فى عاجل بهجة الدنيا وتجافى عن لذاتها ورغب فى دائم نعيم الاخرة وسعى لها سعيها وراقب الموت وشنأ الحياة مع القوم الظالمين ، نظر إلى ما فى الدنيا بعين نيّرة حديدة البصرة ، وأبصر حوادث الفتن وضلال البدع وجور الملوك الظلمة ، فلقد لعمرى استدبرتم الامور الماضية فى الايام الخالية من الفتن المتراكمة والانهماك فيما تستدلّون به على تجنّب الغواة وأهل البدع والبغى والفساد فى الارض بغير الحق ، فاستعينوا بالله وارجعوا ، إلى طاعة الله وطاعة من هو أولى بالطّاعة ممّن اتّبع فأطيع .

فالحذر الحذر من قبل الندامة والحسرة ، والقدوم على الله والوقوف بين يديه ، وتالله ما صدر قوم قط عن معصية الله الا إلى عذابه وما آثر قوم قط الدنيا على الاخرة ألا ساء منقلبهم وساء مصيرهم وما العلم بالله والعمل الا إلفان مؤتلفان فمن عرف الله خافه وحثّه الخوف على العمل بطاعة الله وان أرباب العلم وأتباعهم الذين عرفوا الله فعملوا له ورغبوا إليه ، وقد قال الله : « انّما يخشى الله من عباده العلماء » .

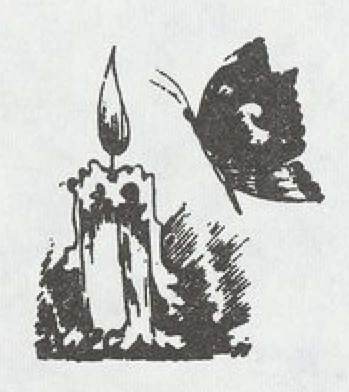
فلا تلتمسوا شيئاً مما في هذه الدنيا بمعصية الله - واشتغلوا في هذه الدنيا بطاعة الله واغتنموا أيامها واسعوا لما فيه نجاتكم غداً من عذاب الله فان ذلك أقل للتبعة وأدنى من العذر وأرجا للنجاة فقدموا أمر الله وطاعة من أوجب الله طاعته بين يدى الامور كلّها ، ولا تقدموا الامور الواردة عليكم من طاعة الطواغيت من زهرة الدنيا بين يدى الله وطاعته وطاعة اولى الامر منكم .

واعلموا أن الله لايصدق يومئذ كاذباً ولايكذب صادقاً ولا يردّ عذر مستحق ولا يعذر غير معذور ، له الحجّة على خلقه بالرسل والاوصياء بعد الرسل فاتقوا الله عبادالله واستقبلوا في اصلاح انفسكم وطاعة الله وطاعة من تولّونه فيها لعل نادماً قد ندم فيما فرط بالامس في جنب الله وضيّع من حقوق الله واستغفروا الله وتوبوا إليه فانه يقبل التوبة ويعفوا عن السيئة ويعلم ما تفعلون وإياكم وصحبة العاصين ومعونة الظالمين ومجاورة الفاسقين ، احذروا فتنتهم وتباعدوا من ساحتهم .

واعلموا أنه من خالف أولياء الله ودان بغير دين الله واستبد بأمره دون أمر ولى الله كان في نار تلتهب ، تأكل أبداناً قد غابت عنها أرواحها ، وغلبت عليها شقوتها ، فهم موتى لا يجدون حرّ النار ولوكانوا أحياء لوجدوا مضض حر النار واعتبروا يا اولى الابصار ، واحمدوا الله على ما فاتكم واعلموا أنكم لا تخرجون من قدرة الله إلى غير قدرته ، وسيرى عملكم ورسوله ثم اليه تحشرون ، فانتفعوا بالعظة وتأدبوا بآداب الصالحين .

٣ ـ في (الفصول المهمة ص ٢٣٣ ط الغرى) لابن الصباغ المالكى قال :
قال ابراهيم بن العباس : سمعت العباس يقول : ما سئل الرضا عليه السلام عن شيء الا علمه ولا رايت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقت عصره ، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء ، فيجيبه الجواب الشافى ، وكان قليل النوم كثير الصوم لا يفوته صيام ثلاثة أيام في كل شهر ، ويقول ذلك صيام الدهر ، وكان كثير المعروف والصدقة سراً ، وأكثر ما يكون ذلك منه في الليالى المظلمة ، وكان جلوسه في الصيف على حصير ، وفي الشتاء على مسح .

أقول: رواه الشبلنجى في (نور الابصار ص ٢٠٨ ط العثمانية بمصر) ، والزبيدى الحنفى في (اتحاف السادة المتقين ج ٧ ص ٣٦٠ ط الميمنية بمصر) .



﴿الامام علي عليه السلام وزهده﴾

قال إبن أبى الحديد فى شرح النهج فى حق الامام على بن ابيطالب عليه السلام «وأما الزهد فى الدنيا فهو سيد الزهاد، وبدل الابدال وإليه تشد الرحال، وعنده تنفض الاحلاس، ما شبع من طعام قط، وكان أخشن الناس مأكلا وملبساً».

أقول: وقد وردت روايات كثيرة فى زهد مولى الموحدين امام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام عن طريق العامة نشير إلى نبذة منها:

١ ـ روى الخطيب الخوارزمى فى (المناقب ص ٧٣ ط تبريز) باسناده عن قتيبة بن جابر قال: ما رايت فى الدنيا أزهد من على بن أبيطالب عليه السلام.

٢ ـ روى أيضاً فى (المناقب ص ٧٠ الطبع) باسناده عن عمر بن عبدالعزيز قال: ما علمنا أحداً فى هذه الدنيا بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم أزهد من على بن أبيطالب عليه السلام.

٣ ـ روى الهروى فى (الغريبين ص ١١٣) ما لفظه: ومنه حديث على عليه السلام لدنيا كم هذه أهون علىّ من عراق خنزير فى يد مجذوم.

رواه جماعة منهم:

الزمخشرى فى (ربيع الابرار ص ١٣)، والتفتازانى فى (شرح المقاصد ج ٢ ص ٢٢٠).

٤ ـ روى القندوزى الحنفى فى (ينابيع المودة ص ١٤٣ ط اسلامبول) فى حديث علىّ: «ولكانت دنيا كم هذه أهون علىّ من عطفة عنز».

رواه جماعة منهم:

الدهلوى فى (تجهيز الجيش ص ١٨٧)، والتفتازانى فى (شرح المقاصد

ج ٢ ص ٢٢٠) والمصرى فى (لسان العرب ج ٧ ص ٣٥٢ ط دار الصادر بيروت) .

٥ ـ روى الزمخشرى فى (ربيع الابرار ص ٣٦٤) قال على عليه السلام بعد كلام له : « وان دنياكم لأهون عليّ من ورقة فى فم جرادة تقضمها، ما لعليّ ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى ، نعوذ بالله من شنآن الفعل وقبح الزلل .

٦ ـ روى ابن عبد البر فى (الاستيعاب ج٢ ص٤٦٥ ط حيدرآباد) باسناده عن العلاء قال : سمعت على بن أبيطالب عليه السلام يقول : ما أصبت من فيئكم الا هذه القارورة أهداها إليّ الدهقان ثم نزل إلى بيت المال ففرق كل ما فيه ، ثم جعل يقول : أفلح من كانت له قوصرة يأكل منها كل يوم مرة .

أقول: رواه جماعة منهم :

١ ـ ابو نعيم فى (حلية الاولياء ص ٨١ ط السعادة بمصر) .

٢ ـ الذهبى فى (تاريخ الاسلام) والمتقى الهندى فى (منتخب كنز العمال ج ٥ ص ٥٤ المطبوع بهامش المسند) .

٣ ـ ابن كثير دمشقى فى (البداية والنهاية ج ٨ ص ٢ ط القاهرة) .

٤ ـ الزبيدى فى (تاج العروس ج ٣ ص ٤٨٧ ط القاهرة) .

٧ ـ روى إبن أبى الحديد فى (شرح النهج) عن أبى رجاء قال : أخرج على عليه السلام سيفاً إلى السوق فقال : من يشترى منّى هذا فو الذى نفس علي بيده لو كان عندى ثمن إزار ما بعته ، فقلت له : أنا أبيعك الازار وأنسئك ثمنه الى عطائك ، فدفعت إليه إزاراً إلى عطائه فلمّا قبض عطاءه دفع إليّ ثمن الازار .

أقول : رواه جماعة منهم :

١ ـ أبو نعيم فى (حلية الاولياء ج ١ ص٨٣ ط مطبعة السعادة بمصر) .

٢ ـ القندوزى فى (ينابيع المودة ص ٢١٨ ط اسلامبول) .

٣ ـ ابن الاثير فى (الكامل ص ٢٠١ ط المنيرية بمصر) .

٤ ـ ابن عبد البر فى (الاستيعاب ج٢ ص ٤٦٥ ط حيدرآباد) بعد ما ذكر الحديث قال : قال عبدالرزاق : وكانت بيده عليه السلام الدنيا كلها إلا ماكان من الشام.

٥ - ابن كثير دمشقي في (البداية والنهاية ج ٨ ص ٨ ط القاهرة).

٨ - روى ابن كثير دمشقي في (البداية والنهاية ج ٨ ص ٥ ط مصر) عن صالح بن الاسود عمن حدثه انه رأى علياً قد ركب حماراً ودلى رجليه إلى موضع واحد قال: أنا الذى أهنت الدنيا.

رواه الذهبي في (تاريخ الاسلام ج١ ص٢٠٣ ط مصر).

٩ - روى إبن أبي الحديد في (شرح النهج ج٤ ص٥٦٤ ط مصر) مالفظه:

« قال علي عليه السلام عجباً لسعد وابن عمر يزعمان انى احارب على الدنيا، أفكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحارب على الدنيا، فان زعما ان رسول الله صلى الله عليه وآله حارب لتكسير الاصنام وعبادة الرحمان فانما حاربت لدفع الضلال والنهى عن الفحشاء والفساد، أفمثلي يزن بحب الدنيا والله لو تمثّلت لى بشراً سويّاً لضربتها بالسيف.

١٠ - روى أحمد بن حنبل في (الفضائل) باسناده عن ابن عباس قال: دخلت عليه يوماً وهو يخصف نعله فقلت له: ما قيمة هذه النعل التى تخصفها؟ فقال: هي أحب إلى من دنيا كم وإمرتكم هذه الا ان اقيم حقّاً أو ادفع باطلا.

أقول: رواه جماعة منهم:

الزمخشري في (ربيع الابرار ص ٦١٣) والامرتسرى في (ارجح المطالب ص ١٤٤ ط لاهور).

١١ - روى الصفورى في (نزهة المجالس ج١ ص ٢٤٩ ط القاهرة) مالفظه:

« جاء في الخبر ان الدنيا تمثلت لعلى بن أبي طالب رضي الله عنه في صورة امرأة قد تزينت له بكل زينة وهي تظن انه لايعرفها فلما رآها قال لها: ألست الدنيا؟ قالت: نعم فكيف عرفتني؟ فقال: كشف لي الغطاء فعرفتك، فقالت له: كلّمني كلمة واحدة، فقال لها انت مطلّقتي وكلام المطلّقة حرام اخرجي من دارى، قالت له الدار دارى، قال: صدقت وخرج هو وتركها فخرجت خلفه لتقدّ قميصه كزليخا مع يوسف عليه السلام فلم تجد له إلا درعاً فقالت: سلمت مني يا على فقال لها: اخدعي غيرى، وأنشد في المعنى:

عتبت على الدنيا فقلت إلى متى   اكابد داراً همّها ليس ينجلي

فقالت نعم يا ابن الكرام لانني ـ قبضت عليك منذ طلّقني علي .

١٢ ـ روى التفتازاني الشافعي في (شرح المقاصد ج٢ ص٢٢٠ ط الآستانة) ما لفظه : « عن علي عليه السلام يا دنيا إليك عنّي ، أبي تعرضت أم الي تشوقت لا حان حينك ، هيهات غري غيري لا حاجة لي فيك ، فقد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة فيها ، فعيشك قصير وحظّك يسير وأملك حقير » .

١٣ ـ روى المتّقي الهندي في (منتخب كنز العمّال ، المطبوع بهامش المسند ط القديم بمصر ج ٥ ص ٥٢) ما لفظه : « عن عبد الله بن نجي ان علياً اتي يوم البصرة بذهب وفضة فقال : ابيضّي واصفرّي غرّي غيري غري اهل الشام غداً اذا ظهروا عليك ، فشق قوله ذلك على الناس ، فذكر ذلك له فأذن في الناس فدخلوا عليه فقال : ان خليلي قال : يا علي انّك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين ويقدم عليه عدوك غضبان مقمحين ثم جمع يده إلى عنقه يريهم الاقماح .

أقول: رواه جماعة منهم :

أبو نعيم في (حلية الاولياء ج ١ ص ٨٠ ط السّعادة بمصر) والهيتمي في (مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣١ ط مطبعة القدسي بالقاهرة) .

١٤ ـ روى ابن سلام في (الاموال ص ٢٧١ ط مصر) باسناده ان علياً أتي بالمال فأقعد بين يديه الوزان والنقّاد فكوّم كومة من ذهب و كومة من فضة فقال: يا حمراء ويا بيضاء احمرّي وابيضّي وغرّي غيري .

هذا جناي وخياره فيه   وكل جان يده إلى فيه

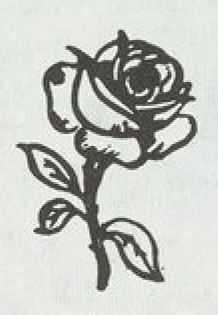
اقول : رواه جماعة منهم :

الزمخشري في (الفائق ج ٢ ص ٤٣٤ ط دار احياء الكتب العربية بالقاهرة) وابن الاثير في (نهاية اللغة ج٤ ص٤١ ط مصر) وغيرهم تركنا للاختصار.

١٥ ـ روى محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى ص ١٠١ ط القدسي

بمصر) عن على مرفوعاً يا على كيف انت إذا زهد الناس فى الآخرة ورغبوا فى الدنيا وأكلوا التراث أكلا لماً وأحبوا المال حباً جماً واتخذوا دين الله دغلا ومال الله دولا ؟ قال : قلت : يا رسول الله اتركهم وأتركك ما فعلوه وانى اختار الله ورسوله والدار الاخرة واصبر على مصائب الدنيا وهواها حتى الحق بك بمشية الله ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : صدقت يا على اللهم افعل ذلك به .

رواه القندوزى الحنفى فى (ينابيع المودة ص ٢١٧ ط اسلامبول) قال ابن عيينة : ازهد الصحابة على بن ابيطالب عليه السلام .



﴿ الامام علي عليه السلام ومأكله وملابسه ﴾

وقد جائت روايات كثيرة في المقام عن طريق العامة والشيعة الامامية الاثنى عشرية نشير إلى نبذة منها : ومن العامة :

١ ـ روى القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ١٥ ط اسلامبول) عن جعفر الصادق عليه السلام كان أمير المؤمنين عليه السلام يجلس جلسة العبد، ويأكل أكلة العبد ويطعم الناس خبز البر واللحم ويرجع إلى أهله فيأكل خبز الشعير بالزيت أو بالخل .

٢ ـ روى أبو نعيم في (حلية الاولياء ج١ ص ٨٢ ط السعادة بمصر) باسناده عن عبد الملك بن عمير قال : حدثني رجل من ثقيف قال : استعملني علي بن أبيطالب رضى الله عنه على عكبرا ولم يكن السّواد يسكنه المصلون فقال لي بين أيديهم : إستوف خراجهم منهم فلا يجدوا فيك ضعفاً ولا رخصة ثم قال لي : رح إليّ عند الظهر ، فرحنا إليه فلم أجد عليه حاجباً يحجبني دونه ووجدته جالساً وعنده قدح و كوز من ماء فدعى بظبية (يعني جراباً صغيراً) فقلت في نفسي لقد أمنني حين يخرج إلي جوهراً فاذاً عليها خاتم فكسر الخاتم فاذاً فيها سويق فصبه في القدح فشرب منه وسقاني فلم أصبر فقلت :

يا أمير المؤمنين أتصنع هذا بالعراق طعام العراق أكثر من ذلك ؟ فقال : انّما اشترى قدر ما يكفيني واكره ان يفنى فيضع فيه غيره فاني لم اختم عليه بخلا عليه وانّما حفظي لذاك وانا اكره أن أدخل بطني الا طيباً .

أقول : رواه جماعة منهم :

السجستاني في (المعمرون والوصايا ص ١٥٤ ط دار الاحياء لعيسى الحلبى) وأبو الفرج ابن الجوزى فى (صفة الصفوة ج ١ ص١٢٣ ط حيدر آباد) وابن الاثير فى (الكامل) وفيه كان على عليه السلام يختم على الجراب الذى فيه دقيق الشعير الذى يأكل منه ويقول : لا احب أن يدخل بطنى الا ما اعلم.

٣ ـ روى القندوزى الحنفى فى (ينابيع المودة ص ١٤١ ط اسلامبول) عن عدى بن حاتم الطائى قال: رأيت علياً كرم الله وجهه وبين يديه ماء قراح وكسيرات خبز شعير وملح فقلت : يا أمير المؤمنين لتطيل فى النهار طاوياً مجاهداً وفى الليل ساهراً مكابداً ثم هذا فطورك ، قال : اذهب علل النفس بالقنوع وإلا طلبت فوق ما يكفيها.

٤ ـ روى الزمخشرى فى (ربيع الابرار ص ٣٣٦) ما لفظه : قال الاسود وعلقمة : دخلنا على على عليه السلام وبين يديه طبق من خوص عليه قرص أو قرصان من شعير ، وان أسطار النخالة لتبين فى الخبز وهو يكسره على ركبتيه ويأكل بملح جريش ، فقلنا لجارية له سوداء إسمها فضّة : الا نخلت هذا الدقيق لامير المؤمنين ؟ فقالت :

أيأكل هو المهنأ ويكون الوزر فى عنقى فتبسّم وقال : أنا امرتها أن لا تنخله ، قلنا : ولم يا أمير المؤمنين ؟ قال : ذلك أجدر أن يذل النفس ويقتدى لى المؤمن والحق بأصحابى.

٥ ـ روى ابن أبى الحديد فى (شرح النهج ج١ ص١٨١ ط مصر) ما لفظه : «روى بكر بن عيسى قال : كان على عليه السلام يقول : يا أهل الكوفة إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتى ورحلى وغلامى فلان فأنا خائن ، فكانت نفقته تأتيه من غلّته بالمدينة بينبع وكان يطعم الناس منها الخبز واللحم ويأكل هو الثريد بالزيت» وقال الحديد فى (الشرح ج١ ص٢٦ الطبع) : قال عبد الله بن أبى رافع : دخلت اليه يوم عيد ، فقدم جراباً مختوماً ، فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً فقدّم فأكل ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، فكيف تختمه ؟ قال : خفت هذين الولدين أن

يلتّاه بسمن أو زيت .

وكان ثوبه مرقوعاً بجلدتارة ، وليف اخرى ، ونعلاه من ليف ، وكان يلبس الكرباس الغليظ ، فاذا وجد كمّه طويلا قطعه بشفرة ولم يخطه ، فكان لا يزال متساقطاً على ذراعيه حتى يبقى سدى لا لحمة له ، وكان يأتدم إذا ائتدم بخلّ أو بملح ، فان ترقى عن ذلك فبعض نبات الارض ، فان ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الابل ، ولا يأكل اللحم إلا قليلا ، ويقول :

لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان ، وكان مع ذلك أشد الناس قوة وأعظمهم أيداً لا ينقض الجوع قوّته ولا يخوّن الاقلال منّته وهو الذى طلّق الدنيا وكانت الاموال تجبى إليه من جميع بلاد الاسلام إلا من الشام ، فكان يفرّقها ويمزقها ، ثم يقول :

هذا جناى وخياره فيه　　إذ كل جان يده إلى فيه

٦ ـ روى ابن الاثير فى (نهاية اللغة ج ٣ ص ١٧٣ ط مصر) عن على عليه السلام قال : أبيت مبطاناً وحولى بطون غرثى .

أقول: رواه جماعة منهم :

الهندى فى (مجمع بحار الانوار ج ١ ص ١٠٠ ط نول كشور فى لكنهو) والمصرى فى (لسان العرب ج ١٣ ص ٥٣ و ج ٢ ص ١٧٢ ط بيروت) .

٧ ـ روى الهمدانى فى (ذخيرة الملوك ص ١٠٢ ط أمرتسر) عن ابن عباس عن على عليه السلام قال فى خطبة : « وكيف أشبع وحول الحجاز بطون غرثى » .

٨ ـ وفيه : عن ابن عباس قال : جئت المسجد يوم الجمعة ورايت علياً عليه السلام يخطب الناس ورايت لباسه مرقّعاً وكان متقلداً بسيفه وشراكه من ليف ويقول : لقد رقعت مرقعتى هذه حتى استحييت من راقعها ما لعلى وزينة الدنيا كيف افرح بلذة تفنى ونعيم لا يبقى وكيف أشبع وحول الحجاز بطون غرثى وكيف أرضى بأن اسمى أمير المؤمنين ولا اشاركهم فى خشونة العيش وشدائد الضر والبلوى .

٩ ـ روى ابن الاثير فى (اسد الغابة ج ٤ ص ٢٤ ط مصر) باسناده عن أبى

النوار بيّاع الكرابيس ، قال : أتاني على بن ابيطالب ومعه غلام لـه فاشترى منّي قميص كرابيس ، فقال لغلامه : إختر أيّهما شئت ، فأخذ أحدهما وأخذ على الاخر فلبسه ، ثم مد يده فقال : إقطع الذى يفضل قدر يدى ، فقطعه وكفّه ولبسه وذهب .

أقول: رواه جماعة منهم :

ابن أبي‌الحديد فى (شرح النهج ج٢ ص ٤٧٣) والامر تسرى فى (أرجح المطالب ص ١٤٣ ط لاهور) عن أبى النواء .

وأبو الفرج ابن الجوزى فى (صفة الصفوة ج ١ ص ١٢٣ ط حيـدر آباد) ما لفظه : عن أبى النوار قال : رايت علياً إشترى ثوبين غليظين خيّر قنبراً أحدهما ، الحديث .

١٠ ـ روى محب الـدين الطبرى فـى (الريـاض النضرة ج ٢ ص ٢٢٣ ط الخانجي بمصر) عن أبى مطر البصرى قال : رايت علياً اشترى ثوباً بثلاثة دراهم فلمّا لبسه قال : الحمد لله الذى رزقنى من الرياش مـا أتجمّل به فى الناس واوارى به عورتى ثم قال : هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

اقول: رواه جماعة منهم :

الطبرى المذكور فى (ذخائر العقبى ص ٩٧ ط القدسى بمصر) والخطيب التبريزى فى (مشكاة المصابيح ج٢ ص٤٨٢ ط دمشق) وغيرهم تركنا للاختصار .

١١ ـ روى أبـو نعيم فـى (حلية الاولياء ج ١ ص ٨٢ ط السعادة بمصر) باسناده عن زيد بن وهب قال: قدم على علىّ وفد من البصرة فيهم رجل من أهل الخوارج يقال‌له : الجعد بن نعجة فعاتب علياً فى لبوسه فقال على : مالك وللبوسى ان لبوسى أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدى بى المسلم .

أقول : رواه جماعة منهم :

محب الدين الطبرى فى (ذخائر العقبى ص١٠٢ ط القدسى بمصر) ، وفى

(الرياض النضرة ج٢ ص ٢٣٤ ط الخانجي بمصر) والقندوزي في (ينابيع المودة ص ٢١٧ ط اسلامبول) ، والحاكم النيشابوري في (المستدرك ج٣ ص ١٤٣ ط حيدر آباد) .

١٢ ـ روى أبو الفرج ابن الجوزي في (صفة الصفوة ج١ ص١٢٣ ط حيدر آباد) عن عمرو بن قيس ان عليا عليه السلام راى عليه إزار مرقوع فعوتب في لبوسه فقال : يقتدي بي المؤمن ويخشع له القلب .

١٣ ـ روى الزمخشري في (ربيع الابرار ص٥٤٦) ما لفظه : راى على علي إزار خلق مرقوع ، فقيل له : فقال : يخشع له القلب ، وتذل به النفس ويقتدي به المؤمنون .



سيرة الامام على عليه السلام

هى الدرس لقادة الدين

فى الكافي : باسناده عن جابر العبدى قال : قال أميرالمؤمنين عليه السلام : ان الله جعلنى إماماً لخلقه ، ففرض عليّ التقدير فى نفسى ومطعمى ومشربى وملبسى كضعفاء الناس كي يقتدى الفقير بفقرى ، ولا يطغى الغنى غناه .

وفيه : فى احتجاج أميرالمؤمنين عليه السلام على عاصم بن زياد حين لبس العباء وترك الملاء وشكاه أخوه الربيع بن زياد إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قد غم أهله وأحزن ولده بذلك ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : عليّ بعاصم بن زياد ، فجيىء به فلمّا رآه عبس فى وجهه فقال له : أما استحييت من أهلك ؟ أما رحمت ولدك ؟ أترى الله أحل لك الطيّبات وهو يكره أخذك منها أنت أهون على الله من ذلك او ليس الله يقول : « والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام » أو ليس الله يقول : « مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ـ إلى قوله ـ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » .

فبالله لابتذال نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذاله لها بالمقال وقد قال الله عزوجل : « واما بنعمة ربك فحدث » فقال عاصم : يا أمير المؤمنين فعلى ما اقتصرت فى مطعمك على الجشوبة وفى ملبسك على الخشونة ؟ فقال : ويحك ان الله عز وجل فرض على ائمة العدل ان يقدّروا انفسهم بضعفة الناس ، كيلا يتبيّغ بالفقير فقره ، فألقى عاصم بن زياد العباء ولبس الملاء .

أقول : وفى نهج البلاغة وشرحه ايضاً قريب منه .

وفى أمالى الطوسى قدس سره فى حديث عمار : ياعلى إن الله قد زيّنك بزينة لم يزين العباد بزينة احب إلى الله منها ، زينك بالزهد فى الدنيا وجعلك لاترزأ منها شيئاً ولا ترزأ منك شيئاً ووهبك حب المساكين فجعلك ترضى بهم اتباعاً ويرضون بك إماماً .

أقول: فى محاسن البرقى عن أبى ايّوب الانصارى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقوله صلى الله عليه وآله : « لا ترزأ » : لا تنقص .

وفى مناقب الخوارزمى :عن أبى مريم قال : سمعت عمار بن ياسر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : يا على ان الله تعالى زيّنك بزينة لم يزيّن العباد بزينة هى احب اليه منها ، زهّدك فيها وبغّضها إليك وحبب إليك الفقراء فرضيت بهم اتباعاً ورضوا بك إماماً ، الحديث .

وفى حلية الاولياء: قال سالم بن الجعد : رايت الغنم تبعّر فى بيت المال فى زمن اميرالمؤمنين عليه السلام .

وفيها : عن الشعبى قال : كان امير المؤمنين عليه السلام ينضحه ويصلّى فيه .

وروى ابو عبد الله بن حمويه البصرى باسناده عن سالم الجحدرى قال : شهدت على بن ابيطالب عليه السلام اتى بمال عند المساء فقال : اقتسموا هذا المال . فقالوا : قد امسينا يا اميرالمؤمنين فأخّره إلى غد ، فقال لهم : تقبلون لى ان اعش الى غد ؟ قالوا : ماذا بأيدينا ، فقال : لا تؤخّروه حتى تقسّموه .

ويروى انّه كان يأتى عليه وقت لا يكون عنده قيمة ثلاثة دراهم يشترى بها إزاراً وما يحتاج إليه ثم يقسّم كل ما فى بيت المال على الناس ، ثم يصلّى فيه ويقول : « الحمد لله الذى اخرجنى منه كما دخلته » .

وروى أبوجعفر الطوسى ان اميرالمؤمنين عليه السلام قيل له : اعط هذه الاموال لمن يخاف عليه من الناس وفراره الى معاوية ! فقال عليه السلام : اتأمرونى ان اطلب النصر بالجور ؟ لا والله لا افعل ما طلعت شمس وما لاح فى السماء نجم والله لو كان ما لهم مالى لواسيت بينهم و كيف وانّما هو اموالهم ؟ .

وفي المناقب لابن شهر آشوب رحمة الله تعالى عليه : كتب الامام على عليه السلام إلى ابن عباس : اما بعد فلا يكن حظّك في ولايتك مالاً تستفيده ولا غيظاً تشتفيه ، ولكن اماتة باطل واحياء حق .

وفيه : عن الباقر عليه السلام قال : انه مـا ورد على على عليه السلام امران كلاهما رضى الله الا اخذ بأشدهما على بدنه ، وقال معاوية لضرار بن ضمرة : صف لى علياً قال : كان والله صواماً بالنهار قواماً بالليل ، يحب من اللباس اخشنه ، ومن الطعام اجشبه وكان يجلس فينا ويبتدى اذا سكتنا ويجيب اذا سئلنا يقسّم بالسوية ويعدل في الرعية لايخاف الضعيف من جوره ولا يطمع القوى في ميله والله لقد رايته ليلة من الليالى وقد اسبل الظلام (اسدل خ) سدوله وغارت نجومه وهو يتململ في المحراب تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ، ولقد رايته مسيلا للدموع على خده قابضاً على لحيته يخاطب دنياه فيقول : يا دنياى ابى تشوّقت ولى تعرضت ؟ لاحان حينك فقد ابنتك ثلاثاً لارجعة لى فيك ، فعيشك قصير وخطرك يسير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق .

وفي حلية الاولياء : لابي نعيم : « وقال هارون بن عنترة : حدثني ابى قال : دخلت على على بن ابيطالب عليه السلام بالخورنق - موضع بالكوفة وقيل : انه نهر - وهو يرعد تحت سمل - ثوب خلق بالى - قطيفة فقلت : يـا امير المؤمنين ان الله تعالى قد جعل لك ولاهل بيتك في هذا المال مـا يعم وانت تصنع بنفسك ما تصنع ؟ فقال : والله ما ارزأكم من اموالكم شيئاً وان هذا لقطيفتي التي خرجت بها من منزلى من المدينة ما عندى غيرها » .

وفي البحار : عن على ابن ابى رافع قال : كنت على بيت مـال على بـن ابيطالب عليه السلام وكاتبه ، وكان في بيته عقد لؤلؤ وهو كان اصابه يوم البصرة قال : فـأرسلت إلى بنت على بـن ابيطالب عليه السلام فقـالت لى : بلغنى ان في بيت مـال امير المؤمنين عقد لؤلؤ وهو في يدك وانا احب ان تعيرنيه اتجمّل به في ايام عيد الاضحى فارسلت إليها ، وقلت : عارية مضمونة يا ابنة أمير المؤمنين فقال : نعم عارية

مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام فدفعته إليها .

وان امير المؤمنين رآه عليها فعرفه فقال لها : من أين صار اليك هذا العقد ؟ فقالت : استعرته من ابن أبى رافع خازن بيت مال امير المؤمنين لأتزين به فى العيد ثم اردّه قال : فبعث إلىّ أمير المؤمنين عليه السلام فجئته فقال : أتخون المسلمين يا ابن ابى رافع ؟ فقلت له : معاذ الله أن اخون المسلمين فقال : كيف أعرت بنت أمير المؤمنين العقد الذى فى بيت مال المسلمين بغير اذنى ورضاهم ؟ فقلت :

يا أمير المؤمنين انها ابنتك وسئلتنى أن اعيرها إياه تتزيّن به فأعرتها اياه عارية مضمونة مردودة وضمنته فى مالى وعلىّ ان اردّه مسلّماً إلى موضعه فقال : رده من يومك وإياك ان تعود لمثل هذا فتنالك عقوبتى ثم اولى لابنتى لو كانت أخذت العقد على غير عارية مضمونة مردودة لكانت إذن اول هاشمية قطعت يدها فى سرقة ، قال : فبلغ مقالته ابنته فقالت له : ياامير المؤمنين انا ابنتك وبضعة منك فمن احق بلبسه منى ؟

فقال لها امير المؤمنين عليه السلام يابنت على بن ابى طالب لا تذهبى بنفسك عن الحق أكلّ نساء المهاجرين تتزين فى هذا العيد بمثل هذا ؟ فقبضته منها ورددته إلى موضعه .



زهد ابى ذر وقيس بن سعد

درس لنا

ان الغرض من ذكر زهدهما رضى الله تعالى عنهما أمور :

الاول : لما فيه من عظات دينيّة وفلسفة أخلاقيّة وحكم عملية ومعالم روحية ومصالح اجتماعية .

الثانى : لما فيه من دستور فى مناهج السير إلى الله جل وعلا وبرنامج فى إصلاح النفوس البشرية ودروس فى التحلّى بمكارم الاخلاق التى بعث الله تعالى رسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم لاتمامها .

الثالث : لما فيه من نماذج من نفسيات شيعة أهل بيت الوحى عليهم السلام ومالهم دون مناوئيهم من مكارم الاخلاق والفضائل والقداسة والزهد والشجاعة والسداد والرشد والعدل والثبات فى الدين والورع عن محارم الله وعن حب الصيت والمقام . .

يحق بذلك كله ان يكون كل من نظراء أبى ذر وقيس رضى الله عنهما قدوة للبشر فى السلوك إلى الله جل وعلا وقادة للخلق فى تهذيب النفس ومؤدباً للامة بالخلائق الكريمة ومصلحاً للمجتمع بالنفسيات الراقية والروحيات السليمة .

وفى وسع الباحث أن يستخرج من تاريخ تلكم النفوس القدسية من ابى ذر وقيس وسلمان وعمار ومقداد رضى الله عنهم ومن يصافقهم فى المبدا الدينى حقيقة راهنة دينية أثمن وأغلى من معرفة حقائق الرجال ويمكن ان يقف بذلك على غاية كل من المخلص والمرائى ومن اللائق للقيادة وغيره ، ومن الثابت فى الدين والمضطرب ، ومن المحب لجانب الدين والجاه والصيت ، ومن تابع الهوى

والعقل ،ومن الامام العادل والفاجر، ومن المفدى نفسه للدين ، والمفدى دينه للمقام والصيت .

فلابد للقائد من القداسة عن كل مايلوث ويدنس من اتباع الهوى ولابدله من الزهادة عن حطام الدنيا معرباً عن ورعه عن محارم الله تعالى ، وخشونته في ذات الله وتعظيمه شعائر الدين وقيامه بحول النبى الكريم ﷺ ورعايته فى اهل بيته وذويه بكل حول وطول وبذل النفس والنفيس دون كلائة دينه واعلاء كلمة الحق ، و إدحاض معرّة الباطل وإصلاح الفاسد ، وكسر شوكة المعتدين وتحطيم اركان الفسق وتقطيع أذناب الظالمين . .

وقد جائت الروايات الكثيرة عن الطريقين فى زهد أبى ذرالغفارى رضى الله تعالى عنه :

منها : قال رسول الله ﷺ : أشبه الناس بعيسى نسكاً وزهداً وبراً ابوذر .

ومنها : قال ﷺ : ما أظلّت الخضراء ولا اقلّت الغبراء على ذى لهجة أصدق من ابى ذر ثم رجل بعدى من سرّه ان ينظر إلى عيسى بن مريم زهداً وسمتاً فلينظر إلى أبى ذر .

ومنها : قال ﷺ : ماأظلّت الخضراء ولا اقلّت الغبراء من ذى لهجة أصدق من ابى‌ذر ، فاذا اردتم ان تنظروا إلى أشبه الناس بعيسى بن مريم هدياً وبراً ونسكا فعليكم به .

ومنها : قال ﷺ : أبوذر يمشى فى الارض بزهد عيسى بن مريم .

ومنها : قال ﷺ : أبوذر فى امتى على زهد عيسى بن مريم .

واما زهد قيس بن سعد رضى الله عنه فأوفى كلمة فيه ما فى مروج الذهب للمسعودى مالفظه : كان قيس بن سعد من الزهد والديانة والميل إلى علىّ بالموضع العظم .

بحث روائى

فى خصال الزاهد

فى قرب الاسناد : باسناده عن الامام الحسين بن على عن أبيه عليه السلام قال: « الزاهد عندنا من علم فعمل ، ومن أيقن فحذر ، وإن أمسى على عسر حمد الله وإن أصبح على يسر شكر الله فهو الزاهد » .

وفى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام فى خطبة :

« ان الزاهدين فى الدنيا تبكى قلوبهم وإن ضحكوا ، ويشتد حزنهم وان فرحوا ويكثر مقتهم أنفسهم وإن اغتبطوا بما رزقوا ، قد غاب عن قلوبكم ذكر الاجال وحضرتكم كواذب الامال فصارت الدنيا أملك بكم من الاخرة ، والعاجلة أذهب بكم من الاجلة ، وانّما انتم إخوان على دين الله ، ما فرّق بينكم إلا خبث السرائر ، وسوء الضمائر ، فلا توازرون ولا تناصحون ، ولا تباذلون ولا توادون .

مه بالكم تفرحون باليسير من الدنيا تدركونه ، ولا يحزنكم الكثير من الاخرة تحرمونه ويقلقكم اليسير من الدنيا يفوتكم ، حتى يتبين ذلك فى وجوهكم وقلّة صبركم عما زوى منها عنكم كأن دار مقامكم و كأن متاعها باق عليكم » .

وفى احقاق الحق : سئل ابن عائشة الحسن بن على عليه السلام عن صفة الزاهد فى الدنيا فقال : يتبلغ بدون قوته ويستعد ليوم موته ، ويتبرم من حياته .

وفيه : لما قيل لمحمد بن على الباقر عليه السلام : من أشد الناس زهداً ؟ قال : من لا يبالى الدنيا فى يد من كانت .

وفى النهج : قال الامام على عليه السلام فى خصال الزهاد :

« كانوا قوماً من أهل الدنيا وليسوا من أهلها فكانوا فيها كمن ليس منها، عملوا فيها بما يبصرون، وبادروا فيها ما يحذرون، تقلّب أبدانهم بين ظهراني أهل الاخرة، ويرون أهل الدنيا، يعظّمون موت أجسادهم، وهم أشد إعظاماً لموت قلوب أحيائهم ».

قوله عليه السلام: « كانوا قوماً من أهل الدنيا وليسوا من اهلها » اى هم من اهل الدنيا في ظاهر الامر وفى مرأى العين، إذ هم يعيشون فيها وليسوا من اهلها إذاً لا رغبة لهم فى زخارفها فكأنهم خارجون عنها.

قوله عليه السلام: « عملوا فيها بما يبصرون » اى بما يرونه اصلح لهم او انهم لشدّ اجتهادهم قد ابصروا المآل فعملوا فيها على حسب ما يشاهدونه من دار الجزاء وهذا كقول الامام عليه السلام: « لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً ».

وقوله عليه السلام: « وبادروا فيها ما يحذرون » اى سابقوه يعنى الموت.

وقوله عليه السلام: « تقلّب ابدانهم » وذلك لانهم لايخالطون الا اهل الدين، ولا يجالسون اهل الدنيا، أو لانهم لما استحقوا الثواب كان الاستحقاق بمنزلة وصولهم إليه فأبدانهم، تتقلّب بين ظهرانى اهل الاخرة، أى بين ظهرانى قوم هم بمنزلة اهل الاخرة، لان المستحق للشيء نظير لمن فعل به ذلك الشيء.

ثم قال الامام عليه السلام: هؤلاء الزهاد يرون اهل الدنيا انما يستعظمون موت الابدان، وهم اشد استعظاماً لموت القلوب.

وفى الشرح: قيل للزهرى: من الزاهد فى الدنيا؟ قال: من لم يمنع الحلال شكره، ومن لم يمنع الحرام صبره.

بحث علمي أخلاقي

في خصال الزاهد

ومن شرائط الايمان وخصال المؤمن الزهد في الدنيا ومتاعها ، والرغبة في الاخرة ونعيمها ، ورضوان الله اكبر من ذلك .

كما رغّب الله تعالى عباده بقوله: « بل تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وأبقى » الاعلى : ١٦ ـ ١٧) .

وقال : « وما عند الله خير للابرار » آل عمران : ١٩٨) .

وقال : « وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الاخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون » الانعام : ٣٢) .

وقال : « وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون » القصص : ٦٠) .

ومن البديهي ان الانسان مطبوع على أن لا يترك النفع الحاضر العاجل ولا يزهد فيه ولا يطلب الآجل ولا يرغب فيه إلا بعد ما تبيّن له فضل الآجل على العاجل .

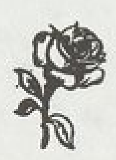
وان الزهاد انما زهدوا في الدنيا ، ولم ينهمكوا في عاجل شهواتها ورغبوا في الاخرة ، وطلبوا آجل نعيمها لما تبيّن لهم حقيقة الاخرة وعرفوا فضل نعيمها على نعيم الاخرة ، وشاهدوها ببصيرتهم بالتفكر في الدنيا ومتاعها من العيوب والفناء ، وفي الاخرة من الكمال والبقاء ، فقاسوا بينهما فعلموا مآلهما فرضوا بالقليل ، والقناعة باليسير مما لابد لهم في الحياة الدنيا ، فزهدوا فيها ورغبوا

في الآخرة .

كما شاهد أهل الدنيا أمورها بأبصارهم من غير تفكر في تبعاتها وتدبّر في عواقبها وتعقّل في مآل أمرها ، فانهمكوا فيها فرضوا بها وزهدوا في الآخرة .

وتتبع خصلة الزهد خصال كثيرة من محاسن الاخلاق ، وفضائل الاعمال وجميل الافعال من الحكمة والفطنة واستنارة القلب والسداد في أمر الدين والسخاء والوقار والادب وقلّة الضحك ، وذكر الموت والرغبة في العبادة ، والاخلاص فيها وقلّة الاكل والورع عن محارم الله والتقى والامانة والمروّة والكرم والمواساة والاحسان والعفة والحياء والصفح والعفو والتغافل عن بعض ما ليس ضاراً والعدل والتواضع والتسليم للقضاء والصبر في الشدائد والبلوى والتوكل على الله تعالى والطمأنينة إليه والدعاء والصدق بالقول ، والتصديق في الضمير والنصح للاخوان والوفاء بالعهد والمسارعة في وجوه البر . . .

وضد الزهد هو الرغبة في الدنيا والحرص في طلب شهواتها ، وهي خصلة تتبعها رديئة الاخلاق وسيئة الاعمال وقبيح الافعال من الحمق والوساوس والاضطراب في أمر الدين وقسوة القلب والبخل وسوء الادب ومزرعة ابليس وركوب المعاصي واحتقار الفقراء والانهماك في الشهوات ونسيان الموت والرياء في الاعمال والكبر وبالجملة طلاقة العنان والحرية في الشهوات . . .



غرر حكم ودرر كلم

في الزهد

لامام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام كلمات قصار في المقام ينبغى حفظها ونصب عينها والعمل بها :

١ ـ قال على عليه السلام : « الزهد أن لا تطلب المفقود حتى تعدم الموجود » .

٢ ـ قال عليه السلام : « أصل الزهد حسن الرغبة فيما عند الله » .

٣ ـ قال عليه السلام : « أصل الزهد اليقين ، وثمرته السعادة » .

٤ ـ قال عليه السلام : « ان الزاهدين في الدنيا لتبكى قلوبهم وإن ضحكوا ويشتد حزنهم وان فرحوا ويكثر مقتهم أنفسهم وان اغتبطوا بما أوتوا » .

٥ ـ قال عليه السلام : « ان الزهادة قصر الامل والشكر على النعم والورع عن المحارم فان غرب ذلك عنكم فلا يغلب الحرام صبركم ولا تنسوا عند النعم شكركم » .

٦ ـ قال عليه السلام : « زهد المرء فيما يفنى على قدر يقينه بما يبقى » .

٧ ـ قال عليه السلام : « كيف يزهد في الدنيا من لا يعرف قدر الآخرة » .

٨ ـ قال عليه السلام : « ست من قواعد الدين : اخلاص اليقين ونصح المسلمين واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت والزهد في الدنيا » .

٩ ـ قال عليه السلام : « أول الزهد التزهد » .

١٠ ـ قال عليه السلام « الزهد أقل ما يوجد وأجل ما يعهد يمدحه الكل ويتركه الجهل » .

١١ ـ قال عليه السلام : « العاقل من يزهد فيما يرغب فيه الجاهل » .

١٢ ـ قال عليه‌السلام : « الزهد تقصير الآمال وإخلاص الاعمال » .

١٣ ـ قال عليه‌السلام : « العاقل من زهد فى دنيا دنية فانية ورغب فى جنة سنيّة خالدة عليّة » .

١٤ ـ قال عليه‌السلام : « كن فى الدنيا زاهداً وفى الاخرة راغباً » .

١٥ ـ قال عليه‌السلام : « أحق الناس بالزهادة من عرف نقص الدنيا » .

١٦ ـ قال عليه‌السلام : « ان الزهد فى الجهل بقدر الرغبة فى العقل » .

١٧ ـ قال عليه‌السلام : « ان الزهد فى ولاية الظالم ، بقدر الرغبة فى ولاية العادل » .

١٨ ـ قال عليه‌السلام : « أن أفضل الناس من حلم عن قدرة وزهد عن غنية وانصف عن قوة » .

١٩ ـ قال عليه‌السلام : « الزهد شيمة المتقين وسجيّة الاوّابين » .

٢٠ ـ قال « : « الزهد سجيّة المخلصين » .

٢١ ـ « « : « الزهد مفتاح صلاح » .

٢٢ ـ « « : « اليقين يثمر الزهد » .

٢٣ ـ « « : « الزهد متجر رابح » .

٢٤ ـ « « : « اليقين أفضل الزهادة » .

٢٥ ـ « « : « الزهد ثمرة الدين » .

٢٦ ـ « « : « الزهد ثمرة اليقين » .

٢٧ ـ « « : « الزهد أصل الدين » .

٢٨ ـ « « : « الزهد أساس الدين » .

٢٩ ـ « « : « احى قلبك بالموعظة ، وأمته بالزهادة » .

٣٠ ـ « « : « احزمكم أزهدكم » .

٣١ ـ « « : « أفضل العبادة الزهادة » .

٣٢ ـ « « : « أفضل الزهد اخفاء الزهد » .

٣٣ ـ « « : « العفاف زهادة » .

٣٤ ـ « « : « الزهد ثروة » .

٣٥ ـ « « : « الراحة فى التزهّد » .

٣٦ ـ « « : « التزهّد يؤدى إلى الزهد » .

٣٧ ـ « « : « الزهد فى الدنيا الراحة العظمى » .

٣٨ ـ « « : « الزهد فى الغنى ينذر بالذل فى الفقر » .

٣٩ ـ « « : « الزهد أفضل الراحتين » .

٤٠ ـ « « : « ازهد فى الدنيا تنزل عليك الرحمة » .

٤١ ـ « « : « ازهد فى الدنيا يبصّرك الله عيوبها » .

٤٢ ـ « « : « انظر إلى الدنيا نظر الزاهد المفارق ، ولا تنظر اليها نظر العاشق الوامق » .

٤٣ ـ قال عليه السلام : « ازهد فى الدنيا واعزف عنها » .

٤٤ ـ « « : « انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها الصارفين عنها ، فانها والله عما قليل تزيل الثاوى الساكن وتفجع المترف الآمن » .

٤٥ ـ « « : « أفضل الطاعات الزهد فى الدنيا » .

٤٦ ـ « « : « أعظم الناس سعادة اكثرهم زهادة » .

٤٧ ـ « « : « فاعرض عن الدنيا وازهد فيها فانها دار الاشقياء وليست بدار السعداء » .

٤٨ ـ « « : « انك لم تخلق للدنيا فازهد فيها واعرض عنها » .

٤٩ ـ « « : « اذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه ، اذا طلب الزاهد الناس فاهرب منه » .

٥٠ ـ « « : « بالزهد تثمر الحكمة » .

٥١ ـ « « : « ثمن الجنة الزهد فى الدنيا » .

٥٢ ـ « « : « حسن الزهد من أفضل الايمان » .

٥٣ ـ قال عليه السلام : « زهدك في الدنيا ينجيك ورغبتك فيها ترديك ».

٥٤ ـ « « : « طوبى للزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الاخرة اولئك الذين اتخذوا الارض بساطاً وترابها فراشاً وماءها طيباً والقرآن شعاراً والدعاء دثاراً وقرضوا الدنيا على منهاج المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام ».

٥٥ ـ « « : « فضيلة العقل الزهادة ».

٥٦ ـ « « : « كن زاهداً فيما يرغب فيه الجهول ».

٥٧ ـ « « : « كونوا ممن عرف فناء الدنيا فزهد فيها وعلم بقاء الاخرة فعمل لها ، كونوا قوماً يصيح بهم فانتبهوا ».

٥٨ ـ « « : « كسب العلم التزهد ».

٥٩ ـ « « : « ليكن زهدك فيما ينفد ويزول ، فانه لا يبقى لك ولا تبقى له ».

٦٠ ـ « « : « لن يفتقر من زهد ».

٦١ ـ « « : « من عرف الدنيا تزهّد ».

٦٢ ـ « « : « من زهد هانت عليه المحن ».

٦٣ ـ « « : « من أيقن بما يبقى زهد فيما يفنى ».

٦٤ ـ « « : « من أحب الراحة فليؤثر الزهد فى الدنيا ».

٦٥ ـ « « : « يا أيّها الناس ازهدوا فى الدنيا ، فان عيشها قصير وخيرها يسير ».

٦٦ ـ « « : « لا زهد كالكف عن الحرام ».

٦٧ ـ « « : « لا تزهدن فى شيء حتى تعرفه ».

٦٨ ـ « « : « من لم يزهد فى الدنيا لم يكن له نصيب فى جنّة المأوى ».

٦٩ ـ « « : « من زهد فى الدنيا قرت عينه بجنّة المأوى ».

٧٠ ـ « « : « الزهد قصر الأمل » .

٧١ ـ « « : « ألا وان الدنيا دار لايسلم منها الا بالزهد فيها » .

٧٢ ـ « « : « انما زهد الناس فى طلب العلم كثرة ما يرون من قلة من عمل بما علم » .

٧٣ ـ « « : « انما العالم من دعاه علمه إلى الورع والتقى والزهد فى عالم الفنا والتولّه بجنة المأوى » .

٧٤ ـ « « : «تحبب إلى الناس بالزهدفيما أيديهم تفز بالمحبة منهم» .

٧٥ ـ « « : « خير من صحبت من ولهك بالاخرى ، وزهدك فى الدنيا وأعانك على طاعة المولى » .

٧٦ ـ « « : « خير الناس من زهدت نفسه ، وقلت رغبته وماتت شهوته وخلص ايمانه وصدق ايقانه » .

٧٧ ـ « « : « رأس النجاة الزهد فى الدنيا » .

٧٨ ـ « « : « زين الحكمة الزهد فى الدنيا » .

٧٩ ـ « « : « زهد المرء فيما يفنى على قدر يقينه بما يبقى » .

٨٠ ـ « « : « كيف يصل إلى حقيقة الزهد من لم تمت شهوته » .

٨١ ـ « « : « من زهد فى الدنيا حصن دينه » .

٨٢ ـ « « : « من زهد فى الدنيا لم تفته » .

٨٣ ـ « « : « يستدل على اليقين بقصر الأمل ، واخلاص العمل والزهد فى الدنيا » .

٨٤ ـ « « : « من زهد فى الدنيا استهان بالمصائب » .

٨٥ ـ « « : « من صح يقينه زهد فى المراء » .

٨٦ ـ « « : « من زهد فى الدنيا اعتق نفسه ، وأرضى ربه » .

٨٧ ـ « « : « مع الزهد تثمر الحكمة » .

٨٨ ـ « « : « لاينفع زهد من لم‌يتخل عن الطمع ويتحلى بالورع ».

٨٩ ـ « « : « من لم يأس على الماضى ولـم يفرح بالاتى فقد أخـذ الزهد بطرفيه ».

تمت سورة الحديد والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين



قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع
بصير ﴿١﴾ الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم
ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله لعفو غفور ﴿٢﴾ والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون
لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير ﴿٣﴾ فمن لم يجد فصيام
شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله
ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم ﴿٤﴾ إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا
كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين ﴿٥﴾ يوم يبعثهم الله
جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد ﴿٦﴾ ألم تر أن الله يعلم ما في
السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من
ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ﴿٧﴾

الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان
ومعصيت الرسول واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا
الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ٨ يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا
تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي
اليه تحشرون ٩ انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن
الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ١٠ يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا
يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
والله بما تعملون خبير ١١ يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة
ذلك خير لكم واطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ١٢ ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم
صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الله ورسوله و
الله خبير بما تعملون ١٣ الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون
على الكذب وهم يعلمون ١٤ اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون ١٥ اتخذوا
ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين ١٦ لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ١٧ يوم يبعثهم الله
جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون ١٨

أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ
هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ١٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ٢٠ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ
إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ٢١ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ
ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَ
يُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ
أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٢٢

﴿ فضلها وخواصها ﴾

وقد مر بعض ما جاء في فضل هذه السورة في فضل سورة الحديد فراجع .

وفي تفسير البرهان : روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : من قرأ هذه السورة كان يوم القيامة من حزب الله المفلحين .

أقول : رواه الطبرسي في المجمع عن ابيّ بن كعب ، والحويزي في نور الثقلين .

وفي سند الرواية ما لا يخفى على القارىء الخبير ، ولكن الرواية تحتوى ما يمس بما تحويه السورة .

وذلك لان من قرأها متدبراً فيها ، ولا يدخل في حزب الشيطان فهو من حزب الله المفلحين اذ لاحزب سوى الحزبين فتدبر وخاصة الايات الاربع: ١٩ـ٢٢).

وفي البرهان : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من كتبها وعلّقها على مريض أو قرأها عليه سكن عنه الألم وإن قرأت على مال يدفن أو يخزن حفظ .

وفيه : قال الصادق عليه السلام : من قرأها عند مريض نوّمته وسكنته ، واذا أدمن على قرائتها ليلا أو نهاراً حفظ من كل طارق ، وإن قرأت على ما يخزن أو يدفن يحفظ إلى أن يخرج من ذلك الموضع ، وإذا كتبت وطرحت في الحبوب زال عنها ما يفسدها ويتلفها باذن الله تعالى .

أقول : ومن غير بعيد أن يكون من خواص السورة لحزب الله المفلحين ما قرأته ، والله تعالى هو أعلم .

الغرض

تستهدف السورة إخراج المنافقين عن دائرة الايمان وإدخالهم فـي زمرة الكافرين والتسجيل على كون جميعهم حزب الشيطان

وذلك لما كان عليه المنافقون من عادة الظهار ، والجدال فيأمر الزواج ، ونجواهم المنهى عنه ، وسوء أدبهم فى المجالس ، وتولّيهم قـوماً غضب الله عليهم من اعداء الدين ، وحلفهم كذباً وذبذبتهم ، فاستحوذ عليهم الشيطان ، فنسوا الله تعالى ، فبذلك صاروا حزب الشيطان ، فتبعهم الخزى فى الحياة الدنيا ، والعذاب فى الاخرة .

واستهدفت تنزيه المؤمنين عما كان عليه المنافقون مـن الموالاة والموادة لمن يشاقق الله ورسوله ﷺ ويحاددهم ويناصبهم العداء ، ولو جمعت بينهم اشد روابط القربى من الابوة اوالبنوة او الأخوة او العصبية الرحميّة .

والتسجيل على كونهم حزب الله تعالـى المفلحين فليس هناك احزاب ، ولا حـزب سوى الحزبين : حزب الشيطان وهـو الكافرين واذنابهم مـن المنافقين ، وحزب الله جل وعلا وهم المؤمنون الغالبون فى الحياة الدنيا ، وفـى جنات نعيم فى الاخرة .

﴿النزول﴾

سورة المجادلة مدنيّة نزلت بعد سورة المنافقين ، وقبل سورة الحجرات بالاتفاق ، وهي السورة الخامسة والمأة نزولا ، والثامنة والخمسون مصحفاً .

وتشتمل على ثنتين وعشرين آية سبقت عليها ٥٨٦٠ آية نزولا و٥١٠٤آية مصحفاً على التحقيق .

ومشتملة على ٤٩٣ كلمة وقيل : ٤٧٣ كلمة ، وعلى ١٧٩٢ حرفاً ، وقيل : ١٧٧٢ حرفاً على ما في بعض التفاسير .

في تفسير القمي : باسناده عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن إمرأة من المسلمات أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : يا رسول الله ان فلاناً زوجي وقد نثرت له بطني وأعنته على دنياه وآخرته ، ولم ير منّي مكروهاً اشكوه إليك ، قال : فيم تشتكيه ؟ قالت : انه قال : أنت عليّ حرام مثل ظهر امّي ، وقد اخرجني من منزلي ، فانظر في امري ،فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

ما انزل الله تعالى في ذلك كتاباً اقتضي فيه بينك وبين زوجك ، وأنا اكره ان اكون من المتكلّفين ، فجعلت تبكي وتشتكي ما بها إلى الله جل ذكره وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وانصرفت قال : فسمع الله تعالى مجادلتها لرسول الله في زوجها وما شكت إليه فأنزل الله في ذلك قرآناً : « بسم الله الرحمن الرحيم قدسمع الله قول التي تجادلوك في زوجها ـ إلى قوله ـ وان الله لعفو غفور » .

قال : فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المرأة ، فقال لها : جيئي زوجك فأتته به ، فقال له : أقلت لامرأتك هذه عليّ حرام كظهر أمّي ؟ فقال : قد قلت لها :

ذلك ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قد أنزل الله فيك وفى إمرأتك قرآناً ، وقرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم - إلى - وان الله لعفو غفور » .

فضمّ إليك إمرأتك ، قد قلت منكراً من القول وزوراً ، وقد عفى الله عنك وغفر لك ، ولا تعد .

فانصرف الرجل وهو نادم على ما قال لامرأته ، وكره الله تعالى ذلك للمؤمنين بعد ، فأنزل الله : « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا » قال : يعنى لما قال الرجل لامرأته : أنت علىّ كظهر امّى ، قال : فمن قالها بعد ما عفى الله وغفر للرجل الاول فان عليه : « تحرير رقبة من قبل أن يتماسا » يعنى مجامعتها « ذلك توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً » .

قال : فجعل الله عقوبة ما ظاهر بعد النهى هذا ، قال : « ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله » قال : هذا حد الظهار .

قال حمران : قال أبو جعفر عليه السلام ولا يكون ظهار فى يمين ولا فى ضرار ولا فى غضب ، ولا يكون ظهار الا فى طهر من غير جماع بشهادة شاهدين مسلمين .

أقول : رواه الكلينى قدس سره فى الكافى بعينه سنداً ومتناً وفى وسائل الشيعة.

وفى وسائل الشيعة : بالاسناد عن على عليه السلام قال : وأما المظاهرة فى كتاب الله فان العرب كانت إذا ظاهر رجل منهم من امرأته حرمت عليه إلى آخر الابد، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان بالمدينة رجل من الانصار يقال له : أوس بن الصامت ، وكان اول رجل ظاهر فى الاسلام فجرى بينه وبين امرأته كلام فقال لها : انت علىّ كظهر امّى ثم انه ندم على ما كان منه ، فقال : ويحك انّا كنا فى الجاهلية تحرم علينا الازواج فى مثل هذا قبل الاسلام ، فلو اتيت رسول الله صلى الله عليه واله تسئليه عن ذلك ، فجائت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته فقال لها :

ما اظنّك الا وقد حرمت عليه إلى آخر الابد فجزعت وبكت وقالت: اشكو

إلى الله فراق زوجي ، فانزل الله عزوجل : « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها » إلى قوله : « والذين يظاهرون من نسائهم » الاية .

فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : قولي لاوس زوجك : يعتق نسمة فقالت : واني له نسمة والله ماله خادم غيري ، قال : فيصوم شهرين متتابعين قالت انه شيخ كبير لايقدر على الصيام قال : فمريه فليتصدق على ستين مسكيناً ، فقالت : وأنّى له الصدقة ؟ فوالله ما بين لابتيها احوج منّا ، قال : فقولي له : فليمض إلى ام المنذر فليأخذ منها شطر وسق تمر فليتصدق به على ستين مسكيناً .

وفيه : باسناده عن ابن ابي عمير عن ابان وغيره عن ابي عبدالله عليه السلام قال : كان رجل على عهد رسول صلى الله عليه واله وسلم يقال له : اوس بن الصامت ، وكان تحته امراة يقال لها : خولة بنت المنذر فقال لها ذات يوم : انت عليّ كظهر امّي ثم ندم وقال لها : ايتّها المراة ما اظنّك إلاّ وقد حرمت عليّ فجائت إلى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقالت :

يا رسول الله إن زوجي قال لي : انت عليّ كظهر امّي ، وكان هذا القول فيما مضى يحرم المراة على زوجها ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ما اظنك الا وقد حرمت عليه ، فرفعت المراة يدها الى السماء فقالت : اشكو إلى الله فراق زوجي ، فأنزل الله يا محمد : « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها » الايتين ، ثم انزل الله عزوجل الكفّارة في ذلك ، فقال : « والذين يظاهرون من نساءهم » الايتين .

وفي الدر المنثور : عن يوسف بن عبدالله بن سلام قال : حدثتني خولة بنت ثعلبة قالت فيّ : والله وفي اوس بن الصامت انزل الله صدر سورة المجادلة قالت : كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه فدخل عليّ يوماً فراجعته بشيء فغضب فقال : انت عليّ كظهر امي ، ثم رجع فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل عليّ فاذاً هو يريدني عن نفسي ، قلت : كلا والذي نفس خويلة بيده لا تصل إليّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت

له ذلك، فما برحت حتى نزل القرآن فتغشى رسول الله صلى الله عليه وآله ما يتغشاه، ثم سرى عنه فقال لي: يا خولة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك.

ثم قرأ عليّ رسول الله صلى الله عليه وآله: «قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ـ إلى قوله ـ عذاب أليم»، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: مريه فليعتق رقبة، قلت: يارسول الله ما عنده مايعتق قال: فليصم شهرين متتابعين قلت: والله انه لشيخ كبير ما به من صيام قال: فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر قلت: والله ما ذاك عنده.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فانا سنعينه بعرق من تمر، قلت: وأنا يا رسول الله سأعينه بعرق آخر قال: فقد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدّقي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيراً، قالت ففعلت.

وفي الكشاف: نزلت: «قد سمع الله» الخ في خولة بنت ثعلبة امرأة اوس ابن الصامت أخي عبادة رآها وهي تصلي، وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فأبت فغضب وكان به خفة ولمم فظاهر منها فأتت رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: ان أوساً تزوجني وأنا شابة مرغوب فيّ فلما خلى سنّي ونثرت بطني، أي كثر ولدي جعلني عليه كأمّه، القصة.

وفي البحار: فان العرب كانت اذا ظاهر رجل منهم امرأته حرمت عليه إلى آخر الابد فلّما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله كان بالمدينة رجل من الانصار يقال له: أوس بن الصامت، وكان اول رجل ظاهر في الاسلام، وكان كبير السن به ضعف فجرى بينه وبين أهله كلام، وكانت امرأته تسمى خولة بنت ثعلبة الانصاري فقال لها اوس: انت عليّ كظهر امّي، ثم انه ندم على ما كان منه، وقال: ويحك انّا كنا في الجاهلية نحرم علينا الازواج في مثل هذا من قبل الاسلام، فلو اتيت رسول الله صلى الله عليه وآله تسئله عن ذلك.

فجائت خولة بنت ثعلبة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله زوجي ظاهر منّي وهو أبو أولادي وإبن عمّي قد كان هذا الظهار في الجاهلية يحرّم

الزوجات على الازواج أبداً ، فقال لها : ما أظنّك الا أن حرمت عليه إلى آخر الابد ، فجزعت جزعاً شديداً وبكت ثم قامت فرفعت يديها إلى السماء وقالت :

إلى الله أشكو فراق زوجي ، فرحمها أهل البيت ، وبكوا لبكائها ، فأنزل الله على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم : « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها - إلى قوله - فاطعام ستين مسكيناً » .

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قولي لاوس بن الصامت زوجك : يعتق نسمة ، فقالت : يا رسول الله وأنّى له نسمة ؟ لاوالله ماله خادم غيري ، قال : فيصوم شهرين متتابعين ، قالت : انه شيخ كبير لايقدر على الصيام ، قال : فمريه أن يتصدق على ستين مسكيناً ، قالت : وانّى له الصدقة ، فوالله ما بين لابتيها أحوج منّا .

قال : فقولي فليمض الى ام المنذر فليأخذ منها شطروسق تمر فليتصدق على ستين مسكيناً ، قال : فعادت الى أوس ، فقال لها : ما وراك ؟ قالت : خير وأنت ذميم ان رسول الله يأمرك أن تمضى إلى ام المنذر فأخذ منها وسق تمر فلتصدق به على ستين مسكيناً .

وفي أسباب النزول للواحدي النيسابوري في قوله تعالى : « ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى » قال ابن عباس ومجاهد : نزلت في اليهود والمنافقين ، وذلك انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين ، وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم ، فاذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا : ما نراهم الا وقد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو مصيبة أوهزيمة ، فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلا يزالون كذلك حتى يقدم أصحابهم وأقربائهم .

فلما طال ذلك وكثر ، شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمرهم أن يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلىمناجاتهم فأنزل الله تعالى هذهالاية .

وفي الدر المنثور : عن عبدالله بن عمر : ان اليهود كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم : سام عليك يريدون بذلك شتمه ، ثم يقولون في أنفسهم : لو لا يعذبنا الله بما نقول فنزلت هذه الاية : « وإذا جاؤك حيّوك بما لم

يحيك به الله ».

وفيه : عن ابن عباس فـي هذه الاية قال : كان المنافقون يقولون لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم : إذا حيّوه (سام عليك) فنزلت .

وفي تفسير القمي : فيقوله تعالى : « ألم ترإلى الذين نهوا عن النجوى» الاية ، كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتون رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فيسئلونه أن يسئل الله لهم ، وكانوا يسئلون ما لايحل لهم فأنزل الله : « ويتناجون بالاسم والعدوان ومعصية الرسول » ، وقولهم له : اذا اتوه انعم صباحاً أنعم مساء وهي تحية أهل الجاهلية فأنزل الله : « وإذا جاؤك حيّوك بما لم يحيك به الله » .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قد أبدلنا الله بخير من ذلك تحية أهل الجنّة (السلام عليكم) .

وفي الدرالمنثور : عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا بعث سرية وأغزاها ، التقى المنافقون فانغضوا رؤسهم إلى المسلمين ويقولون : قتل القوم ، وإذا رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تناجوا وأظهروا الحزن ، فبلغ ذلك من النبي صلى الله عليه وآله ومن المسلمين فأنزل الله : « يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان » الاية .

وفي روضة الكافي : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزوجل : « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئّهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم » .

قال : نزلت هذه الاية في فلان وفلان وأبي عبيدة الجراح وعبد الرحمن بن عوف وسالم مولى أبي حذيفة والمغيرة بن شعبة حيث كتبوا الكتاب بينهم وتعاهدوا وتوافقوا : لئن مضى محمد لاتكون الخلافة في بني هاشم ولا النبوة أبداً ، فأنزل الله عزوجل فيهم هذه الاية ـ الحديث .

أقول : رواه البحراني في تفسير البرهان والحويزي في تفسير نور الثقلين والمجلسي في البحار .

وفي امالي ابن الشيخ قدس سره بأسناده عن أبي سعيد الخدري قال : كانت أمارة المنافقين بغض علي بن أبيطالب عليه السلام فبينا رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد ذات يوم في نفر من المهاجرين والانصار وكنت فيهم إذ أقبل علي عليه السلام فتخطّى القوم حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وآله وكان هناك مجلسه الذي يعرف به ، فسارّ رجل رجلا ـ وكانا يرميان بالنفاق ـ فعرف رسول الله صلى الله عليه وآله ما أراد ، فغضب غضباً شديداً حتى التمع وجهه .

ثم قال : والذي نفسي بيده لا يدخل عبد الجنة حتى يحبّني ، ألا وكذب من زعم انه يحبني وهو يبغض هذا ـ وأخذ بكف علي عليه السلام ـ فأنزل الله عزوجل هذه الاية في شأنهما : « يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول » الاية .

وفي المجمع : قال قتادة : كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله فاذا رأوا من جاءهم مقبلا ضنّوا بمجلسهم عند رسول الله صلى الله عليه وآله فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض .

وقال المقاتلان ـ مقاتل بن حيان ومقاتل بن سليمان ـ كان رسول الله صلى الله عليه وآله في الصفة وفي المكان ضيق وذلك يوم الجمعة وكان صلى الله عليه وآله يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء اناس من أهل بدر وفيهم ثابت بن قيس بن شماس وقد سبقوا في المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وآله فقالوا : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فرد عليهم النبي صلى الله عليه وآله ثم سلموا على القوم بعد ذلك .

فردوا (وما ردوا ـ خ) عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وآله فقال لمن حوله من المهاجرين والانصار من غير أهل بدر :

قم يا فلان قم يا فلان بقدر النفر الذين كانوا بين يديه من أهل بـدر ، فشق ذلك على من اقيم من مجلسه وعرف الكراهية في وجوههم وقال المنافقون للمسلمين : ألستم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس ؟ فوالله ماعدل على هؤلاء ان قوماً أخذوا مجالسهم واحبّوا القرب من نبيّهم فأقامهم ، وأجلس من أبطأ عنهم مقامهم فنزلت الاية .

واما قوله : « يا ايها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا » الاية ، فانها نزلت في الاغنياء وذلك انهم كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وآله ، فيكثرون مناجاته فأمر الله سبحانه بالصدقة عند المناجاة فلما راوا ذلك انتهوا عن مناجاته فنزلت آية الرخصة ، عن مقاتل بن حيان .

وفي اسباب النزول للواحدي : وقال علي بن ابيطالب رضي الله عنه : ان في كتاب الله لآية ما عمل بها احد قبلي ولايعمل بها احد بعدي ـ «يا ايها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول» ـ كان لي دينار فبعته وكنت إذاناجيت الرسول تصدقت بدرهم حتى نفد فنسخت بالاية الاخرى ـ «ااشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات » .

وفي اسباب النزول للسيوطي الشافعي : واخرج الترمذي وحسنه وغيره عن علي عليه السلام قال : لما نزلت : « يا ايها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة » قال لي النبي صلى الله عليه وآله : ماترى دينار؟ قلت : لايطيقونه ، قال: فنصف دينار؟ قلت : لايطيقونه ، قال : فكم ؟ قلت : شعيرة؟ قال : انك لزهيد ، فنزلت : « ااشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقة » الاية فبي خفف الله عن هذه الامة .

قال الترمذي : حسن .

أقول : الزهيد : القليل اى المقلل .

وفي كشف الغمة : اورد الثعلبي والواحدي وغيرهما من علماء التفسير ان الأغنياء اكثروا مناجاة النبي صلى الله عليه وآله وغلبوا الفقراء على المجالس

عنده حتى كره رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك واستطالة جلوسهم وكثرة مناجاتهم، فأنزل الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر ».

فأمر بالصدقة أمام النجوى، وأما أهل العسرة فلم يجدوا، وأما الاغنياء فبخلوا، وخف ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وخف ذلك الزحام وغلبوا على حبه والرغبة فى مناجاته حب الحطام، واشتد على أصحابه فنزلت الآية التى بعدها راشقة ـ أى طاعنة ـ لهم بسهام الملام ناسخة بحكمها حيث أحجم من كان دأبه الاقدام.

وفيه: وقال ابن عمر: ثلاث كن لعلى عليه السلام لو أن لى واحدة منهن كانت أحب إلى من حمر النعم: تزويجه بفاطمة وإعطائه الراية يوم خيبر وآية النجوى.

وفى العمدة: لابن بطريق عن ابن عباس: « يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول » قال: ان الله تعالى حرم كلام رسول الله صلى الله عليه وآله فاذا أراد الرجل أن يكلمه تصدق بدرهم ثم كلمه بما يريد، فكف الناس عن كلام رسول الله وبخلوا أن يتصدقوا قبل كلامه.

قال: وتصدق على عليه السلام ولم يفعل ذلك أحد من المسلمين غيره.

وفى شواهد التنزيل: باسناده عن مجاهد قال: أمروا أن لايناجى أحد النبى صلى الله عليه وآله حتى يتصدق بين يدى ذلك، فكان أول من تصدق على بن أبيطالب فناجاه فلم يناجه أحد غيره، ثم نزلت الرخصة: « أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقة » الاية.

وفيه: باسناده عن السدى فى قوله تعالى: « اذا ناجيتم الرسول » إلى آخر الآية قال: حدثنى عبد خير عن على قال: كنت أول من ناجاه، كان عندى دينار فصرفته بعشرة دراهم فكلمت رسول الله عشر مرات كلما أردت أن أناجيه فتصدقت بدرهم فشق ذلك على اصحاب رسول الله، فقال المنافقون: ماباله ما يبخس لابن عمه قال: فنسختها « اأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات » إلى آخر الاية

قال : فكنت اول من عمل بهذه الاية ، وآخر من عمل بها ، ما احد عمل بها قبلي ولا بعدى .

وفيه: باسناده عن ابى الزبير عن جابر قال : ناجى رسول الله علياً فى غزاة الطائف فأطال مناجاته ، فقال له ابو بكر وعمر : لقد اطلت مناجات على عليه السلام قال : ما انا ناجيته بل الله ناجاه .

وفى الجمع بين الصحاح الستة لرزين لما ذكر نزول آية النجوى فى على عليه السلام قال : قال يحيى بن الحسن : واعلم ان هذه الآية ثبوتها بذكر امير المؤمنين وإثباتها لكونها منقبة له خاصة لان الله سبحانه وتعالى قد جعل لكل مؤمن طريقاً إلى العمل بهذه الاية إلا الاول لانه سبحانه وتعالى ما جعل للصدقة التى تقدم بين يدى نجوى الرسول صلى الله عليه وآله حداً مقدراً ، فيقال : انه يعجز عنه الفقير ويتأتى ذلك من الموسر وانما جعل ذلك بحسب الامكان على الموسع قدره وعلى المقتر قدره بحيث لو اراد اكثر اقارب رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه العمل بذلك لقدروا عليه ولم يكن ذلك عليهم متعذراً ، فترك الكل لاستعمال هذه الاية دليل على أن الله سبحانه وتعالى جعلها منقبة له خاصة ليتميز بها من غيره والدليل على كونها منقبة انه عليه السلام تمدح بها وبفعلها بدليل قوله عليه السلام هذه الاية ما عمل بها أحد قبلي ولايعمل بها أحد بعدى وبى خفّف الله تعالى عن هذه الامة امر هذه الاية ويزيد بياناً وايضاحاً ان النسخ بحكم هذه الاية انما حصل عقيب فعل امير المؤمنين عليه السلام فحصوله عقيب فعله يدل على انها كانت لاظهار منقبة من قبل الله تعالى ويزيده بياناً ان احداً لايدعيها لغيره عليه السلام كافة اهل الاسلام ، وحصول الاجماع من ادل دليل ايضاً ثم ذكر هذا البيت :

ذى المعالى فليعلموا من تعالى   هكذا هكذا وإلا لا

وفى تفسير القمى: « يا ايها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة » قال : إذا سئلتم رسول الله حاجة فتصدّقوا بين يدى حاجتكم ليكون اقضى لحوائجكم فلم يفعل ذلك احد الا امير المؤمنين صلوات

الله عليه فانه تصدق بدينار وناجى رسول الله بعشر نجوات .

وفى تفسير الثعلبى : باسناده عن علقمة الانمارى يرفعه إلى على عليه السلام انه قال : بى خفّف الله عن هذه الامة لان الله امتحن الصحابة بهذه الاية فتقاعسوا ـ أى فتأخّروا ـ عن مناجاة الرسول وكان قد احتجب فى منزله من مناجاة كل أحد الا من تصدق بصدقة وكان معى دينار فتصدّقت به فكنت أنا سبب التوبة من الله على المسلمين حين عملت بالاية ولو لم يعمل بها لنزل العذاب لامتناع الكل من العمل بها .

وفى أسباب النزول للواحدى فى قوله تعالى : « ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ـ إلى قوله ـ ألا انهم هم الكاذبون » الايات ، وقال السدى ومقاتل : نزلت فى عبد الله بن نبتل المنافق كان يجالس النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثم يرفع حديثه إلى اليهود ، فبينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حجرة من حجره ، إذ قال : يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعينى شيطان ، فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق ، فقال له رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : علام تشتمنى أنت وأصحابك ؟ فحلف بالله ما فعل ذلك ، فقال له النبى صلى الله عليه واله وسلم : فعلت ، فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سلبوه فانزل الله تعالى هذه الاية .

وفيه : عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كان فى ظل حجرة من حجره ، وعنده نفر من المسلمين قد كاد الظل يقلص عنهم ، فقال لهم : انه سيأتيكم انسان ينظر إليكم بعين شيطان ، وإذا أتاكم فلا تكلموه ، فجاء رجل أزرق ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكلمه ، فقال : علام تشتمنى أنت وفلان وفلان ؟ نفر دعا بأسمائهم ، فانطلق الرجل فدعاهم ، فحلفوا بالله واعتذروا إليه ، فانزل الله تعالى : « يوم يبعثهم الله جميعاً ـ ألا انهم هم الكاذبون » .

وفى المجمع : فى قوله تعالى : « كتب الله لاغلبنّ أنا ورسلى » روى أن المسلمين قالوا لما رأوا ما يفتح الله عليهم من القرى : ليفتحن الله علينا الروم وفارس فقال المنافقون: أتظنّون أن فارس والروم كبعض القرى التى غلبتم عليها

فأنزل الله هذه الاية .

أقول : ومن المحتمل ان يكون ذلك من قبيل تطبيق الاية على القصّة .

وفي تفسير المراغي : وعن مقاتل قال : لما فتح الله تعالى مكة للمؤمنين والطائف وخيبر وما حولها قالوا نرجو أن يظهرنا الله على فارس والروم ، فقال عبد الله بن ابيّ رأس المنافقين اتظنون ان فارس والروم كبعض القرى التي غلبتم عليها ؟ والله انهم لاكثر عدداً واشد بطشاً من ان تظنوا فيهم ذلك فنزلت : « كتب الله لاغلبن انا ورسلي » .

وفي أسباب النزول : للسيوطي عن إبن شوذب قال : نزلت هذه الاية في ابي عبيدة بن الجراح حين قتل اباه يوم بدر « لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله » الاية .

وفيه : عن الحاكم في المستدرك بلفظ : جعل والد ابي عبيدة بن الجراح يتصدى لابي عبيدة يوم بدر وجعل ابو عبيدة يحيد عنه فلما اكثر قصده أبو عبيدة فقتله ، فنزلت .

وفيه : عن إبن جريج قال : حدثت ان ابا قحافة سب النبي صلى الله عليه واله وسلم فصكّه ابو بكر صكّة فسقط ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه واله وسلم فقال : افعلت يا ابا بكر ؟ فقال : والله لو كان السيف قريباً مني لضربته به فنزلت : « لاتجد قوماً » الاية .

وفي شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن حسين بن زيد عن جعفر بن محمد عن ابيه في قوله تعالى : « لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الاخر » إلى آخر القصة قال : نزلت في علي بن ابي طالب عليه السلام .

﴿ القرائة ﴾

قرأ عاصم (يظاهرون) بضم الياء وتخفيف الظاء من باب المفاعلة ، وقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو (يظهرون) بتشديد الظاء والهاء ، وأصله : يتظهرون من باب التفعل ، فادغمت التاء فى الظاء ، وقرأ الباقون (يظاهرون) بتشديد الظاء ، وأصله : يتظاهرون من باب التفاعل ، فادغمت التاء فى الظاء للضابطة الصرفيّة .

أقول: والقرائة الاولى مشهورة ، وقيل : معنى ظاهر وظهر واحد ، مثل ضاعف وضعف .

قرأ المفضّل (ما هن امهاتهم) بالرفع على لغة تميم من عدم إعمال (ما) كالاستفهام ، وقرأ الباقون بالنصب من كسر التاء على لغة الحجاز .

أقول: والصواب هو الاول لاعمال (ما) فى كثير من الايات نحو (ما هذا بشراً) مع أن الاخذ بلغة الحجاز فى القرآن الكريم أولى وعليه القرائة المشهورة .

قرأ يعقوب (ولا اكثر) بالرفع إمّا على الابتداء وإما على العطف على محل (نجوى) ، وقرأ الباقون بالنصب على أن (لا) لنفى الجنس ، أو لكون (أدنى ـ واكبر) مجرورين على العطف على محل (نجوى) كأنه قيل : ما يكون من أدنى ولا اكبر أو عطفاً على العدد ، فالتقدير : ما يكون من نجوى أكثر من ذلك .

أقول: وعلى الثانى قرائة مشهورة ووجهه الانسب هو الاول وإن كان الوجه الثانى غير بعيد .

قرأ حمزة (ينتجون) بتشديد الجيم من باب الافتعال ، وقرأ الباقون (يتناجون) من باب التفاعل .

أقول: وعلى الثانى ما بأيدينا من المصاحف .

قرأ نافع (ليحزن) بضم الياء و كسر الزاء من باب الافعال ، وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الزاء ثلاثياً .

أقول: والاخير هو القرائة المشهورة .

وقرأ عاصم (فى المجالس) على الجمع ، والباقون بالافراد حملا على مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقط .

أقول: وعلى الاول قرائة مشهورة على إرادة العموم ، فيشمل لكل مجلس.

قرأ نافع وأبو جعفر وإبن عامر وعاصم (انشزوا فانشزوا) بضم الشين فيهما ، وقرأ الباقون بكسرها .

أقول: وقد جائت اللغتان ـ الرفع والكسر ـ فى اللغة ولكن الرفع هو لغة الحجاز والاخذ بها أولى .

قرأ عاصم وحمزة (يحسبون) بفتح السين ، والباقون بكسرها .

أقول: وقد جائت اللغتان فى اللغة ولكن ما فى المصحف هو الفتح .

قرأ أبو جعفر ونافع وإبن كثير (رسلى) بفتح الياء ، والباقون بالاسكان .

أقول: والاخير قرائة مشهورة .

قرأ شاذاً (عشيراتهم) بالجمع ، وقرأ الجمهور (عشيرتهم) بالافراد فلا يعتنى بالشاذ .

قرأ عاصم (كتب) مجهولا و (الايمان) بالرفع والباقون معلوماً وبالنصب .

أقول: والسياق يؤيد الاول ، وخاصّة قوله تعالى : « وأيدهم بروح منه »

﴿الوقف والوصل﴾

(إلى الله ق) و(تحاور كما ط) و (امهاتهم ط) و (ولدنهم ط) و(زوراً ط) كل ذلك لتمام الكلام والاستيناف .

(أن يتماسا ط) و(به ط) لتمام الكلام و(أن يتماسا ج) لتمام الكلام والفاء و(مسكينا ط) (ورسولهط) و(حدود اللهط) و(بيّنات ط) لتمام الكلام .

(مهين ج) لاحتمال تعلق الظرف بما قبله ، وكونه مفعولا لا ذكر مقدراً ، و(عملوا ط) (ونسوه ط) (فى الارض ط) كل ذلك لتمام الكلام ، و(ما كانوا ج) لان (ثم) للعطف أو لترتيب الاخبار .

(القيامة ط) لتمام الكلام (الرسول ز) لعطف الجملتين المتفقتين معنى مع أن (جاؤك) فعل ماض لفظاً .

(به الله لا) لانمابعدهحال او عطفعلى (جاؤك) المستقبل معنى و(نقولط) لتمام الكلام و(جهنم ج) لاحتمال ما بعده حالا واستينافاً و(يصلونها ج) لتمام الكلام وكون الفاء بعده .

(والتقوى ط) لتمام الكلام و(باذن الله ط) لما تقدم و(يفسح الله لكم ج) لابتداءِ شرط آخر مع العطف و(آمنوا منكم لا) للعطف و(درجات ط) و(صدقةط) و(اطهر ط) كل ذلك لتمام الكلام ، و(صدقات ط) لتناهى الاستفهام إلى الشرط .

(ورسوله ط) (وعليهم ط) لتمام الكلام و(ولا منهم لا) لاتصال الكلام فى ذكر ذميم الصفات للمنافقين .

(شديداً ط) و(شيئاً ط) و(اصحاب النار ج) لتمام الكلام والحال و(على شيءط) و(ذكر الله ط) والشيطانط) الاول و(رسلىط) و(عشيرتهم ط) كل ذلك لتمام الكلام واستيناف بعده .

(بروح منه ط) للعدول عن الماضى إلى المستقبل مع تمام الكلام ، و(خالدين فيها ط) و(رضوا عنه ط) و (حزب الله ط) الاول لتمام الكلام .



اللغة

٤ ـ الكبت ـ ١٢٧٧

كبته يكبته كبتاً ـ من باب ضرب ـ : غاظه وأذلّه وأخزاه وصرفه وكسره وأهانه وصرعه وردّ بغيظه وأهلكه .

والكبت : الرد بعنف وتذليل .

قال الله تعالى : « كبتوا كما كبت الذين من قبلهم » المجادلة : ٥) .

أى ردّوا على أعقابهم وقد ملأهم الغيظ وغمرتهم الذلة كما حدث لمن كانوا من قبلهم أو اخذوا بالعذاب فغلبوا وهلكوا كما نزل بمن كان قبلهم ممن حادّ الله تعالى .

وقال تعالى : « أو يكبتهم فينقلبوا خائبين » آل عمران : ١٢٧) .

أى يردّهم مغيظين أذلّاء ، ويخزيهم بالخيبة مما أملوا من الظفر بكم ، فيغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين .

وفى الحديث : « ان الله كبت الكافر » أى صرعه وخيّبه .

والمكتبت : الممتلىء غماً وغيظاً .

١٥ - النجوى - ١٤٩٠

نجاه ينجوه نجواً ونجوى ـ من باب نصر نحو دعا ـ : ساره وخصه بالحديث. يقال : النجوى للحديث : يسار به ويوصف به كما يوصف بالمصدر ، وحينئذ لايتغيرمع الموصوف ، فيقال : هنانجوى وهم نجوى ، كمايقال : هم عدل وهما عدل .

قال الله تعالى : « مايكون من نجوى ثلاثة » المجادلة : ٧) .

يحتمل أن يكون النجوى مصدراً فاضيف إلى ما بعده ، وأن يكون وصفاً أى متسارين ، فثلاثة وصف له أو بدل منه كما فى قوله تعالى : « لا خير فى كثير من نجواهم » النساء : ١١٤) .

يصح أن يكون النجوى بمعنى المتسارين ، وأن يكون بمعنى المسارة .

وقوله تعالى : « نهوا عن النجوى ـ فقدموا بين يدى نجواكم » المجادلة : ٨ ـ ١٢) فالنجوى هنا مصدر .

وقوله تعالى : « ان الله يعلم سرهم ونجواهم » التوبة : ٧٨) النجوى هنا : الحديث يتسارون به فيما بينهم .

وأهل النجوى : هم أهل البيت عليهم السلام لان النبى صلى الله عليه وآله سر إليهم ما لا يسر به إلى أحد غيرهم .

فى النهاية : ومنه حديث على عليه السلام : « دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الطائف فانتجاه فقال الناس : لقد طال نجواه فقال صلى الله عليه وآله وسلم : ما انتجيته ولكن الله انتجاه » أى ان الله أمرنى أن اناجيه . انتهى كلامه .

ناجاه مناجاة ونجاء : ساره ، وتناجي القوم : تساروا وتشاوروا ، وانتجاه : خصه بمناجاته ، وانتجيت فلاناً : استخلصته لسرى .

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى » المجادلة : ٩) .

يتناجون : يسرّ بعضهم إلى بعض .

نجا الصبى : أحدث ، وأصله من النجوة لانه يستتر بها وقت قضاء الحاجة ، ونجا من البطن : خرج ساراً ، ويخرج ما فيه من ريح أو غائط .

إستنجى : خلص وغسل موضع النجو ، والاستنجاء : تحرى إزالة النجو وطلب نجوة لالقاء الأذى بالماء أو بالحجر ، والاستنجاء : التنظف بمدر أو ماء ، والاستنجاء : استخراج النجوة من البطن ، واستنجى : مسح النجو أو غسله .

٤٣ - الجلوس - ٢٥٩

جلس يجلس جلوساً ـ من باب ضرب ـ : قعد نقيض قام وهو أعم من القعود .

قيل : الجلوس لمن كان مضطجعاً والقعود لمن كان قائماً ، والأرجح أنهما مترادفان ، وقد يستعملان بمعنى الكون والحصول ، فيكونان بمعنى واحد ، ومنه يقال : « جلس متربّعاً وقعد متربعاً وجلس بين شعبها » أى حصل وتمكن ، أجلسه فى المكان : مكنه فى الجلوس نقيض أقامه .

والمجلس ـ بكسر اللام ـ : موضع الجلوس وجمعه : مجالس .

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم » المجادلة : ١١) .

المجالسة : الالفة والمخالطة والمصاحبة ، وجالسه مجالسة : جلس معه .

الجلسة ـ بالكسر ـ الهيئة التى يكون عليها الجالس والمرّة منها كجلسة الاستراحة وجلسة التشهد والجلسة ـ بالضم ـ : الكثير الجلوس .

وفى الحديث : « لا تتخذوا ظهور الدواب مجالس » وربما كانت هذه العادة للرؤساء والمترفين .

والجليس : من يجالسك ـ فعيل بمعنى فاعل ـ ومنه الحديث القدسى : « أنا جليس من ذكرنى » تجلّس : تكلّف الجلوس.

والجلس ـ بفتح الجيم ثم السكون ـ : الغليظ من الارض ، والجلس : كل مرتفع من الارض . يقال : امرأة جلس اذا كانت تجلس فى الفناء ولا تتبرّج .

فى المفردات : أصل الجلس : الغليظ من الارض وسمى النجد جلساً لذلك . وجلس : أصله أن يقصد بمقعده جلساً من الارض ثم جعل الجلوس لكل قعود .

وفى المجمع : الجلوس : هى الانتقال من سفل إلى علو ، والقعود هو الانتقال من علو إلى سفل ، فعلى الاول يقال لمن هو قائم : اجلس ، وعلى الثانى لمن هو قائم : اقعد .

٣٣ - الفسح - ١١٥٢

فسح يفسح فسحاً وفسحة ـ من باب منع ـ : وسع .

من المادى ، الفسيح : المكان الواسع ومنه التفسّح : التوسع ، تفسحت فى المجلس وفسحت : وسعت ، يقال : فسحت له فى المجلس فسحاً : فرجت له عن مكان يسعه ، وأفسح عنّى : أى تنح عنى .

ومنه يجيىء المعنوى : فسحت له أن يفعل كذا ، وهو فى فسحة من الامر .

وفى الحديث : « لا يزال المؤمن فى فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً » .

وورد من المادة الثلاثى مضارعاً وأمراً والمضعف أمراً فى آية واحدة من القرآن الكريم : « تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله » المجادلة : ١١) .

فى الكافى : فى حديث الميت مع الملكين : « يفسحان له فى قبره مدبصره » أى يوسعان له فيه مد البصر من غير تناف بينه وبين ما روى : « يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً فى سبعين » وما روى : « يفسح له فى قبره سبعة أذرع » .

وفى حديث : «تسعة أذرع» لاختلاف الفسحة باختلاف الدرجات فى الايمان

وصالح الأعمال فلعل الأدنى فسحته سبعة والا على مد البصر وبينهما مدى .

وفى الدعاء : « اللهم افسح له مفسحاً في عدلك » أى أوسع له فى دار عدلك يوم القيامة .

٤٢ - النشز والنشوز - ١٥١٧

نشز ينشز نشزاً ونشوزاً - من باب نصر وضرب - : نهض منه وكان قاعداً فقام.

وأصل النشز : المتن المرتفع من الارض ، وما ارتفع عن الوادى إلى الارض وليس بغليظ .

ونشز أحد الزوجين من الاخر : علاه وجفاه ونبا عنه كأن تعصى المرأة زوجها وكأن يقصر الرجل في حقوق المرأة أو يوثر امرأة اخرى عليها .

قال الله تعالى : « واذا قيل انشزوا فانشزوا » المجادلة : ١١) .

أى انهضوا وارتفعوا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الصلاة والجهاد واعمال البر .

نشزت المراة : إرتفعت على زوجها واستعصت عليه وابغضته فهى ناشزة ، والنشوز : كراهية كل واحد منهما صاحبه وسوء عشرته له .

قال الله تعالى : « واللاتى تخافون نشوزهن » النساء : ٣٤) اى خروجهن عن طاعتكم ، ونشز بعلها عليها : إذا ضربها وجفاها .

ومنه قوله تعالى : « وإن امراة خافت من بعلها نشوزاً » النساء : ١٢٧) انشز الشيء إنشازاً : رفعه واقامه ، ويقال : اللبن ينشز العظم في الحيوان بالرضاع : يربيه وينميه ويرفعه ، والله ينشز العظم : يرفعه تركيب اجزائه وتأليفها ، فيعظم حجمه ويزيد .

قال الله تعالى : « وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً » البقرة ٢٥٩) انشز الله عظام الميت : رفعها إلى موضعها وركب بعضها على بعض ويقال : لحمه ناشزة : مرتفعة على الجسم .

ومنه الحديث: آتاه ناشز الجبهة » اى مرتفعها ، وفى الحديث: « لارضاع الا ما انشز العظم » اى رفعه واعلاه واكبر حجمه وهو من النشز: المرتفع من الارض.

فى المفردات: النشز: المرتفع من الارض ، ونشز فلان اذا قصد نشزاً ، ومنه نشز فلان عن مقرّه: نبا وكل ناب ناشز ، ويعبّر عن الاحياء بالنشز والانشاز لكونه ارتفاعاً بعد اتّضاع.

٨٥ - الحوذ والاستحواذ - ٣٧٣

حاذه يحوذه حوذاً - من باب نصر نحو: قال - : حاطه وضمّه وجمعه وغلب عليه ، وكل من ضم شيئاً إلى شيء فقد حاذه واستحوذ عليه: إستولى عليه.

قال الله تعالى: « إستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله » المجادلة: ١٩) اى إستولى عليهم وغلبهم ، وهم المنافقون والكافرون.

وفى الحديث: « ما من ثلاثة فى قرية ولابدو لا تقام فيهم الصلاة إلاّ قد استحوذ عليهم الشيطان » اى استولى عليهم وحواهم إليه ، استحوذ: غلب.

قال الله تعالى: « الم نستحوذ عليكم » النساء: ١٤١) اى الم نغلب على اموركم ونستولى على مودّتكم.

الحوذ: السوق السريع ، والحوذ: ان يتبع السائق حاذيى البعير اى ادبار فخذيه ، فيعنّف فى سوقه ، يقال: حاذ الابل يحوذها: أى ساقها سوقاً عنيفاً ويقال: حاذ الابل: جمعها ليسوقها سوقاً شديداً.

الحوذ: الحفظ ، وفى حديث الصلاة: « فمن فرّغ لها قلبه وحاذ عليها فهو مؤمن » اى حافظ عليها.

الاحواذ: المحافظة على الشيء ، واحوذ ثوبه: جمعه وضمّه إليه.

الحاذ: خفّة المال والعيال ، وفى الحديث: « ليأتين على الناس زمان يغبط فيه الرجل بخفّة الحاذ كما يغبط اليوم ابو العشرة » ضربه مثلا لقلّة المال والعيال.

٣١ - الحزب - ٣١٩

حزب الامر يحزبه حزباً ـ بفتح الحاء ثم السكون ـ من باب نصر ـ : أصابه واشتد عليه أوضغطه فجأة .

وفي الحديث : « كان إذا حزبه أمر صلّى » أي إذا نزل بـه مهمّ وأصابه غمّ صلّى .

الحزب : السلاح ، والحزب كل طائفة جمعهم الاتجاه إلى غرض واحد وجمعه : أحزاب ، وفي الاحزاب معنى الاختلاف ، قال تعالى : « كل حزب بما لديهم فرحون » المؤمنون : ٥٣) .

والحزب : جماعة الناس وجند الرجل وأتباعه الذين يأخذون على رأيه .

قال الله تعالى : « ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ـ ألا ان حزب الله هم المفلحون » المجادلة : ١٩ ـ ٢٢) :

حزب الشيطان : جنوده وأتباعه وهم المنافقون والكافرون .

وحزب الله تعالى : هم انصار دينه واتباع رسوله ﷺ وهم المؤمنون .

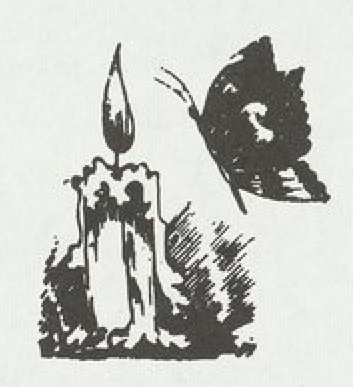
وحزّبهم : جمعهم احزاباً ، وحازبه : نصره وعاضده ، وحازبوا وتحزّبوا : صاروا احزاباً وتجمّعوا .

الاحزاب : طوائف كانوا تألّبوا وتظاهروا على رسول الله الخاتم ﷺ قال تعالى : « يحسبون الاحزاب لم يذهبوا » الاحزاب : ٢٠) .

يوم الاحزاب :يوم اجتماع العرب على قتال رسول الله صلى الله عليه وآله

وهو يوم الخندق فاجتمعوا من القبائل المختلفة لمحاربة النبى الكريم صلى الله عليه وآله ، كانت من قريش عشرة آلاف من الاحابيش ومن كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان ، وغطفان فى ألف وهوازن وبنى قريضة والنضير .

وفى الحديث : « اللهم اهزم الاحزاب وزلزلهم » .



﴿ النحو ﴾

١ - (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير)

« قد » للتحقيق و « قول التى » مفعول به ، و « تجادلك » فعل مضارع من باب المفاعلة وفاعله الضمير المستتر فيه راجع إلى « التى » ، وكاف الخطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى موضع نصب على المفعول به ، و « فى زوجها » متعلق بفعل الجدال ، « وتشتكى » عطف على « تجادلك » وقيل : الواو للحال ، و « إلى الله » متعلق بفعل الاشتكاء « والله يسمع » مستأنف وقيل : حال ، و « تحاوركما » التحاور مصدر من باب التفاعل وضمير الخطاب المثنى للنبى صلى الله عليه واله وسلم ، وللتى تجادله صلى الله عليه واله وسلم ، وقيل : الجملة حال .

و « بصير » خبر ثان لحرف التأكيد أى خبر بعد خبر .

٢ - (الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم وانهم ليقولون منكراً من القول وزوراً وان الله لعفو غفور)

« الذين » موصول فى موضع رفع على الابتداء ، و « يظاهرون » فعل مضارع من باب المفاعلة لجمع المذكر الغائب صلة الموصول ، و « منكم من نسائهم » متعلقان بفعل الظهار .

و « ما » حرف نفى تشبه بليس ، و « هن » اسمها ، و « امهاتهم » جمع الام خبرها والجملة فى موضع رفع على الخبرية للموصول .

و « إن » حرف نفى تشبه بليس ، و « امهاتهم » اسمها ، و « الا » حرف استثناء

«واللائی» جمع التی ، «ولدنهم» صلتها ، والجملة فـی موضع نصب على الخبر لحرف النفی .

«و» للاستيناف ، «أنهم» الضمير فیموضع نصب على الاسمية لحرف التأكيد «ليقولون » اللام حرف تأكيد ومدخولها فی موضع رفع على الخبرية و«منكراً» نعت لمحذوف ای قولامنكراً «وزوراً» عطف ای قولا زوراً «لعفو» اللام للتأكيد و«غفور» خبر بعد خبر .

٣ـ (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير)

«والذين» الواو للعطف والموصول مبتداء ، و«ثم» حرف عطف للتراخی ، و«لماقالوا» الجار والمجرور فی موضع نصب لانه متعلق بقوله «يعودون» ، و«ما» مصدرية ، فالمعنى : يعودون للمقول فيه من كلمة الظهار من غير طلاق ، فالمصدر فـی موضع المفعول كقولك : هذا الثوب نسج اليمن ، ای منسوجه ، ويجوز ان تكون اللام بمعنى «إلى» و«ما» موصولـة وهـی نكرة موصوفة ، ای يعودون إلى الكلام الذی قالوه اولا مـن قولهم : انت على كظهر امّی ، والمراد مـن العود : هوالعزم على الوطء .

« فتحرير » الفاء للجزاء ومدخولها مبتدأ على حذف الخبر أی فعليهم تحرير رقبة والجملة خبر للذين ودخول الفاء فی الخبر لان الكلام فی معنى الشرط : أی ان الذين ظاهروا منهن ثم أرادوا العود لما قالوا فعليهم تحرير رقبة .

« أن يتماسّا » فعل مضارع مـن باب التفاعل منصوب بحرف « أن » على حذف نون التثنية وضميرها راجع إلى الزوجين : الزوجة وبعلها المظاهر .

« ذلكم » مبتدأ و « توعظون » فعل مضارع مبنی للمفعول خطاب لكل مذكر مكلف والجملة خبر ، ويجوز حذف الموصول هنا أی ذلكم ما توعظون به فالموصول والصلة خبر لاسم الاشارة ، والضمير فی « بـه » راجع إلى الموصول المحذوف .

« و » للاستيناف « الله » مبتدأ ، « خبير » خبره ، و « بما » متعلق بخبير ، و « ما » موصولة و « تعملون » صلته على حذف العائد أى تعملونه .

٤ ـ (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم)

« فمن » الفاء للتفريع ومدخولها للشرط ، و « لم يجد » فعل شرط .

« فصيام » الفاء للجزاء ومدخولها خبر لمحذوف أى فعليه صيام ، والجملة جزاء الشرط ، و « متتابعين » نعت من « شهرين » ، و « ذلك » مبتدأ ، « لتؤمنوا » فعل مضارع لخطاب الجمع من باب الافعال منصوب بحرف « أن » مقدرة و «تلك» مبتدأ تشير إلى الاحكام المذكورة ، و « حدود » جمع الحد خبر المبتداء و « للكافرين » متعلق بمحذوف خبر مقدم ، و « عذاب » مبتدأ مؤخر ، و « أليم » نعت من « عذاب » .

٥ ـ (ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين)

« إن » حرف تأكيد ، « الذين » فى موضع نصب إسمها ، « يحادون » فعل مضارع من باب المفاعلة ، و « كبتوا » فعل ماض مبنى للمفعول خبر لحرف التأكيد « وقد أنزلنا » الواو للحال و « قد » للتحقيق والفعل ماض للتكلم مع الغيرمن باب الافعال ، « آيات » جمع آية مفعول به ، و « بيّنات » نعت من الايات ، والكلام فى « وللكافرين عذاب مهين » هو الكلام فى « وللكافرين عذاب أليم » .

٦ ـ (يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شىء شهيد)

« يوم » ظرف متعلق بما تعلق به « للكافرين » أى ثبت لهم عذاب مهين فى هذا اليوم ، وقيل : أى يعذبون أو يهانون ، وقيل : متعلّق باذكر مقدراً ، وقيل :

ظرف لقوله : « أحصيه » .

« يبعثهم » الفعل مضارع والضمير في موضع نصب مفعول به ، « الله » فاعل الفعل ، و« جميعاً» تأكيد لضمير الجمع « فينبّئهم » الفاء للتفريع والفعل للمضارع وفاعله الضمير المستتر فيه راجع إلى « الله » ، وضمير الجمع في موضع نصب مفعول به راجع إلى الكافرين ومن إليهم ، و « بما » متعلق بفعل التنبيه و « ما » موصولة ، و « عملوا » صلة على حذف العائد .

« أحصاه » الفعل ماض من باب الافعال ، والضمير في موضع نصب مفعول به راجع إلى الموصول ، وضمير « نسوه » راجع إلى الموصول « ما » .

« الله » مبتدأ ، و « شهيد » خبره ، و « علـى كل شيء » متعلق بشهيد ، والجملة حالية .

٧ - (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى من ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم)

الهمزة تقريرية لمابعد النفي ، وحملها على الانكار الابطالي غيروجيه جداً .

و « تر » من أفعال القلوب ، لانـه بمعنى العلم اليقيني ، والجملة المؤكدة في موضع نصب نابت مناب المفعولين ، و « ما يكون » « مـا » حرف نفي ، و « نجوى » مصدر بمعنى التناجي أو الانتجاء اضيف إلى « ثلاثة » ، ويحتمل أن يكون « النجوى » إسماًللمتناجين ، فالمعنى : مايكون من متناجين ثلاثة فالثلاثة صفة أو بدل من « النجوى » والاول هو الاظهر .

« هو رابعهم » مبتدأ وخبر ، والجملة في موضع جرّ صفة للثلاثة ، وقيل : الجملة في موضع نصب على الخبرية لفعل الناقص « يكون » « ولا أدنى - ولا أكثر » عطفان على العدد أو على موضع « النجوى » .

٨ ـ (ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون فى أنفسهم لو لا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير)

« ألم تر » الهمزة تقريرية و « تر » ليس من افعال القلوب لانه بمعنى رؤية العين والنظر إلى المنافقين ، و « نهوا » فعل ماض مبنى للمفعول أصله : نهيوا ، فثقلت الضمة على الياء ، فنقلت إلى الهاء فحذفت الياء لالتقاء الساكنين : الياء والواو ، و « يتناجون » فعل مضارع من باب التفاعل و « حيوك » فعل ماض من باب التفعيل ، وكاف الخطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى موضع نصب على المفعولية و «لولا» تحضيضيّة .

« حسبهم جهنم » مبتدأ وخبر ، و « يصلونها » جملة فعلية فى موضع نصب على الحال من « جهنم » ، و « فبئس المصير » الفاء للتفريع وحذف المخصوص بالذم ، فالتقدير : فبئس المصير جهنم .

٩ ـ (يا أيها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى اليه تحشرون)

« تناجيتم » فعل ماض لجمع الخطاب المذكر من باب التفاعل وقع شرطاً « فلا تناجوا » الفاء للجزاء والفعل مجزوم بحرف النهى من باب التفاعل وحذفت فيه ثلاثة أحرف : إحدى التائين تخفيفاً ولام الفعل وهى الواو لثقل الضمة عليها ونون الرفع جزماً ، فان الاصل : تتناجوون .

« تناجوا » فعل أمر من باب التفاعل حذفت فيه حروف ثلاثة أيضاً : تاء المضارع لبناء الامر ، ولام الفعل وهى الواو لما تقدم ، ونون الرفع جزماً .

١٠ ـ (انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا وليس بضارهم شيئاً الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

« انّما » كلمة حصر ، و « النجوى » مبتداء ، و « من الشيطان » متعلق بمحذوف وهو الخبر ، و « ليحزن » اللام للتعليل والفعل منصوب بأن مقدرة ، وفاعله الضمير المستتر فيه راجع إلى الشيطان ، و « الذين » في موضع نصب مفعول به ، و « ليس » فعل ناقص إسمه ضمير مستتر فيه راجع إلى النجوى ، و « بضارهم » الباء زائدة جيئت للتاكيد ومدخولها إسم فاعل والضمير راجع إلى المؤمنين و « شيئاً » مفعول به لاسم الفاعل لانه بمعنى الحال والاستقبال .

و « على الله » متعلق بفعل التوكل ، « فليتوكل » الفاء للتفريع ، والفعل من باب التفعل مجزوم بلام الأمر .

١١ - (يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير)

«تفسّحوا » فعل أمر من باب التفعل ، والجملة مقولة للقول ، و«المجالس» جمع مجلس - اسم مكان - لانتهاء الجمع ، و « فافسحوا » الفاء الجزاء ، ومدخولها فعل أمر جزاء الشرط ، و « يفسح الله » مجزوم لوقوعه بعد الأمر ، و « انشزوا » فعل أمر مقول للقول « فانشزوا » الفاء للجزاء ومدخولها جزاء ، و « يرفع » مجزوم لوقوعه بعد الأمر .

« الذين » في موضع نصب على المفعولية ، « والذين » عطف على « الذين » المتقدم ، « اوتوا » فعل ماض مبني للمفعول ، و « العلم » مفعول به كان مفعولا ثانياً ، والاصل : اتى الله الذين العلم ، و « درجات » حال من « الذين » ، أي ذا درجات ، وقيل : على درجات ، وقيل : في درجات ، وقيل : إلى درجات ، وقيل : منصوب على الظرفية .

« الله » مبتداء ، و « خبير » خبره ، و « بما » الجار والمجرور متعلق بخبير و « ما » موصولة و « تعملون » صلتها على حذف العائد ، أي تعملونه أو به .

١٢ ـ (يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم)

« فقدموا » الفاء جزائية ، ومدخولها فعل أمر من باب التفعيل جزاء الشرط و « بين يدى » ظرف متعلق بفعل التقديم ، و « صدقة » مفعول به ، « ذلك » مبتداء و « خير » خبره ، و « فان لم تجدوا » الفاء تفريعية ومدخولها حرف شرط « لم تجدوا » فعل الشرط ، « فان الله غفور » الفاء للجزاء والجملة جزاء الشرط ، و « رحيم » خبر بعد خبر .

١٣ ـ (ءاشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون)

« اشفقتم » فعل ماض لخطاب الجمع المذكر من باب الافعال « ان تقدموا» مفعول به بانسباكه إلى المصدر ، و « بين يدى » ظرف متعلق بفعل التقديم ، و « صدقات » جمع صدقة مفعول به ، « فاذ » شرطية ماضية على بابها ، والمعنى : انكم تركتم ذلك فيما مضى ، فتداركوه باقامة الصلاة ، وقيل : بمعنى « إن » الشرطية ، وقيل بمعنى اذا للاستقبال .

« فاقيموا » الفاء جزائية ، ومدخولها فعل أمر من باب الافعال جزاء الشرط و « الصلاة » مفعول به ، « وآتوا الزكاة » عطف والباقي ظاهر .

١٤ ـ (ألم تر الى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون)

الاستفهام تقريرية ، و « تر » ليس من أفعال القلوب لانه بمعنى : تنظر ، و « تولّوا » فعل ماض من باب التفعل ، وأصله : تولّووا ، فنقلت الضمة على الواو فحذفت ثم حذفت الواو الاولى لالتقاء الساكنين ، و « قوماً » مفعول به « ما » حرف نفى و « هم » اسمها و « منكم » متعلق بمحذوف خبرها والجملة حال من

ضمير « تولّوا » ، وقيل : مستأنفة و « لامنهم » عطف على « ما هـم منكم » على حذف الاسم أى ولا هم منهم والضمير الاول راجع إلى المنافقين ، والثانى راجع إلى المغضوب عليهم وهم الكافرون « وهم يعلمون » الـواو للحال ، والجملة فـى موضع نصب على الحالية .

١٥ ـ (أعد الله لهم عذاباً شديداً انهم ساء ما كانوا يعملون)

« أعد » فعل ماض من باب الأفعال ، «عذاباً» مفعول به و «شديداً» نعت من «عذاباً» و«ساء» فعل ذم و«ما» موصولة «كانوا» صلتها و«يعملون» فـى موضع نصب خبر لفعل الناقص على حذف العائد أى يعملونه ، وقيل : «مـا» مصدرية أى بئس العمل عملهم .

١٦ ـ (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين)

«اتخذوا» فعل ماض من باب الأفتعال الا انه ادغم بعد تليين الهمزة وإبدال التاء ، و«أيمانهم» مفعول أول و«أيمان» جمع يمين والضمير راجع إلى المنافقين ، و« جنة » مفعول ثان « فصدوا» الفاء للتفريع ومدخولها فعل مـاض «فلهم» الفاء للنتيجة ومدخولها متعلق بمحذوف خبر مقدم ، و«عذاب» مبتدأ مؤخر ، و«مهين» نعت من « عذاب » .

١٧ ـ (لـن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

«لن» حرف تأبيد ، و« تغنى » فعل مضارع من باب الافعال و«عنهم» متعلق بفعل الاغناء و«اموالهم» فاعل الفعل ، والاموال : جمع مال على جمع القلّة والضمير راجع إلى المنافقين «ولا اولادهم» عطف على «أموالهم» و«شيئاً» مفعول به ، و«اولئك» مبتداء و«أصحاب النار» خبره و«هم» مبتداء «خالدون» خبره .

١٨ ـ (يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء الا أنهم هم الكاذبون)

« يوم » ظرف لفعل محذوف ، أى اذ كر يا محمد ﷺ هؤلاء المنافقين يوم - الخ .

وقيل : ظرف لقوله : «اعدالله لهم» وقيل : ظرف لقوله : «اولئك» و«جميعاً» حال من الضمير المنصوب الراجع إلى المنافقين فى « يبعثهم » والفعل عامل الحال و« يحسبون » من أفعال القلوب و« أنهم على شيء » ساد مسد المفعولين ، و « ألا » تنبيهية وهى التى تدل على تحقق مابعدها كقوله تعالى: « ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون » .

١٩ - (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون)

« إستحوذ » فعل ماض من باب الاستفعال وانما صحت الواو هنـا بنية على الأصل وقياسه استحاذ مثل استقام .

« فأنساهم» الفاء تفريعية و «أنسى» فعل ماض من باب الافعال وفاعله ضمير مستتر راجع إلى الشيطان وضمير الجمع فى موضع نصب مفعول أول و«ذكرالله» مفعول ثان ، و«اولئك» مبتداء «حزب الشيطان» خبره ، و«ألا» تنبيهية و«ان» حرف تأكيد ، و«حزب الشيطان» اسمها و «هم» مبتداء ، و «الخاسرون» خبره ، والجملة خبر لحرف التأكيد ، ومن المحتمل أن يكون الضمير فصلا .

٢٠ - (ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك فى الاذلين)

«ان» حرف تاكيد و«الذين» فى موضع نصب اسمها و«يحادون» فعل مضارع من باب المفاعلة صلة الموصول ، « والله » مفعول به « ورسوله » عطف على «الله» «اولئك» مبتداء و«فى الاذلّين» متعلق بمحذوف خبر المبتدأ أى هم ثابون فى زمرة الاذلّين من خلق الله ، والجملة خبر لحرف التأكيد .

٢١ - (كتب الله لاغلبن انا ورسلى ان الله قوى عزيز)

«لاغلبن» جواب قسم محذوف ، ويجوز أن يكون جواباً لقوله « كتب الله»

لانه أجرى مجرى القسم ، ولهذا اجيب بما يجاب به القسم « ورسلى » في موضع رفع بالعطف على الضمير في « لاغلبن » وانما جاز العطف على الضمير المرفوع المستتر لتأكيده بضمير المنفصل «أنا» .

«عزيز» خبر بعد خبر لحرف التأكيد «ان» .

٢٢ - (لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون)

«لا تجد» فعل مضارع منفي بحرف النفي خطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و«قوماً» مفعول به الاول ، و«يؤمنون» في موضع نصب نعت من «قوماً» و«يوادون» فعل مضارع من باب المفاعلة في موضع نصب مفعول به الثاني لتجد ، وقيل : حال وقيل : نعت ثان لقوله : «قوماً» و«من» موصولة في موضع نصب و«حاد» صلة الموصول و« اولئك » مبتداء « كتب » فعل ماض فاعله الضمير المستتر فيه راجع إلى الله تعالى ، والجملة خبر المبتدأ و« ألا» تنبيهية تدل على تحقق ما بعدها .

﴿ البيان ﴾

١ ـ (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها و تشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير)

«قد سمع الله ـ الخ » تأكيد لاحاطة علم الله تعالى بالامر وبما سواه ، وفى كلمة «قد» إشعار بان الرسول ﷺ والمجادلة كانا يتوقعان أن ينزل الله تعالى حكم الحادثة وشكواها ، ويفرج عنها كربها .

وفى قوله تعالى : «تجادلك فى زوجها» إشارة إلى حدث وقع بين إمرأة بعينها وزوج بعينه وإن كان لم يذكر لهما إسم . . لان ذكر الاسم هنا لاضرورة له إذ كان هذا الحدث وإن تعلق بهذين الزوجين ينسحب إلى كل زوجين والى المبادىء التى تحكم الصلة بين الزوج والزوجة او الرجل والمرأة .

وفى القصّة لفتة كريمة من رب كريم جل وعلا الى تلك المراة الضائعة فى معترك الحياة وتطيب لخاطرها ، وانه اذا كان رسول الله ﷺ قد استمع لشكاتها ولم يجد لها عنده جواباً شافياً ـ اذ كان الظهار امراً معترفاً به فى الجاهلية ولم يكن الاسلام قد عرض له بشىء حين قرر احكام الطلاق حتى وقعت هذه الحادثة ـ وقد سمع الله تعالى هذه الشكاة واستجاب لها وطيب خاطرها ورد لها اعتبارها وانزل العقوبة الرادعة بمن جار عليها .

واذا لم يكن بين يدى النبى الكريم ﷺ حكم الله تعالى فيما تشتكى منه المرأة مما فعل بها زوجها بهذا الظهار الذى أوقعه عليها ، فلم يقطع النبى الكريم ﷺ بهذا الحكم الذى يقضى بالفرقة بينها وبين زوجها .

وإشارة اخرى إلى احترام الشريعة الاسلامية للانسان واعطائه حقه كاملا في استعمال عقله ومراجعة غيره فيما يعرض له من قضايا الحياة.

«والله يسمع تحاوركما» في ايثار المضارع دلالة على إستمرار السمع حسب إستمرار التحاور وتجدده وفي نظمها في سلك الخطاب تغليباً تشريف لها من جهتين، والجملة مستأنفة جارية مجرى التعليل لما قبله فان الحافها في المسئلة ومبالغتها في التضرع إلى الله تعالى، ومدافعته صلى الله عليه وآله اياها بجواب منبيء عن التوقف، وترقب الوحي وعلمه تعالى بحالهما من دواعي الاجابة.

وفي الجملة ما يرفع من خسيسة المرأة بل ومن خسيسة الانسانية كلها دون أن ينزل ذلك من قدر النبي الكريم صلى الله عليه وآله، ومن مكانه المكين عند ربه.

وفي التعبير بلفظ السمع دون الاستماع لان السمع يكون من غير طلب على حين لا يكون الاستماع الا بطلب والله تعالى يسمع كل شيء من غير طلب لما يسمع سواء أكان هذا المسموع سراً أو جهراً وقريباً أو بعيداً.

وفي «ان الله سميع بصير» إشارة إلى أن سمع الله يحتوى كل شيء يقع في هذا الوجود، وان هذه المسموعات جميعها واقعة في علم الله موقع المبصرات حيث تكشف المسموعات لعلم الله حقائق مشاهدة، فيقضى سبحانه فيها عن علم لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض كما يقول الله تعالى لموسى وهارون: «انني معكما أسمع وأرى» طه: ٤٦).

وان الجملة تعليل لما قبلها بطريق التحقيق أي مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات، ومن قضيته أن يسمع تحاورهما ويرى ما يقارنه من الهيئات التي من جملتها رفع رأسها إلى السماء وسائر آثار التضرع وإظهار الاسم الجليل «الله» في الموضعين لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف الالوهية وتأكيد استقلال الجملتين.

وفيها ايذان بأن الله تعالى قد سمع قولها وسمع المحاورة التي دارت

بينها وبين النبي صلى الله عليه وآله .

وفيها دلالة على أن من انقطع رجائه عن الخلق كفاه الله همّه .

٢ - (الذين يظاهرون منكم من نساءهم ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم وانهم ليقولون منكراً من القول وزوراً وان الله لعفو غفور)

شروع في بيان شأن الظهار وحقيقته في نفسه ، وانه منكر من القول وزور من الكلام لانه يجعل من الزوجة اماً ، الامر الذى لا يمكن تصوره ولا تحتمل اللغة مدلولا له على هذا الوجه الذى تتعامل به الجاهلية .

وفي بيان حكم الظهار المترتب عليه شرعاً بطريق الاستيناف ، ونفى لحكم الظهار المعروف عند المشركين وإلغاء لتأثيره بالطلاق والتحريم الأبدى بنفى امومة الزوجة للزوج بالظهار ، فان سنّة الجاهلية كانت تلحق الزوجة بالام بسبب الظهار فتحرم على زوجها حرمة الام على ولدها حرمة مؤبّدة ، فقوله تعالى : « ما هنّ امهاتهم » اى بحسب إعتبار الشرع بأن يلحقن شرعاً بهن بسبب الظهار ، فيحرمن عليهم ابداً ثم اكّده بقوله تعالى : « إن امهاتهم الا اللائى ولدنهم » اى ليست امهات ازواجهن الا النساء اللاتى ولدنهم .

وفي كلمة « منكم » مزيد توبيخ للمشركين وتهجين لعادتهم فيه إذ كان من أيمان اهل جاهليتهم خاصّة دون سائر الامم .

وان الالتفات تعنيفى إلى الذين يظاهرون من زوجاتهم ووضع للامر في نصابة الحق .

فهن لسن بامهاتهم وليست امهاتهم الا اللائى ولدنهم ، وان تشبيه الزوجة بالام وتحريم وطئها بهذا التشبيه هو منكر وزور يجب التوبة عنه وحينئذ يعفوالله عن التائبين ويغفر لهم وهو العفو الغفور .

ثم أكّد ما تقدم ثانياً بقوله تعالى : « وانهم ليقولون منكراً من القول وزوراً » بمافيه من سياق التأكيد أى وان هؤلاء الازواج المظاهرين ليقولون بالظهار منكراً من القول ينكره الشرع حيث لم يعتبره ولم يسنّه وكذباً باعتبار أنه لا

يوافق الشرع كما لا يطابق الخارج الواقع فى الكون فافادت الاية ان الظهار لا يفيد طلاقاً ، وهذا لا ينافي وجوب الكفارة عليه لو اراد المواقعة بعد الظهار ، فالزوجية على حال ما وإن حرمت المواقعة قبل الكفارة .

«منكراً» فى التنكير إشعار بأنه منكر عند الشرع والعقل والطبع ، وفى ذلك استخفاف بحرمة الامومة وامتهان لقداسة هذه الحرمة ، ووضعها مع الزوجة على كفتى ميزان فى الحرمة وفى الحل على السواء ، وهو مع ما فيه من منكر غليظ هو زور من القول فلا تكون الزوج اماً أبداً ولا الام زوجاً قط.

وفى قوله تعالى : «وان الله لعفو غفور» إشعار بأن الظهار ذنب يعفو عنه ومعصية تغفر، ودلالة على أن الله تعالى يعفو ويغفر ما يقع من عباده من منكر وزور اذاهم رجعوا إليه وطلبوا عفوه ومغفرته: «ومن يغفر الذنوب إلا الله» آل عمران : ١٣٥) .

ان قلت : إن المظاهر شبّه الزوجة بالام ولم يقل : انها ام ، فكيف أنكر الله تعالى عليه بقوله : «ما هن امهاتهم» وحكم بانه منكر وزور ؟ تجيب : ان قول المظاهر: أنت علىّ كظهر امّى ان كان اخباراً فهو كذب لان الزوجة حلال والام حرام وتشبيه المحللة بالمحرمة فى وصف الحل والحرمة كذب وان كان انشاء كان معناه : ان الشرع جعله سبباً فى حصول الحرمة ولما لم يرد الشرع بهذا السبب كان الحكم به كذباً وزوراً ولهذا أوجب الله تعالى الكفارة على صاحب هذا القول بعد العود

٣ - (والذين يظاهرون من نساءهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير)

هذا عام بعد الخاص ولهذا لم تورد لفظة «منكم» وتفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه أمراً منكراً بطريق التشريع الكلى المنتظم لحكم الحادثة انتظاماً اولياً .

«فتحرير رقبة» قيل : الفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرير الظهار .

« من قبل أن يتماسا » دلالة على أن الحكم في الآية لمن ظاهر ثم أراد الرجوع إلى ما كان عليه من قبل الظهار ، وذلك قرينة على أن المراد بقوله تعالى : « يعودون لما قالوا » إرادة العود إلى نقض ما أبرموه بالظهار ، فالجملة قيد متمم للخبر أي ان تحرير الرقبة يجب أن يسبق مس الزوج زوجه اذ انها تكون محرمة عليه قبل تحرير الرقبة ، فلا يعيدها إلى الحل إلا تحرير الرقبة إن كان المظاهر قادراً على ذلك « ذلكم توعظون به » إشارة إلى حكم المذكور بان المقصود من تشريع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذي هو علم في استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه من الظهار وغيره .

وايذان بان ما امر به من الكفارة توصية منه بها عن خبرة بعملهم ذاك فالكفارة هي التي يرتفع بها ما لحقهم من تبعة العمل .

وعظة وعبرة للمظاهرين ، فلا يعودوا إلى الظهار مرة اخرى وزجر لغيرهم ، فلا يقع منهم ظهار إذ هم عرفوا ما فيه من العقوبة .

« والله بما تعملون خبير » تنبيه إلى أن الله تعالى مطلع على ما يكون من المظاهر الذين يخونون أنفسهم ، فيعودون إلى نساءهم من غير كفارة ، وانهم مؤاخذون بالتعدي على حدود الله تعالى .

٤ ـ (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم)

الفاءان الداخلتان في الموصول « من » للترتيب ، فالصيام حكم ثان مترتب على حكم تحرير الرقبة ، فمن لم يمكن على تحريرها يجب عليه الصوم ، ومن لم يتمكن على الصيام يجب عليه اطعام المساكين .

« من قبل أن يتماسا » قيد ثان ذكر لدفع توهم اختصاص القيد بالحكم الاول ، وذكره ثانياً يغني عن ذكره في الحكم الثالث .

« ذلك » إشارة إلى ما مرّ من البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها، ومعنى البعد فيها للاعتناء بالامور .

« تلك » إشارة إلى الاحكام المذكورة ، ومعنى البعد فيها تكريرها لتعظيم الامور والاحكام .

« وللكافرين عذاب اليم » فيه من تعليق الحكم على الوصف مما لا يخفى .

٥ - (ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين)

تقرير إنذارى وتنديدى بالذين يشاقون الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فهولاء مصيرهم إلى الذل والخزى والهلاك كما كان مصير أمثالهم من قبلهم والله تعالى انما ينزل آياته واضحات ليتعظ الناس بها ، والكافرون هم الذين لا يتعظون بها فلهم عذاب مهين .

وفى الاية بشارة للمؤمنين بظهورهم وظفرهم على عدوهم ونصر الله تعالى من جهة ، ووعيد عظيم للملوك وأمراء السوء الذين وضعوا قوانين وشرائع وضعية غير ما شرع الله تعالى وألزموا رعاياهم العمل بها والجرى على نهجها وعينوا لذلك قضاة يحكمون بها ونبذوا ما جاء فى شرعهم .

٦ - (يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شىء شهيد)

تهديد شديد وتقريع عظيم على المتجاوزين عن حدود الله تعالى ليعرفوا أن ما حاق بهم من الخزى والنكال وما يحيق بهم من النار والعذاب انما كان من جزاء أعمالهم وقبيح افعالهم وتعدّيهم عن حدود الله تعالى .

« احصاه الله ونسوه » مستأنف بيانى جواباً عما نشأ مما قبله من السؤال إما عن كيفيّة التنبئة او عن سببها كأنه قيل : كيف ينبئهم باعمالهم وهى اعراض مقتضية متلاشية ، فقيل : انما الاعراض عندالله تعالى فى حكم الاجسام بل « احصاه

الله » عدداً لم يفته منه شيء .

« والله على كل شيء شهيد » اعتراض تذييلي مقرر لاحصائه تعالى .

٧ - (الم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم)

« الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض » استشهاد على شمول شهادة الله تعالى وتقرير لكمال علمه ويراد من الاستفهام فضح هؤلاء المتناجين وضبطهم وهم متلبسون بهذا الاثم الذى يتعاطونه بينهم .

« ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم » مستأنف بياني سيق لتقرير ما قبله من سعة علمه تعالى ومبيّن لكيفيته ، والاستثناء مفرّغ من اعم الاحوال ، وظاهر هذا الكلام محمول على الاتساع والمجاز لان المراد به احاطته تعالى بعلم نجوى المتناجين ومعارض المتخافتين فكأنه تعالى يعلم جميع ذلك سامع للحوار وشاهد للسرار ولوحمل هذا الكلام على ظاهره لتناقض ألا ترى أنه تعالى لوكان رابعاً لثلاثة في مكان على معنى قول المخالفين استحال أن يكون سادساً لخمسة في غير ذلك المكان الا بعد أن يفارق المكان الاول ويصير إلى المكان الثاني فينتقل كما تنتقل الاجسام ويجوز عليه الانتقال والمقام .

« ولا خمسة الا هو سادسهم » في تخصيص العددين بالذكر إما لخصوص الواقعة ، فان الاية نزلت في تناجي المنافقين فكانوا على الاعداد المذكورة ، فخصّ صورة الواقعة ، وإما لبناء الكلام على أغلب عادات المتناجين ، ثم عمّم الحكم ، فقال : « ولا أدنى من ذلك ولا أكثر » فيعلم كل يعمله الناس بالسرّ والعلن مهما بالغوا بالتخفي والمسارة ، ومهما بالغوا بالعدد . .

ففي الجملة استيفاء لجميع أعداد المجتمعين للنجوى . . من واحد يناجي نفسه إلى ما لا نهاية له من الذين يتناجون فيما بينهم . .

« أينما كانوا » تعميم من حيث المكان إذ لما كانت معيته جل وعلا لهم من حيث العلم الا بالاقتران الجسمانى لم يتفاوت الحال ولم يختلف باختلاف الامكنة بالقرب والبعد ، فلا يخلو منه سبحانه مكان وليس فى مكان .

« ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة » تهديد ووعيد على المتعدين وأصحاب النجوى .

« ان الله بكل شيء عليم » تعليل لما قبله من أخبارهم يوم القيامة وتأكيد لما تقدم من علمه تعالى بما فى السموات وما فى الارض ، وكونه تعالى مع أصحاب النجوى .

٨ - (ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه و يتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول واذاجاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير)

الاستفهام تعجيبى من حالهم وتوبيخ غيابى لهم ، وفى الخطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله فلم يخاطبهم مبالغة فى تحقير شأنهم وتصغير أمرهم وإبعاداً لهم عن شرف المخاطبة ، وفى العدول عن ضمير النجوى إلى الموصول والصلة اذ قال « يعودون لما نهوا عنه » ولم يقل : « يعودون اليها » دلالة على سبب الذم والتوبيخ ومساءة العود لانها أمر منهى عنه ، وفى ايثار المضارع دلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة ، وان التوبيخ لهم على نفس نجواهم بما أنها منهى عنها مع الغض بمعصية أوغيرها « ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول » بيان لما يتناجون به وذم وتوبيخ لهم بما يشتمل عليه تناجيهم من المعصية بأنواعها ، وهؤلاء القوم هم المنافقون ومرضى القلوب كانوا يكثرون من النجوى بينهم ليغتم بها المؤمنون ويحزنوا ويتأذوا .

وفى عنوان الرسالة « ومعصية الرسول » زيادة التشنيع عليهم واستعظام معصيتهم .

وفي المقابلة بين الامور الثلاثة ـ الاثم والعدوان ومعصيت الرسول ـ دلالة على اختلافها في المراتب وان كان كلها معصية وذنبا كبيراً .

« واذا جاؤك حيّوك بمالم يحيّك به الله » تقريرٌ لجرم آخر يقع من هؤلاء المنافقين ، وتنويه بقدر النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ومنزلته عند الله ، وانه تعالى اذ يحييه تلك التحية المباركة الطيبة فلا عليه إذا حياه المنافقون تلك التحية الاثمة المنكرة .

« ويقولون في أنفسهم لو لا يعذّبنا الله بما نقول » حكاية من الله تعالى عما كانوا يتناجون في أنفسهم وتحضيض بداعي الظن والتهكم ، فيكون من المنافقين انكاراً لرسالة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وابطانهم الكفر على طريق الكناية .

« حسبهم جهنّم يصلونها فبئس المصير » ردٌّ عليهم في احتجاجهم بقولهم : « لو لا يعذبنا الله بما نقول » و وعيد شديد عليهم لما كانوا يبطنون الكفر .

٩ ـ (يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى اليه تحشرون)

خطاب للمؤمنين لرفع حظر النجوى اطلاقاً فأجاز لهم النجوى مشروطاً على جانبي النفي والاثبات بان لا يكون تناجياً بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول صلى الله عليه واله وسلم كنجوى المنافقين وأن يكون تناجياً بوجوه البر التى تقابل العدوان ، وبالتقوى التى تقابل الاثم ، ثم أكّد الكلام بالامر بمطلق التقوى بانذارهم بالحشر فقال : « واتقوا الله الذى اليه تحشرون » .

١٠ ـ (انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا وليس بضارهم شيئاً الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

ان الحصر لا يكون كلياً ، فان اللام في « النجوى » عهديّة ، فلا تكون للاستغراق ، ولا للجنس على ما زعمه بعض إذ ليس النجوى مذموماً على الاطلاق فما يشتمل لمصالح دينية ودنيوية ممدوح قطعاً أشارت إلى القسمين الاية السابقة .

فالنجوى المذمومة : هي التي يزيّنها الشيطان في قلوب المنافقين وضد النبي الكريم ﷺ ليتوسّل بها إلى حزن المؤمنين ويشوش قلوبهم ليوهمهم انّها في نائبة حلّت بهم وبليّة أصابتهم .

« ليحزن الذين آمنوا » إشارة إلى السبب الذى حداهم الشيطان إلى ذلك .

« وليس بضارهم شيئاً الا باذن الله » تطييب لقلوب المؤمنين ، وتشجيع لهم وتطمين وتلقين اجتماعي ، وعظة بليغة مستمرة المدى .

« وعلى الله فليتوكل المؤمنون » استنهاض للمؤمنين على التوكل بانه من لوازم ايمان المؤمن، فان من كان مؤمناً فهو يتوكل على الله جل وعلا والله يكفيه .

وحقاً في الاية الكريمة من الامر السياسي الالهي ما لا يخفى على من كان أهله .

١١ ـ (يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) .

حث على ما يوجب مزيد المحبة والالفة وتقرير لأدب من آداب المعاشرة توسّعاً في المجلس حتى يجلس الواردون في قوله تعالى: « إذا قيل لكم تفسّحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم» وقياماً في قوله : « واذا قيل انشزوا فانشزوا» فيقوم الانسان عن مجلسه ليجلس فيه غيره اعظاماً له وتواضعاً لفضله .

« والذين اوتوا العلم درجات » تعظيم لأمر العلماء ورفع قدرهم .

«والله بما تعملون خبير » تهديد لمن لم يمتثل بالأمر ، وتنويه وتطييب بالذين ائتمروا بما امروا .

١٢ ـ (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم)

في «اذا ناجيتم» دلالة على معنى الاجتماع الخاص من أجل عرض قضية أو مشكلة خاصة للاستفتاء أو التقاضي .

«فقدموا بين يدى نجواكم صدقة» فى هذا الامر تعظيم للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وانفاع للفقراء وزجر عن الافراد فى السئوال وتمييز بين المؤمن المخلص المحب للاخرة والمنافق ذى غش المنهمك فى متاع الدنيا وشهواتها .

«ذلك خيرلكم وأطهر» تعليل لتشريع الصدقة ، إلتفات إلى خطاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم بين خطابين للمؤمنين ، وفيه تجليل لطيف له صلى الله عليه وآله حيث ان حكم الصدقة مرتبط بنجواه صلى الله عليه وآله وسلم ، والالتفات إليه فيما يرجع اليه من الكلام مزيد عناية بـه .

«فان الله غفور رحيم» من وضع السبب موضع السبب ، وفيه دلالة على رفع الوجوب عن المعدمين كما انه قرينة على ارادة الوجوب فى قوله : «فقدموا» الخ ووجوبه على الموسرين .

١٣ ـ (ءأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون)

سئوال انكارى منطوى على عتاب شديد موجه لصحابة النبى صلى الله عليه وآله حيث انّهم تركوا مناجاته صلى الله عليه وآله خوفاً من بذل المال بالصدقة فلم يناجه أحد منهم الا على بن أبيطالب عليه السلام فانه ناجاه عشر نجوات كلما ناجاه قدم بين يدى نجواه صدقة .

وفى قوله تعالى : «فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم» دلالة على ان تركهم مناجاته صلى الله عليه وآله كان ذنبا ومعصية ولكن الله تعالى غفر لهم ذلك وفيه ايذان بالتخفيف عنهم .

وفى قوله : «وأطيعوا الله ورسوله» تعميم لحكم الطاعة لسائر التكاليف بايجاب الطاعة المطلقة .

«والله خبير بما تعملون» نوع تشديد يتأكد به حكم وجوب طاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله .

١٤ - (الم تر الى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون)

استفهام تعجيبي من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود اولياء ويناصحونهم وينا قلون إليهم أسرار المؤمنين ، وحملة شديدة وتنديد وانذار لفريق كانوا يتولون ويتحالفون مع قوم ليسوا منهم ولا من المسلمين ، وافضاح لهؤلاء المذبذبين .

«ويحلفون على الكذب» عطف على «تولوا» فداخل في حكم التعجيب وفي ايثار المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدّده حسب تكرر ما يقتضيه ، فكانوا اذا ما عوتبوا حلفوا الايمان الكاذبة بسبيل نفي ما عرف عنهم ، وهذا هو دأب المنافقين في طوال الاعصار .

وفي الجملتين الاخيرتين افادة لكمال شناعة ما فعلوا ، فان الحلف على ما يعلم انه كذب في غاية القبح ، ودلالة على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع ، وما لا يعلمه ، ففيه دلالة على ابطال قول الجاحظ : ان الخبر الكذب هو الذي يكون مخالفاً للمخبر عنه مع أن المخبر يعلم المخالفة .

وذلك انه لو كان كما زعم لم يكن لقوله : «وهم يعلمون» فائدة بل يكون تكراراً صرفاً ، وفي الاية دلالة على عظم سلطة الاسلام على أهل الكفر والنفاق بحيث يخافها المنافقون فيضطربون عند ما يواجههم رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنون بما يكشفه الله تعالى من تدابيرهم ومؤامراتهم الى الحلف بالكذب لانكار ما ينسب اليهم من مؤامرات واقوال ، وهم يعلمون انهم كاذبون في هذه الايمان انما هم يتقون بأيمانهم ما يتوقعونه من مؤاخذاتهم بما ينكشف من دسائسهم كما قال تعالى : «اتخذوا ايمانهم جنّة» وقاية وبذلك يستمرون في دسائهم للصد عن سبيل الله .

١٥ - (أعد الله لهم عذاباً شديداً أنهم ساء ما كانوا يعملون)

تقرير لمآل المنافقين وما يلقون من النكال والوبال ، وإشارة إلى سوء هذا

العذاب الذي ينتظر هؤلاء المنافقين وانهم قد أعد لهم العذاب قبل أن يلتقوا بـه، فهو عذاب خاص بهم يتناسب مع مكانتهم فى أهل الضلال .

وقوله تعالى : «انهم ساء» الخ تعليل لاعداد العذاب للمنافقين .

وفى قوله تعالى : «ما كانوا يعملون» دلالة على أنّهم كانوا مستمرين فى عملهم مداومين عليه .

١٦ - (اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين)

وفى الاية استعارة والكلام وارد فى شأن المنافقين ، وكشف عن حال المذبذبين وتقرير لفعالهم على خبثهم فى المجتمع البشرى ، وافسادهم فى الارض وصدهم الناس عن التكامل والتعالى وعن دخول الناس فى الاسلام بالقاء الشبهات وتقبيح حال المسلمين .

وإشارة إلى مآل أمرهم وتهديد ووعيد بهم مستمر المدى وتعليل لذلك .

والمراد انهم جعلوا إظهار الايمان ـ وهم يبطنون ضده ـ جنّة يعتصمون بها ويستلئمون فيها نفوذاً بظاهـر الاسلام الذى يسع مـن دخل فيه ، ويعيذ من تعوذ به .

١٧ - (لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئاً اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون)

تقرير لحال المنافقين يوم القيامة وعدم إنجاءهم ما كانوا يزعمونه منجياً لهم من العذاب والنار ، وعدم إغناءهم ما اشتغلت به قلوبهم فى الحياة الدنيا ومآل أمرهم فى الاخرة .

١٨ - (يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون لـه كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء ألا انهم هم الكاذبون)

بيان لحالهم العجيبة الشأن وهـو انّهم يحلفون يوم المحشر لعلام الغيوب كما يحلفون لكم فـى الدنيا وانتم بشر يخفى عليكم السرائر وانكار عليهم على فعالهم القبيحة .

١٩ ـ (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون)

تقرير للسبب الذى أوقع المنافقين فى الردى والانحطاط وأوصلهم إلى قرارة جهنم، وفى الاشارة ـ اولئك ـ تحقير لشأنهم .

وفى تصدير الجملة الاخيرة ـ ألاان حزب الشيطان ـ بحرفى التنبيه ـ ألا ـ والتحقيق ـ إن ـ وإظهار المضافين ـ حزب الشيطان ـ معاً فى موضع الاضمار بأحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل من فنون التأكيد ما لايخفى .

٢٠ ـ (ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك فى الاذلين)

مستأنف سيق لتعليل ما قبله من خسران حزب الشيطان عبّر عنهم بالموصول للتنبيه بما فى حيّز الصلة على أن موادّة من حاد الله تعالى ورسوله ﷺ محادة لهما .

وفى الاشارة ـ اولئك ـ تحقير لشأن المذبذبين وتهديد شديد لهم، وفى الاية إشعار بعلّة الحكم وتقرير على أن الله تعالى قد حكم على كل من يشاققه ويحادده الذل .

وفيها بشارة للمؤمنين بأنه تعالى سيظهرهم ويغلبهم على عدوهم ويكتب لهم العزة وعلى حزب الشيطان ذلّة .

٢١ ـ (كتب الله لاغلبن انا ورسلى ان الله قوى عزيز)

مستأنف وارد لتعليل كونهم فى الاذلين، وتأكيد لما تقدم، وتقرير لسبب ذلّهم وان الغلبة ستكون لله تعالى ورسله حتماً، وفى التعبير عن القضاء والحكم بالكتابة مبالغة فى وصف ذلك الحكم بالثبات، وإشارة إلى أن ذلك قضاء نافذ وحكم قاطع . .

فالكتابة كناية عن الحكم الثابت والقضاء الحتم .

وفى الاية وعد من الله تعالى بنصره الحق وبشارة لاهل الحق وإن ضاقت

عليهم المسالك وتراكمت الغيوم ، فذلك الضيق إلى سعة وهذه الغيوم إلى صحو وإشراق .

ووعيد شديد وانذار على حزب الشيطان وأهل الباطل بالهزم .

وفي الايات : ١٤ ـ ٢١ تلقين اخلاقي واجتماعي وسياسي مستمري المدى بتقبيح وتشنيع وحظر التناصر والتضامن مع أعداء الأمة والملة وعدم التساهل مع من يفعل ذلك والوقوف منهم موقف الشدة والصرامة وخاصة في الاية الاخيرة من النكات السياسيّة ما لايخفى على أهلها فتدبّر واغتنم .

٢٢ ـ (لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون)

تنزيه قوي لصادقي الايمان ففي وجدان قوم على هذه الصفة كناية عن الايمان الصادق ، فانه لا يمكن أن يقف قوم مؤمنون بالله واليوم الاخر ايماناً صادقا موقف الموالاه والموادة لمن يشاق الله ورسوله ويحاددهم ويناصبهم العداء فلا يجتمع مودة صديق وموالاة عدو في قلب واحد ولو جمعت بينهم أشد روابط القربى كالابوة أو البنوة أو الاخوة أو العصبية الرحمية .

وفيها تنويه قوي بهم وبشرى لهم فالله تعالى قد كافأهم على إخلاصهم فملا قلوبهم بالايمان وأيّدهم بروح وقوة منه ورضى عنهم ورضوا عنه .

وان أسلوب الاية قوي أخّاذ نافذ الى أعماق النفس ـ وأن روحها ومضمونها يلهمان انها بالاضافة الى ما هي بسبيل تقديره ـ من قبيل المقابلة ، والتساوق مع الايات السابقة على مارجحناه .

تعني تلك الفئة الراسخة في ايمانها المخلصة في نصرتها لله ورسوله صلى الله عليه وآله من أصحاب النبي الكريم صلى الله عليه وآله المهاجرين والانصار

الذين لم يعد يؤثر فى ايمانهم واخلاصهم أى اعتبار من قربى ودم ومصلحة دنيوية ومادية لانّها فنيت فى الله تعالى ودينه وتأييد رسوله صلى الله عليه وآله.

وان الاية الكريمة تحتوى صورة قوية ساطعة النور لهذه الفئة الكريمة الطاهرة التى التفت حول رسول الله صلى الله عليه وآله وناصرته والتى قام الاسلام وتوطّد على أكتافها بالدرجه الاولى بعد الله ورسوله صلى الله عليه وآله.

وتحتوى التشديد فى النهى عن موادة من حاد الله ورسوله صلى الله عليه وآله مطلقاً وان كان والداً أو ولداً . . . فان من الممكن أن يلمح فيها شيء من التطور وواضح أن هذا التطور يعلل بالموقف العدائى الحربى الذى إنتهى إليه الامر بين النبى صلى الله عليه وآله والمسلمين والمهاجرين من جهة وكفار مكة من جهة اخرى وهو موقف لا يتحمل ملاينة ولا مهاودة ولا أى تساهل واتصال يضر بمصلحة الاسلام والمسلمين.

وان روح الاية ومضمونها يمدان المسلم فى كل وقت بروح وعظة قويتين بوجوب الاخلاص لله تعالى ورسوله وبمنافاة موادة المسلم المؤمن للاعداء وموالاتهم منافاة تامة لاى اعتبار كان.

فالاية هى ميزان دقيق خالد لايمان المؤمنين واخلاصهم بمبادئهم وعقائدهم، فيوزن به الناس فى مقام الايمان والكفر فحيث كان الانسان بولائه وبمودته كان الوجه الذى يعرف به ويحاسب بين الناس عليه . . فمن والى قوماً ووادّهم عدّ منهم وحسب فيهم . . .

وفى قوله تعالى: «ولو كان آباءهم» الخ اشارة إلى أسباب المودة مطلقاً وقد خصّت مودة النسب بالذكر لكونه أقوى أسباب المودة من حيث ثباته وعدم تغيّره.

«اولئك كتب فى قلوبهم الايمان» تشريف لهم ببيان اختصاصهم به تعالى، وإشاره إلى الذين يوادون أعداء الله تعالى وإن كانوا أقرب الناس إليهم وأمس رحماً، ومعنى البعد فيها لرفعة درجتهم فى الفضل.

والكتابة كناية عن الثبات فصار الايمان كالكتابة الباقية والرقوم الثابتة كقول القائل : هو أبقى من النقش فى الحجر ومن النقش فى الزبر بحيث لايزول ولا يتغيّر ، والضمير فى ـ كتب ـ لله تعالى وهذا نص على أنهم مؤمنون حقاً .

« ويدخلهم جنات » الخ هذا بيان لآثار رحمته الاخروية ووعد جميل ووصف لحياتهم الاخرة الطيبة إثر بيان ألطافه تعالى الدنيوية .

« رضى الله عنهم » مستأنف جار مجرى التعليل لما أفاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة لاخلاصهم الايمان له تعالى .

« ورضوا عنه » هذا بيان لابتهاجهم بما اوتوه عاجلا وآجلا من العيش الهنيىء والعزة والظفر على الاعداء وسعادة الدارين .

« اولئك حزب الله » تشريف لهؤلاء المخلصين فى ايمانهم واختصاصهم بانهم حزب الله تعالى كما ان اولئك المنافقين الموالين لاعداء حزب الشيطان فهؤلاء مفلحون كما ان اولئك خاسرون .

« الا ان حزب الله هم المفلحون » فى تصدير الجملة الاخيرة بحرفى التنبيه ـ ألا ـ والتحقيق ـ ان ـ وإظهار المضافين ـ حزب الله ـ معاً فى موقع الاضمار بأحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل من فنون التأكيد وبيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة الدارين والفلاح بسعادة النشأتين .

﴿ الاعجاز ﴾

ومن البديهي ان من وجوه إعجاز القرآن الكريم هو الاخبار عن الغيب اطلاقاً سواء وقع ولم يطلع عليه أحد أم سيقع . .

ومن وجوه إعجاز هذه السورة هو الاخبار عن امور مهمّة تتعلّق بما وقع وما يأتي من الانباء والحوادث التي لاسبيل إليها غير طريق الوحي والصلة بالله تعالى:

١ ـ وقد جاء فيها مواقف المنافقين الخبيثة التي كانوا يقفونها في المسلمين وعند أنفسهم ومؤامراتهم ضد النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وضد الجماعة المسلمه بالمدينة ودسائسهم وذبذبتهم التي يدبرونها بالاتفاق مع اليهود وانهم بعد هذا كانوا يلجون في خطئهم اللئيمة ودسائسهم خفية وفي اختيار الطرق والوسائل التي يعصون بها أوامر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويفسدون عليه أمره وأمر المسلمين المخلصين ، فكشف الله تعالى هذه المؤامرات الخفية وأفشى نجواهم التي عادوا إليها بعد ما نهوا عنها وفضح ما كانوا يقولونه في أنفسهم وفي خفاياهم مع مواليهم اليهود .

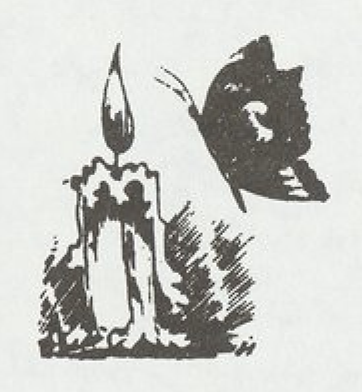
٢ ـ حكاية عما كانوا يناجون في أنفسهم وابطانهم الكفر وكيدهم للنبي صلى الله عليه واله وسلم والمؤمنين وهو انهم إذا جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيّوه بتحيّة منافقة ، يبدو ظاهرها سليماً مقبولا ولكنّها تلف في باطنها إثماً غليظاً ومنكراً شنيعاً حيث يقولون : ـ قاتلهم الله ـ « السام عليكم » ، والسام : الموت والهلاك . . وهذه تحية المنافقين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : تحية بالدعاء عليه لا الدعاء له صلى الله عليه واله وسلم .

٣ ـ وجاء فيها اخبار عن المنافقين انهم يحلفون على أنّهم ما سبوا رسول

الله صلى الله عليه وآله وأصحابه مع اليهود كاذبين متعمدين للكذب فهي اليمين الغموس فكان ذلك نهاية في بيان ذمّهم.

٤ ـ وفيها إخبار عن إذلال حزب الشيطان من المنافقين ومواليهم اليهود وتقطيع أذنابهم وغلبة حزب الله تعالى وظفرهم عليهم.

٥ ـ واخبار عن نفي وجدان موادة المؤمنين عن حزب الشيطان ورضاهم عن الله تعالى فتدبر واغتنم جداً.



﴿التكرار﴾

سورتان مشتملتان على ثنتين وعشرين آية : سورة المجادلة وسورة البروج.
ونشير في المقام إلى صيغ سبع لغات - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة - جائت في هذه السورة وفي غيرها من السور القرآنية.

١ - جائت كلمة (الكبت) على صيغها في القرآن الكريم نحو : ثلاث مرات : ١ - ٢ - المجادلة : ٥) ٣ - آل عمران : ١٢٧).

٢ - « « (النجوى) « « « : ٨٤ مرة.

٣ - « « (الجلوس) « « مرة واحدة : المجادلة : ١١).

٤ - « « (الفسح) « « « ثلاث مرات المجادلة : ١١).

٥ - « « (النشز) « « « خمس مرات : ١ - ٢ - المجادلة : ١١) ٣ - ٤ - النساء ٣٤ - ١٢٨) ٥ - البقرة : ٢٥٩).

٦ - « « (الحوذ) « « « مرتين : ١ - المجادلة : ١٩) ٢ - النساء : ١٤١).

٧ - « « (الحزب) « « « ٢٠ مرة :

﴿ التناسب ﴾

ان البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ : التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولا .

ثانيها ـ : التناسب بينها وماقبلها مصحفاً .

ثالثها ـ : التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة المنافقون ، فلما جائت فيها حملة شديدة على المذبذبين وحكاية عما يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم وعن مواقفهم الخطيرة التي صدرت منهم ، فيها كيد وعداء وتحريض على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرين ، وردود تسفيه عليهم ، وتثبيت وتطمين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ، وتحذير للمؤمنين عن الاستغراق في حب المال والولد عن ذكر الله تعالى ، وحث لهم على الانفاق ، وهم في سعة من الوقت والعمر .

استهدفت هذه السورة إخراج المنافقين عن دائرة الايمان لشقاقهم الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ونجواهم الخبيثة وتناجيهم بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتحيتهم بما لم يحيّي به الله تعالى وسوء أدبهم ، وإدخالهم في زمرة الكافرين لموادتهم لهم وعدم إغناءهم يوم القيامة ما كانوا يحبونه في الحياة الدنيا من الاموال والاولاد ، وتسجيلا على كونهم حزب الشيطان وتنزيه المؤمنين عما كان عليه المنافقون وتسجيلا على كونهم حزب الله تعالى المفلحين .

وأما الثانية : فمناسبة هذه السورة بما قبلها مصحفاً فبامور : أحدها ـ : ان الله تعالى لما ذكر في أول السابقة إحاطة علمه تعالى بالكون وما فيه ، ذكر في مطلع هذه السورة بانه جل وعلا يسمع القول خصوصاً وفي خلالها عموماً .

ثانيها - لما جاء في آخر السورة السابقة بفضله تعالى على أهل الايمان وصالح العمل أشار في بدء هذه السورة إلى فضله تعالى على من يشاء إذ قد سمع قول هذه المرأة التي تشتكي إليه في مجادلتها واستجاب لها وقدحكم بينهما وفي آخرها إلى رضا الله تعالى عنهم، فالسورتان متناسبتان مطلعاً ومنتهى.

ثالثها - لما اشير في السورة السابقة إلى إغترار المنافقين بزخارف الدنيا ومتاعها فغرتهم الاماني اشير في هذه السورة إلى سبب ذلك من استحوذ الشيطان عليهم وإنساءهم عن ذكر الله تعالى فلا يغني عنهم في الاخرة ما كانوا يغترّون به في الحياة الدنيا.

وأما الثالثة: فان الله تعالى لما بيّن حقيقة الظهار وكشف عن زيفه أشار إلى حكمه اذا وقع، وهذا من تمام التشريع وغاية الحكمة، إذ يعرف وجه الأمر اولا ثم يلحق به الحكم المناسب له، فيكون للحكم موقعه من العقول وأثره في الاخذ به والامتثال له فعلا او تركاً: من آية: ١ - ٤).

ثم أخذ بذكر وعيد على من جاوز عن حدود الله تعالى وخالف رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من الخزى والذلة في الدنيا والنار والعذاب في الاخرة من غير خفاء شيء على الله تعالى، فنبّه على إحاطته تعالى بما في الكون علماً وقدرة وإنبائه الانسان بكل ما عملوا في الدنيا، فأشار إلى وقت الانباء والجزاء: من آية: ٥ - ٦).

ثم خاطب رسوله صلى الله عليه واله وسلم ففصّل له صلى الله عليه واله وسلم احاطته تعالى بما في هذا العالم الشاسع وعدم خفاء شيء عليه فيه عامّة وعدم خفاء شيء من أمر الانسان عليه خاصّة وإنبائهم بما عملوا يوم القيامة ثم خاطبه صلى الله عليه واله وسلم ثانياً معجباً من الذين نهوا عن التناجي دون المؤمنين ثم أشار إلى سوء اخلاقهم وأدبهم في التحية غير المرضية وما يقولون في أنفسهم مع الاشارة إلى مآل أمرهم: من آية: ٧ - ٨).

ثم نهى المؤمنين عما كان عليه المنافقون وأجاز لهم النجوى المبتنية على

البر والتقوى ، ثم أشار إلى باعث النجوى وسببها من غير أثر لها على ما قصده الشيطان وأتباعه مع الايماء إلى مانع الاثر من التوكل على الله تعالى ، ثم وجه المؤمنين إلى حسن تأدبهم في المجالس ، مع ذكر مآل ذلك وذكر ما ابتلى به المؤمنون في تناجيهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتخفيف الحكم منهم وتوجيههم إلى حكم مستمر لايخفف وعلمه تعالى بفعالهم وعملهم : من آية ٩ -١٣)

ثم خاطب رسوله ﷺ معجباً من المنافقين الذين تولوا أعداء الله ورسوله ﷺ وذبذبتهم وحلفهم كذباً واتخاذهم الايمان تكأة لانفسهم وأموالهم وأعراضهم وصدهم الناس عن سبيل الله مع ذكر مآل أمرهم من الخزي والعذاب وعدم اغناءهم يوم القيامة ما كانوا يغترون به من الاموال والاولاد في الحياة الدنيا وذكر السبب الذي أوقعهم في الردى والخسران وصيرورتهم حزب الشيطان مؤكداً ذلك بقضاء الله تعالى الغلبة له تعالى ورسله على غير أهله إطلاقاً : من آية : ١٤ - ٢١) .

وفي ختام السورة عرف أهل الله تعالى وأشار إلى خصالهم ، وكونهم على خلاف ما كان عليه المنافقون ، وتأييده تعالى اياهم وإلى مآل أمرهم من الجنة ونعيمها ، ورضاه تعالى عنهم ورضاهم عنه ، وإلى تشريفهم بأنهم حزب الله تعالى المفلحون .

﴿ الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ﴾

ذهب أكثر المفسرين إلى أن قوله تعالى : «يا أيّها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة» الآية نسخت بما بعدها من قوله تعالى : «ءأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم» الآية.

وقيل : نسخت بآية الزكاة .

فقالوا : ان الاية الكريمة الاولى تدل على أن تقديم الصدقة بين يدى مناجاة الرسول صلى الله علية وآله خير للمتناجين وتطهير لنفوسهم ، والامر به أمر بما فيه مصلحة العباد ، وتدل أيضاً على أن هذا الحكم انّما يتوجه على من يجد ما يتصدق به ، وأمّا من لا يجد شيئاً فان الله غفور رحيم .

ومن غير ريبة في أن ذلك مما يستقل العقل بحسنه ، ويحكم الوجدان بصحته فان فى الحكم المذكور نفعاً للفقراء لانهم المستحقون للصدقات ، وفيه تخفيف عن رسول الله صلى الله عليه وآله فانه يوجب قلّة مناجاته من الناس وانه لا يقدم على مناجاته ـ بعد هذا الحكم ـ الا من كان حبّه لمناجاة النبى صلى الله عليه وآله أكثر من حبّه للمال ، ومن غير ريب أيضاً فى أن حسن ذلك لا يختص بزمان دون زمان .

وتدل الاية الكريمة الثانية على أن عامة المسلمين ـ غير على بن ابيطالب عليه السلام أعرضوا عن مناجاة الرسول صلى الله عليه وآله إشفاقاً من الصدقة ، وحرصاً على المال .

وقالوا فى سبب نسخ صدقة النجوى :

ولا ريب فى ان إعراضهم عن المناجاة يفوت عليهم كثيراً من المنافع

والمصالح العامة ، ومن أجل حفظ تلك المنافع رفع الله تعالى عنهم وجوب الصدقة بين يدى المناجاة تقديماً المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، وعلى النفع الخاص بالفقراء وأمرهم باقامة الصلاة وايتاء الزكاة واطاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله .

وعلى ذلك فلا مناص من الالتزام بالنسخ ، وان الحكم المجعول بالاية الاولى قد نسخ وارتفع بالاية الثانية ويكون هذا من القسم الاول من نسخ الكتاب ـ أى ماكانت الاية الناسخة ناظرة إلى إنتهاء أمد الحكم المذكور فى الاية المنسوخة ومع ذلك فنسخ الحكم المذكور فى الاية الاولى ليس من جهة اختصاص المصلحة التى اقتضت جعله بوقت دون وقت ، إذ قد عرفت انها عامة لجميع أزمنة حياة الرسول صلى الله عليه وآله إلا أن حرص الامة على المال ، واشفاقها من تقديم الصدقة بين يدى المناجاة كان مانعاً من استمرار الحكم المذكور ودوامه ، فنسخ الوجوب وأبدل الحكم بالترخيص .

ان تسئل : كيف جعل الله تعالى الحكم المذكور ـ وجوب الصدقة بين يدى النجوى ـ مع علمه تعالى منذ الأزل بوقوع المانع ؟

تجيب : ان فى جعل هذا الحكم ثم نسخه تنبيهاً للامة واتماماً للحجة عليهم ، فقد ظهر لهم ولغيرهم بذلك ان الصحابة كلهم آثروا المال على مناجاة النبى الكريم صلى الله عليه وآله ولم يعمل بالحكم غير الامام أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام .

وان ترك المناجاة وإن لم يكن معصية لله تعالى لان المناجاة بنفسها لم تكن واجبة ، ووجوب الصدقة كان مشروطاً بالنجوى ، فاذا لم تحصل النجوى فلا وجوب للصدقة ولا معصية فى ترك المناجاة الا انه يدل على أن من ترك المناجاة يهتم بالمال أكثر من اهتمامه بها . هذا لو لم نقل : ان التكليف فى المقام امتحانى .

وقالوا : فى نسخ هذا الحكم بعد وضعه ظهرت حكمة التشريع ، وانكشفت منّة الله تعالى على عباده ، وبان عدم إهتمام المسلمين بمناجاة الرسول صلى الله عليه وآله وعرف مقام الامام أمير المؤمنين على عليه السلام من بينهم وبذلك ظهر فضله عليه السلام

سواء أكان الامر حقيقياً أم كان امتحانياً .

وقالوا : أما إذا كان الامر بتقديم الصدقة بين يدى النجوى أمراً صورياً امتحانياً - كأمر ابراهيم عليه السلام بذبح ولده اسمعيل عليه السلام - فالاية الثانية لاتكون ناسخة للاية الاولى نسخاً اصطلاحياً ، بل يصدق على رفع ذلك الحكم الامتحاني: النسخ بالمعنى اللغوى :

وعن أبي مسلم انه قال : ليس فى المقام نسخ فان التكليف فى المقام كان مقدراً بغاية مخصوصة ليتميز الموافق من المنافق والمخلص من المرائى وانتهاء أمد الحكم لا يكون نسخاً له .

وقال بعض المفسرين : ليس فى المقام نسخ لوجوه :

أحدها - ان الصدقة التى دعى المؤمنون إلى تقديمها بين يدى نجواهم غير محددة المقدار ، ومن هنا كانت أىّ صدقة يقدمها المؤمن فى هذا المقام مجزية له ، ولو كانت شق تمرة . . .

وإذن فليس فى هذه الصدقة ما يشق على المؤمنين ، حتى يجىء الامر بنسخ تقديم هذه الصدقة .

ثانيها - ليس ما جائت به الاية من الامر بتقديم الصدقة أمراً ملزماً يقع موقع الوجوب ، بل هو أمر للندب والاستحباب ، ولذلك علّل له بقوله : « ذلك خير لكم وأطهر » . . . ثم جائت المجاوزة عنه عند عدم وجود الصدقة : « فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم » .

ثالثها - ليس معنى كلمة الاشفاق فى قوله تعالى : « ءاشفقتم » الضن بالمال الذى ينفق فى هذا الوجه وانما هو الخوف من الا يجد المؤمنون ما يتصدقون به فى كل حين يلقون فيه النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، و كثير منهم كان يلقى رسول الله صلى الله عليه و آله كل يوم مرات كالصحابة فكان يشق عليهم الصدقة فى كل وقت اذ قد لايكون بين يديهم ما يقدمه من صدقة .

فلزوال هذاالحرج جاء قوله تعالى : « ءأشفقتم أن تقدموابين يدى نجواكم

صدقات » وجاء لفظ الصدقات جمعاً لا مفرداً ففى ذلك دليل على أن المراد بهذا هم الصحابة الذين كانوا على لقاء دائم بالنبى ﷺ ذلك اللقاء الذى يدعوهم إلى تقديم صدقات كل يوم لا صدقة واحدة .

رابعها - ان فى قوله تعالى : « فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم » إشارة إلى أن الذين لم يستطيعوا تقديم الصدقة - لا ضناً بها بل عجزاً عنها - رحمهم الله تعالى ورفع عنهم الحرج وأفسح لهم الطريق إلى مناجاة الرسول ﷺ من غير تقديم صدقة .

على أن تاب بمعنى رحم إذا اسند إلى الله تعالى حيث ان توبة الله تعالى هى رجوعه جل وعلا إلى عبده بالرضا والقبول والرحمة والفضل ، كما ان توبة العبد هى الرجوع إلى الله تعالى بالندم والانخلاع من المعصية ، فالمعنى : فاذ لم تستطيعوا على تقديم صدقة فى حال قد رحمكم الله تعالى فيها وعاد بفضله عليكم ورفع عنكم الحرج فى لقاء النبى الكريم ﷺ من غير تقديم صدقة .

فعلى هذا فلا نسخ فى السورة والله تعالى هو أعلم .

وقد اختلفت الاقوال فى تخريج جملة : « ثم يعودون لما قالوا » صرفياً ونحوياً وفقهياً وبيانياً حتى اعتبرها بعض المفسرين من متشابهات القرآن الكريم ومشكلاته ولكنها ليست عندى منها .

والمعنى : الذين كانت عادتهم الظهار فى الجاهلية ثم يعودون فى الاسلام لما قالوا ويأتون بالظهار مثل الاول فعليهم تحرير رقبة الخ و كذلك الحكم على من سلك مسلك الجاهلية من المتأخرين والله تعالى هو أعلم .

﴿ تحقيق فى الاقوال ﴾

١ - (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير)

فى المرأة التى اشتكت إلى الله تعالى أقوال :

١ - عن إبن عباس : هى خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت ، وقيل : هى خويلة بنت ثعلبة .

٢ - قيل : هى بنت حكيم .

٣ - قيل : إسمها جميلة .

٤ - عن ابن عباس إيضاً هى خويلة بنت خويلد الخزرجية وكانت حسنة الجسم فرآها زوجها ساجدة فنظر عجيزتها فأعجبه أمرها فلما انصرفت أرادها ، فأبت فغضب عليها فظاهرها .

٥ - قيل : هى خويلة بنت دليج .

٦ - قيل : هى خويلة بنت الصامت .

٧ - قيل أمة كانت لعبد الله بن أبى وهى التى أنزل الله تعالى فيها : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن اردن تحصناً » لانه كان يكرهها على الزنى .

أقول : والاول هو المؤيد بما ورد فى النزول وهو الاشهر .

قيل : ليس فى الاقوال تناف إذ يجوز أن تنسب المرأة إلى أبيها مرة وإلى امها تارة اخرى وإلى جدها ثالثة ويجوز أن تكون أمة كانت لعبدالله بن ابى فقيل لها : أنصارية بالولاء لانه كان فى عداد الانصار ، وإن كان من المنافقين .

٣ ـ (والذين يظاهرون من نساءهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير)

فى قوله تعالى : « يعودون » أقوال :

١ ـ عن إبن عباس أى يعودون إلى ما قالوا وفيما قالوا من لفظ الظهار الذى حرموا نساءهم على أنفسهم بهذا اللفظ ، فالمراد مقول يتحقق به الظهار لا لفظ الظهار بعينه .

٢ ـ عن ابن عباس ايضاً أى يندمون ويرجعون إلى الألفة السابقة فيعودون إليها بالنقض والرفع والازالة بالسكوت وعدم الطلاق بعد ماظاهر يدل على الندم فالمراد بالعود إرادة الوطء ونقض القول الذى قاله ، فان الوطء لايجوز له الا بعد الكفارة ولا يبطل حكم قوله الاول الا بعد الكفارة .

٣ ـ عن أبى العالية : أى ثم يعودون تكوين مثله مرة اخرى ، فتكون كفارة الظهار عن المرة الثانية ، أما الاولى فلا كفارة عليها على هذا القول .

٤ ـ أى ثم يعودون لما قالوا قبل الظهار من إستباحة الوطىء والملامسة والنظر إليها بالشهوة .

٥ ـ عن قتادة والزجاج أى ثم يعودون على العزم على جماعها .

٦ ـ قيل : العود هو عين الجماع .

٧ ـ قيل : أى يفعلون مثل ما فعلوه من الظهار تارة بعد اخرى .

٨ ـ قيل : أى انهم يقولون بعد ما أسلموا مثل ماكانوا يقولون فى الجاهلية.

٩ ـ أى يحلفون على ما قالوا أولا من لفظ الظهار ، فانهم اذا لم يحلفوا لم تلزمهم الكفارة قياساً على ما قيل فى بعض الاطعمة بأن يقول أحد : « حرام علىّ لحم الانسان » فلا تلزمه الكفارة الا اذا حلف عليه فتلزمه كفارة اليمين .

١٠ ـ قيل : أى يعودون ما قالوا بالتدارك والتلافى لا بالتقرير والتكرير.

١١ ـ قيل : أى الذين كانت عادتهم هذا القول فى الجاهلية ثم قطعوه بالاسلام

ثم قالوه بعد الاسلام فكفّارته كذا .

أقول : ان حديث أوس يؤيد الاخير والخامس لندمه من الظهار وعزمه على الجماع وقد ألزمه رسول الله صلى الله عليه وآله بالكفارة .

وفي قوله تعالى : « من قبل أن يتماسا » قولان :

أحدهما ـ إن المراد بالمس مطلق ما بين الرجل وامرأته من الوطيء وما دونه من القبلة والملامسة حتى النظر .

ثانيهما ـ ان المراد بالمس المباشرة التي تكون من الرجل والمرأة من الجماع والمواقعة فلا يشمل ما دون الوطيء .

أقول : والاخير مؤيد باطلاق المس على الجماع فقط في الايات القرآنية ولكن الاحتياط فيما دون الوطيء لايترك وبما جاء في معنى العود من إرادة الوطيء ، وعليه الفقهاء .

٥ ـ (ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين)

في المحادين أقوال :

١ ـ قيل : هم المشركون .

٢ ـ قيل : هم المخالفون لحدود الله تعالى والمتجاوزين عنها .

٣ ـ العموم .

أقول: والثاني هو المؤيد بظاهر السياق ، وعليه جمهور المفسرين .

وفي معنى « كبتوا » أقوال :

١ ـ عن أبي عبيدة والاخفش أي أهلكوا .

٢ ـ عن قتادة أي أخزوا كما أخزى الذين من قبلهم .

٣ ـ عن ابن زيد أي عذبوا .

٤ ـ عن السدي : لعنوا .

٥ ـ عن الفراءِ : غيظوا يوم الخندق ، وقيل : يوم بدر .

أقول: وقد جائت المعانى فى اللغه للكبت .

٨ ـ (ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى) الخ .

فى «الذين» أقوال : عن مجاهد : هم اليهود .

٢ ـ عن ابن عباس : هم المنافقون .

٣ ـ قيل : التعميم .

أقول: وعلى الثانى جمهور المفسرين وهو المؤيد بما ورد فى النزول .

١٠ ـ (انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئاً الاباذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

فى نجوى الشيطان أقوال :

١ ـ عن قتادة ومعمر : أى تناجى المنافقين بعضهم بعضاً ، فانهم كانوا يتناجون بينهم بوسوسة الشيطان ، وكان ذلك يغيظ المؤمنين ويكبر عليهم وكانوا اذا رأوا المنافقين خلوا يتناجون يشق عليهم .

٢ ـ عن ابن زيد : كان رجل يأتى رسول الله صلى الله عليه وآله يسئله حاجة ليرى الناس انه قد ناجى رسول الله صلى الله عليه وآله وكان النبى صلى الله عليه وآله لا يمنع ذلك من أحد وكانت الارض يومئذ حرباً على أهل هذا البلد وكان ابليس يأتى القوم ، فيقول لهم : انما يتناجون فى امور قد حضرت وجموع قد جمعت لكم وكانوا هم يقولون ماتراهم متناجين الا وقد بلغهم عن أقاربنا الذين خرجوا الى الغزوات انهم قتلوا أو هربوا .

٣ ـ عن عطية : اريد بذلك أحلام النوم التى يراها الانسان فى نومه فتحزنه .

٤ ـ قيل : كان المنافقون يناجون النبى صلى الله عليه وآله فيظن المسلمون انهم ينتقصون عند النبى الكريم صلى الله عليه وآله .

أقول: والاول هو الظاهر من السياق .

وفى قوله تعالى : « وليس بضارهم » أقوال :

١ ـ قيل : أي ليس نجوى المنافقين بوسوسة الشيطان بضار المؤمنين .

٢ ـ قيل : أي ليس الشيطان بضار المؤمنين .

٣ ـ قيل التعميم .

أقول: والاول هو الانسب بظاهر السياق .

وفي قوله تعالى : «باذن الله» أقوال :

١ ـ عن إبن عباس : أي بأمره تعالى .

٢ ـ قيل أي بمشيئته .

٣ ـ قيل : أي بعلمه .

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها .

١١ ـ (يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير)

في قوله تعالى : « تفسّحوا في المجالس» أقوال :

١ ـ قيل : ان الله تعالى أمر المسلمين بالتعاطف والتآلف حتى يفسح بعضهم لبعض حتى يتمكّنوا من الاستماع من رسول الله صلى الله عليه وآله والنظر إليه .

٢ ـ عن مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد : أي كانوا يتنافسون في مجلس النبي صلى الله عليه وآله فأمروا أن يفسح بعضهم لبعض .

٣ ـ عن ابن عباس والحسن ويزيد بن أبي حبيب : اريد بذلك مجالس القتال إذا اصطفوا للحرب . وذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا قاتل المشركين تشاح أصحابه على الصف الاول فلا يوسع بعضهم لبعض رغبة في القتال والشهادة فنزلت الاية . . فتكون كقوله تعالى : «مقاعد للقتال» .

٤ ـ عن مقاتل : كان رسول الله صلى الله عليه وآله في الصفة وكان في المكان ضيق يوم الجمعة وكان صلى الله عليه وآله يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء اناس من أهل بدر فيهم ثابت بن قيس يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك

على النبى صلى الله عليه وآلـه فقال لمن حولـه مـن غير أهل بدر : « قم يا فلان وأنت يا فلان» بعدد القائمين من أهل بدر فشق ذلك على من اقيم .

وعرف النبى صلى الله عليه واله وسم الكراهية في وجوههم ، فغمز المنافقون وتكلموا بان قالوا : ما انصف هؤلاء وقـد أحبّوا القرب من بينهم فسبقوا إلـى المكان فأنزل الله عزوجل هذه الاية .

أقول : وعلى الثانى جمهور المفسرين والقريب منه الاول ، ولا يخفى ان المورد ليس مخصّصاً .

وفى قوله تعالى : « يفسح الله لكم » أقوال :

١ ـ قيل : أى يسع الله لكم فى الحياة الدنيا .

٢ ـ قيل : أى يسع الله تعالى لكم فى القبر .

٣ ـ قيل : يفسح الله لكم فى الجنة .

٤ ـ قيل : أى يسع الله لكم فى قلوبكم ويشرحها .

٥ ـ قيل : يسع الله تعالى لكم فى الدنيا والاخرة .

أقول : وعلى الثالث أكثر المفسرين ولكن التعميم غير بعيد وهو المؤيد بظاهر الاطلاق .

وفى قوله تعالى : « واذا قيل انشزوا فانشزوا » أقوال :

١ عن إبن زيد : أى واذا قيل : ارتفعوا فارتفعوا ، وكان هذا فى بيت النبى الكريم صلى الله عليه واله وسلم حيث يحب كل رجـل منهم أن يكون آخـر عهده بالنبى صلى الله عليه واله وسلم فقال تعالى : واذا قيل انشزوا عن النبى صلى الله عليه واله وسلم فانشزوا فان له حوائج فلا تمكثوا .

٢ ـ قيل : أى اذا قيل لكم : قوموا للتوسعة على الداخل فقومـوا ليجلس النبى الكريم صلى الله عليه واله وسلم ومن معه .

٣ـ عن مجاهد والضحاك : أى إذا قيل لكم : قوموا من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا تطولوا فـى الكلام فقوموا ولا تركزوا معه كقوله تعالى : « فـاذا طعمتم

فانتشروا ولا مستانسين لحديث ، ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم » الاحزاب : ٥٣) .

٤ ـ عن مجاهد والضحاك أيضاً والحسن وعكرمة : أى اذا قيل لكم : قوموا إلى الصلاة وانهضوا إلى الحرب والجهاد وسارعوا إلى أعمال الخير وتأهّبوا لوجوه البر قوموا وانهضوا ولا تتثاقلوا ولاتتأخروا وذلك ان رجالا تثاقلوا عن ذلك.

٥ ـ عن قتادة : أى اجيبوا إذا دعيتم إلى امر بمعروف .

اقول : والثانى هو الانسب بظاهر السياق والمورد غير مخصّص .

١٨ ـ (يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شىء ألا انهم هم الكاذبون)

فى قوله تعالى : « ويحسبون انهم على شىء » أقوال :

١ ـ عن ابن عباس : هو قولهم : « والله ربنا ما كنا مشركين » ويحسبون انهم على شىء بانكارهم وحلفهم وهذا مغالطتهم باليمين غداً وقد صارت المعارف ضرورية .

وذلك ان المنافقين يزعمون انهم مستقرون على شىء يصلح أن يستقرّ عليه ويتمكّن فيه فيمكّنهم الستر على الحق والمنع عن ظهور كذبهم بالانكار والحلف الكاذب .

٢ ـ عن ابن زيد : أى ظنوا فى الحياة الدنيا ان حلفهم ينفعهم فى الاخرة وانهم فى الآخرة يعلمون الحق باضطرار ، فالمعنى : ان المنافقين يحسبون ان حلفهم لكم ينفعهم ويرضاكم ، فتكون الجملة قيداً لقوله تعالى : « كما يحلفون لكم » فيكون اشارة إلى وصفهم فى الدنيا ، ويكون قوله تعالى : « ألا انهم هم الكاذبون » قضاء من الله تعالى فى حقهم بأنهم كاذبون ، فلا يصغى إلى ما يهذون به ولا يعتنى بما يحلفون به .

٣ ـ قيل : ان الجملة قيد لقوله تعالى : « فيحلفون له » فتكون من قبيل ظهور الملكات يومئذ وقوله تعالى : « ألا انهم هم الكاذبون » حكم من الله تعالى

بكذبهم يوم القيامة أو مطلقا .

أقول : والاول هو الانسب بظاهر السياق وقريب منه الثالث .

٢١ - (كتب الله لاغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز)

فى الكتابة أقوال :

١ - عن قتادة : أى كتب الله تعالى فى اللوح المحفوظ فأمضاه .

٢ - عن الفراء : كتب بمعنى قال .

٣ - قيل : أى قضى الله جل وعلا وحكم فى ام الكتاب .

أقول : ولكل وجه من غير تناف بينها .

وفى الغلبة أقوال :

١ - قيل : أى يغلب الله تعالى ورسله بالحجج الواضحة والبراهين القاطعة .

٢ - قيل : أى يغلب الله تعالى ورسله بالحرب والسيف بأيدى المؤمنين .

٣ - قيل : أى يغلب بالحرب والحجج .

٤ - قيل : أى يغلب بالتأييد الغيبى إذ جعل فى قلوب الكافرين الرعب والخوف .

أقول : والتعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق .

٢٢ - (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون)

فى قوله تعالى : « كتب فى قلوبهم الايمان » أقوال :

١ - عن أبى على الفارسى : أى خلقه فيها .

اقول : ولعل المراد ان الله تعالى طبع الايمان فى قلب المؤمن لاهتدائه

بهدى الله تعالى كما انّه طبع الكفر فى قلب الكافر والزيغ فـي قلب المنافق لاختيارهما الكفر والضلالة والنفاق .

٢ ـ عن الحسن : أى أثبت فى قلوبهم الايمان بما فعل بهم من الالطاف فصار كالمكتوب .

٣ ـ قيل : أى جعل الله تعالى فيها .

٤ ـ قيل : أى جمعه فيها .

اقول : والثانى هو الانسب بظاهر السياق وقريب منه الاول لو كان مراده ما أشرنا إليه .

وفى قوله تعالى : « وايدهم بروح منه » أقوال :

١ ـ عن الربيع بن أنس : أى قواهم بنور البرهان والحجج فاهتدوا للحق وعملوا به .

٢ ـ قيل : أى أيّدهم بجبرئيل من أمر الله تعالى فى كثير من المواطن ، فينصرهم ويدفع عنهم .

٣ ـ قيل : الروح هى السكينة كما فى قوله تعالى : « هـو الذى أنزل السكينة فى قلوب المومنين » الفتح : ٤) .

٤ ـ عن ابن عباس والحسن : أى نصرهم الله تعالى على عدوهم وسمى النصر روحاً لان بها يحيى أمرهم وان قلوبهم بلطفه تحيا حياة أبدية .

٥ ـ قيل : الروح : الرحمة من الله تعالى .

٦ ـ عن الزجاج : أى أيدهم بروح من الايمان كقوله تعالى : « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا » على أن الروح هو نور القلب وتنويره بالايمان وهو نور يقذفه الله فى قلب من يشاء من عباده ، فتحصل به الطمأنينة والعروج والصعود والحياة الابدية والسعادة الانسانية .

٧ ـ قيل : ان المراد بالروح هو روح الايمان وبه حياة معنوية الانسان وكماله ، وهذا غير الروح البشرية التى يتحرك بها الانسان يشترك فيها المؤمن

والكافر والانسان والحيوان بل هذه الروح روح تفيض على المؤمنين حياة اخرى وتصاحبها قدرة وشعور جديدان أشار الله تعالى إليها بقوله: «أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس» الانعام: ١٢٢).

وبقوله: «من عمل صالحاً من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة» النحل: ٩٧).

٨ ـ عن ابن جريج: أى أيدهم بنور وايمان وبرهان وهدى فاهتدوا للحق وعملوا به.

٩ ـ قيل: أى قواهم بروح من جنس الايمان يحيى بها قلوبهم بناء على إرجاع ضمير «منه» إلى الايمان.

١٠ ـ عن الربيع: أى أيدهم بالقرآن النازل من عنده وانه هو حياة القلوب من الجهل.

اقول: والسابع هو المؤيد بالروايات الاتية فانتظر.



﴿ التفسير والتأويل ﴾

١ - (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير)

حقاً ان الله تعالى سمع يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم قول الامرأة - وهى خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت - التى كانت تجادلك فى شأن زوجها، وفيما صدر منه، وتبث إلى الله جل وعلا لما انطوت عليه نفسها من غمّ وهمّ، فتفرّغ إليه تعالى أن يزيل كربها، والله سبحانه يسمع تخاطبكما ومراجعتكما الكلام لان الله تعالى يسمع المسموعات ويرى المرئيات، ولا يخفى عليه شيء ما فى السموات وما فى الارض .

قال تعالى : « يعلم القول فى السماء والارض وهو السميع العليم » الانبياء : ٤)

وقال : « ان الله لايخفى عليه شيء فى الارض ولا فى السماء » آل عمران: ٥)

٢ - (الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزوراً وان الله لعفو غفور)

الذين يقع الظهار من بعضكم المسلمين من نساءهم - والظهار : هو قول الرجل لزوجته : أنت عليّ كظهر امّى - « ما هن » ليست نساءهم « امهاتهم » ولا يصرن الامهات بالظهار على الحقيقة، فكيف يجعلونهن كذلك « إن » ليست «امهاتهم الااللائى» النساء اللاتى «ولدنهم» فلاينبغى تشبيههنّ بهن حتى يشرّعوا حكماً بذلك بأن يجعلوهن محرمات على أنفسهم كما كانت امهاتهم محرمات عليهم « وانهم » هؤلاء الازواج المظاهرين « ليقولون » بالظهار « منكراً من

القول » شرعاً إذ لم يعتبره الشرع ولم يسنّه وعقلا إذ لا يطابق الخارج الواقع فى الكون ، فان المظاهر وضع الام فى صورة الزوجة والعكس .

وليقولون : « زوراً » محرفاً عن الحق ، فان المظاهر جعل ظهر إمراته كظهر امّه ، وليس كذلك « وانّ الله لعفو » عن المظاهر لما سلف من ذنب الظهار إذا تاب وكفّر « وغفور » يغفره « ومن يغفر الذنوب إلاّ الله » آل عمران : ١٣٥).

٣ ـ (والذين يظاهرون من نساءهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير)

والذين يظاهرون منكم أيّها المسلمون ثم يندمون ويريدون أن يعودوا إلى ما تكلّموا به من كلمة الظهار ، فيعزمون أن ينقضوها بالمواقعة ، فعليهم تحرير رقبة من قبل أن يواقعها لما قالوه من الظهار « ذلكم » أيها المسلمون « توعظون به » بهذا الحكم الذى أخذتم به من الكفارة لما فيه من عظة وعبرة ، فلا تعودوا إليه مرّة اخرى كما انّ فيه زجراً لغير المظاهرين ، فلا يقع منهم الظهار ، وقد عرفوا ما وراءه من بلاء .

« والله بما تعملون خبير » عليم باعمالكم ، فيحكم على ما تقتضيه الحكمة الالهية ومصالحكم فلا تدعوا ما وعظكم به من الكفارة قبل الوطء فيعاقبكم عليه.

٤ ـ (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم)

فمن لم يجد رقبة يعتقها أو لم يستطع شراء عبد وعتقه ، فعليه أن يصوم بدلا من ذلك شهرين متتابعين من غير فصل بافطار يوم أو أكثر ، فان قطع بدأ صيام الشهرين من جديد من قبل أن يواقع الرجل المظاهر إمرأته ، فمن لم يستطع على الصوم لمرض أو عطاش لا يرجى زوالهما أو كبر سن أو نحو ذلك ، فعليه أن يطعم ستين مسكيناً بقدر شبعهم أو اعطاء مدّ لكل مسكين .

« ذلك » الذى بيّناه لكم من كفارة الظهار فرض عليكم لتصدقوا بالله

ورسوله في قبول شرائعه، ورفض ما كان عليه أهل الجاهلية، وتنتهوا عن قول المنكر والزور وتتبعوا ما حده الدين الاسلامي من حدود وبيّنه لكم من فرائضه وللذين استمرّوا على سنن الجاهلية وللجاحدين بهذه الحدود والمتعدّين عليها عذاب مولم يوم القيامة.

قال تعالى: «ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين» النساء: ١٤).

٥- (ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد انزلنا ايات بينات وللكافرين عذاب مهين)

ان الذين يشاقون الله تعالى، ويعادون رسوله ﷺ ويخالفون أمر الله جل وعلا ويخرجون عن حدوده، ويستخفون بحرماته، فلا يمتثلون لامره، ولا يحرمون ما حرمه، ويضعون لهم غير ما شرّعه، ذلّوا وخزوا وهلكوا في الحياة الدنيا كما خزي الذين من قبلهم من أهل الكفر والطغيان من الامم السابقة، وقد أنزلنا حججا واضحات من القرآن الكريم، وما فيه من الادلة والبيان وللمعاندين الجاحدين والمخالفين لما أنزلناه عذاب يهينهم ويخزيهم يوم القيامة.

قال الله تعالى: «ألم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نارجهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم» التوبة: ٦٣).

٦- (يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد)

هذا العذاب المهين للمعاندين الجاحدين المخالفين يوم يحشرهم الله تعالى جميعاً إلى أرض المحشر ويعيدهم أحياء ويجمعهم في صعيد واحد، فيخبرهم ويعلّمهم يوم القيامة بما عملوا في الحياة الدنيا تفضيحاً للمعاندين وإظهاراً لما يوجب عذابهم في الاخرة أحصاه الله تعالى عليهم وأثبته في كتاب أعمالهم كمّاً وكيفاً وزماناً ومكاناً وهم نسوا ما عملوه وحالكون الله تعالى على كل شيء شهيد لايخفى عليه شيء في السماء والارض فكيف أعمالهم؟.

قال الله تعالى : « يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون » يونس : ٢٣) .

٧ ـ (ألم تران الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم)

ألم تعلم يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى يعلم ما في السموات وما في الارض اذ ما يكون من نجوى بين ثلاثة أفراد إلا ان الله تعالى هو رابعهم ولا من نجوى بين خمسة أفراد الا ان الله تعالى هو سادسهم ولا أقل من ذاك كالواحد والاثنين ولا أكثر كالستة وفوقها غيران الله تعالى هومعهم يعلم مايجرى بينهم سراً وعلانية أين ما كانوا من الاماكن من غير تفاوت عند اختلاف الامكنة : السماء والارض أورؤس الجبال وفي الصحارى أوفي خفاء الدور وتحت البحاروالغارات إذ لايخلو من الله تعالى مكان ، وليس هو في مكان « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما تعملون محيطا » النساء : ١٠٨) .

ثم يخبر الله تعالى هؤلاء المتناجين يوم القيامة بما عملوا في الحياة الدنيا لان الله تعالى بكل شيء عليم لايخفى عليه شيء في السماء والارض .

قال الله تعالى : « ألا إن لله ما في السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم » النور : ٦٤).

وقال : «وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون» المائدة : ١٤) .

٨ ـ (الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير)

ألم تنظر يا محمد صلى الله عليه وآله إلى المنافقين الذين نهوا عن النجوى والمسارة بينهم محادة للنبي صلى الله عليه وآله وحزناً للمؤمنين ثم يعودون إلى ما نهوا عنه عودة بعد عودة وكانوا يتحدثون فيما بينهم بما هو إثم في نفسه ووباله عليهم، وبما هو تعدٍ على المؤمنين وتواص بمخالفة النبي الكريم صلى الله عليه وآله واذا جاؤك هؤلاء المنافقون حيوك أيها الرسول صلى الله عليه وآله بما لم يحيك به الله تعالى، إذ كانت تحيتهم: السام عليكم يريدون بالسام: الموت وهي غير ما حيّاه الله تعالى والملائكة به صلى الله عليه وآله: في قوله «ان الله وملائكته يصلون على النبي» الاحزاب: ٥٦).

وغير ما أمر الله تعالى المؤمنين أن يحيّوا النبي صلى الله عليه وآله به في قوله: «يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً» الاحزاب: ٥٦).

وكانوا يقولون فيما بينهم بتحديث بعضهم لبعض وبحديث أنفسهم مضمرين ذلك في قلوبهم كما هو دأب المنافقين في كل وقت: هلا يعذبنا الله بما نقول من سوءٍ في محمد صلى الله عليه وآله: فلو كانت صلة بينه وبين الله كما يدعي لما خلّى الله بيننا وبينه نرميه بالمنكر من القول ثم لا يعاقبنا على ذلك.

ولكنهم مخطئون في نفيهم العذاب بل هم معذبون بما أعدلهم من العذاب وهو جهنم التي يدخلونها ويقاسون حرّها وهي حسبهم عقاباً لهم وبئس المصير مصيرهم جهنم.

٩ ـ (يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون)

يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله وباليوم الاخر اذا حدث منكم تناج ومسارة في أنديتكم وخلواتكم فلا تفعلوا كما يفعل المنافقون، وكان نجواهم اثماً وعدواناً ومعصيت الرسول صلى الله عليه وآله وتناجوا أيها المؤمنون بالبر والتقوى، واتقوا الله فيما تأتون وما تذرون واحذروه الذي إليه تحشرون فيخبركم يوم القيامة بما كنتم تعملون في الحياة الدنيا.

نظير قوله تعالى : «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب» المائدة : ٢) .

قال الله تعالى : «أم يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بل ورسلنا لديهم يكتبون » الزخرف : ٨٠) .

وقال : «لاخير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أواصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً» النساء : ١١٤)

١٠ ـ (انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئاً الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

انما نجوى المنافقين بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول ومسارتهم بينهم من وسوسة الشيطان الذى يزينها فى قلوبهم ليتوسل بها إلى حزن المؤمنين ويشوش قلوبهم ، فكان هؤلاء المنافقون يتخذون النجوى سلاحاً يحاربون بها المؤمنين ويجتمعون فى المجالس الآثمة ، ويتناجون فيما بينهم ويتهامسون ويتغامزون على ملأ من المؤمنين فيخيل للمؤمنين ان القوم يدبرون لهم كيداً وكانت النجوى تحدث اضطراباً فى نفوس المؤمنين ، فتذهب بهم الظنون كل مذهب وتتداعى عليهم دواعى الضيق والحزن .

وليس نجوى المنافقين بضار المؤمنين الا باذن الله تعالى وعلى الله فليتوكل المومنون ، فلا يخافون ضر الشيطان وأتباعه ، وإليه تعالى يكلون أمرهم ، ويفوضون جميع شئونهم إلى عونه ، ويستعيذون به من الشيطان ومن شر أتباعه .

قال الله تعالى : « وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ان الله بما يعملون محيط» النساء : ١٢٠) .

١١ ـ (يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل أنشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير)

يا أيها الذين آمنوا بالله تعالى وصدقوا برسوله صلى الله عليه وآله اذا قيل لكم توسعوا في المجالس ليسع معكم مكان غيركم ، فوسعوها يشرح الله لكم صدركم ويهنّيكم العيش في الحياة الدنيا ويوسّع لكم منازلكم في الجنة ، واذا قيل لكم : قوموا ليجلس مكانكم من هو وارد عليكم أو لانقضاء المجلس ونحو ذلك فقوموا ، يرفع الله تعالى الذين آمنوا منكم درجة ويرفع الذين اوتوا العلم منكم درجات والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه شيء ولا يعزب عنه شيء ولا يفوته يعلم بجزئيات صنعه وعلمه بأحوال الامور الكائنة ومصالحها ، فكيف أعمال الانسان وجزائها في الاخرة ؟

قال الله تعالى : «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير» الملك : ١٤) .

وقال : «فتبيّنوا ان الله كان بما تعملون خبيراً» النساء : ٩٤) .

وقال : «إن ربهم بهم يومئذ لخبير» العاديات : ١١) .

١٢ - (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم)

يا ايها الذين آمنوا بالله تعالى وصدقوا رسوله صلى الله عليه وآله اذا أردتم مناجات الرسول صلى الله عليه وآله والحديث معه ، فتصدقوا قبل ذلك لما في ذلك من تعظيم امر النبي الكريم صلى الله عليه وآله ونفع الفقراء والتمييز بين المومن حقاً والمنافق واهل الدنيا واصحاب الآخرة ومن دفع التكاثر عليه صلى الله عليه وآله من غير حاجة ملحّة إلى ذلك ، وفي هذا التقديم خير لكم لما فيه من الثواب العظيم عند ربكم ومن تزكية النفوس ، وتطهيرها من الجشع في جمع المال ، وحب إدخاره وتعويدها بذله في المصالح العامة كاغاثة ملهوف ودفع خصاصة فقير واعانة ذى حاجة والنفقة في كل ما يرقى شأن الامة ويرفع من قدرها ويعلى كلمتها ويؤيد الدين وينشر دعوته فان لم تجدوا الصدقة ايّها الفقراء وعجزتم عن ذلك ، فالله تعالى قد رخّص لكم في المناجاة بلا تقديم لها لانه ما أمر بها الا من قدر عليها .

١٣ ـ (ءاشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون)

هل بخلتم بالتصدق وخشيتم بذل المال للنجوى وخفتم العيلة والفاقة إن قدمتم الصدقات ووسوس لكم الشيطان أن فى هذه الصدقة ضياعاً للمال؟

فحين لم تفعلوا ذلك وشق عليكم ذلك خفّف عنكم ربكم، فرخص لكم فى المناجاة من غير تقديم صدقة «فاقيموا الصلاة» فأدوها وقوّموها بأدائها على أكمل الوجوه لما فيها من الاخبات والانابة إلى الله تعالى والاخلاص له فى القول والعمل وتزكية النفوس عن الشقاء، وتطهير القلوب عن الوساوس وتطهير الاذهان عن عوارض الاوهام والخرافات، ولكون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

قال الله تعالى: «ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» العنكبوت: ٤٥).

«وآتوا الزكاة» لما فيها من تطهير النفوس وإزاحة الشح بالمال المستحوذ على القلوب الدافع لها إلى ارتكاب الشرور والآثام.

قال الله تعالى: «خذمن أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم» التوبة: ١٠٣).

وقال: «وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى» الليل: ١٧ ـ ١٨).

وقال: «ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ذلك دين القيّمة» البينة: ٥).

«واطيعوا الله ورسوله» فيما يأمركم به من الفرائض والواجباب وما ينهاكم عنه من المحرمات والموبقات، لما فى اطاعة الله تعالى من الرحمة والعيش الهنيىء فى الحياة الدنيا ومن الفوز والنعم فى الجنة، وان اطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هى اطاعة الله جل وعلا.

قال الله تعالى: «وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون» آل عمران: ١٣٢).

وقال: «ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون» النور: ٥٢).

وقال: «ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن

يتول يعذّبه عذاباً أليماً » الفتح : ١٧) .

وقال : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » النساء : ٨٠) .

« والله خبير بما تعملون » وهو جل وعلا محيط بنواياكم وعليم بأعمالكم ومجازيكم بما قدمتموه لانفسكم إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً .

١٤ - (الم تر الى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون)

ألم تنظر أيّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى المنافقين الذين كانوا يوالون ويوادون قوماً من اليهود الذين غضب الله تعالى عليهم وطردهم من رحمته وجعلهم قردة وخنازير وضرب عليهم الذلة ومنع المؤمنين عن مودتهم .

قال الله تعالى : « ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلّة في الحياة الدنيا » الاعراف : ١٥٢) .

وقال : « وجعل منهم القردة والخنازير » المائدة : ٦٠) .

وقال : « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله » البقرة : ٦١)

وقال : « ياأيها الذين امنوا لاتتولّوا قوماً غضب الله عليهم » الممتحنة : ١٣).

ليس هؤلاء المنافقون منكم أيّها المؤمنون لعدم دخول الايمان في قلوبهم فهي مشمئزة عنكم وهم يفشون إلى اليهود أسراركم ويجتمعون معهم على ذكر مساءة النبي المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم ومساءتكم واطلاعهم اياهم على أسراركم ، فهم عيون لهم عليكم وجاسوا خلال ضعفاء المؤمنين ، يصدونهم عن الدين ويذكرون لهم ما يبغضهم فيه وهذا هو دأب المنافقين في طوال الاعصار وفي كل وقت .

وليس هؤلاءِ المنافقون من اليهود بل هم مذبذبون بين ذلك لامن هؤلاء ظاهراً ولا من هؤلاء واقعاً .

قال الله تعالى : « ان المنافقين يخادعون الله - مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء » النساء : ١٤٢ - ١٤٣) .

وقال : « ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل

الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احداً ابداً وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهدانهم لكاذبون لئن اخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم» الحشر : ١١ ـ ١٢) .

وهؤلاء المنافقون اذا لقوا الذين آمنوا يحلفون لهم على الكذب : نحن معكم ونحن نتوب وليس كذلك وهم يعلمون انهم ليسوا على ما يقولون به .

قال الله تعالى : « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا إلى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون » البقرة : ١٤) .

ان المنافقين بحسب الحقيقة ملحقون باليهود لقوله تعالى : « ومن يتولهم منكم فانه منهم » المائدة : ٥١) وهم انسان صورة وذئاب سيرة يمتصّون دماء المسلمين ، وحقاً ان المنافقين هم أعظم ضرراً بالاسلام والمسلمين .

١٥ ـ (أعد الله لهم عذاباً شديداً انهم ساء ما كانوا يعملون)

هيّأ الله تعالى لهؤلاء المنافقين عذاباً شديداً فى الاخرة لاستمرارهم على سوء عملهم ولاصرارهم فى اقتراف أيديهم ، وألسنتهم وقلوبهم من سيئات ومنكرات من النفاق وموالاة أعداء الله تعالى والانهماك فى شهوات الدنيا وحبّها فى الحياة الدنيا .

قال الله تعالى فى عذابهم وعذاب مواليهم : « وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم » التوبة : ٦٨)

وقال : « بشّر المنافقين بان لهم عذاباً أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء ـ ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعاً ـ ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار » النساء : ١٣٨ ـ ١٤٥) .

١٦ ـ (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين)

ان المنافقين أظهروا الايمان وأبطنوا الكفر وتستّروا بالأيمان الكاذبة فاتخذوها وقاية تحفظ بها دمائهم وأموالهم وأعراضهم فدخلوا فى حماية الاسلام

بالأيمان الكاذبة فاشتغلوا بصدّ الناس عن دين الحق بالقاء الشبهات وتقبيح حال المسلمين وغير ذلك في خلال أمنهم ، فصدوا بهذه الوسيلة كثيراً من الناس عن سبيل الله تعالى وحقاً ان المنافقين أعظم ضرراً بالنسبة إلى الاسلام والمسلمين ومانعاً من نشر الدين وارتقاء الاسلام والمسلمين .

فلهم عذاب يهينهم في الحياة الدنيا من الذل والهوان ، ومن العذاب والنار في الاخرة جزاء لما امتهنوا اسمه جل وعلا بالحلف الكذب وصدهم الناس عن سواء السبيل .

قال الله تعالى : « فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبح على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين ويقولون الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم حبطت أعمالهم فاصبحوا خاسرين » المائدة : ٥٢ ـ ٥٣) .

١٧ ـ (لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

ان المنافقين لن يجدوا لانفسهم مفرّاً من العذاب المهين المعدّ لهم ، ولا تغني عنهم أموالهم التي جمعوها فيفتدوا بها من عذاب الله تعالى ، ولا اولادهم الذين خلفوهم فينصروهم وينقذوهم من العقاب إذا هو عاقبهم يوم القيامة اولئك هم أصحاب النار وهم خالدون فيها أبداً .

قال الله تعالى : « ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً » النساء : ١٤٥) .

١٨ ـ (يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء ألا انهم هم الكاذبون)

اذكر يا أيها الرسول لهؤلاء المنافقين أحوالهم يوم يحشرهم الله جميعاً من قبورهم أحياء على هيئتهم قبل مماتهم ويعرضون بين يدى الله تعالى للحساب والجزاء فيحلفون حينئذ لله جل وعلا على انهم كانوا مسلمين كما كانوا يحلفون

لكم أيها المسلمون فى الحياة الدنيا على انهم مسلمون وكانوا هم يحسبون انهم على شىء فى حلفهم الكاذب نافع لهم، فيجلب لهم الخير ويدفع عنهم الضر كما كان ذلك شأنهم فى الدنيا إذ كانوا بالأيمان الكاذبة فى حماية الاسلام وتحفظ بها دمائهم وأموالهم وأعراضهم ويحصلون بها فوائد دنيوية

نظير قوله تعالى فى المشركين: « ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين » الانعام: ٢٢ ـ ٢٣) .

قال الله تعالى فى حلف المنافقين الكاذب للمؤمنين « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون » التوبة: ١٠٧) .

وحلفهم للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: « واذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً ـ ثم جاؤك يحلفون بالله إن أردنا إلا احساناً وتوفيقاً اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى انفسهم قولا بليغاً » النساء: ٦١ ـ ٦٣) .

وقال فى حلفهم الكذب يوم القيامة: « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث » الروم: ٥٥ ـ ٥٦) .

« ألا انهم هم الكاذبون » فى حلفهم فى الدنيا والاخرة لله تعالى والنبى صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين، أما حلفهم الكذب فى الحياة الدنيا فظاهر .

وأما حلفهم على الكذب يوم القيامة مع ظهور حقائق الامور يومئذ فلظهور ملكاتهم هناك لرسوخها فى نفوسهم فى الدنيا اذ اعتادوا فيها على إظهار الباطل على الحق بالأيمان الكاذبة، وانهم يموتون على ما كانوا يعيشون ويبعثون على ما كانوا يموتون وان يوم البعث يوم التأويل .

« هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله » الاعراب: ٥٣) .

ومن هذا القبيل سؤالهم يوم القيامة الرجوع إلى الحياة الدنيا ، والخروج من النار وخصامهم فيها وغير ذلك مما يقصّه القرآن الكريم وهم يشاهدون مشاهدة عيان أن لا سبيل إلى شيء من ذلك واليوم يوم جزاء لا يوم عمل .

قال الله تعالى: « يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم » المائدة : ٣٧) .

وقال : « وهم فيها يختصمون » الشعراء : ٩٦) .

وقال : « ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون » الزمر : ٣١) .

١٩ - (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون)

غلب واستولى على هؤلاء المنافقين الشيطان بوسوسته وتزيينه لهم الشهوات ومتاع الدنيا فملك عقولهم وضمّهم إلى حوزته وصرف العقول عن النظر إلى ما وراء هذه الحياة الدنيا من حساب وجزاء فاتبعوه على عمياء فأنساهم الشيطان ذكر الله تعالى فما خافوا الله تعالى ولا ذكروه فتركوا اوامر الله وارتكبوا نواهيه .

هؤلاء المنافقون هم جنود الشيطان واعوانه الا يا ايّها الناس إعلموا : ان جند الشيطان هم المغبونون في صفقتهم : في حياتهم الدنيوية والاخروية .

وحقاً ان المنافقين خسروا في الدارين ، إذ حصل لهم الذلة والهوان في الحياة الدنيا والنار والعذاب في الاخرة اذ وقفوا تحت لواء الشيطان بدلا من العيش الهنيىء والعزّة في الدنيا والجنّة والنعيم في الاخرة لو استظلّوا راية الله جل وعلا .

قال الله تعالى : «الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا» الاعراف : ٥١) .

وقال : «المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون - اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك هم الخاسرون» التوبة : ٦٧ - ٦٩) .

وقال : «يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنّكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير» فاطر : ٥ ـ ٦) .

وقال : «وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون فتقطّعوا امرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين ايحسبون انما نمدّهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون» .

المؤمنون : ٥٢ ـ ٥٦)

٢٠ ـ (ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين)

وقد خسر المنافقون ومواليهم لانهم الذين يعادون الله ورسوله ويشاقونه بمخالفة أوامره ونواهيه وخروجهم عن طاعة الله تعالى وتعديهم عن حدوده اولئك في جملة أذل خلق الله جل وعلا في الدنيا بالقتل والاسر والمعيشة ضنكاً ، وفي الاخرة بالخزي والنكال والعذاب الاليم .

وان ذلة أحد المتخاصمين على مقدار عزة الاخر ، واذا كانت العزة جميعاً لله تعالى فليس لمن حاده الا الذلة محضاً .

وقد قضى الله تعالى العزة والغلبة له ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولأوليائه في الدنيا والاخرة ، والذلّة والمسكنة لاعدائه في الدنيا والاخرة .

قال : «وضربت عليهم الذلة والمسكنة» البقرة : ٦١) .

وقال : «الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نارجهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم» التوبة : ٦٣) .

وقال : «ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونصله جهنم وسائت مصيراً» النساء : ١١٥) .

٢١ ـ (كتب الله لاغلبن أنا ورسلي ان الله قوي عزيز)

قضى الله تعالى وحكم لاغلبن أنا ورسلي بالحجج الواضحة والبراهين القاطعة وبالسيف والقتال وبالتأييد الغيبي وطبيعة الايمان بالله جل وعلا ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم

على الكفار والمنافقين وان الله تعالى قوى على نصر أوليائه وتذليل أعدائه ، غالب لاعدائه لايغلبه أحد .

قال الله تعالى : « ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون » المائدة : ٥٦) .

وقال : «و كفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً » الاحزاب : ٢٥) .

وقال : « ونصرناهم فكانوا هم الغالبين ـ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون » الصافات : ١١٦ ـ ١٧٢) .

وقال : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون إن كنتم مؤمنين ـ بل الله موليكم وهو خير الناصرين سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب »

آل عمرآن : ١٣٩ ـ ١٥١) .

وقال : « وقذف فى قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً » الاحزاب : ٢٦) حيث يرى المؤمن نفسه على الحق ، فيدافع عنه ، ويقاوم تجاه الباطل من غير قيد وشرط إذ يرى نفسه فائزاً قاتلا أو مقتولا بخلاف أهل الباطل فانه يدافع لاجل نفسه اذ لو شاهد نفسه مشرفة على هلكة تولّى منهزماً .

٢٢ ـ (لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم أو ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون)

لا تجد يا أيّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوماً يؤمنون بالله تعالى ، ويصدقون باليوم الاخر يوادون أعداء الله ورسوله الذين عادوا الله وخالفوا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك لان الله تعالى لم يجعل لرجل من قلبين : يحبّ بأحدهما الله تعالى ورسوله ، وبالاخر عدوه ومخالفيه «ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه » الاحزاب : ١).

وان الايمان بالله تعالى يفسد بموادة عدوه إذ بين الايمان بالله ، وموادة

عدوه تضاد لايجتمعان .

فمن كان مؤمناً حقاً لايوالى كافراً ، إذ من أحب أحداً ، إمتنع أن يحب عدوه ، فلا يواد المؤمنين أعداء الله ، ولو قارن بينهم أيّ سبب من أسباب المودة كالابوة والبنوة والاخوة وسائر اقسام القرابة .

قال الله تعالى : «ياأيّها الذين امنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون إليهم بالمودة » الممتحنة : ١) .

وقال: « ياأيها الذين امنوا لاتتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبّوا الكفر على الايمان ومن يتولّهم منكم فاولئك هم الظالمون » التوبة : ٢٣) .

اولئك هم الذين أثبت الله تعالى فى قلوبهم الايمان وقوّاهم بروح الايمان وفيه كمالهم وعزّهم وطمأنينتهم وثباتهم على الحق والدفاع عنه فى الدنيا ، وحياتهم الطيبة فى الجنة وتنعمهم بنعيمها فى الاخرة .

رضى الله تعالى عنهم بايمانهم وصالح عملهم ، وثباتهم على الحق حيث جعلهم الله تعالى فى مقام عال رفيع وفى جو راض وديع ، ورضوا عن الله تعالى بما آتاهم الله فى الدنيا ، فانقطعوا عن كل شيء و وصلوا أنفسهم به ، فتقبلهم فى كنفه وأفسح لهم فى جنابه وأشعرهم برضاه ، فرضوا رضيت نفوسهم هذا القرب وآنست به واطمأنت إليه .

قال الله تعالى: « هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم » المائدة : ١١٩) هؤلاء المؤمنون هم أنصار الله تعالى وجنده وأهل كرامته وجماعته المتجمعة تحت لوائه المتحركة بقيادته المهتدية بهداه المحققة لمنهجه الفاعلة فى الارض ما قدره وقضاه .

ألا يا ايّها الناس إعلموا ان حزب الله تعالى هم أهل الفلاح والسعادة فى الدنيا والاخرة .

﴿ جملة المعانى ﴾

٥١٠٥ - (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها و تشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما أن الله سميع بصير)

ان الله تعالى سمع قول الامرأه التى كانت تجادلك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فى أمر زوجها ، وتبث إلى الله تعالى ، والله جل وعلا يسمع تخاطبكما، يسمع المسموعات ويرى المرئيات ويعلم بها .

٥١٠٦ - (الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم وانهم ليقولون منكراً من القول وزورا وان الله لعفو غفور)

الذين يقع الظهار من بعضكم أيها المسلمون من نساءهم لسن هؤلاء النساء امهاتهم المظاهرين ليست امهاتهم الا النساء اللائى ولدنهم ، وان هؤلاء الازواج المظاهرين ليقولون بالظهار قولاً منكراً عند الشرع والعقل وقولاً زوراً محرفاً عن الحق ، وان الله تعالى لعفو عن المظاهر اذا تاب و كفّر ، وغفور يغفره اذا استغفر .

٥١٠٧ - (والذين يظاهرون من نساءهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير)

والذين يظاهرون منكم ثم يريدون أن يعودوا إلى ما تكلّموا به من كلمة الظهار بأن ينقضوها بالجماع ، فعليهم تحرير رقبة من قبل أن يواقعها ذلكم أيها المسلمون توعظون بهذا الحكم ، والله بما تعملون عليم لا يعزب عنه شيء ولا يفوته .

٥١٠٨ - (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم)

فمن لم يجد رقبة يعتقها أولم يستطع شراء عبدوعتقه ، فعليه أن يصوم بدلا من ذلك شهرين متتابعين من غير فصل من قبل أن يجامع المظاهر إمراته فمن لم يستطع على الصوم لمرض ومانع شرعى وعقلى ، فعليه أن يطعم ستين مسكيناً بقدر شبعهم أو إعطاء مدّ لكل مسكين .

ذلك الذى بيّناه لكم من كفارة الظهار فرض عليكم لتصدقوا بالله ورسوله وتلك حدود الله تعالى وللمتعدين والمتجاوزين عنها عذاب مولم .

٥١٠٩ - (أن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد انزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين)

ان الذين يشاقون الله ورسوله صلى الله عليه وآله ذلوا وهلكوا فى الحياة كما ذل الذين من قبلهم من أهل الشقاق والطغيان من الامم السابقة ، وقد أنزلنا حججاً واضحات ، وللمعاندين عذاب يخزيهم يوم القيامة .

٥١١٠ - (يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد)

هذا العذاب المهين ثابت للكافرين والمعاندين يوم يحشرهم الله تعالى جميعاً فيخبرهم يومئذ بما عملوا فى الحياة الدنيا أحصاه الله تعالى عليهم وهم نسوه وحالكون الله تعالى على كل شيء شهيد .

٥١١١ - (الم تر ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم)

ألم تعلم يا محمد صلى الله عليه وآله ان الله تعالى يعلم ما فى السموات وما فى الارض إذ ما يكون من نجوى بين ثلاثة أفراد إلا ان الله جل وعلا هو رابعهم ، ولا من نجوى بين خمسة أفراد الا ان الله تعالى هوسادسهم ، ولا أقل من ذلك كالواحد والاثنين ولا أكثر كالستة وفوقها ، غير ان الله سبحانه هو معهم يعلم ما يجرى بينهم سراً وعلانية أينما كانوا من الاماكن من غير تفاوت عند اختلاف الامكنة ، ثم يخبر الله تعالى هؤلاء المتناجين يوم القيامة بما عملوا فى الدنيا لان الله تعالى بكل شىء عليم لا يخفى عليه شىء.

٥١١٢ - (ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون فى أنفسهم لو لا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير)

الم تنظر أيها الرسول صلى الله عليه وآله إلى المنافقين الذين نهوا عن النجوى والمسارة بينهم محادة للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وحزناً للمؤمنين ثم يعودون إلى ما نهوا عنه عودة بعد عودة وكانوا يتحدثون فيما بينهم بما هو إثم فى نفسه ووباله عليهم وبما هو تعدٍّ على المؤمنين وتواص بمخالفة النبى صلى الله عليه وآله واذا جاؤك هؤلاء المنافقون حيوك ايّها الرسول صلى الله عليه وآله بما لم يحيك به الله تعالى ويقولون فيما بينهم وبحديث انفسهم هلاّ يعذبنا الله بما نقول من سوء فى محمد صلى الله عليه وآله حسبهم جهنم عقاباً لهم ، وبئس المصير مصيرهم جهنم .

٥١١٣ - (يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى اليه تحشرون)

يا ايّها الذين آمنوا بالله ورسوله وباليوم الآخر اذا حدث منكم تناج بينكم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول صلى الله عليه وآله كتناجى

المنافقين وتناجوا ايها المومنون بالبر والتقوى ، واتقوا الله الذى إليه تحشرون فيخبر كم يومئذ بما كنتم تعملون فى الدنيا .

٥١١٤- (انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئاً الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

انما نجوى المنافقين ومواليهم من وسوسة الشيطان وتحريكه اياهم ليحزن المومنين وليس الشيطان ولا نجوى حزبه بضار المومنين شيئاً الا باذن الله تعالى وعلى الله فليتوكل المومنون .

٥١١٥- (يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير)

يا ايها الذين آمنوا بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله إذا قيل لكم توسعوا فى المجالس ليسع معكم مكان غيركم ، فوسعوها يسع الله تعالى لكم فى الدنيا والاخرة إذا قيل لكم : قوموا فقوموا يرفع الله تعالى المؤمنين منكم درجة ، ويرفع الذين اوتوا العلم منكم درجات والله تعالى بما تعملون لا يعزب منه شيء .

٥١١٦- (يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم واطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم)

يا ايها الذين آمنوا بالله ورسوله إذا اردتم مناجاة الرسول صلى الله عليه وآله والحديث معه ، فتصدقوا قبل التناجى ذلك خير لكم لما فيه من الثواب وتطهير لانفسكم من حب المال وإدخاره ، فان لم تجدوا الصدقة بالفقر والعجز او لمانع آخر ، فان الله تعالى قد رخّص لكم فى المناجاة بلا تقديم صدقة غفور يغفر لكم رحيم يرحم عليكم .

٥١١٧- (ءأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا

وتاب الله عليكم فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون)

هل بخلتم بالتصدق وخشيتم بذل المال للنجوى ، وخفتم العيلة والفاقة أن تقدموا قبل نجواكم صدقات ، فحين لم تقدموها وشق عليكم ذلك ورجع الله تعالى عليكم بفضله ورحمته فخفف عنكم الصدقات فأدوا الصلاة حقها وآتوا الزكاة التي تجب عليكم واطيعوا الله ورسوله ﷺ فيما أمركم به ونهاكم عنه والله تعالى خبير بما تعملون في الحياة الدنيا .

٥١١٨ ـ (الم ترالى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون)

ألم تنظر أيها الرسول ﷺ إلى المنافقين الذين كانوا يوالون قوماً من اليهود الذين غضب الله تعالى عليهم ليس هؤلاء المنافقون منكم أيها المؤمنون لابطانهم الكفر ولاهم من اليهود لاظهار الاسلام ، فهم مذبذبون وهؤلاء المنافقون يحلفون على الكذب وهم يعلمون انهم يكذبون في حلفهم .

٥١١٩ ـ (اعد الله لهم عذاباً شديداً انهم ساء ما كانوا يعملون)

هيأ الله تعالى لهؤلاء المنافقين عذاباً شديداً في الاخرة لاستمرارهم على سوء عملهم في الحياة الدنيا .

٥١٢٠ ـ (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين)

هؤلاء المنافقون اتخذوا الأيمان الكاذبة وقاية وتكأة تحفظ بها دمائهم وأموالهم وأعراضهم فصدوا الناس عن سبيل الله تعالى ، فلهم عذاب يهينهم في الدنيا والاخرة .

٥١٢١ ـ (لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون)

لن تغنى عن هؤلاء المنافقين أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً اولئك المنافقون ، هم أصحاب النار هم فيها خالدون .

٥١٢٢ ـ (يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شىء الا انهم هم الكاذبون)

اذكر يا محمد ﷺ لهؤلاء المنافقين أحوالهم يوم يحشرهم الله جميعاً من قبورهم ، فيحلفون يومئذ لله تعالى على أنهم كانوا مسلمين كما كانوا يحلفون لكم ايها المسلمون فى الدنيا على انهم مسلمون ، وكانوا هم يحسبون انهم على شىء فى حلفهم الكاذب ، اعلموا أيها المؤمنون ان هؤلاء المنافقين هم الكاذبون فى حلفهم .

٥١٢٣ ـ (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون)

غلب واستولى على هؤلاء المنافقين الشيطان فأنساهم ذكر الله تعالى ، فما خافوا الله تعالى ولا ذكروه ، هؤلاء المنافقون هم جنود الشيطان ألا يا أيها الناس اعلموا أن جند الشيطان هم الذين قد خسروا فى الدنيا والاخرة .

٥١٢٤ ـ (ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك فى الاذلين)

ان الذين يعادون الله ورسوله ويخالفون فيما امرهم به وعما نهاهم عنه اولئك فى جملة أذل الخلق فى الدنيا والاخرة .

٥١٢٥ ـ (كتب الله لاغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز)

قضى الله تعالى بقضاءٍ حتم لاغلبن أنا ورسلى على الكفار والمنافقين ، لان الله تعالى قوى على نصر اولياءه وتذليل اعدائه ، عزيز لايغلبه احد .

٥١٢٦ ـ (لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او أبناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها

الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون)

لا تجد يا محمد ﷺ قوماً يؤمنون بالله تعالى ورسوله وباليوم الاخر يوادون اعداء الله الذين لم يأتمروا بما امروا به ولم ينتهوا عما نهوا عنه ولو كان هؤلاء المعاندون اقرب سبباً للمودة إلى المؤمنين كالابوة والبنوة والاخوة وما إليها من اسباب القرابة اولئك المؤمنون هم الذين كتب الله فى قلوبهم الايمان واثبته فيها، وايدهم بروح الايمان من عنده تعالى، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار هم فيها خالدون.

رضى الله تعالى عنهم بايمانهم وصالح عملهم، ورضوا هم عن الله بما آتاهم في الدنيا والاخرة.

ألا يا أيها الناس إعلموا ان حزب الله هم المفلحون فى الدنيا والاخرة ولهم العاقبة الحسنى.

﴿ بحث روائي ﴾

في المجمع : في قوله تعالى : « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا » ، فأمّا ما ذهب إليه أئمّة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهو ان المراد بالعود إرادة الوطء ، ونقض القول الذي قاله ، فان الوطء لايجوز له الا بعد الكفّارة ولا يبطل حكم قوله الاول الا بعد الكفّارة .

وفي الكافي : باسناده عن الحسن الصيقل قال : سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن الرجل يظاهر من إمرأته ، قال : فليكفّر قلت : فانه واقع قبل أن يكفّر؟ قال : أتى حداً من حدود الله عز وجل وليستغفر الله وليكف حتى يكفّر .

اقول : حملها الشيخ قدس سره على أنه يكون واقعها جاهلا ، أوكان ظهاره مشروطاً بالمواقعة .

وفيه : باسناده عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الظهار ضربان : أحدهما فيه الكفارة قبل المواقعة والاخر بعدها ، فالذي يكفّر قبل المواقعة الذي يقول : أنت عليّ كظهر امي ولايقول: إن فعلت بك كذا و كذا والذي يكفّر بعد المواقعة هو الذي يقول : أنت عليّ كظهر امّي إن قربتك .

أقول : انقيد المطلق في الاية « فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا » ـ سواء شرط ام لا ـ ينافي قيد الرواية الا أن يقيد قيد المطلق بقيد الرواية فتدبّر .

وفي الكافي : باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزوجل : « ومن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً » قال : من مرض أو عطاش .

وفيه : باسناده عن ابن اذينة عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم » فقال : هو واحد

واحدى الذات ، بائن من خلقه ، وبذلك وصف نفسه « وهو بكل شيء محيط » بالاشراف والاحاطة والقدرة « لايعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا اكبر » بالاحاطة والعلم لا بالذات لان الاماكن محدودة تحويها حدود أربعة ، فاذا كان بالذات لزمها الحواية .

وفيه : في حديث طويل ـ قال الجاثليق لامير المؤمنين عليه السلام : فأخبرني عن الله عزوجل أين هو ؟ فقال أمير المومنين عليه السلام : هو ههنا وههنا وفوق وتحت ومحيط بنا ومعنا وهوقوله : « ما يكون من نجوى ثلاثة الاهو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا » ، فالكرسي محيط بالسماوات والارض وما بينهما وما تحت الثرى ، وإن تجهر بالقول ، فانه يعلم السّر وأخفى وذلك قوله تعالى : « وسع كرسيّه السماوات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم » الحديث .

وفي الاحتجاج : عن الامام علي عليه السلام في حديث طويل في قوله تعالى : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » فانّما أراد بذلك استيلاء امنائه بالقدرة التي ركبها فيهم على جميع خلقه ، وانّ فعلهم فعله . الخبر .

وفي رواية : عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال : وانّما سمّي سميعاً لانه « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم أينما كانوا » يسمع دبيب النمل على الصفا ، وخفقان الطير في الهوا ، لايخفى عليه خافية ولا شيء مما ادركه الاسماع والابصار ، ما لا تدركه الاسماع والابصار ، ما حل من ذلك وما دق وما صغر وما كبر .

وفي الكافي : باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : دخل يهودي على رسول الله وعائشة عنده فقال : السام‌عليكم فقال رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم كما رد على صاحبه فغضبت عايشة فقالت : عليكم السام والغضب واللعنة يا معشر اليهود ويا إخوة القردة والخنازير ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا عائشة ان الفحش لو كان ممثلا لكان مثال سوء وان الرفق لم يوضع على شيء قط إلا زانه ، ولا يرفع عنه

قط الاشانه ، فقالت يا رسول الله صلى الله عليه وآله أما سمعت إلى قولهم : السام عليكم ؟ فقال : بلى ، أما سمعت ما رددت عليهم ؟ قلت : عليكم ، فاذا سلّم عليكم مسلم ، فقولوا : سلام عليكم ، فاذا سلّم عليكم كافر ، فقولوا عليك .

وفى الدر المنثور: عن إبن عباس فى قوله تعالى : « وإذا جاؤك حيّوك بما لم يحيّك به الله » ، قال : كان المنافقون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وآله : سام عليك فنزلت .

أقول: ولا منافات بين الروايتين ، حيث كان للمنافقين اسوة فى اليهود وكانوا يوادونهم .

وفى روضة الكافى : باسناده عن معاوية بن عمّار عن أبى عبدالله عليه السلام قال : إذا رأى الرجل منكم ما يكره فى منامه ، فليتحول عن شقّه الذى كان عليه نائماً وليقل : «انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئاً إلا باذن الله» ثم ليقل : عذت بما عاذت به ملائكة الله المقربون وأنبيائه المرسلون وعباده الصالحون من شر ما رأيت ومن شر الشيطان الرجيم .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم» قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا دخل المسجد يقوم له الناس ، فنهاهم الله أن يقوموا له ، فقال : تفسّحوا أى وسعوا له فى المجلس« واذا قيل انشزوا فانشزوا » يعنى اذا قال : قوموا فقوموا .

وفى المجمع : فى قوله تعالى : «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» وقد ورد أيضاً فى الحديث انه قال صلى الله عليه وآله : فضل العالم على الشهيد درجة ، وفضل الشهيد على العابد درجة ، وفضل النبى على العالم درجة ، وفضل القرآن على ساير الكلام كفضل الله على ساير خلقه ، وفضل العالم على سائر الناس كفضلى على أدناهم ، رواه جابر بن عبدالله .

أقول: يحتمل أن يكون الادنى بمعنى الاقرب ، أى على أقربهم من النبى صلى الله عليه وآله .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : «اتخذوا ايمانهم جنة» قال : أي حجاباً بينهم وبين الكفار وأيمانهم ، أقروا باللسان خوفاً من السيف ودفع الجزية ، وقوله : «يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم» قال : إذا كان يوم القيامة جمع الله الذين غضبوا آل محمد حقهم ، فتعرض عليهم أعمالهم ، فيحلفون له ، انهم لم يعملوا منها شيئاً كما حلفوا لرسول الله صلى الله عليه وآله في الدنيا حين حلفوا أن لا يردّوا الولاية في بني هاشم ، وحين هموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وآله في العقبة ، فلما اطلع الله نبيّه وأخبره حلفوا انهم لم يقولوا ذلك ولم يهمّوا به حين أنزل الله على رسوله .

« يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وهمّوا بما لم ينالوا وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فان يقولوا يك خيراً لهم» قال : ذلك إذا عرض عز وجل ذلك عليهم في القيامة ينكروه ويحلفوا له كما حلفوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وقوله : «يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء ألا انهم على شيء ألا انهم هم الكاذبون» .

وفي المناقب : لابن شهرآشوب رضوان الله تعالى عليه في خطبة لسيّد الابرار الامام الحسين بن علي عليه السلام خطب بها لمّا راى صفوف أهل الكوفة بكربلا كالليل والسيل ، قال : فنعم الرب ربّنا وبئس العباد أنتم أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمد صلى الله عليه وآله ، ثم انكم رجعتم إلى ذريته وعشيرته تريدون قتلهم «لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم» فتباً لكم ولما تريدون ، انّا لله وانّا اليه راجعون ، هؤلاء قوم كفروا بعد ايمانهم فبعداً للقوم الظالمين .

وفي الكافي: عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : بينما موسى عليه السلام جالساً إذ أقبل إليه ابليس وعليه برنس ذو الوان ، فلما ادنى من موسى عليه السلام خلع البرنس وقام إلى موسى عليه السلام فسلّم عليه ، فقال له موسى : من انت ؟ قال : انا ابليس قال : أنت ، فلا قرّب الله دارك قال : اني انما جئت لاسلّم

عليك لمكانك من الله ، قال : فقال له موسى : ما هذا البرنس ؟ قال : به اختطف قلوب بني آدم ، فقال له موسى : فأخبرني بالذنب الذي إذا اذنبه ابن آدم استحوذت عليه ؟ قال : اذا اعجبت نفسه ، واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه ، وقال : قال الله عزوجل لداود يا داود بشّر المذنبين وانذر الصديقين قال : كيف ابشر المذنبين وانذر الصديقين ؟ قال : يا داود بشر المذنبين اني اقبل التوبة وأعفو عن الذنب ، وانذر الصديقين ان لا يعجبوا بأعمالهم فانّه ليس عبد انصبه للحساب إلا هلك .

وفي نور الثقلين : بالاسناد عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : خطب أمير المؤمنين الناس فقال : أيها الناس انما بدو وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله يتولوا فيها رجال رجالا فلوان الباطل خلص لم يخف على ذي حجى ولو ان الحق خلص لم يكن اختلاف ، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث ، فيمزجان فيجيئان معاً فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه ، ونجى الذين سبقت لهم من الله الحسنى .

وفي الكافي: باسناده عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال : سئلته عن قول الله عزوجل : « وأنزل السكينة في قلوب المؤمنين » قال : هو الايمان قال : وسئلته عن قوله عز وجل : « وأيّدهم بروح منه » قال : هو الايمان .

وفي رواية : بالاسناد عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام : « وأيّدهم بروح منه » أي قوّاهم .

وفيه : باسناده عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما من مؤمن الاولقلبه أذنان في جوفه : اذن ينفث فيه الوسواس الخناس واذن ينفث فيها الملك فيؤيد الله المؤمن بالملك ، فذلك قوله : « وأيّدهم بروح منه » .

أقول : ان المراد بالروح هو الملك أو روح الايمان المؤيد الذي يصاحب روح الانسان .

وفيه : باسناده عن بكر بن محمد الازدي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ان

للقلب اذنين : روح الايمان يساره (يمينه ـ خ) بالخير والشيطان يساره بالشر فأيهما ظهر على صاحبه غلبه قال : وقال أبو عبدالله عليه‌السلام : اذا زنى الرجل أخرج الله منه روح الايمان قلنا : الروح التى قال الله : « وأيدهم بروح منه » ؟ قال : نعم وقال أبو عبدالله عليه‌السلام لايزنى الزانى وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن انما عنى ما دام على بطنها فاذا توضّى وتاب كان فى حال غير ذلك .

وفيه : باسناده عن ابن بكير قال : قلت لأبى جعفر عليه‌السلام : فى قول رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : « اذا زنى الرجل فارقه روح الايمان » قال : هو قوله : « وايّدهم بروح منه » ذلك الذى يفارقه .

وفيه: باسناده عن ابى خديجة قال : دخلت على ابى الحسن عليه‌السلام فقال لى : ان الله تبارك وتعالى أيّد المؤمن بروح منه يحضره فى كل وقت يحسن فيه ويتقى ويغيب عنه فى كل وقت يذنب فيه ويعتدى ، فهى معه تهتزّ سروراً عند احسانه وتسيخ فى الثرى عند اسائته ، فتعاهدوا عباد الله نعمه باصلاحكم انفسكم تزدادوا يقيناً وتربحوا نفيساً ثميناً رحم الله إمرءاً همّ بخير فعمله وهمّ بشر ، فارتدع عنه ، ثم قال : نحن نزيد الروح للطاعة لله والعمل له .

اقول : وقد ثبت فى الأخبار ان مراتب الارواح خمس : روح القدس وروح الايمان وروح القوة وروح الشهوة وروح البدن ، وان روح الايمان قد تفارق عن المؤمن .

وفى الرواية : بالاسناد عن الاصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه‌السلام فى حديث ـ فأما ما ذكر من أمر السابقين ، فانهم انبياء مرسلون وغير مرسلين جعل الله فيهم خمسة أرواح روح القدس وروح الايمان وروح القوة وروح الشهوة وروح البدن ، فبروح القدس بعثوا أنبياء مرسلين وبها علموا الاشياء وبروح الايمان عبدوا الله ولم يشركوا به شيئاً ، وبروح القوة جاهدوا عدوهم وعالجوا معاشهم ، وبروح الشهوة أصابوا لذيذ الطعام ونكحوا الحلال من شباب النساء ، وبروح البدن دبوا ودرجوا ، فهؤلاء مغفور لهم مصفوح عن ذنوبهم ، ثم قال :

قال الله عزوجل : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البيّنات وأيدناه بروح القدس ».

ثم قال في جماعتهم : « وأيدهم بروح منه » يقول : أكرمهم بها فضلهم على من سواهم فهؤلاء مغفور لهم مصفوح عن ذنوبهم .

وفي البرهان : عن طريق العامة بالاسناد عن الامام علي عليه السلام قال : قال سلمان الفارسي : يا أبا الحسن ما اطلعت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا وضرب بين كتفي وقال : يا سلمان هذا وحزبه هم المفلحون .

وفي الكافي : باسناده عن مفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال : يا مفضل! لايفلح من لا يعقل ، ولا يعقل من لا يعلم ـ إلى ان قال ـ ومن لم يعلم لم يفهم ، ومن لم يفهم لم يسلم ومن لم يسلم لم يكرم ومن لم يكرم يهضم ومن يهضم كان ألوم ، ومن كان كذلك كان احرى ان يندم .



﴿ مسائل فقهية في الظهار ﴾

الظهار : مصدر ظاهر من الظهر إذا علي وغلب وصيغته : ان يقول الرجل لزوجته : انت عليّ كظهر امي علي تقدير : ظهرك عليّ اي علوّي ور كوبي عليك حرام عليّ كحرمة علوي ور كوبي علي امي .

وخص الظهر لانه موضع الر كوب ، والمراة مر كوبة حين الغشيان ، فر كوب الام مستعار من ر كوب الدابة لان الراكب يعلو علي مر كبه فكذلك الرجل بالنسبة إلي المراة .

ثم شبّه ر كوب الزوجة بر كوب الام الذي هو ممتنع وهو استعارة لطيفة ، وهذا اولي في المطلوب من سائر الاعضاء التي هي موضع التلذذ ، وكان الظهار من اشد طلاق الجاهلية محرماً ابداً ، فمنعه الاسلام ، وجعل علي من ظاهر كفارة لتترك عادة الجاهلية ووبخ علي من ظاهر وكان في الجاهلية اذا كره احدهم إمراته ولم يرد ان تتزوج بغيره آلي منها او ظاهرها ، فتبقي لا ذات زوج ولا خلية تنكح غيره ، وكان ذلك ظلماً عظيماً عليها قد نجاها الاسلام .

وإن الظهار حرام لكونه قولا منكراً وزوراً أشار إليهما بقوله تعالى : « وانهم ليقولون منكراً من القول وزوراً » وهما محرمان بلا خلاف مع تصريح الروايات الواردة بسبب نزولها بكونه معصية .

وفي المقام بيان مسائل :

مسئلة ١ - يتحقق الظهار بقول الرجل لامراته : « انت عليّ كظهر امّي » بلا خلاف نصاً وفتوى واجماعاً علي قسميه ، ويتحقق ايضاً لو قال : « هي او هذه

او فلانة ـ بدل انت ـ على "كظهر امى» او ماشاكله من الالفاظ الدالة على تمييزها كما لو قال: «انت على مثل ظهر امى» بدل الكاف لوقع الظهار بلاخلاف ايضاً.

مسئلة ٢ ـ يشترط فى المظاهر: الاسلام والبلوغ والعقل والاختيار والقصد وعدم الغضب والاضرار على الغير وان لايكون إرضاء للغير.

مسئلة ٣ ـ يشترط فى وقوع الظهار حضور شاهدين بسمعان نطق المظاهر كالطلاق للرواية و الاجماع، واما اشتراط كونهما عدلين، فلا دليل عليه الا من عموم اشتراط العدالة فى الشاهدين، وفى اثبات الحكم فى المقام ما لا يخلو من إشكال.

مسئلة ٤ ـ يشترط فى المظاهرة ان تكون منكوحة بالعقد، وان تكون طاهراً من الحيض والنفاس طهراً لم يجامعها فيه اذا كان زوجها حاضراً او مافى حكمه، وكان مثلها تحيض ولو كان الزوج غائباً بحيث لايعرف حال زوجته صح، وكذا لو كان حاضراً وهى يائسة او لم تبلغ، وان لاتكون حاملا.

مسئلة ٥ ـ يشترط فى الظهار الدخول ولو فى الدبر، صغيرة كانت ام كبيرة مجنونة او عاقلة.

مسئلة ٦ ـ لايقع انشاء الظهار الا منجزاً، فلو علّقه بانقضاء شهر او دخول جمعة، ونحوهما من التعليقات على الزمان لم يقع على المشهور.

مسئلة ٧ ـ فى وقوع الظهار موقوفاً على الشرط تردد أظهره الجواز، فلو قال: أنت على كظهر امّى إن دخلت الدار أو إن شاء زيد، فدخلت الدار وشاء زيد لوقع الظهار.

لرواية بن الحجاج عن أبى عبد الله عليه السلام قال: الظهار ضربان: أحدهما فيه الكفارة قبل المواقعة والاخر بعده فالذى يكفر قبل المواقعة الذى يقول: أنت على كظهر امّى، ولا يقول: إن فعلت بك كذا و كذا، والذى يكفّر بعد المواقعة الذى يقول: «أنت على" كظهر امّى إن قربتك».

فلو أطلق الظهار حرم عليه الوطىء حتى يكفّر ولو علّقه بشرط جاز له

الوطىء لعدم تحقق الظهار المشروط به .

مسئلة ٨ - لو قيّدمدة كان يظاهر منها شهراً أو سنة أو اسبوعاً أو يوماً لم يقع بأن قال مثلا : انت عليّ كظهر امّي من أول رمضان إلى آخره .

مسئلة ٩ - لا يصح الظهار من الكافر لخطابه تعالى للمسلمين في قوله : «الذين يظاهرون منكم - ذلكم توعظون به» ولتعذر الكفارة عن الكافر وخاصّة الصوم الذى هو عبادة لا تصح من الكافر، وان كان الكافر مكلفاً بالفروع كتكليفه بالاصول .

مسئلة ١٠ - لو جعل الظهار إضراراً أو إرضاء لغيره أو عن غضب لم يقع للرواية وقاعدة لا ضرر .

مسئلة ١١ - لو جعل الظهار يميناً جزاء على فعل أو ترك قصداً للزجرعنه أو البعث على فعل سواء تعلق بها أو به ، بان قال : والله ان كلّمت زيداً أو إن تركت الصلاة فأنت عليّ كظهر امّي لم يقع بالاتفاق.

مسئلة ١٢ - لو شبّه جزء الزوجة بظهر الام لوقع للاكتفاء بالكناية في تحقق الظهار مع القصد .

مسئلة ١٣ - لو شبّه جزئها بجزئها بان قال : يدك عليّ كيد امي مريداً به الظهار لوقع لما تقدم وللرواية والشهرة .

مسئلة ١٤ - لو شبّه جملتها بجملتها بأن قال : أنت علي كأمي أو مثل امي لوقع إن قصد به الظهار على الاقوى .

مسئلة ١٥ - لو شبهها بأبيه أو أخيه أو عمه وخاله بان قال: أنت عليّ كظهر أبي ... لم يقع ولكن الاحوط ترك هذا العمل .

مسئلة ١٦ - لو شبهها بظهر إحدى المحرمات نسباً أو رضاعاً كالام والاخت لوقع الظهار للرواية والشهرة .

مسئلة ١٧ - لو شبّه جملة الزوجة بجملة غير الام من المحارم لوقع حيث انّ مدار الظهار على إنشاء تحريم الزوجة عليه بتشبيهها باحدى المحرمات النسبية

من غير فرق بين الصريح والكنائي .

مسئلة ١٨ ـ لو شبّهها بالمحرمة بالمصاهرة تحريماً مؤبّداً كأم الزوجة وبنت زوجته المدخول بها وزوجة الاب والابن لم يقع الظهار للاصل بعد انصراف المحرم أو المحارم إلى النسبيات .

مسئلة ١٩ ـ لو شبّهها باخت الزوجة أو عمتها أو خالتها مما يحرم في حال لا مطلقا لم يقع الظهار ضرورة كون حكمها حكم الاجنبية في جميع الاحكام فبزول تحريمها بفراق الاخت ولا تحرم العمة ولا الخالة عيناً ولا جمعاً إذا رضت .

مسئلة ٢٠ ـ لو قالت المرأة لزوجها : أنت على كظهر أبى أو امّى لم يقع الظهار اجماعاً لان الظهار من أحكام الرجال كالطلاق .

مسئلة ٢١ ـ يقع الظهار من العبد المملوك ولكن عليه نصف كفارة الحر من صوم شهر ، فلا كفارة صدقة ولا عتق عليه لعدم كونه مالكاً شيئاً .

مسئلة ٢٢ ـ يقع الظهار بالموطوئة بالملك ولو مدبّرة او ام ولد كالحرّة .

مسئلة ٢٣ ـ يقع الظهار بالمستمتع بها .

مسئلة ٢٤ ـ لو ظاهر زوجته الامة ثم اشتراها ووطأها بالملك ، فلا كفارة عليه .

مسئلة ٢٥ ـ لو ظاهر من واحدة مراراً ثم عاد او لم يعد الا بعد الاخير لوجبت عليه الكفارة بكل مرّة وفاقاً للاكثر تعدد المجلس ام لا .

ويمكن الاستدلال على تكرر وجوب الكفارة بتكرير الظهار بقوله تعالى: « فتحرير رقبة » بناء على ان الفاء للسببية ، ومن فوائدها ما ذكرناه .

مسئلة ٢٦ ـ لو ظاهر من اربع بلفظ واحد ، فقال : «انتن عليّ كظهر امي» كان مظاهراً منهن يجب تعدد الكفارة بلا خلاف لو عاد إليهن اجمع ، فعليه عن كل واحدة كفارة لصدق الظهار عن كل واحدة مع العود إليها ، وأن اتحدت الصيغة وللرواية .

مسئلة ٢٧ ـ لا تجب الكفارة بمجرد الظهار بل عند العود ، وهو إرادة

استباحة الوطىء لقوله تعالى : «ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة» الخ .

وقد يقال : ان الظهار هو السبب الموجب للكفارة ولكن بشرط العود الذى هو الارادة المزبورة فمع فرض انتفاء استمرارها يرتفع الشرط فيرتفع المشروط بل هذا هو معنى الاية .

مسئلة ٢٨ ـ لو وطىء قبل الكفارة لزمه كفارتان بالاجماع والرواية ، ولعل الوجه هو حصول سبب الكفارة اولا بالظهار والعود الذى قدعرفته والوطىء سبب ثان لها ، باعتبار حصول الحنث بـه بالظهار الذى هو كاليمين والنذر بالنسبة إلى ذلك .

مسئلة ٢٩ ـ لوتكرر الوطىء لتكررت الكفارة للمشهور والرواية ولصدق الوطىء قبل التكفير على كل منهما والاصل عدم التداخل .

مسئلة ٣٠ ـ يحرم الوطىء على المظاهر اذا عاد مالم يكفّر بالنص والاتفاق .

مسئلة ٣١ ـ فى حرمة مادون الوطىء على المظاهر كالقبلة والملامسة خلاف ناش عن الاختلاف فى تفسير المس ، ولكن الاحتياط لا يترك .

مسئلة ٣٢ ـ اذا عجز المظاهر عن الكفارة على اقسامها يحرم عليه الوطىء حتى يكفّر ، وفـى الاجتزاء بالاستغفار عند العجز خلاف ، والصواب عدم الاجزاء للرواية .

مسئلة ٣٣ ـ لو ظاهر ثم طلّقها رجعياً ، فانقضت العدة ثم تزوجها فلا كفارة عليه واذا تزوجها قبل الانقضاء فعليه الكفارة لانها حينئذ بحكم الزوجة .

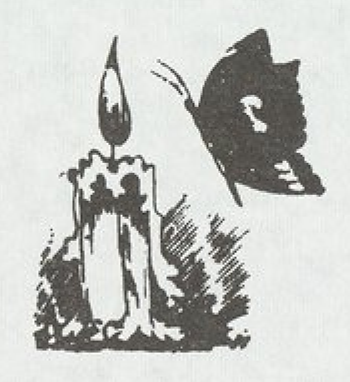
مسئلة ٣٤ ـ لو طلّقها بائنة وتزوجها فى العـدة ووطئها فلا كفارة لانقطاع حكم السبب الاول الذى وقع عليه الظهار بالطلاق البائن ، فاستحلّت بعقد جديد .

مسئلة ٣٥ ـ ولا كفارة لو ماتا أو مات احدهما قبل العود أو ارتد احدهما أو كلاهما عـن فطرة أو عن ملّة قبل الدخول أو بعده .

مسئلة ٣٦ ـ لو وطئها فى اثناء الصوم ليلا او نهاراً استأنف سواء صام من

الشهر الثاني يوماً ام لا وفاقاً للاكثر .

مسئلة ٣٧ - اذا رافعت المظاهرة امرها إلى الحاكم ينظر الحاكم زوجها المظاهر ثلاثة اشهر من حين المرافعة ، فيضيق عليه فى الطعام والشراب حتى يكفّر او يطلّق بالنص والاجماع هذا ما لم تصبر المظاهرة على ترك الزوج وطئها وإلا فلا اعتراض لأحد عليهما .



﴿ بحث مذهبي ﴾

يستدل على إحاطة الله تعالى بما في العالم الشاسع علماً وقدرة بقوله تعالى: «هو معهم اينما كانوا» فانه يدل على انه لا يخلو منه مكان ولافعل ولا حركة إلا وهو تعالى يعلمه.

واستدل بعض المحققين على كفر المنافقين حقيقة بقولـه تعالى: «اتخذوا ايمانهم جنة فصدّوا عـن سبيل الله» فانه يدل على ان ايمانهم ليس ايماناً واقعاً، وان كانواهم في صفوف المسلمين ظاهراً وتجري عليهم احكام المسلمين من حفظ الأموال والـدماء والاعراض باظهارهم الأسلام وابطانهم الكفر، وان المرء مع مانوى.

واستدل بعض الاشاعرة على خروج العمل من مفهوم الايمان بقوله تعالى: «كتب في قلوبهم الايمان».

وذلك لان جزء الثابت في القلب ثابت فيه قطعاً ولا شيء من اعمال الجوارح يثبت فيه.

أقول: ان التدبر في جانبي الجملة يـردّه، ويلهمنا بعدم خروجه من مفهومه.

بحث علمى

فى آثار المجالسة وآدابها

قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات» المجادلة : ١١).

ان الاية الكريمة على ما مرّ بصدد تقرير لادب من آداب المعاشرة والالفة والمخالطة والمصاحبة توسّعاً فى المجلس حتى يجلس الواردون ، وقياماً عنه لضيق المكان وتعظيما .

ولما كانت الاية وحيدة فى ذكر المجالس ينبغى لنا البحث حول المجالسة إجمالا لما فيه من كثير الفوائد للافراد وللمجتمع البشرى . . .

وقد نص فى الدين الاسلامى على أن تكون الالفة والمجالسة مع من سلم عقيدته و كرمت أخلاقه وحسنت صفاته لان المجالسة والمخالطة كثيراً ما تؤدى إلى الصلاح والاصلاح والفساد والافساد .

فكم من اناس بسطاء اكتسبوا صفات ذميمة وأخلاقاً سيّئة وعقائد خرافية ومسالك واهية بنتيجة المجالسة والالفة لانهم لم يتفكروا فى صفات المصاحب وأخلاقه ولا فى نبله وعقيدته .

وان هذه النقطة الدقيقة يجب أن تلاحظ فى عنفوان الشباب ودور المراهقة حيث تتهيّج فى الشباب احساسات شتى وميول عدة . . .

فمن وجد صديقاً تقياً سليماً اجتاز هذه المرحلة والا يقع فى أشراك

الشياطين يتبعه التسافل المرير .

وحقاً يجب على كل انسان ـ مسلماً كان ام كافراً ـ النظر إلى اهتمام الدين الاسلامي بالتربية الاجتماعية وان الطريق واضح جلي لاغبار عليه ولااعوجاج فيه .

في الكافي : باسناده عن عمر بن مفضّل ويونس بن ظبيان قالا : قال أبو عبدالله عليه السلام اختبروا إخوانكم بخصلتين ، فان كانتا فيهم والا فاعزب ثم اعزب ثم اعزب : محافظة على الصلوات في مواقيتها والبر بالاخوان في العسر واليسر .

وأما آداب المجالسة ففيها روايات كثيرة منها :

في الكافي : عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا دخل منزلا قعد في أدنى المجلس إليه حين يدخل .

وفيه : باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اكثر ما يجلس تجاه القبلة .

وفي البحار : وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة أو يسمّيه ، فيأخذه فيضعه في حجره تكرمة لأهله ، فربما بال الصبي عليه فيصيح بعض من رآه حين بال ، فيقول صلى الله عليه وآله وسلم : لا تزرموا بالصبي فيدعه حتى يقضي بوله ثم يفرغ له من دعائه أو تسميته ، ويبلغ سرور اهله فيه ، ولا يرون انه يتأذى ببول صبيّهم ، فاذا إنصرفوا غسل ثوبه بعد .

ودخل رجل المسجد وهو جالس وحده فتزحزح له ، فقال الرجل : في المكان سعة يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : ان حق المسلم على المسلم إذا رآه يريد الجلوس إليه أن يتزحزح له .

اقول : التزحزح : التباعد والتنحي له .

وفيه : وروى عن أبي عبد الله عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : اذا أتى أحدكم مجلساً فيجلس حيث ما انتهى مجلسه .

وفيه : وروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : اذا قام أحدكم من مجلسه منصرفاً فليسلّم ، فليس الاولى بأولى من الاخرى .

وفيه: وروى عنه عليه السلام انه قال: إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع فهو أولى بمكانه.

وفيه: وروى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال: اعطوا المجالس حقها، قيل: وما حقها؟ قال: غضّوا أبصاركم، وردوا السلام، وارشدوا الاعمى، وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر.

وفى الكافي: باسناده عن أبى سليمان الزاهد عن أبى عبد الله عليه السلام قال: من رضى بدون التشرف من المجلس لم يزل الله عزّ وجل وملائكته يصلّون عليه حتى يقوم.

وفى تحف العقول: فى وصية الامام موسى بن جعفر عليه السلام لهشام قال: يا هشام ان أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: لايجلس فى صدر المجلس الا رجل فيه ثلاث خصال: يجيب اذا سئل وينطق اذا عجز القوم عن الكلام، ويشير بالرأى الذى فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه شىء منهن فجلس فهو أحمق.

وفى الدر المنثور: عن شعبى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله من سرّه أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة، فليقل آخر مجلسه حين يريد أن يقوم: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين».

وفى رواية: قال الامام على عليه السلام: «الاطراف مجالس الاشراف».

وفى رواية اخرى: قال عليه السلام أيضاً: «قم عن مجلسك لأبيك ومعلمك ولو كنت اميراً».

وفى رواية: قال الامام امير المؤمنين عليه السلام: خمسة ينبغى ان يهانوا: الداخل بين اثنين لم يدخلاه فى امرهما، والمتآمر على صاحب البيت فى بيته، والمتقدم على مائدة لم يدع اليها، والمقبل بحديثه على غير مستمع، والجالس فى المجالس التى لا يستحقها.

مجالسة العلماء وأهل الدين

وآثارها الممدوحة

وقد جائت روايات كثيرة في ترغيب الناس إلى مجالسة العلماء واهل الدين والشرف والصلاح لما فيها من الآثار الحسنة من سعادة الدارين ومن استفادة كل فضيلة وشرف وكريم اخلاق . . . من اهلها ، ومن صلاح المجتمع البشرى ومن آلاف فائدة اخرى لاتخفى على علماء الاخلاق والاجتماع .

في الكافي : باسناده عن الفضل ابن أبي قرة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قالت الحواريون لعيسى : يا روح الله ! من نجالس ؟ قال : من يذكركم الله رؤيته ، ويزيد في علمكم منطقه ويرغبكم في الآخرة عمله .

وفيه: قال لقمان لابنه : يا بني اختر المجالس على عينك فان رايت قوماً يذكرون الله جل وعز فاجلس معهم فان تكن عالماً نفعك علمك ، وإن تكن جاهلا علّموك ولعل الله أن يظلّهم برحمته فيعمّك معهم واذا رأيت قوما لايذكرون الله فلا تجلس معهم ، فان تكن عالما لم ينفعك علمك ، وإن كنت جاهلا يزيدوك جهلا ، ولعل الله ان يظلّهم بعقوبة فيعمّك معهم .

وفيه: وقال علي بن الحسين عليه السلام : مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح وآداب العلماء زيادة في العقل .

وفي احقاق الحق : ومن كلام الامام الحسن بن علي عليه السلام : من اكثر مجالسة العلماء اطلق عقال لسانه ، وفتق مراتق ذهنه ، وسرّ ما وجد من الزيادة

فى نفسه وكانت له ولاية لما يعلم ، وافادة لما تعلّم .

وفى رواية : قال الامام على عليه السلام : « جالس العلماء تسعد » .

وفى رواية اخرى : قال الامام أميرالمؤمنين عليه السلام : « جليس الخير نعمة ، جليس الشر نقمة ، جالس العلماء تزدد علماً ، جالس الحلماء تزدد حلما ، جالس الفقراء تزدد شكراً » .

وفى رواية : قال عليه السلام : « جانبوا الاشرار وجالسوا الاخيار »

وفى الكافى : باسناده عن أبى حمزة عن على بن الحسين عليه السلام قال : لويعلم الناس ما فى طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج ، ان الله تبارك وتعالى أوحى إلى دانيال ان أمقت عبيدى إلى الجاهل المستخف بحق أهل العلم ، التارك للاقتداء بهم ، وان أحب عبيدى إلىّ التقىّ الطالب للثواب الجزيل ، اللازم للعلماء ، التابع للحلماء ، القابل عن الحكماء .

أقول: قوله عليه السلام : «المهج» : جمع مهجة وهى الدم أو دم القلب خاصة أى بما يتضمن اراقة دمائهم .

قوله عليه السلام : «اللجج» : جمع لجّة وهى معظم الماء .

وفيه: باسناده عن ابن ابراهيم بن عبدالحميد عن أبى الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال : محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزرابى .

أقول: الزرابى : جمع زربى وهى ما بسط واتكىء عليه .

وفيه : باسناده عن منصور بن حازم عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والاخرة .

وفى نهج البلاغة : قال مولى الموحدين على عليه السلام : جالس العقلاء أعداء كانوا أو اصدقاء ، فان العقل يقع على العقل .

وفى رواية : قال أميرالمؤمنين على عليه السلام : جالس أهل الورع والحكمة واكثر مناقشتهم ، إن كنت جاهلا علموك ، وان كنت عالماً ازددت علماً .

وفى رواية اخرى : قال عليه السلام : « جالس العلماء يزدد علمك ويحسن

أدبك ، وتزكو نفسك ، جالس العلماء يكمل عقلك ، وتشرف نفسك ، وينتف عنك جهلك » .

وفي رواية : قال عليه السلام : «مجالسة العلماء غنيمة ، مصاحبة العاقل مأمونة ، مجالسة الابرار توجب الشرف ، مصاحبه الاشرار توجب التلف ، معاشرة ذوى الفضائل حياة القلوب ، مجالسة السفل تضنى القلوب »

وعن بعض المحققين قال : مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلوب صدأ الذنوب ، ومجالسة ذوى المروءات تدل على مكارم الاخلاق ، ومجالسة العلماء تزكّي النفوس .

وفي رجال الكشي : عن علي بن الحسين عليه السلام انه كان يقول لبنيه : جالسوا أهل الدين والمعرفة فان لم تقدروا عليهم ، فالوحدة آنس وأسلم ، فان أبيتم إلا مجالسة الناس فجالسوا أهل المروّات فانهم لا يرفثون في مجالسهم .

وفي كتاب صفات الشيعة للصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده قال أمير المؤمنين عليه السلام : مجالسة الاشرار تورث سوء الظن بالاخيار ، ومجالسة الاخيار تلحق الاشرار بالاخيار ومجالسة الابرار للفجار تلحق الابرار بالفجار ، فمن اشتبه عليكم أمره ولم تعرفوا دينه ، فانظروا إلى خلطائه ، فان كانوا أهل دين الله فهو على دين الله ، وإن كانوا على غير دين الله فلا حظّ له من دين الله ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يواخين كافراً ولا يخالطن فاجراً ، ومن آخى كافراً أو خالط فاجراً كان كافراً فاجراً .

وفيه : عن جعفر بن محمد عليه السلام قال : من جالس أهل الريب فهو مريب .

وفي كشف الغمة : قال الامام علي عليه السلام : « فساد الاخلاق بمعاشرة السفهاء وصلاح الاخلاق بمنافسة العقلاء ، والخلق أشكال فكل يعمل على شاكلته ، والناس إخوان ، فمن كانت إخوته في غير ذات الله فانّها تحوز عداوة ، وذلك قوله تعالى : « الاخلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » .

الامام الحسين بن على عليه السلام

ومجالسة المساكين

وقد كان الانبياء والاوصياء صلوات الله عليهم اجمعين يجالسون المساكين واشير إلى ذلك فى الايات القرآنية وجائت روايات كثيرة نشير إلى ما يسعه المقام :

فى الخصال : باسناده عن عبد الله الصامت عن أبى ذر رضى الله عنه قال : أوصانى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبع : أوصانى أن أنظر إلى من هو دونى ولا أنظر إلى من هو فوقى وأوصانى بحب المساكين والدنو منهم . الحديث .

وفى خبر آخر : عنه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : أحب المساكين ومجالستهم .

وفى خبر آخر : عنه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : عليك بحب المساكين ومجالستهم .

وفى رواية مشهورة : كان النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « اللهم أحينى مسكيناً وامتنى مسكيناً واحشرنى فى زمرة المساكين » .

وفى رواية : كان سليمان عليه السلام فى ملكه اذا دخل المسجد فرأى مسكيناً جلس إليه ، وقال : مسكين جالس مسكيناً .

وفى رواية : وقيل : ما كان من كلمة تقال لعيسى عليه السلام أحب إليه من أن يقال له مسكين .

وفى الدر المنثور : عن الحسين بن على عليه السلام انه كان يجلس إلى المساكين ثم يقول : « انه لايحب المستكبرين » .

وان الروايات الواردة عن طريق العامة في معنى الرواية الاخيرة كثيرة نشير إلى نبذة منها :

١ ـ روى نصر بن محمد السمرقندى الحنفى في (تنبيه الغافلين ص ٦٦ ط القاهرة) .

باسناده عن سفيان بن مسعر انه قال : بلغنى عن الحسين بن على رضى الله عنهما انه مر بالمساكين وهم يأكلون كسراً لهم على كساء ، فقالوا : يا أبا عبد الله الغذاء قال: فنزل وقال عليه السلام : انه لايحب المستكبرين ، فأكل معهم ، ثم قال لهم : قد اجبتكم فأجيبونى فانطلقوا معه فلما أتوا المنزل قال لجاريته : اخرجى ما كنت تدّخرين .

٢ ـ روى الخطيب الخوارزمى في (مقتل الحسين ص١٥٥ ط الغرى) ما لفظه :

كان ـ أى الحسين بن على عليه السلام ـ يجالس المساكين ويقرأ : « ان الله لايحب المتكبرين » ومر على صبيان معهم كسرة ، فسئلوه أن يأكل معهم فاكل ، ثم حملهم إلى منزله فاطعمهم وكساهم وقال : انهم أسخى منى لانهم بذلوا جميع ما قدروا عليه وأنا بذلت بعض ما اقدر عليه .

٣ ـ روى الزرندى الحنفى في (نظم درر السمطين ص ٢٠٩ ط القضاء) .

عن على بن الحسين عليه السلام قال : سمعت الحسين عليه السلام يقول : لو شتمنى رجل في هذه الاذن وأومى إلى اليمنى واعتذر لى في الاخرى لقبلت ذلك منه ، وذلك ان امير المؤمنين على بن ابيطالب عليه السلام حدثنى انه سمع جدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : لايرد الحوض من لم يقبل العذر من محق أو مبطل .

٤ ـ روى باكثير الحضرمى في (وسيلة المآل ص١٨٣) ما لفظه : وجنى بعض ارقائه ـ أى الحسين بن على عليه السلام ـ جناية توجب التأديب فأمر بضربه ، فقال : يا مولاى قال الله تعالى : « والكاظمين الغيظ » قال : خلوا عنه ، قد كظمت غيظى قال : « والعافين عن الناس » قال : غفرت لك قال : « والله يحب المحسنين » فقال : انت حر لوجه الله تعالى وأمر له بجائزة حسنة .

﴿ تحقيق في المجالس الحسنة وآثارها ﴾

حقاً انّ أهم ما يجب على الانسان أن يعاشر أهل الايمان وصالح العمل وأهل التقوى واليقين والورع ، وأن يجلس مجلساً يذكر الله تعالى فيه ، ويذكر فيه الشرف وأهله ليرى كيف تتجلى له الحقائق التى خفيت عليه بعد ، ولتنقشع عنه سحائب الشكوك والاوهام لو كانت عليه ، وان يترك معاشرة أهل الكفر والنفاق والعصيان ، وأن لا يجلس مجلساً لا يرضاه الله تعالى ، لئلا يخوض فيما خاض فيه الخائضون . . .

في عدة الداعي : عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام قال : ما اجتمع قوم فى مجلس لم يذكروا الله ولم يذكرونا الاّ كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة ، ثم قال أبو جعفر عليه السلام : ان ذكرنا من ذكر الله ، وذكر عدونا من ذكر الشيطان .

وفي قرب الاسناد : باسناده عن الازدى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال لفضيل ـ تجلسون وتحدثون ؟ قال: نعم جعلت فداك قال : ان تلك المجالس احبها فأحيوا أمرنا ، يا فضيل فرحم الله من احيا امرنا ، يا فضيل من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت اكثر من زبد البحر .

وفي احقاق الحق : عن الامام على بن الحسين عليه السلام فى حديث قال : اذا كان يوم القيامة نادى منادى ليقم اهل الفضل ـ فيقوم ناس من الناس وهم قليلون ، فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنة ، فتتلقّاهم الملائكة ، فيقال لهم مثل ذلك قالوا : وبما جاورتم الله فى داره ؟ قالوا : كنّا نتزاور فى الله عز وجل ، ونتجالس

فى الله، وتبإذل فى الله، قالوا: ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين.

وفى الكافى: باسناده عن عباد بن كثير قال: قلت لابى عبدالله عليه السلام: انى مررت بقاص يقص وهو يقول: هذا المجلس الذى لا يشقى به جليس قال: فقال ابو عبدالله عليه السلام هيهات هيهات اخطأت استاهم الحفرة ان لله ملائكة سيّاحين سوى الكرام الكاتبين فاذا مروا بقوم يذكرون محمداً وآل محمد قالوا: قفوا فقد اصبتم حاجتكم، فيجلسون، فيتفقهون معهم فاذا قاموا عادوا مرضاهم وشهدوا جنائزهم وتعاهدوا غائبهم، فذلك المجلس الذى لا يشقى به جليس.

أقول: القاص: راوى القصص والمراد به هنا من يقص قصصاً كاذبة موضوعة.

وفيه: باسناده عن الفضيل بن يسار قال: قال ابو عبدالله عليه السلام: ما من مجلس يجتمع فيه ابرار وفجّار، فيقومون على غير ذكر الله عز وجل الا كان حسرة عليهم يوم القيامة.

وفيه: باسناده عن ابى حمزة الثمالى عن ابى جعفر عليه السلام قال: مكتوب فى التوراة التى لم تغيّر: ان موسى عليه السلام سئل ربّه فقال: يا رب اقريب انت منّى فأناجيك ام بعيد فأناديك، فأوحى الله عزوجل إليه: ياموسى انا جليس من ذكرنى فقال موسى: فمن فى سترك يوم لا ستر إلا سترك؟ فقال: الذين يذكروننى، فأذكرهم ويتحابّون فىّ فأحبهم فأولئك الذين اذا اردت ان اصيب اهل الارض بسوء ذكرتهم فدفعت عنهم بهم.

وفيه: باسناده عن حسين بن زيد عن ابى عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من قوم اجتمعوا فى مجلس فلم يذكروا اسم الله عزوجل ولم يصلّوا على نبيّهم الا كان ذلك المجلس حسرة ووبالا عليهم.

وفى الدرة الباهرة: قال النبى صلى الله عليه وآله: لا خير لك فى صحبة من لا يرى لك مثل الذى يرى لنفسه.

وفيه: قال الامام على عليه السلام: العافية عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت إلا بذكر الله، وواحد فى ترك مجالسة السفهاء.

وفى الكافى : باسناده عن عبد الاعلى ابن أعين عن أبى‌عبدالله عليه السلام قال : من كان يؤمن بالله واليوم الاخر ، فلا يجلس مجلساً ينتقص فيه إمام ، أو يعاب فيه مؤمن .

قوله عليه السلام : « فلا يجلس » بالجزم أو الرفع إشارة الى قوله تعالى : « ولا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله» المجادلة : ٢٢).

وفيه زجر عظيم عن استماع غيبة المؤمن حيث عادله بانتقاص الامام يقال : فلان ينتقص فلاناً أى يقع فيه ويذمه .

وفيه : باسناده عن ابن القداح عن أبى عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : من كان يؤمن بالله واليوم الاخر ، فلا يقوم مكان ريبة .

قوله عليه السلام : «مكان ريبة» اى مقام تهمه وشك فكأن المراد النهى من حضور موضع يوجب التهمة بالكفر والفسق والعصيان او بذمائم الاخلاق اعم من ان يكون بالقيام او المشى او القعود او غيرها ، فانه يتهم بتلك الصفات ظاهراً عند الناس وقد يتلوث باطناً ايضاً .

ومنه الحديث : «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فان الكذب ريبة ، وان الصدق طمأنينة » اى ما يشكك ويحصل فيك الريبة ، وهى فى الاصل قلق النفس واضطرابها ، ألا ترى كيف قابلها بالطمأنينة ، وهى السكون ، وذلك ان النفس لا تستقر متى شكت فى امر ، واذا ايقنته سكنت واطمأنت .

ويحتمل أن يكون المراد به المنع عن مجالسة أرباب الشكوك والشبهات ، الذين يوقعون الشبه فى الدين ، ويعدونها كياسة ودقة فيضلون الناس عن مسالك أصحاب اليقين كأكثر الذين يرون أنفسهم أهل تمدن وتجدد فى كل عصر و كل وقت فى طوال الاعصار ، فمن جالسهم ، وفاوضهم لا يؤمن بشىء ، بل يحصل فى قلبه مرض الشك والنفاق ، ولايمكنه تحصيل اليقين فى شىء من امور الدين بل يعرضه إلحاد عقلى لا يتمسك عقله بشىء ولا يطمئن فى شىء كما ان الملحد الدينى لا يؤمن بملة ، فهم كما قال تعالى : « فى قلوبهم مرض » .

بحث قرآني وروائي

في المجالس السيئة وآثارها الشومة

قال الله تعالى : « وقد نزل عليكم في الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزء بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذاً مثلهم » النساء : ١٤٠)

وقال : « فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » الانعام : ٦٨) .

ومن البديهي ان المجالس الذميمة تفسد أخلاق الافراد والأسر والمجتمع البشري وتلك المجالس كثيرة وقد أشار إلى بعضها علماء الاخلاق والاجتماع .

منها : ما تحكى فيه أحوال النساء ومجالس الخمر والقمار ومقامات الفساق وتنعّم الاغنياء وتجبّر الملوك ومراسمهم المذمومة وأحوالهم المكروهة وحكاية البدع والمذاهب الفاسدة من غير ردّ على أصحابها ومجلس رقص وغرام وتغزل بالباطل .

ومنها : ما يكثر فيه الكلام فيما لايعني اذا يوجب ذلك الخوض في الباطل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل » .

وإليه أشار تعالى حكاية عنهم بقوله : « وكنا نخوض مع الخائضين » المدثر : ٤٥)

وفي رواية : « كان رجل من الانصار يمرّ بمجلس لهم فيقول لهم توضئوا فان بعض ما تقولون شرّ من الحدث فهذا هو الخوض من الباطل » .

ومنها : مجلس الغيبة والنميمة والفحش والبهتان والافتراء والسبّ لاولياء

الله تعالى والمؤمنين والتلذذ بأعراض الاخرين .

وغير ذلك من المجالس الذميمة المفسدة للدين والدنيا .

وقد جائت فى المقام روايات كثيرة نشير إلى ما يسعه :

فى العلل : باسناده عن عبد العظيم الحسنى عن على بن جعفر عن أخيه موسى قال : قال على بن الحسين عليه السلام : ليس لك أن تقعد مع من شئت لان الله تبارك وتعالى يقول : « واذا رايت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره واما ينسينّك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » .

وفى تفسير العياشى : عن محمد بن الفضيل عن أبى الحسن الرضا عليه السلام فى قول الله تعالى : « وقد نزل عليكم فى الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله » إلى قوله « انكم اذاً مثلهم » قال : إذا سمعت الرجل يجحد الحق ، ويكذب به ويقع فى اهله ، فقم من عنده ولا تقاعده .

وفيه : عن شعيب العقرقوفى قال : سئلت ابا عبد الله عليه السلام عن قول الله : « وقد نزل عليكم فى الكتاب » إلى قوله : « إنكم اذاً مثلهم » فقال : انما عنى الله بهذا إذا سمعت الرجل يجحد الحق ، ويكذب به ، ويقع فى الائمة ، فقم من عنده ولا تقاعده كائناً من كان .

وفى رواية : من مواعظ الله تعالى لعيسى بن مريم عليه السلام :

يا عيسى لا تكن جليساً لكل مفتون .

وفى رواية : قال الامام على عليه السلام : « احذر مجالسة قرين السوء فانه يهلك قرينه ويردى صاحبه ، احذر منازل الغفلة والجفاء » .

وفى رواية اخرى : قال عليه السلام : « احذر مجالسة الجاهل كما تأمن مصاحبة العاقل » .

وفى رواية اخرى قال عليه السلام : « من جالس الجهال فليستعد للقيل والقال » .

وفى رواية اخرى قال عليه السلام ايضاً : « مجالسة العوام تفسد العبادة ، مجالسة

السفل تشين السيادة ، مجالس الاسواق محاضر الشيطان مجالس اللهو تفسد الايمان » .

وفي نهج البلاغة: قال الامام علي عليه السلام في خطبة : «مجالسة أهل الهوى منساة للايمان ومحضرة للشيطان .

أقول : قوله عليه السلام : « منسأة للايمان » أي داعية إلى نسيان الايمان وإهماله والايمان هو الاعتقاد والعمل ، و « محضرة للشيطان » أي موضع حضوره .

وفي العيون : في حديث قال أمير المؤمنين علي عليه السلام : مجالسة الاشرار تورث سوء الظن بالاخيار .

وفي امالي الشيخ قدس سره باسناده عن أبي المحبر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أربعة مفسدة للقلوب : الخلو بالنساء ، والاستمتاع منهن ، والاخذ برأيهن ، ومجالسة الموتى ، فقيل : يا رسول الله وما مجالسة الموتى ؟ قال : مجالسة كل ضال عن الايمان ، وجائر عن الاحكام .

وفي الخصال : باسناده عن محمد بن سعيد عن المحاربي عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ثلاثة مجالستهم تميت القلب : مجالسة الأنذال ، والحديث مع النساء ، ومجالسة الاغنياء .

وفي امالي الصدوق : رضوان الله تعالى عليه باسناده عن عبد الله بن سليمان عن أبي جعفر الباقر عليه السلام انه قال لرجل : يا فلان لا تجالس الاغنياء ، فان العبد يجالسهم وهو يرى ان لله عليه نعمة فما يقوم حتى يرى أن ليس لله عليه نعمة .

وفي الخصال : باسناده عن ابن صدقة عن الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أربع يمتن القلب : الذنب على الذنب ، وكثرة مناقشة النساء يعني محادثتهن ، ومماراة الاحمق تقول ويقول ، ولا يرجع إلى خير ، ومجالسة الموتى ، فقيل له : يارسول الله ! وماالموتى ؟ قال : كل غني مترف .

وفي الكافي : باسناده عن عبدالله بن صالح عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لا ينبغي للمؤمن أن يجلس مجلساً يعصى الله فيه ، ولا يقدر على تغييره .

وفيه: باسناده عن عمر بن يزيد عن ابى عبد الله عليه السلام انّه قال: لاتصحبوا اهل البدع ولاتجالسوهم، فتصيروا عند الناس كواحد منهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المرء على دين خليله وقرينه.

قوله عليه السلام: «فتصيروا عند الناس كواحد منهم» يدل على وجوب الاحتراز عن مواضع التهمة، وان فعل ما يوجب حسن ظن الناس مطلوب إذا لم يكن للرياء والسمعة، وقد يمكن ان ينفعه ذلك فى الاخرة لما ورد ان الله يقبل شهادة المؤمنين وان علم خلافه.

وقوله عليه السلام: «المرء على دين خليله» اى عند الناس، فيكون استشهاداً لما ذكره عليه السلام او يصير واقعاً كذلك، فيكون بياناً لمفسدة اخرى كما ورد ان «صاحب الشر يعدى، وقرين السوء يغوى».

وفيه: باسناده عن اسحق بن موسى قال: حدّثنى أخى وعمّى عن أبى عبد الله عليه السلام قال: ثلاثة مجالس يمقتها الله ويرسل نقمته على أهلها، فلا تقاعدوهم ولا تجالسوهم مجلساً فيه من يصف لسانه كذباً فى فتياه، ومجلساً ذكر أعدائنا فيه جديد وذكرنا فيه رثّ، ومجلساً فيه من يصدّ عنّا وانت تعلم، قال: ثم تلا ابو عبد الله عليه السلام ثلاث آيات من كتاب الله كأنما كنّ فى فيه، او قال كفّه: «ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبّوا الله عدواً بغير علم» «واذا رايت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره» «ولا تقولوا لما تصف السنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب».

قوله عليه السلام: «رثّ» الرثّ: الشىء البالى.

وفى تفسير القمى: عن النبى صلى الله عليه وآله: قال: من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يجلس فى مجلس يسب فيه امام او يغتاب فيه مسلم ان الله تعالى يقول فى كتابه: «واذا رايت الذين يخوضون فى آياتنا».

وفى الكافى: باسناده عن هشام بن سالم عن أبى عبد الله عليه السلام قال: اذا

ابتليت بأهل النصب ومجالستهم فكن كأنك على الرضف حتى تقوم ، فان الله يمقتهم ويلعنهم ، فاذا رأيتهم يخوضون في ذكر إمام من الائمة فقم ، فان سخط الله ينزل هناك عليهم .

قوله عليه السلام : « الرضف » : الحجارة المحماة على النار .

وفيه : باسناده عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من قعد عند سباب لاولياء الله فقد عصى الله .

وفيه : باسناده عن عبيد بن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : من قعد في مجلس يسب فيه امام من الائمة يقدر على الانتصاف فلم يفعل ، ألبسه الله الذل في الدنيا وعذبه في الآخرة وسلبه صالح ما منّ به عليه من معرفتنا .

قوله عليه السلام : « الانتصاف » : الانتقام .

وفي نهج البلاغة : قال الامام علي عليه السلام : اذا كنت في مجلس ولم تكن المحدِّث ولا المحدث فقم .

وفيه : قال عليه السلام : لاتواخينّ ، فانه يزيّن لك فعله ، ويود لو انك مثله ، ويحسّن لك أقبح خصاله ، ومدخله ومخرجه من عندك شين وعار ونقص ، ولا الاحمق فانه يجهد لك نفسه ولاينفعك ، وربما أراد أن ينفعك فضرك ، سكوته خير لك من نطقه وبعده خير لك من قربه وموته خيرلك من حياته ، ولا الكذاب فانه لاينفعك معه شيء ، ينقل حديثك وينقل الحديث إليك ، حتى انه ليحدِّث بالصدق فلا يصدّق .

وفي رواية : من مواعظ الله لعيسى بن مريم عليه السلام قال : فكم من مجلس قد نهض أهله وهم مجارون من النار .

﴿ تحقيق في الاحزاب وحزب الله تعالى ﴾

إعلم أن الله جل وعلا حزّب الناس في القرآن الكريم وفي هذه السورة بحزبين : حزب الشيطان وحزب الله تعالى في قوله : «اولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ـ اولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون» المجادلة : ١٩ ـ ٢٢) .

الحزب : الطائفة جمعه الاحزاب ، وتطلق هذه الكلمة الان على الجماعات السياسية المختلفة المبادىء في الامة الواحدة كحزب المحافظين وحزب الاحرار وغيرها من الاحزاب التي تشكلّت للاستثمار والاستحمار واستعمار الملّة والملل . . . ولعمري ان التحزب بالاحزاب اهمّ أسباب انحطاط كل ملة .

وأمّا في القرآن الكريم فتطلق كلمة الحزب على فرقتين : فرقة مؤمنة بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم واليوم الاخر والمؤتمرون بما أمرهم الله جل وعلا والمنتهون عما نهاهم الله عنه ويعبّر عنهم في القرآن بحزب الله وقيّدتهم الروايات الواردة عن الطريقين ـ ستقرأها انشاء الله تعالى ـ بالامام على أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته ، فالشيعة الامامية الاثنى عشرية هم العاملون بما أمرهم الله به والتاركون مانهاهم عنه هم حزب الله تعالى وكل ما سوى حزب الله هم فرقة ضالة : سواء كانوا من اليهود والنصارى أو المنافقين من المسلمين وغيرهم من الاحزاب على اختلاف الاسماء البارقة الذين يشربون من مورد الشيطان يعبّر عنهم في القرآن بحزب الشيطان .

وتنبغي الاشارة إلى بعض الاحزاب ، ففي كتاب (نظرية الاحزاب السياسية) انه تتميز في كل هيئة اجتماعية أربعة أحزاب سياسية كبيرة تقابل أربعة أدوار من

حياة الانسان : وهى حزب الراديكاليسم أو الاطفال ، وحزب الاحرار أى الشبان ، وحزب المحافظين أى الرجال المكتهلين ، وحزب الاطلاقيين وهم الشيوخ .

حزب الاطلاقيين لا يعتبر ارتقاء لحزب المحافظين بل هو شكل يوجد فى كل حزب من الاحزاب المختلفة كحزب الراديكاليسم أى المتطرفين ويمكن حصر مرامى جميع الاحزاب فى هذه الكلمات : التقدم ، الوقوف ، التقهر هذه هى المرامى الرئيسية للاحزاب المتنوعة ، ويدخل بينها اشكال ذات فروق ضعيفة ، أشكال لا تحصى تحمل كل منها إسماً خاصاً به ، يتميّز به عن سواه .

للاسماء التى تعطى للاحزاب أهميّة كبيرة فانها تدل على غرض الحزب ومقصده ، وعلى الجهاد الذى يبذله ، بل ويدل على الامور التى يمجّها ويدحضها فمثلا اسم حزب التقدم أو النظام الادبى بشير من طرف خفىّ الا انه ينافى الثورة وقلب النظام الحاضر .

أمّا إذا كانت الاسماء معطاة من الاحزاب المعارضة فتكون عبارة عن جمل سباب واهانة ، فان المحافظين يذكرون بكل كدر أن خصومهم سموهم بالحدود ويذكر الجمهوريون كذلك أن مناظريهم دعوهم بشراب الدماء ولكن هذه الالقاب الساقطة لا تحط من مقامات الاحزاب ذات الاغراض العالية ، بل ربّما أضرت بخصومهم ، وهل يضير الحزب الجمهورى فى فرنسا أن ينبزه الحزب الملوكى بالالقاب ؟ .

الاسماء ضرورية للاحزاب السياسية ويجب أن تكون تلك الاسماء دالة على معانى قوية لتكون تلك من بعض الدعائم التى تقوم عليها الجماعة ، ثم يجب أن يكون للحزب نظام صارم يقوم به رجال مخلصون ذووا ارادة صحيحة وإلا صار حزباً خفيفاً نزقاً لا ينتج فى عالم السياسة إلا آثار سطحية ، ولا يعقل أن يتغلب حزب على حزب الا بالنظام ، حتى يمكن أن يقال ان الفوز السياسى من حظ الحزب الاكمل نظاماً ، انتهى .

وقال (المسيو تييرس السياسى الفرنسى الخطير سنة ١٨٧١ م) : ان الفوز فى

السياسة نصيب الاقلّين ، ولكن استقراء الحوادث القديمة والحديثة دلت على أن الغلبة للاكثرين نظاماً من المتحزبين ، ولكن ما كنه هذا النظام الذى تعلق عليه غلبة الحزب على خصومه ؟ ففى دائرة معارف لاروس : ان هذا النظام هو الطاعة العمياء لرؤسائه ، هنا تعترض المتحزبين عقبة قوية وهى صعوبة المتحزبين لاقامة الجمهورية أو نشر المبادى الدستورية أن يخضعوا لرئيس واحد تلك الطاعة العمياء المرجوة ، فان ساغت تلك الطاعة للاحزاب الملكية ، فلا يمكن ان تسوغ لسواها من الاحزاب الحرة والجمهورية واذا كان الامر كذلك وجب ان ينخذل الجمهوريون ويفوز الملكيون لا محالة ، ثم قال :

نعم وقد قهر الملكيون الجمهوريين مراراً عديدة لهذا السبب عينه ولكن حدث مايعتبر عهداً جديداً فى تاريخ الديمقراطية ، وذلك ان الجمهوريين الذين اعتادوا أن يتنازعوا على التوافه من الامور خضعوا لهذا النظام الصارم عقب ثورة سنة ١٨٧٠ فقلل أكثرهم صخبا من حدته ، وأضعف من سورته فحقق لنفسه الفوز مع كثرة عدده .

هل هذه الطاعة المطلوبة للرؤساء مما يمكن أن تنطبق على الحق نظرياً ؟

ففى دائرة المعارف : نعم فليس مما يضير أن يتحد الجماعة على اطاعة رئيس مدير عاقل جدير بتلك الثقة المودعة فيه .

فعلى هذا لايستطيع كل انسان أن يكون تابعاً لحزب سياسى بل من الناس من يكون تابعاً لكل حزب بالنسبة لكل حسن فيه ، نعم يصعب جداً على رجل يقدس الحق ويحبه ويعتبره روح وجوده و وجود العالم كله أن يطيع رئيس حزبه فيما يعتقد انه غير حق أو دسيسة ضد حزب آخر ليسقطه ، بل يصعب جداً على ذلك الرجل أن يتبع طائفة فوزها السياسى معلق على سلسلة افتراءات وتدليسات وأحابيل .

وذلك لان الجرائد المتعارضة للاحزاب المختلفة ترى أن فوز حزبها لايكون بتضافر كتّابها على إحقاق الحق ولو جاء من أعدى الاعداء ، وازهاق

الباطل ولو صدر من أقرب الأقرباء، بل ان فوزه يكون بالتقول على خصومها والتجرم على مناظريها وازهاق كل حق يصدر منهم، وبذل الجهد في إظهار كل كمال لهم نقصاً وكل محمدة مذمة.

ومثل هذه الخطة لايرضاها الرجل الذي وصفنا خلائقه، وهي بخطة متعصبة صبيان المكاتب أشهر منها بسيرة الرجال الكاملين. هذه سيرة كل أحزاب العالم غير حزب الله تعالى.

فانظر إلى حزب محافظي الانجليزيتهمون أحرارهم بأشنع التهم ويصورونهم على أفظع الصور، وكذلك الحال بين الجمهوريين والديموقراطيين في الولايات المتحدة وبين الائتلافيين والاتحاديين في تركيا.

الا يمكن ان تقوم الاحزاب على خطة العدل المطلق والحق الصراح والاخلاق الفاضلة؟.

كيف لا يمكن ذلك، هل العدل والحق والاخلاق والادعامات الحياة وارواح النظامات؟ ان ما نشاهده من قيام الاحزاب العصرية على نقيض هذه الاصول هو، لان القائمين بها ليسوا على شيء او على شي ضعيف منها فسيرة الاحزاب هي سيرة افرادها الشخصية مكبرة، فاذا جاء اليوم الذي يبلغ الانسان فيه كماله المرجوله كانت أحزابه على طريقته، أغراضها العدل والحق الصراح وأسلحتها الايمان وصالح العمل والوحدة والاستقامة والاخلاق الفاضلة.

قال الله تعالى: «والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر» والعصر: ١ـ ٣)، ومن غرر الحكم ودرر الكلم عن الامام علي عليه السلام: «الزم أهل الحق واعمل عملهم تكن منهم، أيسرك أن تكون من حزب الله الغالبين اتق الله سبحانه».

غلبة حزب الله تعالى

على الاحزاب الشيطانية

وقد اختلفت نظرية السياسيين فى ملاك غلبة حزب على حزب، فمنهم من قال : هو النظام الصارم للحزب .

ومنهم من قال : هو الاكثر حزباً .

ومنهم من قال : هو الاكثر قدرة مادية .

ومنهم من قال : هو اتباع الحزب لرئيسه إطلاقاً .

ومنهم من قال : هو معلّق على سلسلة افتراءات وتدليسات وأحابيل ضد حزب آخر .

وغير ذلك من النظريات التى ليست الا للتكالب، لا إعتبار لها .

وحقاً ان التدبر فى قيام الانبياء عليهم السلام تجاه الطواغيت فى طوال الاعصار وغلبتهم على ذوى القوى والقدر المادية يزيح تلك الاوهام العارضة على الافهام الضعيفة، ويثبت ان الملاك هو الصلة بالله تعالى والاستقامة .

فانظر إلى خليل الله ابراهيم عليه السلام كيف غلب على نمرود وقواه المادية، وإلى كليم الله موسى عليه السلام كيف ظفر على فرعون وجنوده المصرية وإلى رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم كيف فاز على زعماء مكة والاحزاب الطاغية، وليس أهل الحق من امة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خارجاً عن هذه الضابطة وانما الملاك فيهم هو الايمان والاخلاص والاستقامة والوحدة بينهم وكون القائد خبيراً .

ولقد ثبت لنا ذلك فى أيامنا سنة ١٣٩٩ هـ كيف غلب الله تعالى ثورة الشيعة

الامامية الاثنى عشرية الايرانيين وفى قدامهم علماءهم المجاهدون كثر الله أمثالهم - لاحول ولاقوة لهم إلا بالله - على الحكومة الجابرة الطاغية وعلى الكافرين وأذنابهم المنافقين مع كثرة القوى المادية والاسلحة العصرية وإعانة الممالك المتمدنة الجابرة عليهم .

قال الله تعالى : « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز » .
المجادلة : ٢١)

وقال : « ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون »
المائدة : ٥٦)

وقال : «ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم - وان من شيعته لابراهيم - فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين - ولقد مننا على موسى وهارون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين - وان لوطاً لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزاً فى الغابرين ثم دمّرنا الآخرين - وان يونس لمن المرسلين - فآمنوا فمتعناهم إلى حين - ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون - وأبصر فسوف يبصرون » الصافات : ٧٥ - ١٧٩) .

وقال : « ان ينصركم الله فلا غالب لكم - وعلى الله فليتوكل المؤمنون» آل عمران : ١٦٠) .

وقال : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون إن كنتم مؤمنين »
آل عمران : ١٣٩)

وقال : « ياايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » الانفال : ٤٥ - ٤٦) .

وقال بعض المحققين فى سؤال الله تعالى عن موسى عليه السلام وجوابه عنه : ليس لشوق التكلم كما قال جمهور المفسرين وانما كان السؤال والجواب لنكتة

خطيرة الشأن وهي التقرير لغلبة موسى عليه السلام بالعصا على فرعون الطاغي وقواه المادية المصرية بشرط الاستقامة وعدم الخوف ، إذ قال : « وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي ـ اذهب إلى فرعون انه طغى ـ قلنا لاتخف انك أنت الاعلى وأضل فرعون قومه وما هدى » طه : ١٧ ـ ٧٩) .

فالناس في طوال الاعصار على حزبين : حزب الله تعالى غرضهم واحد وطريقهم واحد من غير إعوجاج ، وحزب الشيطان على الاسماء المختلفة البارقة لاحقيقة لها ، لاختلاف الاغراض والطرق واعوجاجها ، أشار تعالى إلى الطريقين بقوله : « وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون » الانعام : ١٥٣) .

فالراية رايتان : راية الحق يقف تحتها حزب الله ، وراية الباطل على ألوانها وأشكالها . . . تستظلّها الاحزاب الشيطانية .

وان الحزبين صفّان متميزان لايختلطان ولا يتميّعان لانسب ولاصهر ولا أهل ولا قرابة ولاوطن ولا جنس ولا عصبيّة ولا قوميّة انما هي العقيدة والعقيدة وحدها فمن انحاز إلى حزب الله جل وعلا ووقف تحت لوائه فهو وجميع الواقفين تحت هذا اللواء اخوة في الله تعالى تختلف ألوانهم ، وتختلف اوطانهم ، وتختلف عشائرهم ، وتختلف اسرهم ولكنهم يلتقون في الرابطة التي تؤلف حزب الله فتذوب الفوارق كلها تحت الراية الواحدة .

ومن استحوذ عليه الشيطان فاستظل راية الباطل فلن ترتبطه بأحد من حزب الله رابطة لامن ارض ولا من جنس ولا من وطن ولا من لون ولا من عشيرة ولا من نسب ولا من صهر لقد انبتت الوشيجة الاولى التي تقوم عليها هذه الوشائج فأنبتت هذه الوشائج جميعاً .

أشار تعالى إلى ذلك بقوله : « إستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله

ورسوله اولئك فى الاذلين كتب الله لاغلبن أنا ورسلي ان الله قوى عزيز لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون » المجادلة : ١٩ ـ ٢٢) .



﴿ تحقيق فى حزب الله تعالى ﴾

قال الله تعالى : « رضى الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون » الحديد : ٢٢) .

وقد جائت روايات كثيرة فى حزب الله تعالى عن الطريقين نشير إلى مايسعه المقام ، وأما ما ورد عن طريق العامة فمنها :

١ ـ روى الديلمى فى (الفردوس) قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لعلى عليه السلام : انت وشيعتك تأتى يوم القيامة راضين مرضيين .

رواه جماعة منهم :

١ ـ الحافظ الهيثمى فى (مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣١ ط مكتبة القدسى فى القاهرة) .

٢ ـ الهندى فى (منتخب كنز العمال ، المطبوع بهامش المسند ج ٥ ص ٥٢ ط مصر) .

٣ ـ المصرى فى (لسان العرب ج ٢ ص ٥٦٦ ط دار الصادر بيروت) .

٤ ـ السيوطى الشافعى فى (الدر المنثور ج ٦ ص ٣٧٩ ط مصر) .

٥ ـ ابن الصباغ المالكى فى (الفصول المهمة ص ١٠٥ ط الغرى) .

٦ ـ البدخشى فى (مفتاح النجا) .

٧ ـ الشبلنجى فى (نور الابصار ص ٧١ ط العامرة بمصر) .

٢ ـ روى الامرتسرى فى (ارجح المطالب ص ٨٨ ط لاهور) .

عن سلمان قال : كلما اطّلعت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا ضرب بين كتفى على عليه السلام وقال : هذا وحزبه المفلحون .

٣ ـ روى الخطيب البغدادى فى (تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢٨٩ ط السعادة بمصر) باسناده عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنت وشيعتك في الجنة .

رواه جماعة منهم :

١ ـ الحافظ الهيثمى فى (مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢١ ط مكتبة القدسى بمصر فى القاهرة) .

٢ ـ الخر كوشى فى (شرف النبى)

٣ ـ الامرتسرى فى (ارجح المطالب ص ٥٣١ ط لاهور) .

٤ ـ الخطيب البغدادى فى (موضح أوهام الجمع والتفريق ج ١ ص ٤٣ ط حيدرآباد) .

٥ ـ الذهبى فى (ميزان الاعتدال ص ٣٢٣ ط القاهرة) .

٤ ـ روى الكشفى الترمذى الحنفى فى (المناقب المرتضوية ص ١١٣ ط بمبئى) عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : على وشيعته هم الفائزون يوم القيامة .

رواه القندوزى الحنفى فى (ينابيع المودة ص ٢٥٧ ط اسلامبول) وأبو محمد الحسينى فى (انتهاء الافهام ص ١٩ ط نول كشور) .

٥ ـ روى سبط إبن الجوزى فى (التذكرة ص ٥٩ ط الغرى) عن أبى سعيد الخدرى قال : نظر النبى صلى الله عليه وآله إلى على بن أبى طالب عليه السلام فقال : هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة .

٦ ـ روى الديلمى فى (الفردوس) باسناده عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : شيعة على هم الفائزون .

رواه جماعة منهم :

١ ـ المناوى فى (كنوز الحقائق ص ٨٨ ط بولاق) .

٢ ـ القندوزى الحنفى فى (ينابيع المودة ص ١٨٠ ط اسلامبول) .

٣ ـ أبو محمد الحسيني في (انتهاء الافهام ص ٢٢٢ ط نول كشور).

٤ ـ عبد الله الشافعي في (المناقب ص ١٨٧) .

٧ ـ روى محمود الدركزيني الحنفي في (نزل السائرين) عن ام سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : علي وشيعته هم الصائرون يوم القيامة في الجنة .

٨ ـ روى القندوزي في (ينابيع المودة ص٢٤٥ ط اسلامبول) عن علي عليه السلام رفعه : توضع يوم القيامة منابر حول العرش لشيعتي وشيعة أهل بيتي المخلصين في ولايتنا ويقول الله تعالى هلمّوا يا عبادي لانشر عليكم كرامتي فقد اوذيتم في الدنيا .

٩ـ روى أبوالمؤيد الموفّق بن أحمد أخطب خوارزم في(المناقب ص٢٢١) باسناده العديدة الصحيحة عن الحسين بن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي مثلك في امتي مثل المسيح عيسى بن مريم افترق قومه ثلاث فرق : فرقة مؤمنون وهم الحواريون ، وفرقة عادوه وهم اليهود ، وفرقة غلوا فيه فخرجوا من الايمان ، وان امتي ستفرق فيك ثلاثة فرق : فرقة شيعتك وهم المؤمنون ، وفرقة اعداؤك وهم الناكثون ، وفرقة غلوا فيك ، وهم الجاهدون (الجاحدون خ) الضالّون ، فأنت يا علي وشيعتك في الجنة ومحبّوا شيعتك في الجنّة وعدوّك والغالي في النار .

رواه القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ١٠٩ ط اسلامبول) .

أقول : ان الرواية لاتنافي الرواية المشهورة من افتراق امة المسيح باثنين وسبعين فرقة وامة الاسلام بثلاث وسبعين فرقة بناء على تقرير الاجمال والتفصيل ، وبيان الكلي والجزئي للامتين .

١٠ ـ روى الفقيه ابن المغازلي الواسطي الشافعي في (المناقب) باسناده عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا علي ان شيعتنا يخرجون من قبورهم يوم القيامة على ما بهم من العيون والديون (من العيوب والذنوب ـ خ) ووجوههم كالقمر في ليلة البدر ، وقد خرجت عنهم الشدائد ، وسهلت لهم الموارد

واعطوا الامن والامان وارتفعت عنهم الاحزان يخاف الناس ولا يخافون ويحزن الناس ولا يحزنون يسرك فعالهم تتلألؤ وجوههم نوراً على نوق بيض لها أجنحة قد ذللت من غير مهانة ، ونجبت من غير رياضة أعناقها من ذهب أحمر ألين من الحرير لكرامتهم على الله عزوجل .

رواه ابن حجر الهيثمي مختصراً في (الصواعق المحرقة ص ٢٣٠ ط عبد اللطيف بمصر) .

وغير ذلك من الروايات الواردة عن طريقهم تركناها للاختصار .

وأما الروايات الواردة عن طريق الشيعة الامامية الاثنى عشرية فنشير إلى نبذة منها :

١ ـ في أمالي الصدوق باسناده عن عائشة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : أنا سيد الاولين والاخرين وعلى بن أبيطالب عليه السلام سيد الوصيين وهو أخي ووارثي ووزيري وخليفتي على امتي وولايته فريضة واتباعه فضيلة ومحبته إلى الله وسيلة ، فحزبه حزب الله وشيعته أنصار الله ، واولياءه اولياء الله وأعدائه اعداء الله ، وهو امام المسلمين ومولى المؤمنين وأميرهم بعدى .

٢ ـ في عيون الأخبار باسناده عن ياسر الخادم عن الرضا عن آبائه عن الحسين بن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي : يا علي أنت حجة الله ، وأنت باب الله وانت الطريق إلى الله ، وأنت النبأ العظيم ، وأنت الصراط المستقيم ، وأنت المثل الاعلى يا علي أنت امام المسلمين وأمير المؤمنين وخير الوصيين وسيد الصديقين يا علي أنت الفاروق الاعظم وأنت الصديق الاكبر ، يا علي أنت خليفتي على امتي ، وأنت قاضي ديني وأنت منجز عداتي ، يا علي أنت المظلوم بعدى ، يا علي أنت المفارق بعدى ، يا علي أنت المهجور بعدى اشهد الله تعالى ومن حضر من امتي ان حزبك حزبي وحزبي حزب الله وان حزب أعدائك حزب الشيطان .

٣ ـ في امالي الصدوق باسناده عن علي عليه السلام قال : حدثني سلمان الخير رضي الله عنه فقال : أبا الحسن قلّما أقبلت أنت وأنا عند رسول الله الا قال : يا

سلمان هذا وحزبه هم المفلحون يوم القيامة .

٤ ـ في الاحتجاج : عن موسى بن عقبة انه قال : لقد قيل لمعاوية : إن الناس قد رموا أبصارهم إلى الحسين عليه السلام فلو قد امرته يصعد المنبر ويخطب ، فان فيه حصراً أو في لسانه كلالة .

فقال لهم معاوية : قد ظننا ذلك بالحسن ، فلم يزل حتى عظم في أعين الناس وفضحنا ، فلم يزالوا به حتى قال للحسين : يا أبا عبد الله لو صعدت المنبر فخطبت ، فصعد الحسين عليه السلام المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي فسمع رجلا يقول : من هذا الذي يخطب ؟ فقال الحسين عليه السلام :

نحن حزب الله الغالبون ، وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاقربون ، وأهل بيته الطيبون واحد الثقلين اللذين جعلنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثاني كتاب الله تبارك وتعالى الذي فيه تفصيل كل شيء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والمعول علينا في تفسيره ، لايبطينا تأويله بل نتبع حقائقه ، فأطيعونا فان طاعتنا مفروضة ، إن كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة .

قال الله عز وجل : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول » .

وقال : « ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولو لا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا » .

واحذركم الاصغاء إلى هتوف الشيطان بكم ، فانه لكم عدو مبين ، فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم : لاغالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما ترائت الفئتان نكص على عقبيه وقال : اني بريء منكم ، فتلقون للسيوف ضرباً وللرماح ورداً ، وللعمد حطماً ، وللسهام غرضاً ثم لا يقبل من نفس ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيراً ، قال معاوية : حسبك يا أبا عبد الله قد بلّغت .

٥ ـ في امالي الصدوق باسناده عن الاصبغ بن نباتة قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبته ـ : أيّها الناس اسمعوا قولي واعقلوه عني فان الفراق قريب ، أنا

امام البرية ووصي خير الخليفة وزوج سيّدة نساء هـذه الامة وأبو العترة الطاهرة والائمة الهادية أنا أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصيه ووليه ووزيره وصاحبه وصفيّه وحبيبه وخليله أنا أميرالمؤمنين وقائد الغر المحجلين وسيد الوصيين حزبي حزب الله وسلمي سلم الله، وطاعتي طاعة الله، وولايتي ولاية الله، وشيعتي اولياء الله، وأنصاري انصار الله والذي خلقني ولم أك شيئاً لقد علم المستحفظون من أصحاب رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان الناكثين والقاسطين والمارقين ملعونون على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم الامي وقد خاب من افترى.

٦ ـ وفيه باسناده عن الحسين بن خالد عن ابى الحسن على بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أحب أن يركب سفينة النجاة ويستمسك بالعروة الوثقى، ويعتصم بحبل الله المتين فليوال علياً بعدى وليعاد عدوه وليأتم بالائمة الهداة من ولده فانهم خلفائى واوصيائى وحجج الله على الخلق بعدى وسادة امتى وقادة الاتقياء إلى الجنة، حزبهم حزبي وحزبي حزب الله، وحزب أعدائهم حزب الشيطان.

وغير ذلك من الروايات لا يسعها المقام.

﴿المنافقون وحزب الشيطان﴾

قال الله تعالى فيهم : «إستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون » المجادلة : ١٩) .

في نهج البلاغة : قال الامام أميرالمؤمنين على عليه السلام في خطبة يصف فيها المنافقين : «اوصيكم عباد الله بتقوى الله واحذركم أهل النفاق ، فانهم الضالون المضلّون ، والزالّون المزلّون ، يتلونون ألواناً ، ويفتنّون إفتناناً ، ويعمدونكم بكل عماد ويرصدونكم بكل مرصاد .

قلوبهم دوية وصفاحهم نقيّة ، يمشون الخفاء ويدبّون الضراء ، وصفهم دواء وقولهم شفاء ، وفعلهم الداء العياء ، حسدة الرخاء ومؤكّدو البلاء ، ومقنطو الرجاء ، لهم بكل طريق صريع وإلى كل قلب شفيع ، ولكل شجو دموع .

يتقارضون الثناء ، ويتراقبون الجزاء ، إن سألوا ألحفوا ، وإن عذلوا كشفوا ، وإن حكموا أسرفوا .

قد أعدّوا لكل حق باطلا ، ولكل قائم مائلا ، ولكل حيّ قاتلا ، ولكل باب مفتاحاً ، ولكل ليل مصباحاً ، يتوصّلون إلى الطمع باليأس ليقيموا به أسواقهم وينفقوا به أعلاقهم ، يقولون فيشبّهون ، ويصفون فيموّهون ، قد هوّنوا الطريق وأضلعوا المضيق ، فهم لمّة الشيطان ، وحمة النيران : «اولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون » .

أقول: سمى النفاق نفاقاً من النافقاء ، وهي بيت اليربوع ، له بابان يدخل من احدهما ويخرج من الاخر وكذلك الذى يظهر ديناً ويبطن غيره ، اشار تعالى الى ذلك المعنى بقوله : «ماهم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون»

المجادلة : ١٤) .

قولهُ عليه السلام : «الضالون» : الذين يضلّون انفسهم «المضلون» : يضلّون غيرهم كذلك « الزالّون المزلّون » زل فلان عن الامر أى اخطأه ، «يفتنّون» : يتشعّبون فنوناً أى ضروباً .

« ويعمدونكم » أى يهدونكم ويفدحونكم« بعماد » أى بأمر فادح وخطب مؤلم . « ويرصدونكم » : يعدّون المكايد لكم « قلوبهم دوية » قلب دو : فاسد « وصفاحهم » الصفاح : جمع صفحة الوجه وهى ظاهره .

يقول الامام عليه السلام : باطنهم عليل وظاهرهم صحيح .

« يدبّون الضراء » الضراء : شجر الوادى الملتف ، وهذا مثل يضرب لمن يختل صاحبه ، « وصفهم داء وقولهم شفاء وفعلهم الداء العياء » أى أقوالهم : أقوال الزاهدين العابدين ، وأفعالهم أفعال الفاسقين الفاجرين .

والداء العياء : الذى يعيى الأساة « حسدة الرخاء » يحسدون على النعم « ومؤكّدو البلاء » إذا وقع واحد من الناس فى بلاءٍ أكّدوه عليه بالسعايات والنمائم ، وإغراء السلطان به و « مقنطو الرجاء » أى أهل الرجاء ، أى يبدلون بشرورهم وأذاهم رجاء الراجى قنوطاً .

« وإلى كل قلب شفيع » يصف الامام عليه السلام خلائد ألسنة المنافقين ، فقد استحوذوا على قلوب الناس بالرياء والتصنع . «ولكل شجو دموع » الشجو : الحزن أى يبكون تباكياً وتعمّلا لاحقاً عند أهل كل حزن ومصاب .

« يتقارضون الثناء » أى يثنى زيد على عمرو ليثنى عمرو عليه فى ذلك المجلس أو يبلغه فيثنى عليه فى مجلس آخر ، مأخوذ من القرض .

« يتراقبون الجزاء » يرتقب كل واحد منهم على ثنائه ومدحه لصاحبه جزاء منه إما بالمال أو بأمر آخر أو شفاعة يشفع له .

« ألحفوا » الالحاف فى السؤال : الاستقصاء فيه وهو مذموم قال الله تعالى « لايسئلون الناس الحافاً » البقرة : ٢٧٣) .

« وان عذلوا كشفوا » أى اذا عذلك أحدهم كشف عيوبك فـي ذلك اللّوم والعذل وجبّهك بها ، وربّما لايستحي أن يذكرها لك بمحضر ممن لاتحب ذكرها بحضرته ، وليسوا كالناصحين على الحقيقة الذين يعرضـون عند العتاب بالذنب تعريضاً لطيفاً ليقلع الانسان عنه .

« وإن حكموا أسرفوا » : اذا سئلك أحدهم ففوّضته فى مالك أسرف ولم يقنع بشيء وأحب الاستئصال « قد أعدّوا لكل حق باطلا » : يقيمون الباطل فى معارضة الحق ، والشبهة فى مصادمة الحجة ، ولكل دليل قائم قول صحيح ثابت ، إحتجاجاً مائلا مضاداً لذلك الدليل ، وكلاماً مضطرباً لذلك القول .

« ولكل بـاب مفتاحاً » أى ألسنتهم ذلقة قـادرة على فتح المغلقات للطف توصّلهم وظرف منطقهم « ولكل ليل مصباحاً » أى كل أمر مظلم ، فقد أعدّوا له كلاماً ينيره ويضيئه ،ويجعله كالمصباح الطارد لليل ويتوصّلون إلى مطامعهم باظهار اليأس عما فى أيدى الناس وبالزهد فى الدنيا وفى الاثر : شرّكم من أخذ الدنيا بالدين .

ثم قال الامام عليه السلام : انّما فعلوا ذلك ليقيموا به أسواقهم أى لتنفق سلعتهم « الاعلاق » : جمع علق وهو السلعة الثمينة .

يقولـون فيشبّهون ، يوقعون الشبه فـى القلوب ويصفون فيموّهـون ، التمويه : التزيين ، وأصله أن تطلى الحديدة بذهب يحسّنها ، قد هيّئوا الطريق ، أى الطريق الباطل قد هيّئوها لتسلك بتمويهاتهم .

« واضلعوا المضيق » : أمالوه وجعلوه ضلعاً ، أى معوجاً ، أى جعلوا المسلك الضيق معوجاً بكلامهم وتلبيسهم ، فـاذا أسلكوه انساناً اعوج لاعوجاجه ، « لمة الشيطان » : جماعة الشيطان .

وفى امالى الصدوق : باسناده عن الاصبغ بن نباتة عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لما عرج بى إلـى السماء السابعة ومنها إلـى سدرة المنتهى ومن السدرة إلى حجب النور ناداني ربّى جل جلاله يامحمد أنت عبدى وأناربك ، فلى فاخضع ، وإياى فاعبد ، وعلى فتوكّل ، وبى فثق ، فانّى قد رضيت

بـك عبداً وحبيباً ورسولا ونبياً ، وبأخيك علي" خليفة وبـاباً ، فهو حجتي على عبادي ، وامام لخلقي ، به يعرف اوليائي من اعـدائي ، وبه يميز حزب الشيطان من حزبي ، وبه يقام ديني وتحفظ حدودي وتنفذ احكامي ، وبك وبه وبالائمة من ولده أرحم عبادي وامائي ، وبالقائم منكم اعمر ارضي بتسبيحي وتهليلي وتقديسي وتكبيري وتمجيدي ، وبه اطهر الارض من أعدائي واورثها أوليائي ، وبـه اجعل كلمة الذين كفروا بي السفلى وكلمتي العليا ، وبه احيي عبادي وبلادي بعلمي وله (به ـ خ) أظهر الكنوز والذخائر بمشيتي ، وإيّاه اظهر على الاسرار والضمائر بارادتي ، وأمده بملائكتي لتؤيده على انفاذ أمري ، واعلان ديني ذلك وليي حقاً ومهدي عبادي صدقاً .

وقال بعض الظرفاء من علماء الاخلاق والاجتماع في قوله تعالى: «استحوذ عليهم الشيطان»:

ان من علائم إستحواذ الشيطان على المنافقين انهم يتولّون أعداء الدين الاسلامي على فرقهم أشار إلى ذلك بقوله تعالى : «ألم تر الى الذين تولّوا قوماً غضب الله عليهم» المجادلة : ١٤) ، ويشغل قلوبهم عن الله تعالى، وهم لايتفكرون في آيات الله وآلائه ونعمائه وهم لايقومون بشكرها ، ويشغل ألسنتهم عن ذكر ربهم بالكذب والافتراء والنمامة والغيبة والبهتان ، وهم يأمرون الناس بالمنكر وينهون عـن المعروف ، وان الدنيا اكبر همّهم ولـذائذها مـدى أغراضهم . . . «فأنساهم ذكر الله» .

وهم غافلون عن الاخرة ونعيم الجنة ، فهم يأكلون ولا يشبعون ، ويشربون ولا يروون ، ويلبسون وهم عارون ، ولهم قصور ودور فكأنه لاسكنى لهم ، وهـم ينكحون فكأنه لاازواج لهم في الحقيقة ، ولهم عدد وعدد وهم في خوف مستمر .

وقد قال الله تعالى: «ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا» طه:١٢٤).

وقـال : «ومن يعش عـن ذكـر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين» الزخرف : ٣٦) .

وقال : «ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً» النساء : ٣٨) .

بحث روائي في افتراق الامة المسلمة

على ثلاث وسبعين فرقة

وقد وردت رواية باسانيد عديدة عن الطريقين: ان الامة الاسلامية تفترق بعد النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على ثلاث وسبعين فرقة والناجية منهم فرقة واحدة والباقون في النار.

فلا بدلنا المسلمين البحث والتحقيق فيها بلا تقليد عمياء، ومن غير حميّة جهلاء لكنّا من الناجين قال الله تعالى: «والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وانّ الله لمع المحسنين» العنكبوت: ٦٩) ولم نكن من حزب الشيطان.

أمّا عن طريق العامة:

ففي الدر المنثور: اخرج أبو الشيخ عن علي بن أبيطالب عليه السلام قال: لتفترقنّ هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة يقول الله: «وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون» فهذه هي التي تنجو من هذه الامة.

أقول: رواه في تفسير (المنار) ثم قال: «ومعلوم ان الشق الاول من هذا الاثر مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكره علي رضي الله عنه ليفسّر به الفرقة الناجية وقد فسّرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بعض الروايات بأنها هي التي تستقيم على ما كان عليه صلى الله عليه وآله وسلم هو وأصحابه، ومعنى التفسيرين واحد في مآلهما، والمراد منه امّة الاجابة لدعوته صلى الله عليه وآله وسلم».

وفي المنار: عن عدة عن عوف بن مالك الاشجعي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله تفترق امتي على بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة على امتي

قوم يقيسون الامور برأيهم فيحلّون الحرام ويحرمون الحلال .

أقول: ولقد استقصينا البحث في القياس وقد ثبت بلا مراء ان فرقة الشيعة الامامية الاثنى عشرية ليسوا هم أهل قياس من بين الفرق الاسلامية ، وان أهـل السنة هم أهل قياس يقيسون الامور برأيهم لا يستطيع احد الانكار عليه فراجع .

وفي (جامع الاصول ج١٠ص ٤٠٨) لابن الاثير : وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين والنصارى مثل ذلك ، وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة .

وفيه: عن صحيح الترمذي عن ابن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ليأتين على امتي مـا اتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان منهم من أتى امّه علانية ليكونن في امتي من يصنع ذلك ، وان بني اسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملّة ، وستفترق امتي على ثلاث وسبعين ملّة كلّها في النار إلا ملّة واحدة ، قالوا : مـن هي يا رسول الله ؟ قـال : من كان على ما أنا عليه وأصحابي .

وفي العمدة : لابن بطريق عن تفسير الثعلبي فـي قولـه تعالى : «ان الذين فرقوا دينهم» باسناده عن زاذان أبي عمر قال : قال لي علي عليه السلام : أبا عمر أتدرى كـم افترقت اليهود ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قـال : افترقت على إحدى وسبعين فرقة كلها فـي الهاوية إلا واحدة هي ناجية ، أتدرى على كم افترقت النصارى ؟ قلت : الله ورسوله اعلم ، قال : افترقت على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة هي الناجية ، اتدرى على كم تفترق هذه الامة ؟ قلت : الله اعلم ، قال : تفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحـدة هي الناجية ، وانت منهم يا ابا عمر وغيرها عن طريقهم تركناها للاختصار .

وامّا مـا ورد عـن طريق الشيعة الاماميّة الاثنى عشريّة فنشير إلى مـا يسعه المقام :

١ ـ في الخصال باسناده عن سليمان بن مهران عن جعفر بن محمد عـن

ابيه عن جده عن ابيه الحسين بن على بن ابيطالب عليه السلام قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : ان امة موسى عليه السلام افترقت بعده على إحدى وسبعين فرقة : فرقة منها ناجية وسبعون في النار ، وافترقت امـة عيسى عليه السلام بعـده على اثنتين وسبعين فرقة : فرقة منها ناجية وإحـدى وسبعون في النـار ، وان امتّى ستفرق بعدى على ثلاث وسبعين فرقة : فرقة منها ناجية واثنتان وسبعون في النار.

٢ ـ في معاني الاخبار باسناده عن عبدالله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : سيأتي على امتّى مـا اتى على بني إسرائيل مثل بمثل ، وانّهم تفرّقوا على إثنتين وسبعين ملّة ، وستفرق امتي على ثلاث وسبعين ملة تزيد عليهم واحدة كلها في النار غير واحدة قال : قيل : يا رسول الله وما تلك الواحدة ؟ قال: هو ما نحن عليه اليوم انا وأهل بيتى (أنا واصحابى ـ خ) .

٣ ـ في الاحتجاج : روى عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال لرأس اليهود : على كم افترقتم ؟ قال : على كذا و كذا فرقة ، فقال عليه السلام : كذبت ثم أقبل على الناس فقال : والله لو ثنيت لى الوسادة لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم ، وبين أهل الانجيل بانجيلهم ، وبين أهل القرآن بقرآنهم ، افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة سبعون منها في النار وواحدة ناجية في الجنة ، وهى التى اتبعت يوشع بن نون وصىّ موسى عليه السلام وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة إحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة ، وهى التى اتبعت شمعون وصىّ عيسى عليه السلام ، وتفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون فرقة في النار وواحدة في الجنة ، وهى التى اتبعت وصى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وضرب بيده على صدره ثم قال : ثلاث عشرة فرقة من الثلاث وسبعين فرقة كلها تنتحل مودتى وحبى واحدة منها في الجنة وهم النمط الاوسط واثنتا عشرة في النار .

٤ ـ في الكافي باسناده عن أبي خالد الكابلى عن أبي جعفر عليه السلام قال : «ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلماً لرجل هل يستويان مثلا» . قال : أما الذى فيه شركاء متشاكسون فلان الاول يجمع المتفرّقون

ولايته ، وهم في ذلك يلعن بعضهم بعضاً ، ويبرأ بعضهم من بعض فأما رجل سلم رجل فانه الاول حقاً وشيعته ثم قال : ان اليهود تفرقوا من بعد موسى عليه السلام على إحدى وسبعين فرقة منها فرقة في الجنة وسبعون فرقة في النار ، وتفرّقت النصارى بعد عيسى عليه السلام على اثنتين وسبعين فرقة ، فرقة منها في الجنة وإحدى وسبعون في النار ، وتفرقت هذه الامة بعد نبيّها صلى الله عليه وآله على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون فرقة في النار وفرقة في الجنة ومن الثلاث وسبعين فرقة ثلاث عشرة فرقة تنتحل ولايتنا ومودتنا اثنتا عشرة فرقة منها في النار وفرقة في الجنه وستون فرقه من سائر الناس في النار .

٥ ـ وفيه باسناده عن عبد الله بن المغيرة قال : قلت لابي الحسن عليه السلام : ان لي جارين أحدهما ناصب والآخر زيدي ولا بد من معاشرتهما ، فمن اعاشر ؟ فقال : هما سيّان ، من كذّب بآية من كتاب الله فقد نبذ الاسلام وراء ظهره وهو المكذب بجميع القرآن والانبياء والمرسلين ، قال : ثم قال : ان هذا نصب لك وهذا الزيدي نصب لنا .

لعل مراد الراوي بالناصب المخالف كما هو المصطلح في الاخبار ، وانهم لا يبغضون أهل البيت ولكنهم يبغضون من قال بامامتهم بخلاف الزيدية فانهم كانوا يعاندون أهل البيت ويحكمون بفسقهم لعدم خروجهم بالسيف .

٦ ـ وفيه باسناده عن عمار بن ياسر قال : بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ان الشيعة الخاصة الخالصة منا أهل البيت فقال عمر : يا رسول الله عرّفناهم حتى نعرفهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما قلت لكم الا وأنا اريد أن اخبركم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا الدليل على الله عزوجل وعليّ نصر الدين ومناره أهل البيت وهم المصابيح الذين يستضاء بهم ، فقال عمر : يا رسول الله فمن لم يكن قلبه موافقاً لهذا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما وضع القلب في ذلك الموضع الا ليوافق أو ليخالف ، فمن كان قلبه موافقاً لنا أهل البيت كان ناجياً ، ومن كان قلبه مخالفاً لنا أهل البيت كان هالكا .

قوله عليه السلام : « الشيعة الخاصة الخالصة » أى من يتابعني في جميع أقوالي وأفعالي .

٧ ـ وفيه باسناده عن سعيد بن يسار قال : استأذنا على أبي عبد الله عليه السلام أنا والحارث بن المغيرة النصرى ومنصور الصيقل فواعدنا دار طاهر مولاه فصلّينا العصر ثم رحنا إليه فوجدناه متكئاً على سرير قريب من الارض فجلسنا حوله ، ثم استوى جالساً ، ثم أرسل رجليه حتى وضع قدميه على الارض ثم قال : الحمد لله الذى ذهب الناس يميناً وشمالاً فرقة مرجئة وفرقة خوارج وفرقة قدرية وسميتم أنتم الترابية ثم قال بيمين منه : أما والله ما هو الا الله وحده لا شريك له ورسوله وآل رسوله صلوات الله عليهم وشيعتهم كرم الله وجوههم وما كان سوى ذلك فلا كان علي والله أولى الناس بالناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ـ يقولها ثلاثاً ـ .

٨ ـ في أمالي المفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن فروة الظفارى قال : سمعت سلمان رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآلـه : تفترق امتى ثلاث فرق : فرقة على الحق لا ينقص الباطل منه شيئاً يحبونني ويحبّون أهل بيتي ، مثلهم كمثل الذهب الجيّد كلما أدخلته النار فاوقدت عليه لم يزده الا جودة ، وفرقة على الباطل لا ينقص الحق منه شيئاً يبغضونني ويبغضون أهل بيتي مثلهم مثل الحديد كلما أدخلته النار فاوقدت عليه لم يزده الا شراً وفرقة مدهدهة على ملّة السامرى لا يقولون لامساس لكنهم يقولون لا قتال ، إمامهم عبدالله بن قيس الاشعرى .

قوله صلى الله عليه وآله : « مدهدهة » كناية عن إضطرابهم من الدين وتزلزلهم بشبهات المضلّين . دهدهت الحجر أى دحرجته .

٩ ـ في كشف الغمة عن الاصبغ بن نباتة عن سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : تفترق امتى بعدى ثلاث فرق : فرقة أهل حق لا يشوبونه بباطل ، مثلهم كمثل الذهب كلما فتنته بالنار ازداد جودة وطيباً وامامهم هذا ـ لأحد الثلاثة ، وهو الذى أمر الله به في كتابه « إماماً ورحمة » ، وفرقة أهل

باطل لا يشوبونه بحق مثلهم كمثل خبث الحديد كلما فتنتم بالنار ازداد خبثاً وتتناً وإمامهم هذا - لأحد الثلاثة ، وفرقة اهل ضلالة مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء امامهم هذا - لأحد الثلاثة ، قال : فسئلته عن اهل الحق وامامهم ، فقال : هذا على بن أبيطالب امام المتقين وامسك عن الاثنين فجهدت أن يسميهما فلم يفعل.

١٠ - فى أمالى المفيد : باسناده عن أبى عقيل قال : كنا عند أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام فقال : لتفرقن هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة ، والذى نفسى بيده ان الفرق كلها ضالة إلا من اتبعنى وكان من شيعتى .

١١ - فى تفسير العياشى باسناده عن ابن الصهبان البكرى قال : سمعت أميرالمؤمنين عليه السلام يقول : والذى نفسى بيدى لتفرّقن هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلّها فى النار إلا فرقة « وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون » فهذه التى تنجو من هذه الامة .

وغيرها من الروايات الواردة لا يسعها المقام .



تحقيق فى الفرقة الناجية

من بين الفرق الاسلامية

وقد ترك رسول الله صلى الله عليه وآلـه الامة المسلمة على كلمة جامعة ووحدة محكمة ، فلم تمض غير سنين معدودة حتى نشأت روح الخلاف تـدب فى المسلمين لا من الوجهة السياسية بل حدث الخلاف من الوجهة الدينية فى اصول العقائد وفروع المسائل واستحال الخلاف إلى شهوة فافترقت الامة إلى ثلاث وسبعين فرقة ، كما أخبر بذلك النبى الكريم صلى الله عليه وآله وقال : ان فرقة واحدة من تلك الفرق ناجية يعبّر عنهم بحزب الله تعالى ، والباقون فى النار يعبّر عنهم بحزب الشيطان ، فلا بد لكل من يحب النجاة أن يبحث ويجتهد فـى سبيل النجاة لينجى نفسه من الهلكة .

ومن الحرى أن يتحرّى الباحث المحقق فى مبدإ الخلاف والافتراق .

ومن الضرورة : ان الحق من القضيتين المتقابلتين فى واحدة ، ولايمكن ان تكون قضيتان متناقضتان متقابلتان على شرائع التقابل إلا وأن تقتسما الصدق والكذب ، فيكون الحق فـى إحداهما دون الاخرى ، ومـن المحال الحكم على المتخاصمين المتضادين فى أصول المعقولات بانهما محقان صادقان ، واذا كان الحق فـى كل مسئلة عقلية واحداً ، فالحق فـى جميع المسائل يجب أن يكون مـع فرقة واحدة .

قال رسول الله صلى الله عليه وآلـه : «لاتزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة» .

ومن المسلم : عند العامة والشيعة ان مبدأ التنازع والخلاف ما وقع في مرض النبي الكريم صلى الله عليه وآله كما في البخاري باسناده عن عبد الله بن عباس قال : « لمّا اشتد بالنبي صلى الله عليه وآله مرضه الذي مات فيه قال : «ائتوني بدواة وقرطاس اكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدي» فقال عمر : «ان رسول الله صلى الله عليه وآله قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله» وكثر اللغط فقال النبي صلى الله عليه وآله : « قوموا عنّي لا ينبغي عندي التنازع » قال ابن عباس : « الرزية كل الرزيّة ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله » .

أقول: الرزيّة : المصيبة .

ومن البديهي بلامراء ان الخلاف الثاني الذي وقع في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال: « جهّزوا جيش اسامة لعن الله من تخلّف عنه » فتخلّف كثير : منهم أبو بكر وعمر . . .

ومن الاتفاق : انه لما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وشاع بين الناس موته ، طاف عمر على الناس قائلا : انه لم يمت ، ولكنه غاب عنّا كما غاب موسى عن قومه ـ وفي رواية : قال عمر بن الخطاب : من قال ان محمداً قد مات قتلته بسيفي هذا ، وانّما رفع إلى السماء كما رفع عيسى عليه السلام ـ وليرجعن فليقطّعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات فجعل لا يمر بأحد يقول انه مات الا ويخبطه ويتوعّده حتى جاء ابو بكر ، فقال : أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لم يمت ثم تلا قوله تعالى : « فان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » .

فرجع القوم إلى قوله وقال عمر : « كأني ما سمعت هذه الاية حتى قرأها ابو بكر » .

وان التاريخ بين يدي الباحث المحقق يدرسه بأن كل رجل من سواد الامة المسلمة يوم ذاك كان يرى الفوز والسلامة لنفسه في عدم التحزّب بأحد من تلكم الاحزاب المتكثرة ، وعدم التفرق بفرق مختلفة ، وترك الاقتحام في تلك الثورات

النائرة ، وكانت الخواطر تهدده بالقتل مهما أبدى الخلاف والشقاق أو التحيّز إلى فئة دون فئة بعد ما رأت عيناه فرند الصارم المسلول ، وسمعت أذناه نداء محز يتوعّد بالقتل كل قائل بموت رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويقول : لا أسمع رجلا يقول : مات رسول الله الا ضربته بسيفي هذا أو يقول : من قال : انه مات علوت رأسه بسيفي وانما ارتفع إلى السماء ، يصيح من قال نفس المصطفى قبضت علوت هامته بالسيف أبرئها بعدما تشازرت الامة وتلاكمت ، وقام الشيخان يعرض كل منهما البيعة لصاحبه قبل أخذ الرأى عن أحد كأن الامر دبّر بليل ، فيقول هذا لصاحبه : ابسط يدك فلا بايعك ، ويقول آخر : بل أنت ، وكل منهما يريد أن يفتح يد صاحبه ويبايعه ، ومعهما أبو عبيدة الجرّاح حفّار القبور بالمدينة يدعو الناس إليهما والوصى الاقدس على عليه السلام والعترة الهادية وبنو هاشم الهاهم النبى الكريم صلى الله عليه واله وهو مسبّحى بين يديهم وقد اغلق دونه الباب اهله ، وخلّى اصحابه صلى الله عليه واله بينه وبين اهله فولّوا إجنانه ومكث ثلاثة ايام لايدفن او من يوم الاثنين إلى يوم الاربعاء اوليلته فدفنه اهله ولم يله الا اقاربه دفنوه فى الليل او فى آخره ولم يعلم به القوم الابعد سماع صريف المساحى وهم فى بيوتهم من جوف الليل ولم يشهد الشيخان دفنه صلى الله عليه واله بعد ما راى الرجل عمر بن الخطاب محتجراً يهرول بين يدى ابى بكر وقد نبرحتى ازبد شدقاه .

بعد ما قرعت سمعه عقيرة صحابى بدرى عظيم ـ الحباب بن المنذر ـ وقد انتضى سيفه على ابى بكر ويقول : والله لا يرد علىّ احد ما اقول الاحطمت انفه بالسيف ، انا جذيلها المحك وعذيقها المرجب ، انا ابو شبل فى عرينة الاسد يعزى إلى الاسد فيقال عليه : إذن يقتلك الله فيقول : بل اياك يقتل او : بل اراك تقتل فاخذ و وطىء فى بطنه ودس فى فيه التراب .

بعد ما شاهد ثالثاً يخالف البيعة لابى بكر وينادى : اما والله ارميكم بكل سهم فى كنانتى من نبل ، واخضب منكم سنانى ورمحى ، واضربكم بسيفى ما

ملكته يدي واقاتلكم مع من معي من اهلي وعشيرتي.

بعد ما راى رابعاً يتذمّر على البيعة ، ويشب نار الحرب بقوله : اني لارى عجاجة لايطفئها إلا دم .

بعد ما نظر إلى مثل سعد بن عبادة امير الخزرج وقد وقع في ورطة الهون ينزى عليه ، وينادى عليه بغضب : اقتلوا سعداً ، قتله الله انّه منافـق او صاحـب فتنة ، وقد قام الرجل على راسه ، ويقول : لقد هممت ان اطأك حتى تندر عضوك أو تندر عيونك .

بعد ما شاهد قيس بن سعد قد أخذ بلحية عمر قائلاً : والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة او لو خفضت منه شعرة ما رجعت وفيه جارحة .

بعد ما عاين الزبير وقد اخترط سيفه ويقول : لا أغمده حتى يبايع علىٌّ فيقول عمر : عليكم الكلب فيوخذ سيفه من يده ويضرب به الحجر ويكسر .

بعد ما بصر مقداداً ذلك الرجل العظيم وهو يدافع في صدره أو نظر إلى الحباب بن المنذر وهو يحطّم أنفه ، وتضرب يده أو إلى اللائذين بدار النبوة ، مأمن النبوة ، وبيت شرفها ، بيت فاطمة وعلى سلام الله عليهما وقد لحقهم الارهاب والترعيد ، وبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب وقال له : إن أبوا فقاتلهم فأقبل عمر بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار فلقيته فاطمة فقالت : يابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا ؟ قال : نعم أو تدخلوا فيما دخل فيه الأمة .

بعد ما رأى هجوم رجال الحزب الشيطاني دار أهل بيت الوحي و كشف بيت فاطمة وقد علت عقيرة قائدهم بعد ما دعا بالحطب : والله لتحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة (أو لتخرجن إلى البيعة او لاحرقنّها على من فيها) فيقال للرجل : ان فيها فاطمة فيقول : وإن . . .

بعد ما سمع أنه وحنّة من حزينة كئيبة ـ بضعة المصطفى ـ وقد خرجت عن خدرها وهي تبكي وتنادى بأعلى صوتها : يا أبت يا رسول الله ! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة ؟ بعد ما رأها وهي تصرخ وتولول ، ومعها

نسوة من الهاشميات تنادى : يا أبابكر ما أسرع ماأغرتم على أهل بيت رسول الله والله لا أكلّم عمر حتى ألقى الله .

بعد ما شاهد هيكل القداسة والعظمة - أمير المؤمنين عليه السلام - يقاد إلى البيعة ويدفع ويساق سوقاً عنيفاً واجتمع الناس ينظرون ويقال له : بايع فيقول : إن أنا لم أفعل فمه ؟ فيقال : إذن والله الذى لا إله إلا هو نضرب عنقك ، فيقول: إذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله .

بعد ماراى صنو المصطفى علياً لاذ بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصيح ويبكى ، ويقول : يا ابن ام ! ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى .

بعد نداء أبى عبيدة الجراح لعلى عليه السلام يوم سيق إلى البيعة : يابن عمّ انك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالامور ولا أرى أبابكر الا أقوى على هذا الامر منك واشد احتمالا واستطلالا ، فسلّم لابى بكر هذا الأمر فانك إن تعش ويطل بك بقاء ، فأنت لهذا الامر خليق وحقيق فى فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك .

بعد رفع الانصار عقيرتهم فى ذلك اليوم العصبصب بقولهم : لا نبايع الا علياً وبعد صياح بدريّهم : منا امير ومنكم امير وقول عمر له : إذ كان ذلك فمت إن استطعت .

بعد قول ابى بكر للانصار : نحن الأمراء وانتم الوزراء ، وهذا الامر بيننا وبينكم نصفان كشف الابلمة .

وهذا هيمن الرعب والارهاب على العاصمة الاسلامية - المدينة المنورة - وقد علاها الهتاف من كل حدب وصوب تملأ فضاءها نعرات الجاهلية الاولى ، وعلى جوها الهوس والهياج والحوار قائم على قدم وساق ، وتكلّم الرجال ، وتشاتموا وتلاكموا و كل يرشّح نفسه للخلافة الاسلامية ، او يريد عقدهـا لمن يهواه ، وللاهواء والشهوات دورها وللآراء الاستبدادية حكومتها ، وللتهديد والضرب والشتم سيطرته على النفوس ، وبدا التحارش بين المهاجرين والانصار و :

مدت لها الاوس كفاً كي تناولها فمدت الخزرج الايدى تباريها
وظنّ كل فريق انّ صاحبه اولى بها واتى الشحناء آتيها

بمثل هذا الهوس والهياج وفي ظل الارهاب والترعيد والتهديد والسحل والضرب والشتم وبيعة رجل او رجلين تمت الخلافة الاسلامية وانعقدت البيعة لمن لم يكن بخير من احد من المسلمين ، وكان يجهر بذلك بقوله :

« ولّيت عليكم ولست بخير كم » .

وقوله : « اقيلوني اقيلوني لست بخير كم » .

وقوله : « انما انا بشر ولست بخير من احد منكم فراعوني » .

وفي كتاب (الفرق بين الفرق) لابي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي المتوفى سنة (٤٢٩) من اعلام العامة ما لفظه :

« كان المسلمون عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله على منهاج واحد في اصول الدين وفروعه عن من اظهر وفاقاً واضمر نفاقاً واول خلاف وقع منهم اختلافهم في موت النبي صلى الله عليه وآله فزعم قوم منهم انه لم يمت ، وانما اراد الله تعالى رفعه إليه كما رفع عيسى بن مريم إليه » .

تحقيق فى الفرق الثالثة والسبعين

من الامة الاسلامية

وقد صحّت رواية افتراق الامة المسلمة على ثلاث وسبعين فرقة عن الطريقين، فتلجلج بعض المفسرين كالفخر الرازى فى تفسيره والمغنية فى تفسير الكاشف غير وجيه، وقد كتب فى الرواية كتب:

منها: (فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة) للغزالى.

ومنها: (الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة) لابى محمد عثمان بن عبدالله بن الحسن العراقى.

ومنها: (معرفة المذاهب) للغزالى.

ومنها: (الفصل فى الملل والاهواء والنحل) لابن حزم الاندلسى.

ومنها: (الفرق بين الفرق) لابى منصور عبد القادر البغدادى.

ومنها: (درر الخطط) للمقريزى وغيرهم.

وقدأشار اليها الباحثون: منهم الشهرستانى فى(الملل والنحل) ومير سيد شريف الجرجانى فى (شرح المواقف).

ولعمرى لا يخلو أكثر الكتب من العصبية الجهلاء، وبعضها الاخر من الاختلاط والنقص فى التحقيق والتطبيق.

فعلينا البحث والتحقيق بعين الانصاف من غير حميّة جاهلية ونورد البحث على طريق التهجّى:

١ - **الفرقة الاشعرية:** وهم أصحاب أبى الحسن على بن اسمعيل الاشعرى -

توفي أبو الحسن (سنة ٣٢٤) ـ المنتسب إلى أبي موسى الاشعري .

في الملل والنحل : « ومن مذهب الاشعري : انّ كل موجود يصح أن يرى فان المصحح للرؤية انما هو الوجود والباري تعالى موجود ، فيصح أن يرى ، وقد ورد السمع بأن المؤمنين يرونه في الاخرة » .

ومن مذهبه: ان الايمان : هو التصديق بالجنان ، وأمّا القول باللسان والعمل بالاركان ففروعه ، فمن صدق بالقلب أي أقر بوحدانية الله تعالى ، واعترف بالرسل تصديقاً لهم فيما جاؤا به من عند الله بالقلب صح ايمانه حتى لو مات عليه في الحال كان مؤمناً ناجياً .

ومن مذهبه : انه لو تاب العبد فلا يجب على الله قبول توبته بحكم العقل اذ هو الموجب ، فلا يجب عليه شيء فلو أدخل الخلائق بأجمعهم الجنة لم يكن حيفاً ولو أدخلهم النار لم يكن جوراً إذ الظلم هو التصرف فيما لا يملكه المتصرف أو وضع الشيء في غير موضعه وهو المالك المطلق ، فلا يتصور منه ظلم ولا ينسب إليه جور .

ومن مذهبه : ان الواجبات كلها سمعية والعقل لا يوجب شيئاً ولا يقتضي تحسيناً ولا تقبيحاً .

وكذلك شكر المنعم واثابة المطيع وعقاب العاصي يجب بالسمع دون العقل ولا يجب على الله شيء ما بالعقل ، لا الصلاح ولا الاصلح ولا اللطف ، وكل ما يقتضيه العقل من جهة الحكمة الموجبة ، فيقتضي نقيضه من وجه آخر ، وانبعاث الرسل من القضايا الجائزة لا الواجبة ولا المستحيلة .

ومن مذهبه: ان الايمان والطاعة بتوفيق الله والكفر والمعصية بخذلانه والتوفيق : هو خلق القدرة على الطاعة والخذلان : هو خلق القدرة على المعصية :

ومن مذهبه : ان الامامة تثبت بالاتفاق والاختيار دون النص والتعيين .

أقول: وفساد ذلك كله ظاهر بالكتاب والسنة فصّل في خلال البحث المذهبي في هذا التفسير .

وفي البحار: وأما معنى الجبر فهو ما ذهبت إليه الاشاعرة من أن الله تعالى أجرى الاعمال على ايدي العباد من غير قدرة مؤثرة لهم فيها وعذبهم عليها.

قال الفخر في (تفسيره ج ٢٦ ص ١٤٠) في قوله تعالى: «ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين» الصافات: ٥٧) احتج اصحابنا ـ الاشاعرة ـ على ان الهدى والضلال من الله.

وقال في (تفسيره ج ١٤ ص ١٧٨) في قوله: «وما يكون لنا أن نعود»: ان أصحابنا يتمسكون به على ان الله تعالى قد يشاء الكفر.

وقال في (تفسيره ج ١٣ ص ٢٠٦) كل ما فعله المشركون فهو بمشيئة الله.

وفي الملل والنحل: للشهرستاني قال: الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى والجبرية أصناف: فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا والجبرية المتوسطة هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا فاما من اثبت للقدرة الحادثة أثراً ما في الفعل وسمي ذلك كسباً فليس بجبري.

والمعتزلة يسمّون من لم يثبت للقدرة الحادثة أثراً في الابداع والاحداث استقلالا جبرياً ويلزمهم أن يسمّوا من قال من أصحابهم بان المتولدات أفعال لا فاعل لها جبرياً اذ لم يثبتوا للقدرة الحادثة فيها أثراً والمصنفون في المقالات عدوّا النجارية والضرارية من الجبرية، وكذلك جماعة الكلابية من الصفاتية والاشعرية سموهم تارة حشوية وتارة جبرية.

أقول: ان الجبرية تقول: ليس للانسان في حركاته وسكناته اختيار اذ لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

ومن مذهب الاشاعرة: ان الافعال غير معلّلة باغراض.

٢ ـ الفرقة الاسمعيلية: وهم أصحاب اسمعيل بن جعفر الصادق عليه السلام وقالوا ان الامام بعد جعفر بن محمد عليه السلام ابنه اسمعيل الا انهم اختلفوا في موته في حال حياة أبيه فمنهم من قال: لم يمت الا انه أظهر موته تقية من خلفاء بني العباس

ومنهم من قال : انـه مات ، فالامام بعد اسمعيل : ابنه محمد بن اسمعيل وهـولاء يقال لهم المبار كيـّة ، ثم منهم مـن وقف على محمد بن اسمعيل وقـال برجعته بعد غيبته فان السبع التام تم دور السبعة به .

ثم ابتدىء منه بالائمة المستورين الذين كانوا يسيرون فى البلاد سراً ويظهرون الدعاة جهراً وقالوا : لن تخلو الارض قط من امام حى قائم ، إما ظاهر مكشوف وإما باطن مستور ، فاذا كان الامام ظاهراً جاز أن يكون حجته مستوراً وإذا كان الامام مستوراً ، فلابد أن يكون حجته ودعاته ظاهرين .

وقالوا : ان الائمة تدور أحكامهم على سبعة سبعة كأيام الاسبوع والسموات السبع والكواكب السبعة ، فبذلك سموا بالسبعيـّة ، ولهم ألقاب بالعراق أشهرها الباطنية لحكمهم بان لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلا ، ويسمـّون بالقرامطة لان أولهم حمدان القرمط وبالمزدكية وبالبابكية إذ تبع طائفة منهم بابك الحزمى.

وكانوا يسمـّون بخراسان : التعليمية لانهم يقولون : نحن نحتاج فى معرفة الله إلى معلم صادق ، ويجب تعيينه وتشخيصه اولا ثم التعلم منه .

وسمـّيت فرقة منهم : الملحدة لانهم كانوا يأخذون فـى كل علم من معلّم وغير معلّم .

ثم ان الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كـلام الفلاسفة ، وصنفوا كتبهم على هـذا المنهاج فقـالوا فى البارى تعالى : انا نقول : هـو موجود ولا لاموجود ولا عالـم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجـز وانه ليس بقديم ولا محدث بل القديم أمره وكلمته والمحدث : خلقه وفطرته ، فقالوا : ان الاثبات الحقيقى يقتضى شركة بينه وبين سائر الموجودات فـى الجهة التى اطلقنا عليه ، وذلك تشبيه فلم يكن الحكم بـالاثبات المطلق والنفى المطلق ، بل هو إلـه المتقابلين وخالـق المتخاصمين والحاكم بين المتضادين .

فقيل فيهم : انهم نفاة الصفات حقيقة معطلة الذات عن جميع الصفات .

فى ارشاد المفيد رضوان الله تعـالى عليه : كان لابى عبد الله عليه السلام عشرة

اولاد : اسمعيل وعبد الله وام فروة ، امّهم فاطمة بنت الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبيطالب وموسى عليه السلام وإسحق ، ومحمد لأم ولد والعباس وعلي وأسماء وفاطمة لأمّهات اولاد شتّى وكان اسمعيل أكبر إخوته ، وكان أبو عبد الله عليه السلام شديد المحبّة له ، والبرّ به والاشفاق عليه ، وكان قوم من الشيعة ، يظنّون انه القائم بعد ابيه ، والخليفة له من بعده ، إذ كان اكبر إخوته سنّاً ولميل ابيه إليه وإكرامه له ، فمات في حياة ابيه عليه السلام بالعريض - تصغير عرض : واد بالمدينة - وحمل على رقاب الرجال إلى ابيه بالمدينة ، حتى دفن بالبقيع .

وفيه : وروى ان ابا عبد الله عليه السلام جزع عليه جزعاً شديداً ، وحزن عليه حزناً عظيماً ، وتقدم سريره بغير حذاء ولا رداء وامر بوضع سريره على الارض مراراً كثيرة ، وكان يكشف عن وجهه وينظر إليه يريد بذلك تحقيق امر وفاته عند الظانين خلافته له من بعده وإزالة الشبهة عنه في حياته .

ولما مات اسمعيل رحمة الله عليه إنصرف عن القول بامامته بعد ابيه من كان يظن ذلك ويعتقده من اصحاب ابيه عليه السلام واقام على حياته شرذمة لم تكن من خاصّة ابيه ولا من الرواة عنه وكانوا من الاباعد والاطراف ، فلما مات الصادق عليه السلام انتقل فريق منهم إلى القول بامامة موسى بن جعفر عليه السلام بعد ابيه ، وافترق الباقون فرقتين : فريق منهم رجعوا على حياة اسمعيل وقالوا : بامامة ابنه محمد بن اسمعيل لظنّهم ان الامامة كانت في أبيه ، وأن الابن أحق بمقام الامامة من الاخ ، وفريق ثبتوا على حياة اسمعيل وهم اليوم شذاذ لايعرف منهم أحد يؤمى إليه ، وهذان الفريقان يسميان بالاسماعلية ، والمعروف منهم الان من يزعم ان الامامة بعد اسماعيل في ولده و ولد ولده إلى آخر الزمان .

٣ - **الفرقة الافطحية** : وهم الذين قالوا بانتقال الامامة من جعفر الصادق عليه السلام إلى ابنه عبد الله الافطح ، وهو ما عاش بعد أبيه إلا سبعين يوماً ، ومات ولم يعقب ولداً ذكراً .

وفي ارشاد المفيد : وكان عبد الله بن جعفر اكبر إخوته بعد اسمعيل ولم

يكن منزلته عند ابيه منزلة غيره من ولده في الاكرام، وكان متّهماً بالخلاف على ابيه في الاعتقاد، فيقال انّه كان يخالط الحشوية، ويميل إلى مذاهب المرجئة وادعى بعد ابيه الامامة، واحتج بأنه اكبر إخوته الباقين، فتابعه على قوله جماعة من اصحاب ابي عبدالله عليه السلام، ثمّ رجع اكثرهم بعد ذلك إلى القول بامامة اخيه موسى عليه السلام لمّا تبيّنوا ضعف دعواه، وقوّة امر ابي الحسن، ودلالة حقيقته، وبراهين امامته، واقام نفر يسير منهم على امرهم، ودانوا بامامة عبد الله، وهم الطائفة الملقّبة بالفطحية، وانّما لزمهم هذا اللقب لقولهم بامامة عبد الله، وكان افطح الرجلين ويقال: انهم لقّبوا بذلك لان داعيهم إلى امامة عبد الله كان يقال له عبد الله بن افطح.

وفي الخرائج والجرائح: روى عن المفضّل بن عمر قال: لمّا قضى الصادق عليه السلام كانت وصيته في الامامة إلى موسى الكاظم فادّعى اخوه عبدالله الامامة وكان اكبر ولد جعفر عليه السلام في وقته ذلك، وهو المعروف بالافطح، فأمر موسى بجمع حطب كثير في وسط داره فأرسل إلى اخيه عبدالله يسئله ان يصير إليه، فلما صار عنده ومع موسى جماعة من وجوه الاماميّة، فلمّا جلس إليه اخوه عبد الله امر موسى ان يجعل النار في ذلك الحطب كله، فاحترق كلّه، ولا يعلم الناس السبب فيه، حتى صار الحطب كله جمراً ثم قام موسى وجلس بثيابه في وسط النار واقبل يحدث الناس ساعة، ثم قام فنفض ثوبه ورجع إلى المجلس، فقال لاخيه عبد الله: إن كنت تزعم انك الامام بعد ابيك فاجلس في ذلك المجلس، فقالوا: فرأينا عبد الله قد تغيّر لونه، فقام يجر ردائه حتى خرج من دار موسى عليه السلام.

٤ - **الفرقة الاباضية**: هم أصحاب عبد الله بن إباض - من بني مرّة بن عبيد بن تميم - خرج في ايام دولة بني امية، فوجه إليه عبدالله بن محمد بن عطية فقاتله بتبالة - بلدة بأرض تهامة في الطريق إلى صنعاء - وقيل: ان عبد الله بن يحيى الاباضي كان رفيقاً له في جميع أحواله وأقواله قال: ان مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين ومنا كحتهم جائزة وموارثتهم حلال وغنيمة أموالهم من

السلاح والكراع عند الحرب حلال وما سواه حرام.

وان الاباضية يقولون: لا نشهد على أحد بالايمان ولا بالكفر ولكن نشهد على الناس كلهم بالنفاق وقالوا:

اذا ما أخبرتهم لبيب فـانى قـد اكلهم وداقاً
فلـم أر ودّهم إلا خداعاً ولم أر دينهم إلا نفاقاً

وهم كفروا علياً عليه السلام وأكثر الصحابة.

ويقولون: ان الاستطاعة قبل الفعل وفعـل العبد مخلوق لله تعالى احداثاً وابداعاً وهم جماعة متفرقون فى مذاهبهم تفرّق الثعالبة والعجاردة.

٥ـ الفرقة الازارقة: وهم طائفة من الخوارج من أصحاب أبى راشد نافع ابن الازرق الذين خرجوا مع نافع من البصرة إلى الاهواز، فغلبوا عليها وعلى كورها وما ورائها من بلدان فارس وكرمان فى أيام عبدالله بن الزبير وقتلوا عماله بهذه النواحي.

وكان مع نافع امراء الخوارج كعطية بن الاسود الحنفى وعبدالله بن الماحوز واخواه عثمان والزبير وغيرهم فى زهاء ثلاثين ألف فارس ممن يرى رأيهم وينخرط فى سلكهم، ومات نافع سنة (٦٠) وبايعوا بعده قطرى بن الفجاءة المازنى وسمّوه أمير المؤمنين وللازارقة بدع كثيرة:

منها: انه كفر على بن أبيطالب عليه السلام وصوّب ابن ملجم لعنه الله تعالى وقال عمران بن حطان، وهـو مفتى الخوارج وشاعرهـا فى ضربة ابن ملجم لعنه الله لعلى عليه السلام:

يا ضربة من منيب ما أراد بها إلا ليبلغ من ذى العرش رضواناً
انى لأذكره يومـاً فأحسبه أو فـى البريـة عنـد الله ميزاناً

وعلى هذه البدعة مضت الازارقة ـ وزادوا عليه تكفير عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس وسائر المسلمين معهم وتخليدهم جميعاً فى النار.

ومنها: اباحة قتل أطفال المخالفين والنسوان معهم.

ومنها : اسقاط الرجم عن الزاني وإسقاط حدّ القذف عمن قذف المحصنين من الرجال مع وجوب الحد على قاذف المحصنات من النساء .

ومنها : تجويزه أن يبعث الله تعالى نبياً يعلم انه يكفر بعد نبوته أو كان كافراً قبل البعثة وغير ذلك من الاباطيل والبدع .

٦ ـ الفرقة البترية : هم أصحاب كثير النوا ، والحسن بن صالح بن حيّ ، وسالم بن أبي حفصة ، والحكم بن عتبة ، وسلمة بن كهيل ، وأبي المقدام ثابت الحداد وهم الذين دعوا إلى ولاية علي عليه‌السلام ثم خلطوها بولاية أبي بكر وعمر ويثبتون لهما إمامتهما ، ويبغضون عثمان وطلحة والزبير وعائشة ويرون الخروج مع بطون ولد علي بن أبيطالب عليه‌السلام يذهبون في ذلك إلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويثبتون لكل من خرج من ولد علي بن أبيطالب عليه‌السلام عند خروجه الامامة .

في رجال الكشي : باسناده عن سدير قال : دخلت على ابي جعفر عليه‌السلام ومعي سلمة بن كهيل وأبو المقدام ثابت الحداد وسالم بن أبي حفصة وكثير النوا وجماعة معهم وعندابي جعفر عليه‌السلام أخوه زيد بن علي عليه‌السلام فقالوا لابي جعفر عليه‌السلام : نتولى علياً وحسناً وحسيناً ونتبرأ من اعدائهم ، قال : نعم قالوا : نتولّى ابا بكر وعمر ونتبرأ من اعدائهم ، قال : فالتفت إليهم زيد بن علي ، وقال لهم : اتتبرؤن من فاطمة ؟ بترتم امرنا بتركم الله ، فيومئذ سمّوا البتريّة .

وفيه : باسناده عن سعد الجلاب عن ابي عبدالله عليه‌السلام قال : لو ان البتريّة صف واحد ما بين المشرق إلى المغرب ما اعز الله بهم ديناً .

وفي دلائل الامامة : للطبري باسناده عن عمارة بن زيد الواقدي قال : حج هشام بن عبدالملك بن مروان سنة من السنين وكان قد حج في تلك السنة محمد ابن علي الباقر وابنه جعفر بن محمد في بعض كلامه :

الحمد لله الذي بعث محمداً بالحق نبيّاً ، واكرمنا به ، فنحن صفوة الله على خلقه ، وخيرته من عباده ، فالسعيد من اتّبعنا ، والشقي من عادانا وخالفنا ، ومن

الناس من يقول : انه يتولانا وهو يوالي أعدائنا ومن يليهم من جلسائهم وأصحابهم أعداؤنا فهو لم يسمع كلام ربّنا ولم يعمل به .

٧ ـ الفرقة البشرية : هم أصحاب بشر بن المعتمر من جملة المعتزلة ـ وتوفى بشر سنة ٢٢٦ ـ ، وهو الذى أحدث القول بالتولّد وأفرط فيه إذ زعم ان اللون والطعم والرائحة والادراكات كلها من السمع والرؤية يجوز أن تحصل متولدة من فعل العبد اذا كان أسبابها من فعله ، وانّما أخذ هذا من الطبيعيين .

ومن مذهبه : ان ارادة الله غير الله ، والارادة على ضربين : ارادة وصف بها وهي فعل من فعله وارادة وصف بها فى ذاته وان ارادته الموصوف بها فى ذاته غير لاحقة بمعاصي خلقه ، وجوّز وقوعها في سائر الاشياء .

ومن مذهبه : ان الله تعالى قادر على تعذيب الطفل ، ولو فعل ذلك كان ظالماً اياه الا انه لا يستحسن أن يقال ذلك فى حقه بل لو فعل ذلك لكان الطفل بالغاً عاقلا عاصياً بمعصية ارتكبها مستحقاً للعقاب .

وهذا كلام متناقض .

ومن مذهبه : ان لله لطفاً لاغاية له ما هو أصلح فما فعل ولم يفعله ولو فعله بالخلق لآمنوا طوعاً لا كرهاً .

ومن مذهبه : انه من تاب عن كبيرة ثم راجعها عاد استحقاقه العقوبة الاولى فانه قبل توبته بشرط ان لا يعود .

٨ ـ الفرقة البدعية : وهم أصحاب يحيى بن أصدم ابدعوا القول بان نقطع على انفسنا بأن من اعتقد اعتقادنا فهو من اهل الجنة ، ولا نقول : إن شاء الله فان ذلك شك في الاعتقاد ، ومن قال : انا مؤمن إن شاء الله فهو شاك فنحن من اهل الجنة قطعاً من غير شك .

٩ ـ الفرقة البنانية : هم أصحاب بنان بن سمعان التميمي قالوا بانتقال الامامة من أبى هاشم إليه وهو من الغلاة القائلين بالاهيّة أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام .

قال بنان بن سمعان : دخل فى على عليه السلام جزء إلهى واتحد بجسده فيه ثم ادّعى بنان انه قد انتقل إليه الجزء الالهى بنوع من التناسخ ولذلك استحق أن يكون اماماً وخليفة ، وذلك الجزء هو الذى استحق به آدم سجود الملائكة .

وزعم ان الله تعالى على صورة الانسان عضواً فعضوا جزؤاً فجزؤاً ، وقال : يهلك كله الا وجهه لقوله تعالى : « كل شيء هالك إلا وجهه » وكتب إلى محمد ابن على بن الحسين الباقر عليه السلام ودعاه إلى نفسه وفى كتابه : « أسلم تسلم وترتق من سلم فانك لاتدرى حيث يجعل الله النبوة » فأمر الباقر عليه السلام أن يأكل الرسول قرطاسه الذى جاء به . وقد اجتمعت طائفة على بنان ابن سمعان ودانوا بمذهبه فقتله خالد بن عبد الله القسرى على ذلك ، وقيل : أحرقه والكوفى المعروف بالمعروف بن سعد بالنار معاً .

١٠ ـ الفرقة البيهسية : هم أتباع أبى بيهس الهيصم بن جابر ، وهو أحد بنى سعد بن ضبيعة ، وقد كان الحجاج طلبه أيام الوليد إلى المدينة فطلبه بها عثمان بن حيان المزنى فظفر به وحبسه وكان يسامره إلى أن ورد كتاب الوليد بان يقطع يديه ورجليه ثم يقتله ففعل به ذلك .

وهم على طوائف : منهم العونية وأصحاب السئوال واصحاب التفسير ، ومنهم من وافق القدرية فى القدر فقالوا : ان الله فوّض إلى العباد ، فليس لله فى اعمال العباد مشيئة .

١١ ـ الفرقة الثوبانية : هم اصحاب ابى ثوبان المرجيء وهذه الفرقة عند اهل السنة والجماعة اكفر اصناف المرجئة ، لانّها جمعت بين ضلالتى القدر والارجاء .

١٢ ـ الفرقة الثمامية : هم اصحاب ثمامة بن اشرس النميرى ـ توفى سنة ٢١٣ ـ وكان هو زعيم القدرية فى زمن المأمون والمعتصم والواثق ، وقيل : هو الذى اغوى المأمون فدعاه إلى الاعتزال ، وكان عنده بمكان ، وله مذاهب وبدع :

منها : ان المعارف ضرورية فمن لم يضطره الله إلى معرفته لم يكن مأموراً

بالمعرفة ولا منهياً عن الكفر ، فخلق هذا الانسان للسخرة والاعتبار ، فحسب كسائر الحيوانات التى ليست بمكلّفة .

ومنها : ان الافعال المتولدة لا فاعل لها اذ لا يمكن اضافتها إلى فاعل اسبابها حتى يلزمه ان يضيف الفعل إلى ميت مثل ما اذا فعل السبب ومات ووجد المتولد بعده ، ولا يمكن إضافتها إلى الله لانه يؤدّى إلى فعل القبيح وذلك محال فالافعال المتولدة لا فاعل لها .

أقول : ومن غيرخفى على القارىء الخبير : ان هذه الضلالة تجرّ إلى انكار صانع العالم اذ لو صح وجود فعل بلا فاعل لصح وجود كل فاعل بلا فاعل ، فلا يكون حينئذ فى الافعال دلالة على فاعلها ، فلا يدل حدوث العالم على صانعه ، وتجرّ إلى فساد كثير اخرى . . .

ومنها : ان الكفار والمشركين كلهم والبهائم والطيور واطفال المؤمنين يصيرون يوم القيامة تراباً .

١٣ ـ الفرقة الثعالبة : وهم أتباع ثعلبة بن عامر من فرق الخوارج وهم يقولون : انّ الله منشىء أعمال العباد ساعة ساعة ، وما خلق القضاء والقدر ، ويقولون : انّا على ولاية الصغار : صغاراً و كباراً حتى نرى منهم انكاراً للحق ورضاً بالجور ، وتفرّغت من هذه الفرقة سبع فرق :

١٤ ـ الفرقة الاخنسية : وهم أصحاب أخنس بن قيس ، وقالوا : ان الاقلام جارية على العباد ما داموا أحياء ، فاذا ماتوا جفّت الاقلام عليهم ، وهم من جملة الثعالبة .

وأنكروا قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : «من سن سنّة حسنة يعمل بها بعد موته ، فله أجرها ومثل أجر من عمل بها ، ومن سن بدعة سيئة فعليها وزرها ومثل وزر من اتبعها» .

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم : «اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا عن ثلاث : ولد صالح يدعو به وعلم ينتفع به وصدقة جارية» وهم على اصول الخوارج فى سائر المسائل .

١٥ ـ الفرقة الرشيدية : وهم أصحاب رشيد الطوسي ، ويقال لهم : العشرية وأصلهم ان الثعالبة كانوا يوجبون فيما سقي بالانهار ، والقني نصف العشر ، فاخبرهم زياد بن عبدالرحمن أن فيه العشر ، ولا تجوز البراءة ممن قال فيه نصف العشر قبل هذا ، فقال رشيد : ان لم تجز البراءة منهم فانّا نعمل بما عملوا ، فافترقوا في ذلك فرقتين .

١٦ ـ الفرقة الشيبانية : وهم أتباع شيبان بن سلمة الخارج في أيام أبي مسلم الخراساني ـ مؤسس الدولة العباسية ـ وهو المعين له ولعلي بن الكرماني على نصر بن سيار وكان من الثعالبة فلما أعانهما برئت منه الخوارج ، فلما قتل شيبان ـ قتله المنصور سنة ١٦٨ ـ ذكر قوم توبته ، فقالت الثعالبة : لا تصح توبته لانه قتل الموافقين لنا في المذهب ، وأخذ أموالهم ، ولا تقبل توبة من قتل مسلماً وأخذ ماله الا بان يقتص من نفسه ويرد الاموال أو يوهب له ذلك .

ومن مذهب شيبان انه قال بالجبر ووافق جهم بن صفوان في الجبر ونفي القدرة الحادثة ، وينقل عن زياد بن عبدالرحمن الشيباني أبي خالد أنه قال : ان الله تعالى لم يعلَم حتى خلق لنفسه علماً وان الاشياء انما تصير معلومة له عند حدوثها ووجودها ، ونقل عنه انه تبرأ من شيبان ، وأكفره حين نصر الرجلين ، فوقعت عامة الشيبانية بجرجان ونسا ، وأرمينية والذي تولى شيبان وقال بتوبته : عطية الجرجاني وأصحابه .

١٧ ـ الفرقة المعبدية : أتباع معبد بن عبدالرحمن كان من جملة الثعالبة خالف الاخنس في الخطاء الذي وقع له في تزويج المسلمات من مشرك ، وخالف ثعلبة فيما حكم من أخذ الزكاة من عبيدهم وقال : اني لأبرأ منه بذلك ولا أدع اجتهادي في خلافه وجوزوا أن تصير سهام الصدقة سهماً واحداً في حال التقية .

١٨ ـ الفرقة المكرمية : أتباع مكرم بن عبد الله العجلي كان من جملة الثعالبة وتفرّد عنهم بأن قال : تارك الصلاة كافر لا من أجل ترك الصلاة ولكن من أجل جهله بالله تعالى ، وطرد هذا في كل كبيرة يرتكبها الانسان ، وقال : انما

يكفر لجهله بالله تعالى ، وذلك ان العارف بوحدانية الله تعالى وانه المطلع على سره وعلانيته ، المجازى على طاعته ومعصيته أن يتصور منه الاقدام على المعصية والاجتراء على المخالفة ما لم يغفل عن هذه المعرفة ، ولا يبالى بالتكليف منه ، وعن هذا قال النبى ﷺ : «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن» .

وخالفوا الثعالبة فى هذا القول وقالوا : بايمان الموافاة ، والحكم بأن الله تعالى انما يتولى عباده ، ويعاديهم على ما هم صائرون إليه من موافاة الموت ، لا على أعمالهم التى هم فيها ، فان ذلك ليس بموثوق به إصراراً عليه ما لم يصل المرء إلى آخر عمره ونهاية اجله ، فحينئذ إن بقى على مايعتقده فذلك هو الايمان فنواليه وإن لم يبق فنعاديه ، وكذلك فى حق الله تعالى : حكم الموالاة والمعاداة على ما علم منه حال الموافاة ، وكلهم على هذا القول .

١٩ ـ الفرقة المعلومية والمجهولية : كانوا فى الاصل حازمية الا إن المعلومية قالت : من لم يعرف الله تعالى بجميع أسمائه وصفاته ، فهو جاهل به حتى يصير عالماً بجميع ذلك فيكون مؤمناً وقالت : الاستطاعة مع الفعل ، والفعل مخلوق للعبد ، فبرئت منهم الحازمية .

واما المجهولية فانهم قالوا : من علم بعض أسماء الله تعالى وصفاته وجهل بعضها ، فقد عرفه تعالى ، وقالت : ان أفعال العباد مخلوقة لله تعالى .

٢٠ـ الفرقة الجلامدة : وهم طائفة تقول : اشتبه علينا أمر الصحابة واصلاح الامة لا يكون الا بالامام وان الامام من يرضاه وجوه الناس صالحاً كان أوفاسقاً .

٢١ ـ الفرقة الجاحظية : همأصحاب عمرو بن بحرأبى عثمان الجاحظ وكان هو فى ايام المعتصم والمتوكل وهو من فضلاء المعتزلة ومصنفيه ، ومذهبه مذهب الفلاسفة الا ان ميله وميل أصحابه إلى الطبيعيين منهم أكثر منه إلى الالهين .

وله مذاهب :

منها : ان المعارف كلها ضرورية طباع وليس شيء من ذلك من أفعال العباد

وليس للعبد كسب سوى الارادة وتحصل أفعاله منه طباعاً .

ومنها : ان أهل النار لا يخلدون فيها عذاباً بل يصيرون إلى طبيعة النار وان النار تجذب أهلها إلى نفسها من غير أن يدخل فيها أحد .

ومذهبه : مذهب الفلاسفة فى نفى الصفات ومذهب المعتزلة فى اثبات القدر خيره وشره من العبد .

٢٢ ـ الفرقة الجبائية : هم أصحاب أبى على محمد بن عبد الوهاب الجبائى ـ توفى سنة ٢٩٥ ـ وهو من معتزلة البصرة ، واتباع أبى هاشم الجبائى ابن الجبائى المقدم يقال لهم : البهشمية ولايخفى المعتزلة البغداديين فى النبوة والامامة فيخالف كلام البصريين فان من شيوخهم من يميل إلى الروافض ومنهم من يميل إلى الخوارج ، والجبائى وافق أهل السنة فى الامامة وانها بالاختيار .

ومن مذهب الجبائى : ان اثبات الفعل للعبد خلقاً وابداعاً وإضافة الخير والشر والطاعة والمعصية إليه استقلالا واستبداداً .

ومن مذهبه : ان الله مطيع لعبده اذا فعل مراد العبد وكان سبب ذلك انه قال يوماً لشيخه أبى الحسن الاشعرى ما معنى الطاعة عندك ؟ فقال : موافقة الامر وسئله عن قوله فيها فقال الجبائى : حقيقة الطاعة عندى موافقة الارادة وكل من فعل مراد غيره فقد أطاعه فقال الاشعرى : يلزمك على هذا الاصل أن يكون الله تعالى مطيعاً لعبده اذا فعل مراده فالتزم ذلك فقال له الاشعرى : خالفت إجماع المسلمين وكفرت برب العالمين ولوجاز أن يكون الله مطيعاً لعبده لجازأن يكون خاضعاً له ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ومن مذهبه : ان اسماء الله جارية على القياس وأجاز اشتقاق اسم له من كل فعل فعله .

٢٣ ـ الفرقة الجهمية : وهم أصحاب جهم بن صفوان ـ تلميذ الجعد بن درهم ـ وكان جهم من الجبرية الخالصة ، ظهرت بدعه بترمذ ، وقتله مسلم بن أحوز المازنى بمرو فى آخر ملك بنى امية ـ سنة ١٢٨ ـ على الزندقة والالحاد

ووافق المعتزلة في نفي الصفات الازلية ،وله بدع ومذاهب .

منها : انه كان ينكر الرحمة والحكمة لله تعالى ، ولذلك كان يخرج مع أصحابهم ، فيقفهم على المجذومين ، ويقول لهم : انظروا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين يفعل مثل هذا ؟!

ومنها انه كان يقول : لا فعال ولاعمل لاحد غيرالله وانما تنسب الاعمال إلى المخلوقين مجازاً كما يقال : زالت الشمس ودارت الرحى من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفنا به .

فالانسان آلة كالسكين لا يقدر على شيء ولا يوصف باستطاعة ، وانما هو مجبور في أفعاله لا قدرة ولا إرادة ولا إختيار له فيها ، وانما يخلق الله الافعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات ، وان الثواب والعقاب والتكليف جبر كما ان الافعال جبر .

ومنها : ان علم الله محدث هو أحدثه فعلم به وانه غير الله .

ومنها : لا يجوز ان يوصف الله بصفة يوصف بها خلقه لان ذلك يقتضي تشبيها ، فنفى كونه تعالى حياً عالماً ، واثبت كونه قادراً فاعلا خالقاً لانه يوصف شيء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق .

ومنها : إن حركات اهل الجنة والنار تنقطع ، وان الجنة والنار تفنيان بعد دخول اهلهما فيهما وتلذذ اهل الجنة بنعيمها وتألم أهل النار بجحيمها إذ لا تتصور حركات لا تتناهى آخر كما لا تتصور حركات لا تتناهى اولا وحمل قوله تعالى : « خالدين فيها » على المبالغة والتأكيد دون الحقيقة في التخليد .

٢٤ ـ الفرقة الجارودية : وهم اصحاب ابي الجارود زياد بن ابي زياد ولقبه سرحوبا محمد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام والسرحوب شيطان اعمى يسكن البحر ، وكان ابو الجارود اعمى البصر اعمى القلب ـ ومات ابوالجارود سنه ١٥٠ـ ويقال لاصحابه : السرحوبية .

وان الجارودية يرون الامامة بعد علي بن الحسين زين العابدين لابنه زيد

ابن على ثم منه إلى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن ابيطالب ، وكان ابو حنيفة على ذلك حتى رفع الامر إلى المنصور فحبسه حبس الابد حتى مات في الحبس .

ومن الجارودية من قال : ان محمد بن عبدالله بن الحسن لم يمت وهو بعد حيّ ، وسيخرج فيملأ الارض عدلا .

ومنهم : من أقرّ بموته وساق الامامة إلى محمد بن القاسم بن على بن عمر بن على بن الحسين بن على صاحب الطالقان ، وقد أسر في أيام المعتصم ، وحمل إليه فحبسه في داره حتى مات .

ومنهم : من قال بامامة يحيى بن عمر صاحب الكوفة ، فخرج ودعا الناس واجتمع عليه خلق كثير ، وقتل في أيام المستعين وحمل رأسه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر .

٢٥ ـ الفرقة الحفصية : هم أصحاب حفص بن أبي المقدام وهو الذي كفّر علياً عليه السلام وصوّب عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله .

٢٦ ـ الفرقة الحارثية : هم أتباع الحارث الاباضي خالف الاباضية في قوله بالقدر على مذهب المعتزلة وفي الاستطاعة قبل الفعل ، وفي اثبات طاعة لا يراد بها الله تعالى .

٢٧ ـ الفرقة الحبيبية : هم طائفة يزعمون : ان المحبة اذا استحكمت ، وقهر العبد نفسه وبلغ في العبادة غايتها يرتفع عنه الامر والنهي ، لان الحبيب لا يؤذي الحبيب ، وهم يقولون : من شرب كأس المحبة سقط عنه العبادة .

٢٨ ـ الفرقة الحازمية : وهم أصحاب حازم بن على وهم يقولون : الايمان مجهول والناس كلهم معذورون ، وان الله تعالى خلق أعمال العباد ، ولا يكون في سلطانه الا ما يشاء ، وقالوا بالموافاة ، وان الله انما يتولى العباد على ما علم انهم صائرون إليه في آخر أمرهم من الايمان ، ويتبرأ منهم على ما علم انهم صائرون إليه في آخر أمرهم من الكفر ، وانه لم يزل محباً لاوليائه ومبغضاً لاعدائه .

٢٩ ـ الفرقة الحشوية : وهم يقولون : الكلام حيث لاسامع ولامامور عبث وسمّوا بالحشوية لانهم يحشون الاحاديث التى لا أصل لها فى الاحاديث المرويّة عن رسول الله ﷺ أى يدخلونها فيها وليست منها ، وجميع الحشوية يقولون بالجبر والتشبيه .

٣١ ـ ٣٠ الفرقة الحدثية والفرقة الخابطية : والاولى هم أصحاب الفضل الحدثى ـ توفى سنة ٢٥٧ ـ والثانية هم أصحاب أحمد بن خابط ـ توفى سنة ٢٣٢ وكان الفضل واحمد من أتباع النظام ولهما بدع :

منها : ان للعالم ربّين وخالقين : رب قديم وهوالله ورب جديد وهو عيسى ابن مريم وان المسيح هو ابن الله على معنى دون الولادة وهو الذى يحاسب الخلق يوم القيامة ، وهو المراد بقوله : « وجاء ربك والملك صفاً صفاً » والمراد بقول النبى ﷺ : « ان الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن » ، وبقوله : « يضع الجبار قدمه فى النار » وبقوله ﷺ : « ان الله خلق العقل فقال له : أقبل فأقبل وقال له : أدبر فادبر فقال ما خلقت خلقاً اكرم منك وبك اعطى وبك آخذ » .

وان المسيح تدرع بالجسد الجسمانى وكان قبل التدرع عقلا ، وهو الكلمة القديمة المتجسدة كما قالت النصارى .

وفى «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادى قال : قدشارك هذان الكافران الثنوية والمجوس فى دعوى خالقين ، وقولهما شر من قولهم لان الثنوية والمجوس أضافوا اختراع جميع الخيرات إلى الله تعالى وانما أضافوا فعل الشرور إلى الظلمة وإلى الشيطان ، وأضاف ابن خابط وفضل الحدثى فعل الخيرات كلها إلى عيسى ابن مريم .

ومنها : القول بالتّناسخ فقالا : ان الله أبدع خلقه أصحّاء سالمين عقلاء بالغين فى دار سوى هذه الدار التى هم فيها اليوم ، وخلق فيهم معرفته والعلم به وأسبغ عليهم نعمه ، ولا يجوز أن يكون اول ما يخلقه الا عاقلا ناظراً معتبراً وابتدأهم بتكليف شكره ، فأطاعه بعضهم فى جميع ما أمرهم به ، وعصاه بعضهم فى

جميع ذلك وأطاعه بعضهم فى البعض دون البعض ، فمن أطاعه فى الكل أقره فى دار النعيم التى ابتدأهم فيها ، ومن عصاه فى الكل أخرجه من تلك الدار إلى دار العذاب وهى النار .

ومن أطاعه فى البعض وعصاه فى البعض أخرجه إلى دار الدنيا فألبسه هذه الاجسام الكثيفة ، وابتلاه بالبأساء والضراء والشدة والرخاء والالام واللذات على صور مختلفة من صور الناس وسائر الحيوانات على قدر ذنوبهم ، فمن كانت معصيته أقل وطاعته اكثر كانت صورته احسن وآلامه اقل ، ومن كانت ذنوبه اكثر كانت صورته اقبح وآلامه اكثر ، ثم لا يزال يكون الحيوان فى الدنيا كرة بعد كرة وصورة بعد اخرى ما دامت معه ذنوبه وطاعاته ، وهذا عين القول بالتناسخ وكان فى زمانهما شيخ المعتزلة احمد بن ايوب بن مانوس وهو ايضاً من تلامذة النظام وقال ايضاً مثل ما قالا فى التناسخ ، وخلق البرية دفعة واحدة الا انه قال : متى صارت التوبة إلى البهيمية ارتفعت التكاليف ايضاً ، وصارت التوبتان عالم الجزاء . ولهما طريقة اخرى فى التناسخ فكأنهما مزجا كلام التناسخية والفلاسفة والمعتزلة بعضها ببعض .

ومنها : حملهما كل ما ورد فى الخبر من رؤية الله على رؤية العقل الاول الذى هو أول مبدع ، وهو العقل الفعال الذى منه تفيض الصور على الموجودات وهو الذى يظهر يوم القيامة وترتفع الحجب بينه وبين الصور التى فاضت منه ، فيرونه كمثل القمر ليلة البدر .

ومن مذهبهما : ان الديار خمس : داران للثواب ، إحداهما : فيها أكل وشرب وبعال وجنات وأنهار .

ثانيهما : دار فوق هذه الدار ليس فيها اكل ولا شرب ولا بعال ، بل ملاذ روحانية وروح وريحان غير جسمانية .

والثالثة : دار العقاب المحض وهى نار جهنم ليس فيها ترتيب بل هى على نمط التساوى .

والرابعة : دارالابتداء التى خلق الخلق فيها قبل ان يهبطوا إلى دارالدنيا وهى الجنة الاولى .

والخامسة : دار الابتلاء وهى التى كلف الخلق فيها بعدأن اجترحوا فى الاولى وهذا التكوين والتكرير لايزالفىالدنيا حتىيمتلىء المكيالان : مكيال الخير ومكيال الشر ، فاذا امتلأ مكيال الخير صار العمل كله طاعة والمطيع خير خالصاً ، فينقل إلى الجنة ولم يلبث طرفة عين فان مطل الغنى ظلم . وفى الحديث : « اعطوا الاجير أجره قبل أن يجف عرقه » وإذا امتلأ مكيال الشر صار العمل كله معصية ، والعاصى شريراً محضاً فينقل إلى النار ، ولم يلبث طرفة عين ، وذلك قوله تعالى : « فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

٣٢ ـ الفرقة الخياطية : هم اصحاب ابىالحسين بن ابى عمرو الخياط وهو من معتزلة بغداد ، وهو يقول : ان الجوهر كان فى حال عدمه جوهراً ، وكان العرض فىحال عدمه عرضاً وكان السواد سواداً ، والبياض بياضاً فىحال عدمهما .

فزعم ان الجسم فى حال عدمه يكون جسماً لانه يجوز ان يكون فى حال حدوثه جسماً ، وقال : كل وصف يجوز ثبوته فى حال الحدوث له فى حال عدمه فيلزم على هذا الاعتلال ان يكون الانسان قبل حدوثه إنساناً .

﴿ الخوارج ﴾

وهم الذين خرجوا على الامام اميرالمؤمنين على بن ابيطالب عليه السلام حين جرى امر الحكمين واجتمعوا بحروراء ـ قرية من قرى الكوفة ـ وراسهم عبدالله بن الكواء وعتاب بن الاعور وعبدالله بن وهب الراسى وعروة بن جرير ويزيد بن ابى عاصم المحاربى وحرقوص بن زهير البجلى المعروف بذى الثدية .

وكانوا هم يوم صفين ضد معاوية من اصحاب الامام على عليه السلام وانصاره يوم الجمل .

والخوارج : كل من خرج على الامام الحق عليه السلام وهم خرجوا على على عليه السلام وذلك ان حزب معاوية عليهم الهاوية لما آنس من أنفسهم الضعف ودعوا حزب الامام على عليه السلام إلى التحكيم أبى على عليه السلام ذلك وعلم انها خديعة ، فعارضه هؤلاء الذين سمّوا خوارج وقالوا : القوم يدعوننا إلى كتاب الله ، وانت تدعونا إلى السيف لترجعن مالك الاشتر عن قتال المسلمين وإلا لنفعلن بك كما فعلنا بعثمان وكان الاشتر قائد الامام على عليه السلام قد هزم جموع معاوية ولم يبق منهم إلا شرذمة قليلة ، فاضطر الامام على عليه السلام على إرجاع الاشتر فامتثل الاشتر أمره .

ثم حصل التحكيم وجاء الحكم على ما لا يرضى على عليه السلام فلم يقبله .

وكان من أمر الحكمين : ان الخوارج حملوه على التحكيم اولا وكان يريد أن يبعث عبدالله بن عباس فما رضى الخوارج بذلك وقالوا : هومنك وحملوه على بعث أبى موسى الاشعرى فجرى الامر على خلاف ما رضى عليه السلام به فلما لم يرض بذلك خرجت الخوارج عليه وقالوا : لم حكمت الرجال ؟ لا حكم إلا لله وقالوا : الله ولا سواه .

وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان وكانوا اثنى عشر ألف رجل فقاتلهم عليه السلام فاستماتوا فى القتال حتى لم ينج منهم الا أقل من عشرة فانهزم اثنان إلى عمان واثنان إلى كرمان واثنان إلى سجستان واثنان إلى الجزيرة وواحد إلى اليمن فنشروا مذهبهم فى تلك الأصقاع .

وكبار فرق الخوارج ثمان : ١ ـ المحكمة ١ ـ البيهسية ٣ ـ الازارقة ٤ ـ النجدية ٥ ـ الاباضية ٦ ـ الصفرية ٧ ـ العجاردة ٨ ـ الثعالبة .

والباقون فرعهم ويجمعهم القول بالتبرى من الامام على بن ابيطالب عليه السلام ويكفرون أصحاب الكبائر وعثمان .

وان المرجئة والوعيدية داخلتان فى الخوارج .

وفى شرح النهج لابن أبى الحديد ما لفظه : « واما الخوارج فانهم مرقوا عن الدين بالخبر النبوى المجمع عليه ولايختلف أصحابنا فى انهم من أهل النار » .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة » .

الضئضئ : الاصل .

وقال الحديد : « ولا ريب ان الخوارج انما برئ أهل الدين والحق منهم لانهم فارقوا علياً عليه السلام وبرئوا منه » .

٣٣ ـ الفرقة الخطابية : وهم اصحاب أبى الخطاب محمد بن ابى زينب الاسدى الاجدع مولى بنى اسد ، وهو الذى عزا نفسه إلى أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فلما وقف الصادق عليه السلام على غلوه الباطل فى حقه عليه السلام تبرأ منه ولعنه ، وأمر اصحابه بالبراءة منه ، وشدد القول فى ذلك وبالغ فى التبرى منه واللعن عليه ، فلما اعتزل عنه ادعى الامامة لنفسه .

وقال أبو الخطاب ان الائمة انبياء ثم آلهة ، وقال بالهية جعفر بن محمد والهية آبائه عليهم السلام وقال : هم أبناء الله وأحبائه ، والالهية نور فى النبوة والنبوة نور فى الامامة ولا يخلو العالم من هذه الاثار والانوار ، ويقول : ان

الصادق عليه السلام هو الاله في زمانه وليس هو المحسوس الذي يرونه ولكن لما نزل إلى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها .

ولما وقف عيسى بن موسى صاحب المنصور على خبث دعوته قتله بسبخة الكوفة ، وافترقت الخطابية بعد على أربع فرق :

١ ـ الفرقة المعمّرية : وهم زعموا ان الامام بعد أبي الخطاب رجل يقال له معمر ، ودانوا به كما دانوا بأبي الخطاب ، وزعموا ان الدنيا لاتفنى وان الجنة هي التي تصيب الناس من خير ونعمة وعافية ، وان النار هي التي تصيب الناس من شرّ ومشقة وبلية ، واستحلّوا الخمر والزنا وسائر المحرمات ودانوا بترك الصلاة والفرائض .

٢ ـ الفرقة البزيغية : وهم الذين زعموا ان الامام بعد أبي الخطاب رجل يقال : بزيغ وهو يقول : ان الصادق عليه السلام هو الاله أي ظهر الاله بصورته للخلق وان كل مؤمن يوحى اليه من الله ، ويؤوّل قوله تعالى : «وما كان لنفس أن تؤمن الاّ باذن الله » أي يوحى إليه من الله ، ويقول : ان من أصحابه من هو أفضل من جبرئيل وميكائيل ، وكان يدّعي أصحابه كلهم معاينة أمواتهم وانهم يرونهم بكرة وعشيّة .

٣ ـ الفرقة العجلية : زعموا ان الامام بعد أبي الخطاب : عمير بن بيان العجلي وكانوا يقولون كما قالت الطائفة الاولى إلا انهم اعترفوا بأنّهم يموتون ، وكانوا قد نصبوا خيمة بكناسة الكوفة يجتمعون فيها على عبادة الصادق عليه السلام ، فرفع خبرهم إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ، فأخذ عميراً فصلبه في كناسة الكوفة وسموا بالعميرية ايضاً .

٤ ـ الفرقة المفضليّة : فزعموا : ان الامام بعد ابي الخطاب مفضّل الصيرفي وكانوا يقولون بربوبية جعفر عليه السلام دون نبوته ورسالته ، وتبرأ من هؤلاء كلهم جعفر بن محمد عليه السلام وطردهم ولعنهم ، فان القوم كلهم حيارى ، ضالّون ، جاهلون بحال الائمة تائهون .

٣٤ ـ الفرقة الرزامية : هم اتباع رزام بن رزم ساقوا الامامة من علي عليه السلام إلى ابنه محمد الحنفية ، ثم إلى ابنه هاشم ثم منه إلى علي بن عبد الله بن عباس بالوصية ، ثم إلى محمد بن علي ، ثم إلى ابنه إبراهيم وهو صاحب أبي مسلم الذي دعا إليه وقال بامامته ، وهؤلاء ظهروا بخراسان في ايام ابي مسلم حتى قيل ان ابا مسلم كان على هذا المذهب لانهم ساقوا الامامة إلى ابي مسلم ، فقالوا : له حظ في الامامة وادعوا حلول روح الاله فيه ، ولهذا ايده على بني امية حتى قتلهم عن بكرة ابيهم واصطلمهم ، وقالوا بتناسخ الارواح .

والمقنّع الذي ادّعى الالهية لنفسه على مخاريق اخرجها كان في الاول على هذا المذهب ، وتابعه مبيّضة ماوراء النهر وهؤلاء صنف من الخراميّة دانوا بترك الفرائض ، وقالوا : الدين معرفة الامام فقط .

ومنهم من قال : الدين امران : معرفة الامام واداء الامانة ، ومن حصل له الامران فقد وصل الى الكمال وارتفع عنه التكليف ، ومن هؤلاء من ساق الامامة الى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من ابي هاشم محمد بن الحنفية وصية اليه لا من طريق آخر .

وكان ابو مسلم صاحب الدولة على مذهب الكيسانية في الاول ، واقتبس من دعاتهم العلوم التي اختصوا بها ، واحس منهم ان هذه العلوم مستودعة فيهم ، فكان يطلب المستقر فيه ، فبعث الى الصادق جعفر بن محمد عليه السلام : انّي قد اظهرت الكلمة ودعوت الناس عن موالاة بني امية الى موالاة اهل البيت ، فان رغبت فيه ، فلا مزيد عليك .

فكيف اليه الصادق عليه السلام : ما انت من رجالي ولا الزمان زماني فحاد أبو مسلم إلى ابي العباس عبد الله بن محمد السفاح وقلّده امر الخلافة .

٣٥ - الزيدية :

هم أتباع زيد بن على بن الحسين بن على بن أبيطالب عليه السلام ، وكان زيد بن على تلميذاً لواصل بن عطاء الغزال الالثغ رأس المعتزلة ورئيسهم مع اعتقاد واصل أن جده على بن أبيطالب عليه السلام في حروبه التى جرت بينه وبين أصحاب الجمل وأهل الشام من المارقين والقاسطين ما كان على يقين من الصواب وان احد الفريقين منهما كان على الخطأ لا بعينه .

واقتبس زيد من واصل الاعتزال ، وصارت اصحابه كلهم معتزلة مذهباً واعتقاداً وكان من مذهب زيد جواز امامة المفضول مع قيام الفاضل ، فقال : كان على بن ابيطالب عليه السلام افضل الصحابة الا ان الخلافة فوضت إلى ابيبكر لمصلحة رآها.

فلمّا سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه رفضوه حتى اتى قدره ، فسمّيت رافضة .

وكان زيد يتكلم في القدر على غير ما ذهب إليه اهل بيت الوحى عليهم السلام وكان يشترط الخروج شرطاً في كون الامام إماماً ، فقال له يوماً اخوه محمد بن على الباقر عليه السلام : فعلى مقتضى مذهبك فوالدك على عليه السلام ليس بامام فانه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج .

وجرت بين زيد وبين اخيه محمد بن على الباقر عليه السلام مناظرات : وفدزيد على هشام بن عبدالملك الخليفة الاموى فطالبه بالخلافة فسار إلى الكوفة فانضم إليه ناس فقاتله يوسف بن عمر الثقفى احد قواد هشام فقتله وصلبه بكناسة الكوفة سنة ١٢٣ عرياناً وهو ابن اربع واربعون سنة ثم احرقوه بالنار ، ولم يزل مصلوباً إلى سنة ١٢٦ هـ ثم انزل بعد اربع سنين .

ولما قتل زيد بن على وصلب قام بالامامة بعده يحيى بن زيد ومضى إلى خراسان واجتمعت عليه جماعة كثيرة وقد وصل إليه الخبر من جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وقد كان ينهاه عن ذلك وانه يقتل كما قتل ابوه ويصلب كما صلب ابوه ، فجرى عليه الامر كما اخبر فقتله امير جرجان .

وقام بالامامة بعده إبناه : محمد وابراهيم وخرجا بالمدينة ومضى ابراهيم

إلى البصرة واجتمع عليهما الناس وقتلا ايضاً، واخبرهم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بجميع ما تم عليهم وعرفهم ان آبائه عليهم السلام اخبروه بذلك كله وقتل محمد بن يحيى بالمدينة، قتله عيسى بن هامان وقتل ابراهيم بن يحيى بالبصرة أمر بقتلهما المنصور.

وكان يخرج واحد بعد واحد من ائمة الزندية ويلي امرهم ويخالفون بني اعمامهم في مسائل الأصول ومالت اكثر الزيدية بعد ذلك عن القول بامامة المفضول.

ثم تفرقوا على فرق ثلاث:

١ ـ جارودية.

٢ ـ سليمانية.

٣ ـ بترية، والصالحية والبترية على مذهب واحد.

وقد وردت في ذم الزيدية روايات كثيرة عن طريق اهل بيت الوحي عليهم السلام:

منها: في روضة الكافي باسناده عن عبد الله بن المغيرة قال: قلت لابي الحسن عليه السلام: ان لي جارين أحدهما ناصب والاخر زيدي ولا بد من معاشرتهما فمن اعاشر؟ فقال: هما سيّان من كذب بآية من كتاب الله فقد نبذ الاسلام وراء ظهره وهو المكذب بجميع القرآن والانبياء والمرسلين، قال: ثم قال: ان هذا نصب لك وهذا الزيدي نصب لنا.

أقول: ومن المحتمل ان يكون المراد بالناصب المخالف كما هو المصطلح في الاخبار وانهم لا يبغضون أهل البيت بل يبغضون من قال بامامتهم بخلاف الزيدية فانهم كانوا يعاندون أهل البيت ويحكمون بفسقهم لعدم خروجهم بالسيف واعتقادهم بخطأ علي بن أبيطالب عليه السلام في حربه المارقين والقاسطين وان التناقض بين حكمهم واعتقادهم ما لا يخفى على القارىء الخبير.

ومنها: في رجال الكشّي باسناده عن عمر بن يزيد قال: سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن الصدقة على الناصب وعلى الزيدية فقال: لا تصدّق عليهم بشيء ولا تسقهم من الماء إن استطعت، وقال لي: الزيدية هم النصّاب.

ومنها : وفيه عن علي بن محمد بن الرضا عليه السلام : ان الزندية والواقفية والنصاب بمنزلة عنده سواء ، وغيرها من الروايات لا يسعها المقام بذكرها .

٣٦ ـ الفرقة السليمانية : هم أصحاب سليمان بن جرير، وكان يقول : ان الامامة شورى فيما بين الخلق ، ويصح أن تنعقد بعقد رجلين من خيار المسلمين ، وانها تصح في المفضول مع وجود الفاضل وتابعه على هذا القول قوم من المعتزلة منهم : جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب و كثير النوى وهو من أصحاب الحديث .

ومالت جماعة من أهل السنة إلى ذلك حتى جوزوا أن يكون الامام غير مجتهد ولا خبير بمواقع الاجتهاد ولكن يجب أن يكون معه من يكون من أهل الاجتهاد ، فيراجعه في الاحكام، وربما يقول أصحاب سليمان بن جرير : ان الامة اخطأت في البيعة لابي بكر وعمر مع وجود علي عليه السلام خطأ ، ولا يبلغ درجة الفسق وذلك الخطاء خطاء اجتهادي ولكنه طعن في عثمان للاحداث التي أحدثها واكفره بذلك واكفر عائشة والزبير وطلحة لاقدامهم على قتال علي عليه السلام .

٣٧ ـ الفرقة السبائية : هم أصحاب عبد الله بن سباء الذى غلا في علي بن ابيطالب عليه السلام وزعم انه كان نبياً ثم غلا فقال : هو هو يعني هو الاله .

وكان هو يهودياً فأسلم ، وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام مثل ما قال في علي عليه السلام .

ودعا إلى ذلك قوماً من أهل الكوفة فاتصل خبرهم بعلي عليه السلام فأمر باحراق قوم منهم في حفرتين ثم أراد عليه السلام بقتل عبد الله بن سبأ فمنعه عليه السلام ابن عباس عن ذلك وقال له : إن قتلته اختلف عليك أصحابك وانت عازم على العود إلى قتال أهل الشام وتحتاج إلى مداراة أصحابك فلما خشي الفتنة من قتله نفاه إلى ساباط المدائن فافتتن بها الرعاع .

ولما قتل علي عليه السلام زعم ابن سباء ان المقتول ليس علياً ، وانما كان شيطاناً تصوّر للناس في صورة علي ، وان علياً صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن

مريم عليها السلام ، وقال : كما كذبت اليهود والنصارى فى دعواهما قتل عيسى عليه السلام كذلك كذبت النواصب والخوارج فى دعواهما قتل على عليه السلام وأظهر ذلك بعد موت على عليه السلام واجتمعت عليه جماعة .

فقال : ان علياً حى لم يمت ، وفيه الجزء الالهى ، ولا يجوز أن يستولى عليه ، وهو الذى يجيىء فى السحاب والرعد صوته والبرق تبسّمه ، وكان أصحابه إذا سمعوا صوت الرعد يقولون : عليك السلام يا أميرالمؤمنين ، ويقولون بتناسخ الجزء الالهى فى الائمة بعد على عليه السلام .

وكان يقول : ان علياً سينزل إلى الارض بعد ذلك وهو المهدى المنتظر فيملأ الارض عدلا كما ملئت جوراً .

ومن غيربعيد أن يكون ابن سباء يهودياً أراد بذلك أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلات فى على عليه السلام واولاده عليهم السلام لكى يعتقدوا فيه مااعتقدت النصارى فى عيسى عليه السلام كما هو دأب اليهود فى كل وقت وعصر .

وكان يحسن ان يقال للسبائية : إن كان مقتول ابن ملجم شيطاناً تصور للناس فى صورة على عليه السلام فلم لعنتم ابن ملجم ؟

وهلاّ مدحتموه ؟ فان قاتل الشيطان محمود على فعله ، غير مذموم به وأن يقال لهم : كيف يصح دعواكم : إن صوت الرعد صوت على عليه السلام وتبرّق البرق تبسّم على عليه السلام وقد كانا قبل الاسلام ؟

٣٨ ـ الشيعة الامامية الاثنى عشرية والرافضية :

ولقد خطأ الباحثون فى الفرق الاسلامية خطاء عظيماً فى ترجمة الشيعة الامامية الاثنى عشرية والرافضة وان المحقق يرى بعين الانصاف كلماتهم غيرخالية عن السفاسف والافك والفرية الشائنة على الشيعة ولا عن الاغراض الخبيثة ولاعن كتمان حقائق ولا عن نسبة ما هم منه بريئون .

فلا بد فى المقام من بيان ما هو الواقع إجمالا :

التشيع فى أصل اللغة : هو الاتباع على وجه التدين والولاء للمتبوع على الاخلاص .

قال الله تعالى : «وان من شيعته لابراهيم» الصافات : ٨٣) .

فقضى لابراهيم عليه‌السلام بالسمة بالاتباع منه لنوح عليه‌السلام على سبيل الولاء والاتباع .

وان الشيعة فى الدين الاسلامى : هم أتباع الامام أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه‌السلام على سبيل الولاء والاعتقاد لامامته بعد النبى الكريم صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بلا فصل ، ونفى الامامة عمن تقدمه فى مقام الخلافة .

وأما السمة للمذهب بالامامية ووصف الفريق من الشيعة الامامية فهو علم على من دان بوجوب الامامة ووجودها فى كل زمان حاضراً أم غائباً .

وأوجب النص الجلى والعصمة والكمال لكل إمام ثم حصر الامامة فى ولد الحسين بن على عليه‌السلام واحداً بعد واحد إلى الحجة الثانية عشر وهو محمد بن الحسن العسكرى القائم بالحق عليه‌السلام .

وقد نص عليهم رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم على ما ورد عن طريقى العامة والشيعة أوردناه فى خلال هذا التفسير لا يستطيع أحد الانكار .

فأبصر الشيعة النبى الكريم صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فى مشاهده ومحافله واستمعوا إلى نهجه وخطبه ووعوا وصاياه فى خليفته وأهل بيته وتدبروا كلمه المسجدية فى وزيره

ووارثه ، ووقفوا بذلك على ما لعلى سلام الله عليه من مكانة عنــد الله ورسوله ، فشايعوه ووالوه دون تشكيك فى أمره وترديد فى مقامه ، كيف لا ؟

وفيهم نزل قولــه : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البريّة » البيّنة : ٧) .

وقد ثبت فيها عن النبى الكريم صلى الله عليه وآله قوله لعلى عليه السلام : هم أنت وشيعتك .

ستقرأ ما ورد عن طريق العامة فى سورة البيّنة انشاء الله تعالى .

وقوله صلى الله عليه وآله لعليّ ان الله قد غفر لك ولذريتك ولولدك ولاهلك وشيعتك ومحبى شيعتك .

وقوله صلى الله عليه وآله : انك ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين .

وقوله صلى الله عليه وآله : ان هذا ـ يعني علياً ـ وشيعته هم الفائزون يوم القيامة .

فلا زموا الرسول صلى الله عليه وآله وتعلّموا منه صلى الله عليه وآله الاصول وعلى ضوء أحاديثه الصحيحة الثابتة فى النص على خلافة صنوه الطاهر تمسكوا بولاءِ الامام على عليه السلام ولم يحيدوا عنه قيد أنملة ولم يميلوا منه طرفة عين .

جاهدوا دون الحق الصريح من غير فزع لسطوات الحكام والولاة ، وصمدوا أمام مناوئيه متحملين دون ذلك المشقة والعناء مستسلمين إلى المحن والرزايا ، حتى قطع دون العقيدة أوصالهم ، وشتت فى سبيل المبدإ شملهم ، وابيد فى الله جمعهم ليعيدوا الحكم الاسلامى إلى طريقه السوى الذى أقرّه النبى صلى الله عليه وآله ويرشدوا الملأ إلى النهج الواضح ، ويركنوا إلى كمال الدين أعلنه صلى الله عليه وآله بقوله صلى الله عليه وآله :

من يريد أن يحيى حياتى ، ويموت مماتى ، ويسكن جنّة الخلد التى وعدنى ربى فليتول علي بن أبيطالب ، فانه لن يخرجكم من هدى ، ولن يدخلكم فى ضلالة .

وقوله صلى الله عليه وآله : على أمير المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغرّ المحجلين إلى جنات رب العالمين ، أفلح من صدّقه ، وخاب من كذبه ، ولو أن عبداً عبد الله بين

الركن والمقام ألف عام وألف عام ، حتى يكون كالشن البالى ولقى الله مبغضاً لآل محمد اكبّه الله على منخره فى نار جهنم .

وغيرها من الروايات الواردة عن طريقى العامة والشيعة أوردناها فى خلال هذا التفسير أغمضها المذبذبون العمياء وأهل الحميّة الجهلاء .

وعلى ضوء هذه الوصايا وآلاف أمثالها عرف الشيعة الامامية الاثنى عشرية الحق واتبعوه وأعلنوه إلى الملأ واضح الجبين ، سافر المعالم ، كلما سنحت لهم الفرص ووافتهم الظروف ، لم تأخذهم فى ذلك لومة لائم ، لتكون الامة على بصيرة من أمرها ، ورشد من دينها وعلم بعقيدتها .

فكانوا هم قدوة حسنة للتشيع وأسوة صالحة للمتمسكين بولاء العترة الطاهرة والمقتفين إثر دعوة الكتاب المقدس والسنة النبوية الشريفة .

وهذا هو التشيع فى جوهره وحقيقته ، إذ لم تدعوا هذه الطاعة لامر سوى الرجوع إلى ضلال القرآن ، والاخذ بتعاليم النبى الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم فى الاحكام ، والسير على النهج الذى يرتضيه واتباع من خصّه الله تعالى لامامة المسلمين بعد نبيه المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم ورفضهم من رفض نصّ النبى الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم فالشيعة رافضة باعتبار تركهم الباطل ، وغيرهم أيضاً رافضة ، باعتبار تركهم الحق ، فشتّان بين الفريقين :

فى الكافى : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام فى حديث قال : قلت: جعلت فداك فانا قدنبزنا نبزاً ـ لقباً ـ انكسرت له ظهورنا وماتت له أفئدتنا واستحلّت له الولاة دمائنا فى حديث رواه لهم فقهاؤهم قال : فقال أبوعبدالله عليه السلام الرافضة ؟ قال : قلت : نعم قال : لا والله ما هم سمّوكم ولكن الله سمّاكم به أما علمت يا أبا محمد أن سبعين رجلا من بنى اسرائيل رفضوا فرعون وقومه ، لما استبان لهم ضلالهم فلحقوا بموسى عليه السلام لما استبان لهم هداه فسمّوا فى عسكر موسى عليه السلام الرافضة لانهم رفضوا فرعون ، وكانوا أشدّ أهل ذلك العسكر عبادة وأشدّهم حباً لموسى وهارون وذريتهما عليهما السلام فاوحى الله عزوجل إلى موسى عليه السلام

أن أثبت لهم هذا الاسم في التوراة فاني قد سمّيتهم به ونحلتم إيّاه فاثبت موسى عليه السلام الاسم لهم ثم ذخّر الله عزوجل لكم هذا الاسم حتى نحلكموه، يا أبا محمد رفضوا الخير ورفضتم الشر، افترق الناس كل فرقة وتشعّبوا كل شعبة فانشعبتم مع أهل بيت نبيّكم صلى الله عليه وآله وسلم وذهبتم حيث ذهبوا واخترتم من اختار الله لكم واردتم من أراد الله فابشروا ثم ابشروا فانتم والله المرحومون المتقبّل من محسنكم والمتجاوز عن مسيئكم، من لم يأت الله عزوجل بما أنتم عليه يوم القيامة لم يتقبّل منه حسنة ولم يتجاوز له عن سيئة. الحديث.

وفي المحاسن: باسناده عن زيد الشحام عن أبي الجارود قال: أصم الله اذنيه كما أعمى عينيه إن لم يكن سمع أبا جعفر عليه السلام ورجل يقول: انّ فلاناً سمّانا باسم، قال: وما ذاك الاسم؟ قال: سمّانا الرافضة، فقال أبو جعفر عليه السلام بيده إلى صدره: وأنا من الرافضة وهو منّي قالها ثلاثاً.

أقول: وقد ثبت في علم معرفة الاديان والمذاهب: انه من أهم امور يعرف به الدين الحق والمذهب الصواب هو تأثيره في المجتمع البشري في جميع شؤونه وفي تربية الأفراد فعلى القارىء المنصف التدبر والنظر في هذا المذهب وتأثيره في المجتمع وتربية تلامذة مدرسته من بدء الأسلام إلى ما يكون فيه القارىء من الوقت.

ومن تلامذة هذا المكتب هو سلمان الفارسي، وأبوذر الغفاري، ومقداد، وعمار ياسر... ومالك الاشتر، وحبيب بن المظاهر....

٣٩ ـ الفرقة الصفرية: وهم الزيادية من جملة الخوارج من أصحاب زياد بن الأصفر، خالفوا الازارقة والنجدات والاباضية في امور:

منها: انهم لم يكفروا القعدة عن القتال اذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد ولم يسقطوا الرجم، ولم يحكموا بقتل اطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار.

ومنها: ان الكبائر التي ليس فيها حد لعظم قدرها، كترك الصلاة والفرار

من الزحف ونحوهما فمرتكبها كافر .

منها : قالوا : نحن مؤمنون عند أنفسنا ، ولا ندرى لعلّنا خرجنا من الايمان عند الله :

٤٠ ـ الفرقة الصالحية : وهم أصحاب صالح بن عمر الصالحى ، وان الصالح ومحمد بن شبيب وأبا شمر وغيلان كلهم جمعوا بين القدر والارجاء ولم يكفروا أصحاب الكبائر بالكبيرة ولم يحكموا بتخليدهم فى النار خلافاً للخوارج والقدرية .

وان الصالح زعم ان قول القائل : ثالث ثلاثة ليس بكفر لكنه لا يظهر الا من كفره وكان يقول : ان معرفة الله هى المحبة والخضوع له ، وان الصلاة ليست بعبادة الله ، وانه لا عبادة له الا الايمان به وهو معرفته ، وهو خصلة واحدة لا يزيد ولا ينقص وكذلك الكفر خصلة واحدة لا يزيد ولا ينقص .

٤١ ـ الفرقة الصوفية :

التصوف : مذهب قديم لا يتكىء على رسول ولا ينتسب إلى نبى من أنبياء الله تعالى .

ونشأ هذا المذهب فى امم مختلفة على أشكال مختلفة ، وهو معروف فى الهند والصين منذ ألوف السنين ، وله عند الهنديين أساليب شديدة على النفس :

منها : أن يظل الرجل سنين لا يتكلم بل يقرأ فى نفسه بلا صوت ما يكون قد أمره استاذه بتكراره .

ومنها : أن يظل الرجل سنين وحده فيقول: السلامة فى الوحدة وقال منهم:

لقاء الخلق ليس يفيد شيئاً ... سوى الهذيان من قيل وقال

وقال منهم : العبودية ترك التدبير وشهود التقدير .

ومنها : أن يجلس الرجل على صفة خاصة وقتاً مديداً إلى غير ذلك من الاساليب الرياضية . . .

وقد اختلفت الكلمات فى اشتقاق التصوف ، فقيل : انه مشتق من الصفاء أو الصفة ، وقيل : من الصوف .

وقال ابن خلدون : مشتق من الصوف لاختصاص أصحابه بلبس الصوف .

ولشيوخ الصوفيّة تعريفات مختلفة ، للتصوف من غير إبتنائها على أساس وضابطة :

فقال أبو محمد الحريرى : التصوف : هو الدخول فى كل خلق سنى والخروج من كل خلق دنى .

وقال الجنيد : التصوف : هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به .

وقال الحسين بن منصور : الصوفى وحدانى الذات لا يقبله أحد ولا يقبل أحداً .

وقال ابو حمزة البغدادى : علامة الصوفى الصادق ان يفتقر بعد الغنى ويذل بعد العزّ ويخفى بعد الشهرة .

وقال سمنون : التصوف ان لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء وإلى غير ذلك من التعاريف . . .

ولما جاء الاسلام دخل منهم فى الاسلام فداموا على ما كانوا عليه من قبل ولاختصار البحث نكتفى بذكر ما احتجّ الامام جعفر بن محمد عليه السلام على الصوفية اذ دخلوا عليه فيما ينهون عنه من طلب :

فى تحف العقول : دخل سفيان الثورى على ابى عبد الله عليه السلام فراى عليه ثياباً بيضاً كأنّها غرقى البياض فقال له : ان هذا ليس من لباسك فقال عليه السلام له : اسمع منى وع ما اقول لك فانه خير لك عاجلا وآجلا إن كنت أنت مت على السنة والحق ولم تمت على بدعة :

اخبرك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان فى زمان مقفر جشب ، فاذا أقبلت الدنيا فأحق اهلها بها ابرارها لا فجارها ، ومؤمنوها لا منافقوها ومسلموها لا كفارها .

فما انكرت يا ثورى ، فوالله - انى لمع ما ترى - ما اتى علىّ مذ عقلت صباح ولامساء ، ولله فى مالى حق امرنى ان اضعه موضعاً الا وضعته .

فقال : ثم اتاه قوم ممن يظهر التزهد ، ويدعون الناس ان يكونوا معهم على

مثل الذى هم عليه من التقشف فقالوا : ان صاحبنا حصر عن كلامك ولم تحضره حجة فقال عليه السلام لهم : هاتوا حججكم ، فقالوا : ان حججنا من كتاب الله ، قال عليه السلام لهم : فأدلوا بها فانها احق ما اتبع وعمل به ، فقالوا : يقول الله تبارك وتعالى مخبراً عن قوم من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » فمدح فعلهم وقال فى موضع آخر : « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً » .

فنحن نكتفى بهذا ، فقال رجل من الجلساء : انّا ما رأينا كم تزهدون فى الاطعمة الطيبة ومع ذلك تأمرون الناس بالخروج من أموالهم حتى تتمتعوا أنتم بها ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : دعوا عنكم مالاينتفع به ، أخبرونى أيها النفر ألكم علم بناسخ القرآن من منسوخه ، ومحكمه من متشابهه الذى فى مثله ضلّ من ضلّ وهلك من هلك من هذه الامة ؟ فقالوا له : بعضه فأما كله فلا .

فقال عليه السلام لهم : من هاهنا اوتيتم ، وكذلك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وأما ما ذكرتم من أخبار الله ايّانا فى كتابه عن القوم الذين أخبر عنهم لحسن فعالهم، فقد كان مباحاً جائزاً ولم يكونوا نهوا عنه وثوابهم منهم منه على الله ، وذلك ان الله جلّ وتقدس أمر بخلاف ما عملوا به ، فصار أمره ناسخاً لفعلهم ، وكان نهى تبارك وتعالى رحمة منه للمؤمنين ونظراً لكيلا يضروا بأنفسهم وعيالاتهم .

منهم الضعفة الصغار والولدان والشيخ ألفان والعجوز الكبيرة الذين لايصبرون على الجوع ، فان تصدقت برغيفي ولا رغيف لى غيره ضاعوا وهلكوا جوعاً ، فمن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : تمرات أو خمس قرص ، أو دنانير ، أودراهم يملكها الانسان ، وهو يريد أن يمضيها فأفضلها ما أنفقه الانسان على والديه ثم الثانية على نفسه وعياله ثم الثالثة على القرابة واخوانه المؤمنين ثم الرابعة على جيرانه الفقراء ثم الخامسة فى سبيل الله وهو أخسّها أجراً .

وقال النبى عليه السلام للانصارى ـ حيث أعتق عند موته خمسة أو ستة من الرقيق ولم يكن يملك غيرهم وله أولاد صغار ـ : لو أعلمتمونى أمره ما تركتكم

تدفنونه مع المسلمين ترك صبية صغاراً يتكففون الناس ثم قال : حدثني أبي ان النبي صلى الله عليه وآله قال . أبدأ بمن تعول الادنى فالادنى .

ثم هذا ما نطق به الكتاب رداً لقولكم ونهياً عنه مفروض من الله العزيز الحكيم قال : « الذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً » أفلا ترون ان الله تبارك وتعالى غير ما أراكم تدعون إليه والمسرفين وفي غير آية من كتاب الله يقول : « انه لايحب المسرفين » فنهاهم عن الاسراف ونهاهم عن التقتير لكن أمر بين أمرين لا يعطي جميع ما عنده ثم يدعوا الله أن يرزقه ، فلا يستجيب له للحديث الذي جاء عن النبي صلى الله عليه وآله : « إن أصنافاً من امتي لا يستجاب لهم دعاؤهم : رجل يدعو على والديه ورجل يدعو على غريم ذهب له بمال ولم يشهد عليه ، ورجل يدعو على امرأته وقد جعل الله تخلية سبيلها بيده ، رجل يقعد في البيت ويقول :

يا رب ارزقني ولا يخرج يطلب الرزق ، فيقول الله جل عزه : عبدي : أو لم اجعل لك السبيل إلى الطلب والضرب في الارض بجوارح صحيحة ، فتكون قد أعذرت فيما بيني وبينك في الطلب لاتباع أمري ولكيلا تكون كلا على أهلك فان شئت رزقتك وان شئت قترت عليك وأنت معذور عندي ، ورجل رزقه الله مالا كثيراً فانفقه ثم أقبل يدعو يا رب ارزقني ، فيقول الله : ألم ارزقك رزقاً واسعاً ، أفلا اقتصدت فيه كما أمرتك ولم تسرف وقد نهيتك ، ورجل يدعو في قطيعة رحم ثم علم الله نبيه صلى الله عليه وآله كيف ينفق وذلك انه كانت عنده صلى الله عليه وآله أوقية من ذهب فكره أن تبيت عنده شيء فتصدق وأصبح ليس عنده شيء .

وجاءه من يسئله فلم يكن عنده ما يعطيه فلامه السائل واغتم هو صلى الله عليه وآله حيث لم يكن عنده ما يعطيه وكان رحيماً رفيقاً ، فأدب الله نبيه صلى الله عليه وآله بأمره اياه ، فقال : « لاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » .

يقول : ان الناس قد يسئلونك ولا يعذرونك ، فاذا أعطيت جميع ما عندك

كنت قد خسرت من المال ، فهذه أحاديث رسول الله ﷺ يصدقها الكتاب ، والكتاب يصدقه أهله من المؤمنين .

وقال أبو بكر عند موته حيث قيل له : اوص فقال : اوصى بالخمس والخمس كثير ، فان الله قد رضى بالخمس ، فاوصى بالخمس ، وقد جعل الله عز وجل له الثلث عند موته ، ولو علم أنّ الثلث خير له أوصى به .

ثم من قد علمتم بعده في فضله وزهده سلمان وأبوذر رضي الله عنهما ، فأما سلمان رضى الله عنه ، فكان اذا أخذ عطاءه رفع منه قوته لسنته حتى يحضره عطاؤه من قابل ، فقيل له : يا أبا عبد الله أنت في زهدك تصنع هذا وانك لاتدرى لعلك تموت اليوم أو غداً ، فكان جوابه أن قال : مالكم لاترجون لى البقاء كما خفتم على الفناء .

أو ما علمتم ياجهلة انّ النفس تلتاث على صاحبها إذا لم يكن لها من العيش ما تعتمد عليه ، فاذا هى أحرزت معيشتها اطمأنّت ، فأمّا أبو ذر رضى الله عنه ، فكانت له نويقات وشويهات يحلبها ، ويذبح منها إذا اشتهى أهله اللحم ، أو نزل به ضيف أو رأى باهل الماء الذين هم معه خصاصة نحر لهم الجزور ، أو من الشياه على قدر ما يذهب عنهم قرم اللحم فيقسمه بينهم ، ويأخذ كنصيب أحدهم لايفضل عليهم ، ومن ازهد من هؤلاء ؟ وقد قال فيهم رسول الله ﷺ ما قال ولم يبلغ من امرهما ان صارا لايملكان شيّاً البتة كما تأمرون الناس بالقاء امتعهم وشيئهم ، ويؤثرون به على انفسهم وعيالاتهم .

واعلموا أيها النفر : انى سمعت أبى يروى عن آبائه عليهم السلام ان رسول الله ﷺ قال يوماً : « ما عجبت من شيء كعجبى من المؤمن انه إن قرض جسده في دار الدنيا بالمقاريض كان خيراً له وان ملك ما بين مشارق الارض ومغاربها كان خيراً له فكما يصنع الله عز وجل به فهو خير له » .

فليت شعرى هل يحيق فيكم اليوم ما قد شرحت لكم أم أزيدكم ، أو ما علمتم ان الله جل اسمه قد فرض على المؤمنين فى أول الامر أن يقاتل الرجل

منهم عشرة من المشركين ليس له أن يولى وجهه عنهم ، ومن والاهم يومئذ دبره ، فقد تبوأ مقعده من النار ثم حولهم من حالهم رحمة منه ، فصار الرجل منهم عليه أن يقاتل رجلين من المشركين تخفيفاً من الله عز وجل عن المؤمنين ، فنسخ الرجلان العشرة .

وأخبروني أيضاً عن القضاة ، أجور منهم حيث يفرضون على الرجل منكم نفقة امرأته اذا قال : انا زاهد وانه لا شيء لي فان قلتم : جور ظلمتم اهل الاسلام وان قلتم : بل عدل خصمتم انفسكم وحيث تريدون صدقة من تصدق على المساكين عند الموت باكثر من الثلث ؟ اخبروني لو كان الناس كلهم كما تريدون زهاداً لا حاجة لهم فى متاع غيرهم ، فعلى من كان يتصدق بكفارات الايمان والنذور والصدقات من فرض الزكاة من الابل والغنم والبقر، وغير ذلك من الذهب والفضة والنخل والزبيب وسائر ما قد وجبت فيه الزكاة ؟ .

اذا كان الامر على ما تقولون لا ينبغى لاحد ان يحبس شيئاً من عرض الدنيا الا قدمه وان كان به خصاصة ، فبئس ما ذهبتم إليه وحملتم الناس عليه من الجهل بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ ، واحاديثه التى يصدقها الكتاب المنزل ، اوردكم اياها بجهالتكم وترككم النظر فى غرائب القرآن من التفسير بالناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والامر والنهى .

واخبروني انتم عن سليمان بن داود عليه السلام حيث سئل الله ملكاً لا ينبغى لأحد من بعده ، فأعطاه الله جل اسمه ذلك ، وكان عليه السلام يقول الحق ويعمل به ثم لم نجد الله عاب ذلك عليه ولا احداً من المؤمنين وداود عليه السلام قبله فى ملكه وشدة سلطانه ثم يوسف النبى عليه السلام حيث قال لملك المصر : «اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم» فكان امره الذى كان اختار مملكة الملك وما حولها إلى اليمين ، فكانوا يمتارون الطعام من عنده لمجاعة اصابتهم ، وكان عليه السلام يقول الحق ويعمل به فلم نجد احداً عاب ذلك عليه .

ثم ذو القرنين عبد احب الله فأحبه ، طوى له الاسباب وملكه مشارق الارض

ومغاربها وكان يقول بالحق ويعمل بـه ثم لـم نجد أحداً عاب ذلك عليه ، فتأدبوا أيّها النفر بآداب الله عزوجل للمؤمنين ، واقتصروا على أمـر الله ونهيـه ، ودعوا عنكم ما اشتبه عليكم مما لا علم لكم به ، وردوا العلم إلى أهله تؤجروا وتعذروا عند الله تبارك وتعالى ، وكونوا في طلب علم الناسخ مـن القرآن من منسوخه ، ومحكمه من متشابهه ، وما أحل الله فيه مما حرم ، فانه أقرب لكم من الله ، وأبعد لكم من الجهل ، ودعوا الجهالة لاهلها فان أهـل الجهل كثير ، وأهل العلم قليل وقد قال الله : «وفوق كل ذى علم عليم» .

أقول: والصوفية على فرق مختلفة كالفرقة الحلاجية والحلولية والاتحادية والاصلية والعشاقية والوحدتية والتناسخية . . .

فى اعتقادات الصدوق : رحمةالله تعالى عليه : «والحلاجية فرقة من الفرق الصوفية وهم أصحاب الاباحة والقول بالحلول وكان الحلاج يتخصّص باظهار التشيع وان كان ظاهرأمره التصوف ولكنهم قوم ملحدة وزنادقة يموّهون بمظاهره كل فرقة بدينهم ويدّعون للحلاج الاباطيل ويجرون ذلك مجرى المجوس فىدعواهم لزردشت ومجرى النصارى فىدعواهم لرهبانهم الايات والبينات والمجوس والنصارى أقرب إلى العمل بالعبادات منهم ، وهم أبعد مـن الشرائع والعمل بها من النصارى والمجوس .

وعلامة الحلاجية من الغلاة دعوى التجلّي بالعبادة مع تديّنهم بترك الصلاة وجميع الفرائض ، ودعوى المعرفة بأسماء الله العظمى ودعوى انطباع الحق لهم وان الولى اذا خلص وعرف مذهبهم فهو عندهم أفضل من الانبياء ، ومن علامتهم دعوى علم الكيمياء ولم يعلموا منه إلا الدغل ، وتنفيق الشبه ، والرصاص على المسلمين» .

ان الحلاجيّة ينسبون إلى الحسين بن منصور المعروف بالحلاج .

وان الحلولية استباحوا المحرمات وأسقطوا المفروضات وزعموا ان روح الاله حلّت فى زعيمها ، ومنهم من يقول : بحلول روح الاله فى على عليه السلام ، ومنهم

من يقول : بحلول الروح فى جعفر بن محمد عليه السلام وبعده فى أبى الخطاب الاسدى ، وكانوا يقولون بحلول الاله فى الاشخاص الحسنة ، وكان مع أصحابه إذا رأوا صورة حسنة سجدوا لها ، يوهمون الاله قد حلّ فيها .

ومن غير خفى على محقق : ان غرض جميعهم إفساد القول بالتوحيد .

وقالت الحلوليّة : القلب بيت الله ، فاذا خلا من الغير وطهر من الصفات المذمومة إنشرح وإنفسح فالله جل وعلا يحل فيه .

وتقول الاتحاديّة : ان الارواح البشريّة إذا استنارت بنور المعرفة إتحد العارف والمعروف .

وتقول التناسخية : الارواح تتناسخ كما يستنسخ ما فى هذا الكتاب آخر ، فمن كان محسناً يخرج روحه ويدخل فى صورة حسنة يعيش فى الدنيا سعيداً مكرماً ، ومن كان مسيئاً يدخل روحه فى صورة خبيثة على صفة سيرته إن كانت بهيمة فى بهيمة ، وإن كانت سبعة فى سبع يعيش فى الدنيا ذليلا وهذه العيشة له نار جهنم .

ولايخفى : ان التناسخ عبارة عن تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر من غير تخلل زمان بين التعلقين للتعشّق الذاتى بين الروح والجسد .

٤٢ ـ **الفرقة الضرارية** : هم أصحاب ضرار بن عمرو وحفص الفرد ، واتفقا فى التعطيل ، وعلى أنهما قالا : انّ لله سبحانه ماهيّة لايعلمها إلاّ هو ، ونسبا هذه المقالة إلى أبى حنيفة وجماعة من أصحابه وزعما : ان للانسان حاسّة سادسة يرى بها الله سبحانه يوم القيامة فى الجنة ، وقالا : أفعال العباد مخلوقة لله حقيقة والعبد مكتسبها حقيقة ، ويجوز ان يحصل فعل بين فاعلين .

وقالا : يجوز ان يقلب الله الاعراض اجساماً وان الحجة بعد النبى الكريم صلى الله عليه وآله هى الاجماع فقط .

وقال ضرار : ان الامامة تصلح فى غير قريش ، حتى إذا اجتمع قريشى ونبطى قدمنا النبطى ، إذ هو اقل عدداً واضعف وسيلة فيمكننا خلعه اذا خالف الشريعة .

٤٣ ـ الفرقة العجاردة : هم اصحاب عبد الكريم بن عجرد وافق النجدات في بدعهم ، ويحكى عن العجاردة انّهم ينكرون كون سورة يوسف من القرآن ويزعمون انها قصّة من القصص .

وان العجاردة والميمونيّة يجيزون نكاح بنات البنين وبنات البنات وبنات بنات الاخوة وبنات بنى الاخوة ، ويقولون : ان الله حرم البنات ، وبنات الاخوة ، وبنات الاخوات فقط .

ثم تفرّعت العجاردة بسبع فرق ، ولكل مذهب على حياله :

١ ـ الفرقة الصلتية : وهم أتباع عثمان بن أبى الصلت ، أو الصلت بن ابى الصلت تفرّد عن العجاردة بأن الرجل إذا اسلم تولّيناه وتبرّأنا من اطفاله حتى يدركوا فيقبلوا الاسلام .

٢ ـ الفرقة الميمونية : هم اتباع ميمون بن خالد ، تفرد عن العجاردة باثبات القدر خيره وشره من العبد ، وإثبات الفعل للعبد خلقاً وإبداعاً .

٣ ـ الفرقة الحمزيّة : هم اتباع حمزة بن اكرك (ادركظ) خرج بسجستان من اهل اوق ، وجوّز إمامين في عصر واحد ، وخالفه خلف الخارجي في القول بالقدر . وكان حمزة سفّاكاً للدماء ، وانه ازهق آلاف الارواح ظلماً وعدواناً ، وكان إذا قاتل قومه وهزمهم امر باحراق اموالهم وعقر دوابهم ، وكان مع ذلك يقتل الاسراء من مخالفيهم .

وكان ظهوره في ايام هارون الرشيد سنة ١٧٩ وبقى الناس في فتنته إلى ان مضى صدر من ايام خلافة المأمون ، واخيراً تمكنت جيوش المأمون من هزيمته ، وقتل حمزة في آخر موقعة له مع جيوش الخليفة .

٤ ـ الفرقة الخلفيّة : وهم اتباع خلف الخارجي ، وهم من خوارج كرمان ومكران ، خالفوا الحمزية في القول بالقدر ، واضافوا القدر خيره وشره إلى الله تعالى ، وقالوا : لو عذب الله العباد على افعال قدّرها أو على ما لم يفعلوه كان ظالماً ، وقالوا : ان اطفال المشركين في النار ، ولا عمل لهم ولا ترك ، وهذا من

اعجب ما يعتقد من التناقض .

٥ ـ الفرقة الاطرافية : اتباع غالب بن شاذك من سجستان ، وهم على مذهب حمزة فى القول بالقدر إلا انهم عذروا اصحاب الأطراف فى ترك ما لم يعرفوه من الشريعة إذا اتوا بما يعرف لزومه من طريق العقل ، واثبتوا واجبات عقلية كما قالت القدرية ، وخالفهم عبد الله السديورى ، وتبرأ منهم .

ومنهم المحمدية اصحاب محمد بن رزق وكان من اصحاب الحسين بن الرقاد ثم برىء منه .

٦ ـ الفرقة الشعيبيّة : وهم اصحاب شعيب بن محمد ، وهو يقول : ان الله تعالى خالق اعمال العباد ، والعبد مكتسب لها قدرة وارادة ، مسئول عنها خيراً وشراً مجازى عليها ثواباً وعقاباً ، ولا يكون شىء فى الوجود إلا بمشيئة الله وهو على بدع الخوارج فى الامامة والوعيد ، وعلى بدع العجاردة فى حكم الاطفال وحكم القعدة والتولّى والتبرىء .

٧ـ الفرقة الحازمية : هم أتباع حازم بن على ، أخذوا بقول شعيب فى ان الله خالق أعمال العباد ، ولا يكون فى سلطانه إلا ما يشاء ، وان الله إنما يتولى العباد على ما علم انهم صائرون إليه فى آخر أمرهم من الايمان ، ويتبرأ منهم على ما علم انهم صائرون إليه فى آخر أمرهم من الايمان ، ويتبرأ منهم على ما علم أنهم صائرون إليه فى آخر أمرهم من الكفر ، وانه سبحانه لم يزل محبّاً لأوليائه مبغضاً لاعدائه .

وانهم يتوقفون فى أمر على عليه السلام ولا يصرحون بالبراءة عنه ، ويصرحون بالبرائة فى حق غيره .

٤٤ ـ الفرقة العلبائية : أصحاب العلباء بن ذراع الدوسى وهو من جملة الغلاة ، وكان هو يتفضّل علياً عليه السلام على النبى صلى الله عليه وآله ، وزعم انه بعث محمداً يعنى علياً ، وسماه إلهاً ، ويقول بذم محمد صلى الله عليه وآله ، ويقول : ان محمداً صلى الله عليه وآله بعث ليدعو إلى على عليه السلام فدعا إلى نفسه وسميت هذه الفرقة الذميمة .

ومنهم من قال بالهيّة محمد وعلي جميعاً ويقدمون علياً في الاحكام الالهية ويسمونهم العينية ، ومنهم من قال بالهيتهما جميعاً ، ويفضلون محمداً في الالهية ، ويسمّونهم الميميّة .

٤٥ ـ **الفرقة العبيدية** : وهم أصحاب عبيد المكتئب ، وهو يقول : ان العبد إذا مات على التوحيد لا يضرّه ما اقترف من الآثام واجترح من السيئات ، وهم يقولون : علم الله وكلامه ودينه غير الله وان الله على صورة الانسان لقوله ﷺ « ان الله خلق آدم على صورة الرحمن » .

٤٦ ـ **الفرقة الغسانية** : أصحاب غسّان الكوفي ، وهو يقول : ان الايمان لا يزيد ولا ينقص ، لان الايمان هو التصديق بالقلب وهو لا يزيد ولا ينقص .

وزعم ان قائلا لو قال : أعلم ان الله قد حرم أكل الخنزير ولا أدري هل الخنزير الذي حرّمه هذه الشاة أم غيرها ؟ كان مؤمناً ، ولو قال : أعلم ان الله فرض الحج إلى الكعبة غير أني لا أدري أين الكعبة ؟ ولعلها بالهند كان مؤمناً .

ولعل غرضه : ان أمثال هذه الاعتقادات امور وراء الايمان وإلا فلا يستجيز عاقل أن يشك : ان الكعبة إلى أي جهة هي ؟ وان الفرق بين الخنزير والشاة ظاهر .

﴿ الغلاة ﴾

هم الذين غلوا فى حق الائمة أهل البيت عليهم السلام حتى أخرجوهم من حدود الخليقة وحكموا فيهم بأحكام الالهية .

وان أول من جهر بالغلو فى أيام الامام على عليه السلام عبد الله بن سبأ ، وكان يهودياً من اليمن ، فاظهر الاسلام ثم قام إليه عليه السلام يوماً وهو يخطب فقال له عليه السلام : أنت أنت وجعل يكررها ، فقال عليه السلام له : ويلك من أنا ؟ فقال : أنت الله فأمر الامام عليه السلام بأخذه وأخذ قوم كانوا معه على رأيه فافتتن بين الشيعة ، فمنهم من تبع الامام عليه السلام حقاً فيقول عليه السلام لهم : انتم المؤمنون حقاً ، ومنهم من خرج من الايمان فتفرقوا بفرق : فمنهم من شبّه الائمة بالاله ، ومنهم من شبه الاله بالائمة وهم على طرفى الغلو والتقصير ، كما ان اليهود شبهت الخالق بالخلق وشبهت النصارى الخلق بالخالق ، ومن جملة الغلاة : المشبّهة والحشوية .

وهؤلاء الغلاة اثنتاعشر فرقة : ١ـ السبائية ٢ـ الكاملية ٣ـ العلبائية ٤ـ المغيرية ٥ـ المنصوريّة ٦ـ الخطابيّة ٧ـ الكيّاليّة ٨ـ الهشامية ٩ـ النعمانية ١٠ـ اليونسية ١١ـ النصيرية والاسحاقية ١٢ـ المفوّضة .

وقد اشرنا إلى كل فرقة من تلك الفرق فى هذا الباب .

وقد وردت روايات كثيرة فى ذمّهم نشير إلى نبذة منها :

فى قرب الاسناد : باسناده عن فضيل بن عثمان الاعور قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : اتقوا الله وعظّموا الله وعظموا رسول الله صلى الله عليه وآله

ولا تفضّلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله احداً فان الله تبارك وتعالى قد فضّله واحبّوا اهل بيت نبيكم حباً مقتصداً ولا تغلوا فيّ ولا تفرقوا ولا تقولوا ما لا نقول فانكم إن قلتم وقلنا ومتّم ومتنا ثم بعثكم الله وبعثنا فكنّا حيث يشاء الله وكنتم.

وفيه: باسناده عن الامام الحسين بن علي عن ابيه عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا ترفعوني فوق حقّي، فان الله تبارك وتعالى اتخذني عبداً قبل ان يتخذني نبياً.

وفي نهج البلاغة: قال الامام علي عليه السلام في خطبة ـ: «وسيهلك فيّ صنفان محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق، وخير الناس فيّ حالا النمط الاوسط فالزموه».

وفيه: قال الامام علي عليه السلام: يهلك فيّ رجلان: محب مفرط وباهت مفتر.

قال السيد الرضي رحمه الله تعالى: وهذا مثل قوله عليه السلام: هلك فيّ اثنان: محب غال، ومبغض قال.

وفي المناقب: لابن شهرآشوب قدس سره: وقال صالح بن سهل: كنت اقول في الصادق عليه السلام: ما تقول الغلاة، فنظر إليّ فقال: ويحك يا صالح! إنّا والله عبيد مخلوقون، لنا رب نعبده، وإن لم نعبده عذبنا.

وفي احقاق الحق: بالاسناد عن عيسى الجرجاني قال: قلت لجعفر بن محمد عليه السلام: إن شئت أخبرتك بما سمعت القوم يقولون قال: فهات قال قلت: فان طائفة منهم عبدوك اتخذوك إلهاً من دون الله وطائفة اخرى والوا لك بالنبوة قال: فبكى حتى ابتلّت لحيته ثم قال: إن أمكنني الله من هؤلاء فلم أسفك دماءهم سفك الله دم ولدي على يدي.

وفي عيون الاخبار: قال الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام في مجلس المأمون: وانا لنبرأ إلى الله عز وجل ممن يغلو فينا فيرفعنا فوق حدّنا ـ إلى ان قال ـ: فمن ادعى للانبياء ربوبية أو ادعى للائمة ربوبية أو نبوة أو لغير الائمة

إمامة ، فنحن منه براء في الدنيا والاخرة .

وفي رجال الكشي: بالاسناد عن ابن سنان قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : أنا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذّاب يكذب علينا فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس كان رسول الله صلى الله عليه وآله أصدق البرية لهجة ، وكان مسيلمة يكذب عليه ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وكان الذي يكذب عليه ويعمد في تكذيب صدقه بما يفتري عليه من الكذب عبد الله بن سبا لعنه الله ـ الحديث .

وفي المناقب لابن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه بالاسناد عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ياعلي مثلك في امتي مثل المسيح عيسى بن مريم افترق قومه ثلاث فرق : فرقة مؤمنون وهم الحواريون ، وفرقة عاده وهم اليهود ، وفرقة غلوا فيه فخرجوا عن الايمان ، وان امتي ستفترق فيك ثلاث فرق : فرقة شيعتك وهم المؤمنون ، وفرقة عدوّك وهم الشاكون ، وفرقة تغلو فيك وهم الجاحدون ، وأنت في الجنة ياعلي وشيعتك ومحبوا شيعتك وعدوك والغالي في النار .

وفي أمالي الطوسي قدس سره باسناده عن ابن نباتة قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : اللهم اني بريء من الغلاة كبراءة عيسى بن مريم من النصارى اللهم اخذلهم أبداً ولا تنصر منهم أحداً .

وفي الخصال : قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام : اياكم والغلو فينا قولوا : إنا عبيد مربوبون ، وقولوا في فضلنا ما شئتم .

أي قولوا في فضلنا ما شئتم مما يناسب العبيد المربوبين .

وفي الاحتجاج : قال الامام علي عليه السلام : « لاتتجاوزوا بنا العبودية ثم قولوا ماشئتم ، ولن تبلغوا واياكم والغلوّ كغلوّ النصارى فاني بريء من الغالين »

وفي بصائر الدرجات : باسناده عن أبي حمزة عليه السلام قال : يا أباحمزة لا تضعوا علياً دون ما وضعه الله ، ولا ترفعوه فوق ما رفعه الله .

٤٧ ـ **الفرقة القرامطية**: وهم أصحاب حمدان قرمط من الفرق الباطنية وكان حمدان رجل فقير قدم من ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة، وكان يظهر العبادة، ويعظ الناس بالزهد ويقول لهم: انه يدعو إلى الامام من أهل بيت النبوة فاستجاب له قوم فاتخذ منهم اثنى عشر نقيباً، وأمرهم أن يدعو الناس إلى مذهبهم فبلغ خبره عامل تلك الجهة فقبض عليه وحبسه وأقسم ليقتلنه فأشفقت إحدى الجوارى عليه فأخذت مفتاح الجن من سيّدها حال سكره، وفتحت الباب للرجل فهرب ووضعت المفتاح مكانه، فلما هب العامل من نومه أراد أن يقتل الخارجي فلم يجده، فشاع هذا الامر وافتتن به أهل تلك الناحية، وزعموا انه رفع إلى السماء.

ثم ظهر فى ناحية اخرى، وقال للناس لا يمكن أن ينالنى أحد بسوء ثم رحل إلى الشام وتسمّى باسم رجل كان ينزل عنده اسمه كرميته ثم خفف فقيل: قرمط ولقب بذلك لقرمطته فى خطه أو فى خطوه.

ومن مذهب القرامطة: ان الصلوات أربع ركعات: ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل الغروب، والصوم يومان فى السنة وهما يوم النيروز ويوم المهرجان، وان النبيذ حرام والخمر حرام، وان الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شيء، إلى غير ذلك.

٤٨ ـ **الفرقة الكيالية**: هم أتباع أحمد بن الكيّال، وكان من دعاة واحد وأبدع مقالة فى كل باب علمىّ على قاعدة غير مسموعة ولا معقولة، وهو من جملة الغلاة.

ولمّا وقفوا على بدعته تبرؤا منه ولعنوه وأمروا شيعتهم بمنابذته وتركوا مخالطته، ولمّا عرف الكيّال ذلك منهم صرف الدعوة إلى نفسه وادعى الامامة اولا ثم ادعى انه القائم ثانياً.

٤٩ ـ **الفرقة الكاملية**: وهم أصحاب ابى كامل، اكفر جميع الصحابة بتركها بيعة على عليه السلام وطعن فى على عليه السلام ايضاً بتركه طلب حقّه ولم يعذره

فى القعـود .

وكان يغلو فى حق على عليه السلام ويقول : الامامـة نور يتناسخ من شخص إلى شخص ، وذلك النور فـى شخص يكون نبوة ، وفى شخص يكـون امامة ، وربما تتناسخ الامامة ، فتصير نبوة ، وقال بتناسخ الارواح وقت الموت .

والغلاة على اصنافها كلّهم متفقون على التناسخ والحلول ولقدكان التناسخ مقالة لفرقة فى كل ملّة تلقوها من المجوس المزدكية والهند البرهمية ومن الفلاسفة والصابئة .

ومذهبهم : ان الله تعالى قائم بكل مكان ، ناطق بكل لسان ، ظاهر فى كل شخص من اشخاص البشر وذلك بمعنى الحلول .

وقد يكون الحلول بجزء كاشراق الشمس فى كوة ، وقد يكون بكل كظهور ملك بشخص .

٥٠ - الفرقة الكعبية : هم أتباع أبى القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخى المعروف بالكعبى - توفى سنة ٣١٩ هـ - وهو من معتزلة بغداد وهو يقول: الجوهر جوهر فى العدم ، والعرض عرض فى العدم وكذلك أطلق جميع الاجناس والاصناف حتى قال : السواد سواد فى العدم ، وكان من جملة القدرية .

ونفى الارادة عن الله تعالى ، فقال : اذا قيل : ان الله أراد شيئاً من فعله ، فمعناه : انه فعله ، وخالف معتزلة البصرة وهم اكفروه فى نفيه الارادة لله تعالى .

٥١ - الفرقة الكرامية : وهـم أصحاب أبـى عبد الله محمد بن كرام من سجستان ، فخرج إلى نيسابور فى أيـام محمد بن طاهر بن عبـد الله - توفّى سنة ٢٥٥ هـ - فتزهّد فاغتر جماعة بما رأوا من زهده فدعاهم إلى بدعه :

دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده ويقول : انه جسم له حـدّ ونهاية من تحته والجهة التى منها يلاقى عرشه .

وهذا شبيه بقول الثنوية : ان معبودهم الذى سمّوه نوراً يتناهى من الجهة التى يلاقى الظلام وان لم يتناه من جهات خمس اخر ، ووصف ابن كرام معبوده

بانه جوهر كما زعمت النصارى ان الله سبحانه جوهر .

ثم تفرّعت الكرامية إلى اثنتى عشر فرقة أشهرها ستة : العابدية والتونية والزرينية والاسحاقية والواحدية والهيصمية ولكل واحدة منهم رأى منفرد :

فمنهم من زعم : ان لله سبحانه نهاية من جهات ست ، ومنهم من زعم : ان لله تعالى نهاية من جهة تحت ، ومنهم من أنكر النهاية ، ومنهم من قال : ان بينه تعالى وبين العرش من البعد والمسافة ما لو قدر مشغولا بالجواهر لاتصلت بـه ، ومنهم من قال : ان بينه تعالى وبين العرش بعداً لايتناهى .

واتفقوا على ان الايمان هو الاقرار باللسان فقط دون التصديق بالقلب ودون سائر الاعمال ، وان المنافق مؤمن فى الحقيقة وان استحق عقاباً فى الاخرة .

وهم جوّزوا عقد البيعة لامامين فى قطرين وغرضهم اثبات الامامة لمعاوية فـى الشام باتفاق جماعة مـن أصحابه واثبات الامامـة لامـير المؤمنين على عليه السلام بالمدينة والعراقين باتفاق جماعة مـن الصحابة ، وكانوا يتهمون علياً عليه السلام فـى الصبر على ما جرى مع عثمان والسكوت عنه .

٥٢ ـ الفرقة الكيسانية : وهم أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين على عليه السلام

قيل : انـه تلمّذ لمحمد بن الحنفية واعتقد اتباعه فى كيسان اعتقاداً فوق حده ودرجته ، فانهم زعموا انه أحاط بالعلوم كلها ، فقالوا : انـه علم التأويل والباطن وعلم الافاق والانفس .

وقالـوا : ان الدين هـو طاعة رجل حتى حملهم ذلك على تأويل الاركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل ، وقال : من لا رجل له لا دين له .

وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة ، وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول وحيّرهم فى الدين إلى أن قالوا : لا ندرى ان الافعال والاقوال الصادرة انّها منّا أو منه .

واختلفوا فى الامامة بعد على عليه السلام ، فقال بعضهم : ان الامام بعـده محمد بن

الحنفية ، وقال الاخرون : هو الحسن ثم الحسين عليهما السلام ثم محمد بن الحنفية .

وزعم بعض الباحثين ان الكيسانية هم المختارية والمختار هو كيسان .

٥٣ - الفرقة المردارية : وهم أتباع عيسى بن صبيح المكنّى بأبى موسى الملقب بالمردار - توفى (سنه ٢٢٦ هـ) - يقال له : راهب المعتزلة .

وله بدع :

منها : قوله فى القدر : ان الله تعالى يقدر على أن يكذب ويظلم ولو كذب وظلم كان إلهاً كاذباً ظالماً .

ومنها : انه جوز وقوع فعل واحد من فاعلين على سبيل التولد .

ومنها : قوله فى القرآن : ان الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة ونظماً وبلاغة وهو الذى بالغ فى القول بخلق القرآن ، و كفر من قال بقدمه بانّه قد أثبت قديمين ، و كفر أيضاً من لابس السلطان ، وزعم انه لايرث ولايورث ، و كفر أيضاً من قال ، ان أعمال العباد مخلوقة لله تعالى حتى قال : هم كافرون فى قولهم : لا إله الا الله .

٥٤ - الفرقة المرجئة

ان المرجئة مشتق من الارجاء وهو التأخير قال الله تعالى حكاية عن ملأ فرعون : « قالوا ارجه واخاه وارسل فى المدائن حاشرين » الاعراف : ١١١) أى أمهله واخّره .

ولقّبت المرجئة بها لانهم يؤخرون العمل عن رتبة الايمان فزعموا : ان المعصية لا تضر مع الايمان كما لا تنفع الطاعة مع الكفر ، وان المرجئة هم فرقة اخّروا الاعمال ولم يعتقدوا من فرائض الايمان .

وقالوا : ليس لله على عباده بعد الايمان بقية .

والمرجئة أربعة أصناف : مرجئة الخوارج ، ومرجئة القدرية ، ومرجئة الجبرية ، والمرجئة الخالصة .

فى تفسير العياشى : عن موسى بن بكر عن أبى عبدالله عليه السلام قال : أشهد أنّ المرجئة على دين الذين قالوا : « ارجه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين » .

أقول : ان المراد من الذين قالوا : أرجه وأخاه ـ الخ ملأ فرعون الجبار.

وفى رجال الكشى : بالاسناد عن داود بن فرقد عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ما أحد أجهل منهم يعنى العجليّة ، انّ فى المرجئة فتيا وعلماً وفى الخوارج فتياً وعلماً ، وما أحد أجهل منهم .

أقول : ان المراد بالعجلية هم بنوا إسرائيل أشار إليهم بقوله تعالى: «واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسداً له خوار ـ انّ الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربّهم وذلة فى الحياة الدنيا » الاعراف : ١٤٨ ـ ١٥٢) .

وفى الخصال : باسناده عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : صنفان من امتى ليس لهما فى الاسلام نصيب : المرجئة والقدرية .

وفى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لعنت المرجئة على لسان سبعين نبياً قيل : من المرجئة يا رسول الله ؟ قال : الذين يقولون : الايمان كلام يعنى الذين زعموا أنّ الايمان هو إقرار وحده دون غيره .

٥٥ ـ الفرقة المعمرية : وهم أصحاب معمّر بن عباد السلمى ـ (توفى سنة ٢٢٠ هـ) ـ وهو من أعظم القدرية فرية فى تدقيق القول بنفى الصفات ، ونفى القدر خيره وشره من الله تعالى والتكفير والتضليل على ذلك وهو من جملة المعتزلة وله بدع :

منها : قال : ان الله تعالى لم يخلق شيئاً غير الاجسام ، فاما الاعراض فانها من اختراعات الاجسام إمّا طبعاً كالنار التى تحدث الاحراق والشمس التى تحدث الحرارة ، وإمّا اختياراً كالحيوان يحدث الحركة والسكون والاجتماع والافتراق.

وقال بالتعجيز لله سبحانه ، وزعم انه تعالى لا يوصف بالقديم وانه قادر على الجواهر ، وأما الاعراض فلا يجوز أن يوصف بالقدرة عليها ، وقال انه تعالى ما خلق حياة ولا موتاً ولا صحة ولا سقماً ولا قوة ولا عجزاً ولا لوناً ولا طعماً

ولا ريحاً . . .

وان ذلك كله من فعل الجواهر بطبائعها ، وقال : من قدرعلى الحركة قدر ان يتحرك ، ومن قدر على السكون قدر ان يسكن كما ان من قدر على الارادة قدر ان يريد .

ومن العجب ان حدوث الجسم وفناءه عنده عرضان فكيف يقول : انهما من فعل الاجسام ؟ واذا لم يحدث الله تعالى عرضاً فلم يحدث الجسم وفنائه فان الحدوث عرض فيلزمه ان لا يكون لله تعالى فعل اصلا .

ثم الزم ان كلام الله تعالى اما عرض او جسم فان قال : هو عرض فقد احدثه الله فان المتكلم على اصله هو من فعل الكلام او يلزمه ان لايكون لله تعالى كلام هو عرض وإن قال : هو جسم فقد ابطل قوله : انه احدثه فى محل ، فان الجسم لايقوم بالجسم ، فاذا لم يقل هو باثبات الصفات الازلية ، ولا قال بخلق الاعراض فلا يكون لله تعالى كلام يتكلم به على مقتضى مذهبه واذا لم يكن له كلام لم يكن آمراً ناهياً واذا لم يكن امر ولانهى فلم تكن شريعة اصلا .

فأدّى مذهبه إلى خسران مبين .

ومنها : انه قال : ان الاعراض لا تتناهى فى كل نوع ، وقال : كل عرض قام بمحل فانما يقوم به لمعنى أوجب القيام ، وذلك يؤدّى إلى التسلسل ، وعن هذه المسئلة سمي هو وأصحابه : أصحاب المعانى وزاد على ذلك ، فقال : الحركة انما خالفت السكون لا بذاتها بل بمعنى أوجب المخالفة وكذلك مغايرة المثل المثل ومماثلته ، وتضاد الضد الضد كل ذلك عنده بمعنى .

٥٦ ـ الفرقة المريسية : هم أتباع بشر المريسى من جملة مرجئة بغداد وكان فى الفقه على رأى أبى يوسف القاضى غير انه لما أظهر قوله بخلق القرآن هجره أبو يوسف وضلله الصفاتية فى ذلك ، ولما وافق الصفاتية فى القول : بان الله تعالى خلق أكساب العباد ، وفى ان الاستطاعة مع الفعل أكفرته المعتزلة فى ذلك ، فصار مهجور الصفاتية والمعتزلة معاً .

وزعم بشر المريسي : ان السجود للصنم ليس بكفر ولكنه دلالة على الكفر وهذه الفرقة عند أهل السنة والجماعة اكفر أصناف المرجئة لانهـا جمعت بين ضلالتي القدر والارجاء .

٥٧ ـ الفرقة المختارية : هم اتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي وهو يقول : بامامة محمد بن الحنيفة بعد الامام علي عليه السلام ، وقيل : انه كان يدعو الناس بعد الحسن والحسين عليهما السلام إلى نفسه وكان يظهر انه من رجاله ودعاته ولما وقف محمد بن الحنفية على ذلك تبرأ منه .

٥٨ ـ الفرقة المغيرية : وهم أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي وكان مولى لخالد بن عبدالله القسري وكان المغيرة من الغلاة وادعى الامامة لنفسه بعد الامام محمد بن علي بن الحسين عليه السلام وغلا في أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام وقـال بالهيته فتبرّأ منه الباقر عليه السلام ولعنه ، وغلا في حق الامام علي امير المؤمنين عليه السلام غلواً غير معقول .

وقـال المغيرة : انتظروه فانه يرجع وجبرئيل وميكائيل يبايعانه بين الركن والمقام .

ثم ادعى لنفسه النبوة وزعم : انه حيّ لا يموت واستحلّ المحارم وقـال : انّ لله صورة وجسماً وأعضاء على مثال حروف الهجاء وصورته صورة رجل من نور على رأسه تاج من نور ، وله قلب وجوف تنبع منهما الحكمة ، وقال : ان الله تعالى لما أراد خلق العالم تكلّم بالاسم الاعظم فطار فوقع على رأسه تاجاً ، وذلك قوله تعالى : «سبح أسم ربك الاعلى الذى خلق فسوّى» ثم كتب باصبعه على كفّه أعمال العباد من المعاصي والطاعات ، فغضب من المعاصي فعرق ، فاجتمع من عرقه بحران :

أحدهما مالح مظلم ، والاخر غير عذب .

وزعم المغيرة : انه يحيى الموتى بالاسم الاعظم ، وغير ذلك من الاباطيل فلما وصلت تلك الادّعات إلى مولاه خالد بن عبدالله قتله وحرّقه بالنار سنه ١١٩هـ .

ولمّا قتل المغيرة اختلف أصحابه فمنهم من قال بانتظاره ورجعته ، ومنهم من قال بانتظار امامة محمد بن علي عليه السلام .

٥٩ـ الفرقة المنصورية : وهم أصحاب ابي منصور العجلي من اهل الكوفة من عبد القيس وكان منشؤه بالبادية ، وهو من جملة الغلاة ، وهو الذى عزا نفسه إلى ابي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام في الاول فلما تبرأ منه الباقر عليه السلام وطرده انه هو الامام ، ودعا الناس إلى نفسه ولما توفي الباقر عليه السلام ادعى انه فوّض إليه أمره وجعله وصيه من بعده .

فقال : انتقلت الامامة إليّ وتظاهر بذلك وخرجت جماعة منهم بالكوفة في بني كندة حتى وقف يوسف بن عمر الثقفي والي العراق في ايام هشام بن عبدالملك على قصته وخبث دعوته فأخذه وصلبه وقتل كثيراً من اصحابه .

وكان أبو منصور يدعي : ان الله عزوجل عرج به إليه فادناه منه وكلمه ومسح بيده على راسه ، وقال له بالسرياني وذكر انه نبي ورسول واتخذه خليلا ، وكان من جملة الغلاة .

وغلا في حق الامام علي عليه السلام واولاده ، فقال : ان علياً كان نبياً ورسولا وكذلك الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي عليهم السلام وكان يقول : ان النبوة في ستة من ولدي يكونون بعدي انبياء آخرهم القائم .

وكان يأمر اصحابه بخنق من خالفهم وقتلهم بالاغتيال .

ويقول : ان جبرئيل يأتيه بالوحي من عند الله ، وان الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالتنزيل وبعثه يعني نفسه بالتأويل .

ويقول : ان علياً عليه السلام هو الكسف الساقط من السماء وربما قال : الكسف الساقط من السماء هو الله تعالى .

ويقول : ان عيسى بن مريم اول من خلق الله من خلقه ثم خلق علياً ، وان رسل الله لا تنقطع ابداً وكفر بالجنة والنار ، ويقول : ان الجنّة رجل امرنا بموالاته ، وان النار رجل امرنا بمعاداته ، واستحل النساء والمحارم وأحل ذلك

لاصحابه، وقال: ان الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر والميسر وغير ذلك من المحارم حلال وأسقط الفرائض.

٦٠ - الفرقة المحكمة: هم الذين خرجوا على الامام اميرالمؤمنين على عليه السلام حين جرى امر الحكمين واجتمعوا بحروراء - قريه من قرى الكوفة - وراسهم عبد الله بن الكواء فهم المارقة و،دلهم ذو الخويصرة وآخرهم ذو الثدية وهم من جملة الخوارج.

واول من بويع من الخوارج بالامامة عبد الله بن وهب الراسبى فى منزل زيد بن حصين بايعه عبد الله بن الكواء وغيرهم.

وسمّوا بالمحكمين: لانهم قالوا: لاحكم إلا لله ولهذا قال الامام على عليه السلام «كلمة حق اريدبها باطل» وحملوا علياً على تحكيم ما لا يرضا عنه.

٦١ - المفوضة:

وهم صنف من الغلاة وفارقوا من سواهم من الغلاة باعترافهم بحدوث الائمة وخلقهم ونفى القدم عنهم واضافة الخلق والرزق مع ذلك اليهم، ودعواهم ان الله تعالى تفرّد بخلقهم خاصّة، وانه سبحانه فوّض إليهم خلق العالم بما فيه وجميع الافعال ...

فى البحار: عن زرارة أنه قال: قلت للصادق عليه السلام: ان رجلا من ولد عبدالله بن سبا يقول بالتفويض فقال: وما التفويض؟ قلت: يقول: ان الله تبارك وتعالى خلق محمداً وعلياً صلوات الله عليهما ففوض إليهما فخلقا ورزقا وأماتا وأحييا فقال عليه السلام كذب عدو الله اذا انصرفت إليه فاتل عليه هذه الآية التى فى سورة الرعد: «أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهّار».

فانصرفت إلى الرجل فاخبرته فكأنّى ألقمته حجراً أو قال فكانما خرس.

وفى عيون الاخبار: باسناده عن ياسر الخادم قال: قلت للرضا عليه السلام:

ما تقول في التفويض ؟ فقال : ان الله تبارك وتعالى فوّض إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أمر دينه فقال : «ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» فامّا الخلق والرزق فلا .

ثم قال عليه السلام : ان الله عزوجل خالق كل شيء وهو يقول عزوجل : «الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون» .

وفيه : باسناده عن أبى هاشم الجعفرى قال : سئلت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الغلاة والمفوضة ، فقال : الغلاة كفّار والمفوضة مشركون ، من جالسهم أو خالطهم أو واكلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زوجهم أو تزوج منهم أو أمنهم أو ائتمنهم على أمانة أو صدّق حديثهم أو أعانهم بشطر كلمة خرج من ولاية الله عزوجل وولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وولايتنا أهل البيت .

وفيه : باسناده عن زيد بن عمير بن معاوية الشامى قال : دخلت على على ابن موسى الرضا عليه السلام بمرو فقلت له : يا بن رسول الله روى لنا عن الصادق جعفر ابن محمد عليه السلام انه قال : « لاجبر ولا تفويض أمر بين أمرين » فما معناه ؟ فقال: من زعم أن الله عزوجل يفعل أفعالنا ثم يعذّبنا عليها فقد قال بالجبر ، ومن زعم ان الله عزوجل فوّض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض ، والقائل بالجبر كافر ، والقائل بالتفويض مشرك . الخبر .

وفى الاحتجاج : عن أبى الحسن على بن أحمد الدلال القمى قال : اختلف جماعة من الشيعة فى ان الله عزوجل فوض إلى الائمة عليهم السلام أن يخلقوا ويرزقوا ؟ فقال قوم : هذا محال لايجوز على الله عزوجل لان الاجسام لايقدر على خلقها غير الله عزوجل وقال آخرون : بل الله عزوجل أقدر الائمة على ذلك وفوض اليهم ، فخلقوا ورزقوا وتنازعوا فى ذلك تنازعاً شديداً .

فقال قائل : ما بالكم لاترجعون إلى أبى جعفر محمد بن عثمان فتسئلونه عن ذلك ليوضح لكم الحق فيه فانه الطريق إلى صاحب الامر فرضيت الجماعة بأبى

جعفر وسلّمت وأجابت إلى قوله ، فكتبوا المسئلة وأنفذوها إليه فخرج إليهم من جهته توقيع نسخته : ان الله تعالى هو الذى خلق الاجسام وقسّم الارزاق لانه ليس بجسم ولا حال فى جسم ، ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، فامّا الائمة عليه السلام فانهم يسئلون الله تعالى فيخلق ويسئله ، فيرزق ايجاباً لمسئلتهم وإعظاماً لحقّهم .



﴿ المعتزلة ﴾

وهم أصحاب واصل بن عطاء ـ توفى سنة ١٣١ ـ وكان واصل يجلس إلى الحسن البصرى فلما ظهر الاختلاف اذ قالت الخوارج بتكفير مرتكب الكبائر وقالت جماعة بانهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر خرج واصل بن عطاء عن الفريقين فقال : ان الفاسق من هذه الامة لا مؤمن ولا كافر بل منزلة بين منزلتين فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه وجلس إليه عمرو بن عبيد فقيل لهما ولا تباعهما : معتزلون لاعتزالهم مجلس الحسن بعد أن كانوا من اهله وتفرّدهم بما ذهبوا إليه من هذه المسئلة من جميع الامة وسائر العلماء لم يكن قبل ذلك يعرف الاعتزال .

ثم اختلفوا فقالت طائفة خلقها فاعلوها دون الله فليس لله فى أعمال العباد ولا فى اعمار سائر الحيوانات صنع ولا تقدير ولاجل هذا القول سمّاهم اهل السنة قدرية ، وقالت طائفة : هى افعال وجودية لا خالق لها اصلا ، وقالت طائفة : هى افعال الطبيعة ، وهذا قول اهل الدهر بلا تكلّف .

وان كلام جميع المعتزلة البغداديين فى النبوة والامامة يخالف كلام المعتزلة البصريين فان من شيوخهم من يميل إلى الشيعة ومنهم من يميل إلى الخوارج .

وان المعتزلة تفرّقت على إحدى عشر فرقة :

١ ـ الواصلية ٢ ـ الهذيلة ٣ ـ النظامية ٤ ـ الجاحظية ٥ ـ البشرية ٦ ـ المعمّرية ٧ ـ المردارية ٨ ـ الثمامية ٩ ـ الهشامية ١٠ ـ الخابطية ١١ ـ الجبائية وهم البهشمية .

وللمعتزلة نحو عشرين مذهباً يجمعها امور :

منها : نفي الصفات الازلية من الله تعالى فليس له علم ولا قدرة ولاحياة ولا سمع ولا بصر وزادوا على هذا قولهم : ان الله تعالى لم يكن له في الازل اسم ولا صفة .

ومنها : ان الله تعالى يغفر لمرتكبي الكبائر بلا توبة .

ومنها : منهم من يقول : الخير بتقدير الله والشر ليس بتقديره .

ومنها : منهم من يسند أفعال العباد إلى قدرهم .

وقد ثبت عن الطريقين قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « القدرية خصماء الله في القدر » و « القدرية مجوس هذه الامة » .

٦٢ ـ الفرقة النجارية : وهم اصحاب الحسين بن محمد النجار ـ توفي سنة ٢٣٠ هـ ـ من جملة الجبرية .

وله مذاهب :

منها : انّ اعمال العباد كلها مخلوقة لله تعالى : خيرها وشرّها حسنها وقبيحها والعبد مكتسب لها وفاعلها إذ لايكون في ملك الله الا ما يريده ، فهو مريد الخير والشر والنفع والضرّ .

ومنها : يقول بالارجاء ، وان الله سبحانه يرزق الحلال ويرزق الحرام ، وانّ الرزق على ضربين : رزق غذاء ورزق ملك .

ومنها : انّ الله تعالى يجزي العباد في افعاله لا على افعالهم .

ومنها : يقول: ان الله تعالى بكل مكان ذاتاً ووجوداً لامعنى العلم والقدرة .

٦٣ ـ الفرقة النعمانية : هم اصحاب محمد بن النعمان ابي جعفر الاحول وهو من جملة الغلاة ، وكان من تلميذ الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام ثم غلا . ويقال له : مؤمن الطاق .

وكان يقول : ان الله سبحانه نور على صورة انسان ربّاني .

٦٤ ـ الفرقة النجدات العاذرية :

وهم أصحاب نجدة بن عامر الحنفي قتله اتباعه سنة ٦٩ هـ وكان من جملة الخوارج وهو خرج من اليمامة مع عسكره يريد اللحوق بالازارقة ، فاستقبله أبو فديك وعطية بن الاسود الحنفي في الطائفة الذين خالفوا نافع بن الازرق فأخبروه بما أحدثه نافع من الخلاف بتكفير القعدة عنه وسائر الاحداث والبدع وبايعوا نجدة وسموه اميرالمؤمنين ثم اختلفوا على نجدة فأكفره قوم منهم لامور نقموها عليه .

وانما قيل للنجدات : العاذرية لانهم عذروا بالجهالات في احكام الفروع .

وله بدع :

منها : يقول : لعل الله يعذّبهم في نارغير نارجهنم ثم يدخلهم الجنة ، وزعم ان النار يدخلها من خالفه في دينه .

ومنها : انه أسقط حد الخمر من موافقيه على دينه وغلظ على الناس في حد الخمر تغليظاً شديداً . وغيرها من البدع . . .

ولما أحدث تلك البدع وعذر أتباعه بالجهالات استتابه أكثر أتباعه من أحداثه ، وقالوا له : اخرج إلى المسجد وتب من أحداثك ، ففعل ذلك ، ثم ان قوماً منهم ندموا على استتابته وانضموا إلى العاذرين له وقالوا له : انت الامام ولك الاجتهاد ولم يكن لنا أن نستتيبك فتب من توبتك واستتب الذين استتابوك وإلا نابذك .

وصار راشد الطويل مع أبي فديك يداً واحدة فلمّا استولى أبو فديك على اليمامة علم ان اصحاب نجدة اذا عادوا من غزواتهم اعادوا نجدة إلى الامارة ، فطلب نجدة ليقتله فاختفى نجدة في دار بعض عاذريه ينتظر رجوع عساكره الذين كان قد فرقهم في سواحل الشام ونواحي اليمن ونادى منادي ابي فديك : من دلّنا على نجدة فله عشرة آلاف درهم واي مملوك دلّنا عليه ، فهو حرّ فدلّت عليه

امة للذين كان نجدة عندهم فانفذ ابوفديك راشد الطويل في عسكره إليه فكبسوه وحملوا راسه إلى ابى فديك فلما قتل نجدة صارت النجدات بعده ثلاث فرق :

فرقة اكفرته وصارت إلى ابى فديك كراشد الطويل وابى بيهس وابى الشمراخ واتباعهم ، وفرقة عذرته فيما فعل وهم النجدات .

وفرقة من النجدات بعدوا عن اليمامة وكانوا بناحية البصرة شكوا فيما حكى من احداث نجدة وتوقفوا في امره وقالوا : لاندرى هل احدث تلك الاحداث أم لا فلا نبرأ منه إلا باليقين .

وبقى ابوفديك بعد قتل نجدة إلى ان بعث إليه عبد الملك بن مروان : عمر بن عبيد الله بن معمر التميمى فى جند فقتلوا ابا فديك وبعثوا براسه إلى عبد الملك بن مروان .

٦٥ - الفرقة النظامية : وهم اصحاب إبراهيم بن يسار بن هانيء النظام - توفى سنة ٢٣١ هـ - وهومن جملة المعتزلة ، وكان ينظم الخرز فى سوق البصرة ولاجل ذلك قيل له : النظام وكان فى زمان شبابه قد عاشر قوماً من الثنوية وخالط بعده كبره قوماً من ملحدة الفلاسفة ، واخذ من الثنوية قوله : بان فاعل العدل لايقدر على فعل الجور والكذب ، وخلط كلامهم بكلام المعتزلة .

وقال النظام : الاية والاعجوبة فى القرآن ما فيه من الاخبار عن الغيوب ، واماّ التأليف والنظم فقدكان يجوز ان يقدر عليه العباد لولا انّ الله منعهم بمنع وعجز واحدثهما فيهم .

وانفرد النظام عن اصحابه بمسائل :

منها : انه زاد على القول بالقدر خيره وشره قوله : ان الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصى ، وقال : ليست هى مقدورة لله تعالى خلافاً لاصحابه فانهم قضوا بانه قادر عليها لكنه لايفعلها لانها قبيحة .

ومنها : قال : ان الله لا يوصف فى الاخرة بالقدرة على ان يزيد فى عذاب اهل النار شيئاً ولا على ان ينقص منه شيئاً ، و كذلك لاينقص من نعيم اهل الجنة

ولا ان يخرج احداً من اهل الجنة وليس ذلك مقدوراً وقد اخذ ذلك من قدماء الفلاسفة حيث قضوا بان الجواد لايجوز ان يدّخر شيئاً لايفعله فما ابدعه واوجده هو المقدور ولو كان فى علمه تعالى ومقدوره ما هو احسن واكمل مما ابدعه نظاماً وتركيباً وصلاحا لفعله .

ومنها : ان الله تعالى لايوصف بالارادة .

ومنها : ان الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ماهى عليه الان : من المعادن والنبات والحيوان والانسان ، وكان اكثر ميله إلى تقرير مذهب الطبيعين منهم دون الالهيين .

ومنها : قد انكر الجن راساً .

٦٦ ـ الفرقة النصيرية :

وهم أصحاب محمد بن نصير النميرى وهو من جملة الغلاة ، وكان يدعى انه نبى بعثه أبوالحسن العسكرى عليه السلام وكان يقول بالتناسخ وغلا فى أبى الحسن عليه السلام ويقول فيه بالربوبية ويقول بالاباحة للمحارم ، ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضاً فى أدبارهم ، ويزعم ذلك من التواضع والتذلل وانه أحد الشهوات والطيبات وان الله لم يحرم شيئاً من ذلك .

يقال : انه جاء من جهات فارس وكان أصحابه ساكنين فى شمال سوريا بالجبال المعروفة بجبال النصيرية الواقعة شرقى لواء اللاذقية والممتدة من حدود صافينا إلى حدود انطاكية ، ومن هذه الطائفة قسم فى ولاية ادنة وهناك يسكنون المدن والقرى ، ومنها عدد ليس بقليل فى ادنة وطرسوس ومرسين واسكندرونة وانطاكية والذين يسكنون السواحل منهم فى لواذ اللاذقية يقال لهم : الشمالية والذين يسكنون الجبال يسمّون كلازية .

والفرق بين الشمالية والكلازية ان الشمالية يسبلون اللحى ولا يجوز عندهم حلقها، والكلازية يحلقون جميعاً لحاهم بلا إستثناء .

٦٧ ـ الفرقة الناووسية :

وهم أتباع عجلان بن ناووس وكان يقول : ان الصادق عليه السلام حى بعد ولن يموت حتى يظهر فيظهر أمره وهو القائم المهدى .

٦٨ ـ الفرقة الهاشمية :

هم أصحاب أبى هاشم بن محمد بن الحنفية قالوا بانتقال محمد بن الحنفية إلى رحمة الله وإنتقال الامامة منه إلى إبنه أبى هاشم قالوا : فانه افضى إليه أسرار العلوم واطلعه على مناهج تطبيق الافاق على الانفس .

ثم تفرقوا بعد أبى هاشم بفرق خمس :

فمنهم : من قال : ان أبا هاشم مات منصرفاً من الشام بأرض الشراة وأوصى إلى محمد بن على بن عبدالله بن عباس وانجرت فى أولاده الوصية حتى صارت الخلافة إلى بنى العباس قالوا : ولهم فى الخلافة حق لاتصال النسب وقد توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعمّه العباس أولى بالوراثة .

ومنهم : من قال : ان الامامة بعد موت أبى هاشم لابن أخيه الحسن بن على بن محمد بن الحنفية .

ومنهم : من قال : أبا هاشم أوصى إلى أخيه على بن محمد وعلى أوصى إلى ابنه الحسن ، فالامامة عندهم فى بنى حنفية لا تخرج إلى غيرهم .

ومنهم : من قال: ان أبا هاشم اوصى إلى عبدالله بن عمرو بن الكندى وان الامامة خرجت من ابى هاشم إلى عبدالله وتحوّلت روح ابى هاشم إليه .

ومنهم : من قال : ان الامام بعده عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ابن ابيطالب .

وكان من مذهب عبدالله : ان الارواح تتناسخ من شخص إلى شخص ، وان الثواب والعقاب فى هذه الاشخاص إمّا اشخاص بنى آدم وامّا اشخاص الحيوانات قال : وروح الله تناسخت حتى وصلت إلية وحلت فيه وادعى الالهية والنبوة معاً

وانكر اتباعه يوم القيامة لزعمهم : ان التناسخ يكون فى الدنيا والثواب والعقاب فى هذه الاشخاص .

ونشأ عنه الخرّميّة والمزدكية بالعراق ، وهلك عبد الله بخراسان وافترقت اصحابه .

ثم اختلفوا فيه فقال بعض انه حى لم يمت ويرجع .

وقال بعض : بل مات وتحوّلت روحه إلى اسحق بن زيد الحارث الانصارى وهم الحارثية الذين يبيحون المحرمات ويعيش عيش من لا تكليف عليه .

٦٩ - **الفرقة الهشامية :** وهم أصحاب هشام بن عمرو الفوطى - توفى سنة ٢٢٦ - وهومن جملة المعتزلة وكانت مبالغته فى القدر أشد من مبالغة أصحابه فيه ، وكان يأبى من إطلاق إضافات أفعال إلى الله تعالى ، وإن ورد بها التنزيل :

منها : قوله تعالى : « ما ألّفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » الانفال : ٦٣) .

فزعم هشام : ان الله لايؤلف بين قلوبهم المؤمنين بل هم المؤتلفون باختيارهم .

ومنها : قوله تعالى: «حبب إليكم الايمان وزيّنه فى قلوبكم» الحجرات:٧) .

فقال : ان الله لايحبّب الايمان إلى المؤمنين ولا يزيّنه فى قلوبهم .

وكانت مبالغته فى نفى اضافات الطبع والختم والسد وأمثالها أشد وأصعب فى قوله تعالى : « بل طبع الله عليها بكفرهم » النساء : ١٥٥) .

وقوله : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم » البقرة : ٧) .

وقوله : « وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً » يس : ٨) .

ونحوها من الآيات الكريمة . . .

وتبعه على ذلك ونحوه أصحابه عمياء من غير تفكير .

وكان ينكر خلق الجنة والنار الان ويقول : لافائدة فى وجودهما وهما جميعاً خاليتان ممن ينتفع ويتضرر بهما ، وبقيت هذه المسئلة منه اعتقاداً للمعتزلة .

وكان هشام يقول : اذا خلق الله تعالى شيئاً فانه لايقدر على أن يخلق مثل

ذلك الشيء أبداً لكن يقدر على ان يخلق غيره والغيران عنده لايكونان مثلين .

ويقول : لايجوز لاحد ان يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا ان يعذب الكفار بالعذاب ، ولا ان يحيى الارض بالمطر .

وكان اصحابه يزعمون : ان الله تعالى لم يأمر الكفار قط بأن يؤمنوا فى حال كفرهم ولانهى المؤمنين قط عن الكفر فى حال ايمانهم لانه لايقدر احد على الجمع بين الفعلين المتضادين .

٧٠ ـ الفرقة الهذيلية : وهم اصحاب ابى الهذيل العلاف ـ توفى سنة ٢٢٦هـ وكان هو مولى عبد القيس فصار شيخ معتزلة البصريين واخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل ، وهو يقول : فى القدر مثل ما قاله اصحابه الا انه قدرى الاولى جبرى الاخرة ، فان مذهبه فى حركات اهل الخلدين فى الاخرة انها كلها ضرورية لا قدرة للعباد عليها ، وكلها مخلوقة لله تعالى ، إذ لو كانت مكتسبة للعباد لكانوا مكلفين بها .

وكان يقول : ان حركات اهل الجنة ، والنار تنقطع ، وانهم يصيرون إلى سكون دائم خموداً ، وتجتمع الذات فى ذلك السكون لاهل الجنة وتجتمع الالام ذلك السكون لاهل النار .

وقال : من سرق خمسة دراهم او قيمتها فهو فاسق منسلخ من الاسلام مخلد ابداً فى النيران إلى ان يتوب .

٧١ ـ الواقفية :

وهم اصحاب على بن ابى حمزة سالم البطائنى ، وزياد بن مروان القندى ، وعثمان بن عيسى ابى عمرو العامرى الكلابى الرواسى ـ ثم تاب عثمان عند على ابن موسى الرضا عليه السلام ـ وهم الذين وقفوا فى امامة ابى الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ، وقالوا : انه حى لم يمت .

والنصوص تدفع هذا القول وانما المشكك فى موته عليه السلام كالمشكك فى موت آبائه عليهم السلام .

وان الطعون الواردة عن طريق اهل بيت الوحي عليهم السلام على هذه الفرقة كثيرة جداً نشير إلى نبذة منها :

في العيون : باسناده عن علي بن رباط قال : قلت لعلي بن موسى الرضا عليه السلام ان عندنا رجلا يذكر ان اباك عليه السلام حي ، وانت تعلم من ذلك ما يعلم ، فقال عليه السلام : سبحان الله مات رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يمت موسى بن جعفر عليه السلام بلى والله ، والله لقد مات وقسّمت امواله ونكحت جواريه .

وفيه : باسناده عن ربيع بن عبدالرحمن قال : كان والله موسى بن جعفر عليه السلام من المتوسمين ، يعلم من يقف عليه بعد موته ، ويجحد الامام بعده إمامته فكان يكظم غيظه عليهم ، ولا يبدي لهم ما يعرفه منهم ، فسمّي الكاظم لذلك .

وفي غيبة الشيخ الطوسي قدس سره :

باسناده عن محمد بن سنان قال : ذكر علي بن ابي حمزة عند الرضا عليه السلام فلعنه ثم قال : ان علي بن ابي حمزة اراد ان لا يعبد الله في سمائه وارضه فأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون ، ولو كره اللعين المشرك ، قلت : المشرك ؟ قال : نعم والله رغم انفه كذلك هو في كتاب الله : «يريدون ان يطفؤا نور الله بأفواههم» وقد جرت فيه ، وفي امثاله انّه اراد ان يطفيء نور الله .

وفي رجال الكشي : بالاسناد عن علي بن عبدالله الزبيري قال: كتبت إلى ابي الحسن عليه السلام اسئله عن الواقفة فكتب : الوقف حائد عن الحق ومقيم على سيّئة ، إن مات بها كانت جهنم مأواه وبئس المصير .

وفيه : عن الفضل بن شاذان رفعه عن الرضا عليه السلام قال : سئل عن الواقفة ، فقال : يعيشون حيارى ويموتون زنادقة .

وفيه بالاسناد عن محمد بن ابي عمير عن رجل من اصحابنا قال : قلت للرضا عليه السلام : جعلت فداك قوم قد وقفوا على ابيك يزعمون انّه لم يمت قال: كذبوا وهم كفّار بما انزل الله جل وعز على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولو كان الله يمد في اجل احد من بني آدم لحاجة الخلق إليه لمدّ الله في اجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

أقول : لعل هؤلاء الواقفيّة كانوا يستدّلون على عدم موته عليه السلام بحاجة الخلق إليه ، فأجابهم بالنقض برسول الله صلى الله عليه وآله ، فلا ينافي المدّ في اجل القائم عليه السلام لمصالح اخر ، او يكون المراد المدّ بعد حضور الأجل المقدّر .

وفيه باسناده عن محمد بن الفضيل قال : قلت للرضا عليه السلام : ما حال قوم وقفوا على ابيك موسى عليه السلام ؟ قال : لعنهم الله ما اشدّ كذبهم اما إنّهم يزعمون اني عقيم ، وينكرون من يلي هذا الامر من ولدي .

وفيه : بالاسناد عن عمر بن يزيد قال : دخلت على ابي عبدالله عليه السلام فحدّثني مليّاً في فضائل الشيعة ثم قال : ان من الشيعة بعدنا من هم شر من النصاب قلت : جعلت فداك أليس ينتحلون حبّكم ويتولونكم ويتبرؤن من عدوكم ؟ قال: نعم ، قال : قلت : جعلت فداك بيّن لنا نعرفهم فلسنا منهم ؟ قال : كلا يا عمر ما أنت منهم ، انّما هم قوم يفتنون بزيد ويفتنون بموسى .

وفيه : بالاسناد عن محمد بن رجا الحنّاط عن محمد بن على الرضا عليه السلام انه قال : الواقفة هم حمير الشيعة ، ثم تلا هذه الاية : « ان هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا» .

وفيه : بالاسناد عن على بن محمد بن الرضا عليه السلام : ان الزيدية والواقفية والنصّاب بمنزلة عنده سواء .

﴿ الفرقة الوهابية ﴾

وهم اتباع محمد بن عبد الوهاب - ولد سنة ١١١٥ هـ - تلمذ لمحمد بصروى ببصرة ثم جاء بايران وسكن باصبهان مدة ثم رجع إلى نجد، وأظهر دعوته مع انتمائه إلى مذهب أحمد بن حنبل، ومال إليه عبد العزيز جد آل سعود فدعا الناس إلى مذهبه، وكان انجلترا يعينه خفاء ليستثمر أرض الحجاز فاتبعته طائفة من أهل نجد فعدّوا رفع القباب على القبور وايقاد السرج عليها وادخالها فى المساجد وزيارة القبور وغيرها مما ثبت جوازه فى السنة النبوية من البدع ففعلوا فى محوها فأهانوها ما أهانوا .

وكان بن عبد الوهاب يدعى الاصلاح ويعدّ أتباعه فرقة ناجية .

ونحن نخرج هذه الفرقة عن الفرق الثلاث والسبعين للزوم خلوّ الفرقة الناجية بين الفرق - التى أخبرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - فى اثنى عشر قرناً بعد الاسلام ولزوم بطلان جميع الفرق فى تلك المدة .

٧٢ - الفرقة الواصلية : هم اصحاب ابى حذيفة واصل بن عطاء الغزّال الالثغ - لقب بالغزال لانه كان يلازم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء فيجعل صدقته لهن - وهو يعيش فى ايام عبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك - توفى سنة ١٣١ هـ - وهو مؤسس فرقة المعتزلة ورئيسها الاول وسلك مسلك معبد الجهنى الذى كان اوّل من تكلّم فى الاسلام بالقدر، وذكروا انه اخذ ذلك عن نصرانى من الاساورة اسمه ابو يونس سنسويه، ويعرف بالاسوارى .

وكان سبب اعتزال واصل انه دخل على الحسن البصرى فقال له : لقد ظهرت

فى زماننا جماعة يكفرون اصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة ، وهم وعيدية الخوارج ، وجماعة يرجئون اصحاب الكبائر والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان ، وهم مرجئة الايمان فكيف تحكم لنا فى ذلك اعتقاداً ؟ فتفكر الحسن فى ذلك وقبل ان يجيب قال واصل بن عطاء : انا لا اقول :

ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً ، بل هو فى منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما اجاب به على جماعة من اصحاب الحسن فقال الحسن : اعتزل عنا واصل فسمى هو واصحابه معتزلة . وقيل : انما سمو معتزلة لانهم اعتزلوا اهل السنة .

وكان يقول واصل فى الفريقين من اصحاب الجمل واصحاب الصفين : ان احدهما مخطىء لابعينه فلايجوز قبول شهادة على عليه السلام وطلحة والزبير .

٧٣ ـ الفرقة اليونسية : وهم اصحاب يونس بن عون النميرى ، وهو يقول: انما المؤمن يدخل الجنة باخلاصه ومحبته لا بعمله وطاعته .

الشيعة الامامية الاثنى عشرية
والفرقة الناجية

ومن الاتفاق ان الشيعة كانت في زمن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وقد نزلت في مدحهم آيات كريمة ووردت روايات عديدة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوردناها في ترجمتهم، فظهر سائر الفرق الاسلامية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلا أساس من الكتاب والسنة.

ولقد وردت روايات كثيرة بأسانيد عديدة عن طريق العامة: ان الفرقة الناجية ـ من بين الفرق الثلاث والسبعين ـ: هم شيعة الامام على بن أبيطالب عليه السلام نشير إلى ما يسعه المقام فعلى القارىء القضاء بعين الانصاف:

١ ـ روى الصيمري في كتابه (الالزام) نقلا من كتاب الحافظ أحمد بن موسى الشيرازي من أعاظم العامة عن عدة...

منهم: أنس بن مالك قالوا: كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتذاكرنا رجلاً يصلّي ويصوم ويتصدّق ويزكّي، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا أعرفه فقلنا: يا رسول الله انه يعبد الله ويسبّحه ويقدسه ويوحّده، فقال: لا أعرفه فبينا نحن في ذكر الرجل إذ طلع علينا أبو بكر، فقلنا: يا رسول الله هو ذا، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال لابي بكر: خذ سيفي هذا وامض فيه إلى هذا الرجل واضرب عنقه فانه أوّل من يأتي في حزب الشيطان فدخل أبو بكر فرآه راكعاً فقال: لا والله لا اقتل فانه نهانا عن قتل المصلّين فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

اجلس فلست بصاحبه ، قم يا عمر فخذ سيفي هذا من يد أبي بكر وادخل المسجد واضرب عنقه قال عمر : فأخذت السيف من يد أبي بكر ودخلت المسجد فرأيت الرجل ساجداً ، فقلت : لا والله لا اقتله ، فقد استأذنه من هو خير منّي ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت : يـا رسول الله صلى الله عليه وآله انـي وجدته ساجداً فقال : يا عمر اجلس فلست بصاحبه ، قم يا علي فانك قاتله ، فان وجـدته ، فاقتله فانك إن قتلته لم يبق بين امتي اختلاف أبداً قال علي عليه السلام : فاخذت السيف ودخلت المسجد ، فلم أره فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت : يا رسول الله ما رايته فقال : ياأبا الحسن ان امّة موسى عليه السلام افترقت على إحدى وسبعين فرقة : فرقة ناجية والباقون فـي النار وان امّة عيسى افترقت على اثنتين وسبعين فرقة : فرقة ناجية والباقون في النار ، وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة : فـرقة : ناجية والباقون في النار فقلت يارسول الله صلى الله عليه وآله فما الناجية ؟ قال : المتمسك بما أنت وشيعتك وأصحابك ، فانزل الله فـي ذلك الرجل : « ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي » يقول : هذا أوّل من يظهر مـن أصحاب البدع والضلالات قال ابن عباس : والله ما قتل الرجل إلا امير المؤمنين عليه السلام يوم صفين (يوم نهروان ـ خ) قال تعالى : « له في الدنيا خزي » أي بالقتل « ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق » أي بقتاله علي بن أبيطالب عليه السلام .

أقول : رواه جماعة من أعلام العامة منهم :

علي بن عبد العال الكركي في (نفحات اللاهوت ص ٨٦ ط الغري) ومحمد بن يوسف التونسي المشتهر بالكافي في (السيف اليماني المسلول ص ١٦٩) .

٢ ـ روى الخطيب الخوارزمي في (المناقب ص ٢٤٩ ط تبريز) باسناده عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : أما انك يا بن ابيطالب وشيعتك في الجنة وسيجيىء اقوام ينتحلون حبك ثم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية يقال لهم الخارجية فان

لقيتهم فاقتلهم فانهم مشركون .

٣ ـ روى المحدث الشهير بابن حسنويه فى (درّ بحر المناقب ص ٩١) باسناده عن سليم بن قيس قال : دخلت على علي بن ابيطالب عليه السلام وهو فى مسجد الكوفة والناس حوله إذ دخل عليه راس اليهود وراس النصارى فلما جلسا ، فقالت الجماعة بالله عليك يا مولانا اسئلهم حتى تنظر ما يعلمون قال رضى الله عنه لراس اليهود يا اخا اليهود قال : لبيك يا على قال على عليه السلام : كم انقسمت امّة نبيكم ؟ قال : هو عندى فى كتاب مكتوب قال رضى الله عنه ، قاتل الله قوماً انت زعيمهم يسئل عن امر دينه ، فيقول : هو عندى فى كتاب مكنون (مكتوب ـ خ) ثم التفت إلى راس النصارى ، فقال له كم انقسمت امّة نبيكم ؟ فقال : كذا و كذا فأخطأ فقال رضى الله عنه : لو قلت : مثل ما قال صاحبك لكان خيراً لك ان تقول وتخطىء ولا تعلم ثم اقبل عليه السلام عند ذلك وقال :

ايها الناس : انا اعلم من اهل التوراة بتوراتهم ، واعلم من اهل الانجيل بانجيلهم ، ومن اهل القرآن بقرآنهم انا اخبركم على كم انقسمت الامم اخبرني به اخي وحبيبي وقرّة عيني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال لى : افترقت اليهود على احد وسبعين فرقة : سبعون منها فى النار و واحدة فى الجنة ، وهى التى اتبعت وصيّه ، وتفرقت النصارى اثنين وسبعين فرقة : احدى وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة ، وهى التى اتبعت وصيه ، وافترقت امتى ثلاث وسبعون فرقة : اثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى التى اتبعت وصيي وضرب بيده على منكب على رضى الله عنه ثم قال :

اثنان وسبعون حلّت عقد الله فيك و واحدة فى الجنة ، وهى التى اتخذت محبتك وهم شيعتك .

٤ ـ روى ابن الاثير فى (النهاية ج٣ ص٢٧٦) ان رسول الله قال لعلى عليه السلام : انك ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين .

٥ ـ روى الهيتمى فى (مجمع الزوائد ج٩ ص١٣١) بالاسناد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلى عليه السلام: أنت اول داخل الجنة من امتى وان شيعتك على منابر من نور مسرورون مبيضّة وجوههم حولى اشفع لهم فيكونون غداً فى الجنة جيرانى:

وغيرها من الروايات الواردة لايسعها المقام.

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

تمت سورة المجادلة والحمد لله فى الاولى والاخرة

وصلى الله على محمد وأهل بيته الطاهرة

فهرس ما جاء في تفسير سورة الحديد

يدور البحث حولها على فصلين:

الاول: في عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة:

الفصل الثاني : في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية المبحوث عنها في سورة الحديد وفيها اربع بصائر :

الاولى : وفيها ستة امور :

البصيرة الثانية : وفيها أمر واحد :

البصيرة الثالثة : وفيها امور ستة :

البصيرة الرابعة : وفيها عشرة امور :



فهرس ما جاء في تفسير سورة المجادلة

يدور البحث حولها على فصلين:

الاول: في عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة:

الفصل الثاني : في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلاميـة المبحوث عنها في سورة المجادلة وفيها ثلاث بصائر :

الاولى : وفيها خمسة امور :

البصيرة الثانية : وفيها امور اربعة :

البصيرة الثالثة : وفيها سبعة امور :

